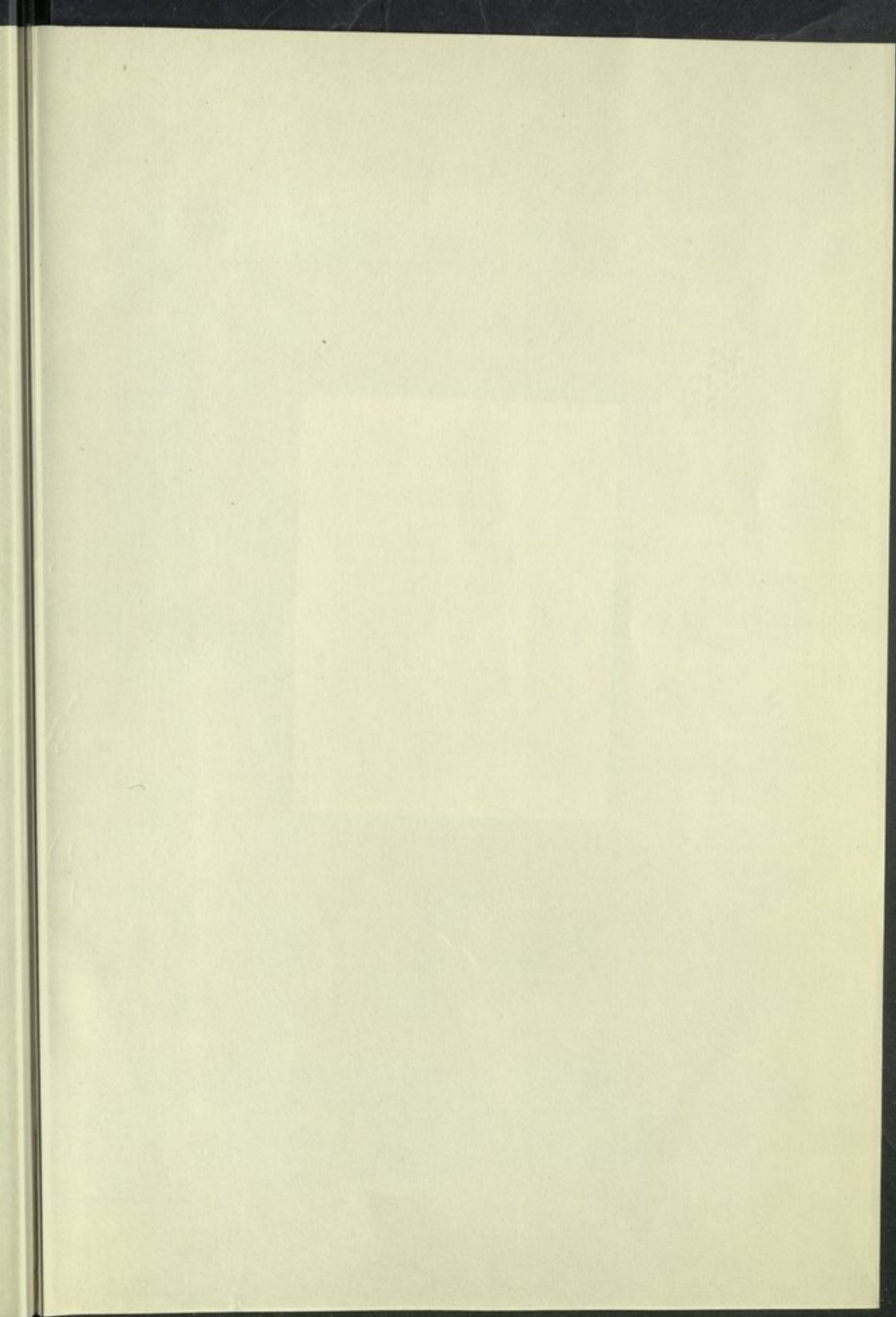


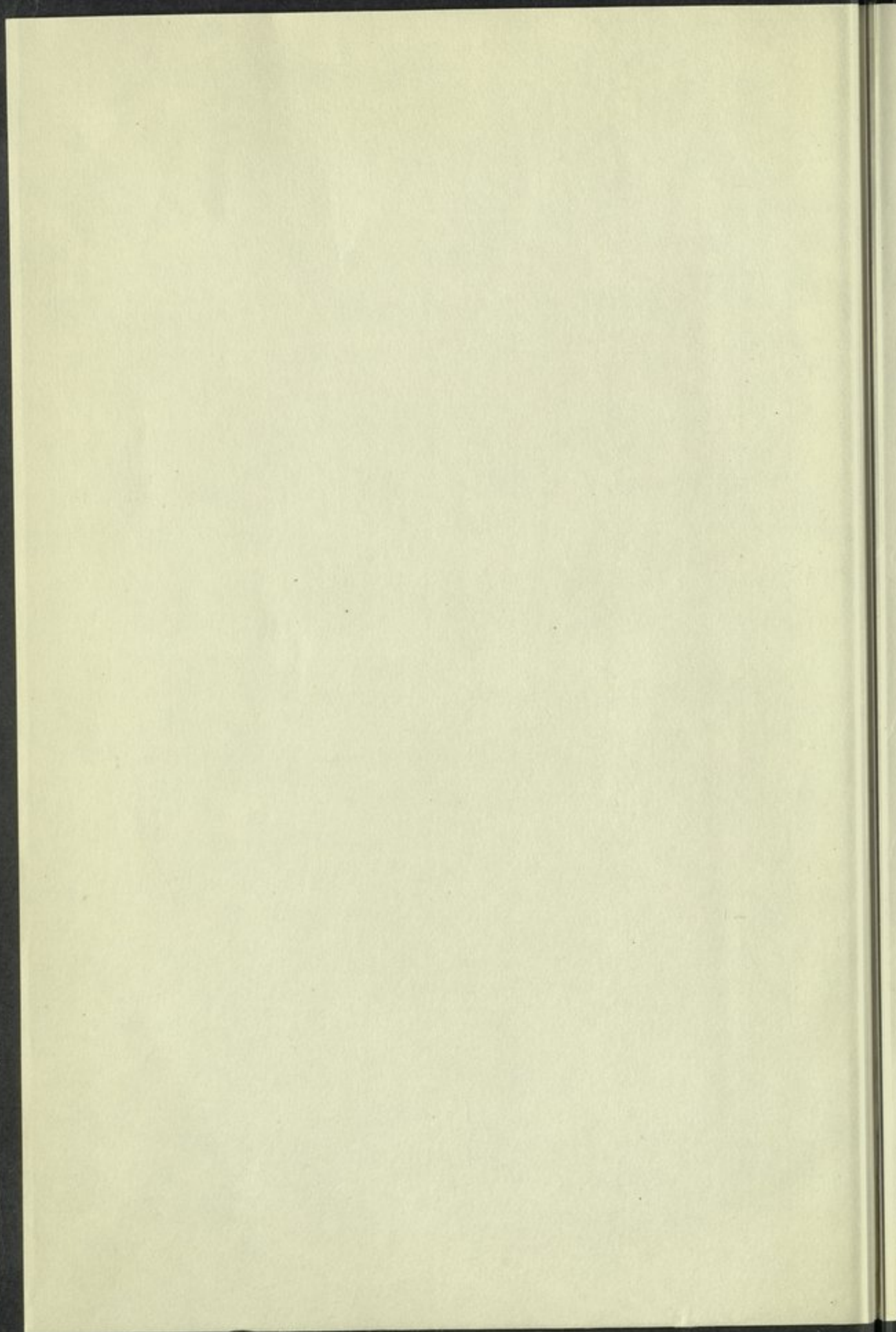
AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



N. MAKHOUL
BINDERY
14 OCT 1972
Tel. 260458





29+

3
1193 A

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

039
N989na
v. 15
c. 1



نهاية الآداب

في

فنوز الآداب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب بن النوفلي

السفر الخامس عشر

69619

المسألة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م

Cat. Oct. 1950



الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

فهرس

السفر الخامس عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

صفحة

- ذكر أخبار مصر ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده، وما بنوه
من المدن، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي وغير ذلك
من المباني، وما وضعوه بها من العجائب والطمسات والحكم،
وما أناروا من المعادن وما دبروه من الصنعة، وما شقوه وأنبطوه
من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها ... ١
ملوكها قبل الطوفان ... ١
ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وشيء من عجائبها ... ٢٢
ذكر خبر كهان مصر وحالهم مع الملوك ... ٤٠
ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك ... ٤٣
ذكر خبر هاروت وماروت ... ٥٢
ذكر أخبار أشمون ومن ملك من بنيه ... ٦٩
ذكر أخبار أتريب الملك ... ٧٥
ذكر أخبار صابن قبطيم بن مصرم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام ... ٨١
ذكر خبر عون وما فعله في غيبة الوليد وخبر المدينة التي بناها ... ١١٥
ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون إلى مدينته ... ١١٩
ذكر نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون ... ١٣٨

صفحة

١٤٢	الباب الثالث من القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك الأمم من الأعاجم ، وهم ملوك الفرس الأول ، وملوك الطوائف من الفرس ، والملوك الساسانية واليونان والسريان والكلوانيين والروم والصقالبة والنوكرد والإفرنجية والحلافة وطوائف السودان
١٤٢	ذكر أخبار ملوك الفرس وهم الفرس الأول
١٥٨	ذكر أخبار مختصر
١٦٤	ذكر أخبار ملوك الطوائف
١٦٦	ذكر أخبار الملوك الساسانية
١٩٥	ذكر قطعة من سير كسرى أنو شروان وسياسته
٢٠٧	ذكر خطبة أنو شروان
٢٢٣	ذكر حيلة لأبرويز على ملك الروم
٢٢٦	ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله
٢٣٤	ذكر أخبار ملوك اليونان وأنسائهم
٢٣٨	ذكر شيء من مكاييد الإسكندر وحيله في حروبه
٢٤٣	ذكر شيء من أخبار الإسكندر وما آتفق له مع ملكي الهند والصين
٢٥٢	كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر
٢٥٥	ذكر أخبار ملوك السريان
٢٥٨	ذكر أخبار ملوك الكلوانيين وهم ملوك النبط ملوك بابل
٢٦٣	ذكر أخبار ملوك الروم وأنسائهم
٢٦٦	ذكر خبر أصحاب الكهف
٢٧٣	ذكر أخبار ملوك الروم المنتصرة وهم ملوك القسطنطينية
٢٧٩	ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام
٢٨٤	ذكر أخبار ملوك الصقالبة والنوكرد
٢٨٥	ذكر خبر ملوك الإفرنجية والحلافة

٢٨٧	ذكر طوائف السودان وشيء من أخبارهم ونسبهم
		الباب الرابع من القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك العرب
٢٩١	ويتصل بهذا الباب خبر سيل العرم
٢٩١	ذكر أخبار ملوك قحطان
٣٠٩	ذكر خبر سيف بن ذي يزن وعود الملك الى حمير
٣١١	ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان
٣١٥	ذكر أخبار ملوك الحيرة وهم من آل قحطان
٣٣٢	ذكر خبر سد مأرب وسيل العرم
		الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الخامس في أيام العرب ووقائعها
٣٣٨	في الجاهلية
٣٣٩	ذكر واقعة طسم وجديس
٣٤٤	ذكر حروب قيس في الجاهلية . يوم منعج لغنى على عيس
٣٤٦	يوم التفراوات لبني عامر على بني عيس
٣٤٨	يوم بطن عاقل لذبيان على بني عامر
٣٤٩	يوم ررحان لعامر على تميم
٣٥٠	يوم شعب جبلة لعامر وعيس على ذبيان وتميم
٣٥٣	يوم الحريبة وفيه قتل الحارث بن ظالم
٣٥٦	ذكر حرب داحس والغبراء، وهي من حروب قيس
٣٥٨	يوم المريقب لبني عيس على بني ذبيان
٣٥٩	يوم ذي حسي لذبيان على عيس
٣٦٠	يوم اليعمرية لعيس على ذبيان
٣٦٠	يوم الهباءة لعيس على ذبيان
٣٦٢	يوم الفروق لبني عيس
٣٦٣	يوم قطن

صفحة	
٣٦٣	يوم غدیر قلبی
٣٦٤	يوم الرقم لطفان علی بنی عامر
٣٦٤	يوم التساء لعبس علی بنی عامر
٣٦٥	يوم شواخط لبني محارب علی بنی عامر
٣٦٥	يوم حوزة الأول لسلم علی غطفان
٣٦٧	يوم حوزة الثاني
٣٦٨	يوم ذات الإئل
٣٦٩	يوم اللوی لغطفان علی هوازن
٣٧٠	يوم الطعينة بين دريد بن الصمة وریعة بن مکدم
٣٧٣	يوم الصلحاء لهوازن علی غطفان
٣٧٣	ذکر حرب قيس وکثانة . يوم الکديد لسلم علی کثانة
٣٧٤	يوم فزارة لکثانة علی سلم
٣٧٤	يوم الفيفاء لسلم علی کثانة
٣٧٥	ذکر حرب قيس وتميم . يوم السؤبان لبني عامر علی بنی تميم
٣٧٧	يوم أقرن لبني عبس علی بنی دارم
٣٧٧	يوم المتزوت لبني العنبر علی بنی قشير
٣٧٨	يوم دارة ماسل لتميم علی قيس
٣٧٩	أيام تميم علی بکر . يوم الوقیسط
٣٨١	يوم النباح وثبتل لبکر علی تميم
٣٨٣	يوم زرود الثاني لبني يربوع علی بنی تغلب
٣٨٣	يوم ذی طلوح لبني يربوع علی بکر
٣٨٥	يوم الحائر وهو يوم ملهم لبني يربوع علی بنی بکر
٣٨٥	يوم الفحقيق وهو يوم ماله لبني يربوع علی بکر
٣٨٦	يوم رأس العين لبني يربوع علی بکر

صفحة

٣٨٦	يوم العظالي لبني يربوع على بكر
٣٨٨	يوم الغبيسط لبني يربوع على بكر
٣٨٩	يوم مخطط لبني يربوع على بكر
٣٨٩	يوم جدود
٣٩٠	يوم سفوان
٣٩١	يوم نقا الحسن وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بني شيبان
٣٩١	أيام بكر على تميم . يوم الزويرين
٣٩٣	يوم الشيطان لبكر على تميم
٣٩٣	يوم صمغوق لبكر على تميم
٣٩٤	يوم ميايض لبكر على تميم
٣٩٥	يوم فيحان لبكر على تميم
٣٩٥	يوم دى فار الأول لبكر على تميم
٣٩٦	يوم الحاجز لبكر على تميم
٣٩٦	يوم الشقيق لبكر على تميم
٣٩٦	ذكر حرب البسوس . وهي حرب بكر وتغلب آخى وائل
٣٩٨	ذكر مقتل كليب وائل
٤٠٠	يوم النهى
٤٠٠	يوم الذنائب
٤٠١	يسوم واردات
٤٠١	يوم عنيزة
٤٠٢	يوم قضة
٤٠٤	يوم تحلاق اللحم
٤٠٦	الكلاب الأول
٤٠٧	يوم الصفقة وهو يوم الكلاب الثانى

صفحة	
٤١٣	يوم طخفة
٤١٤	يوم فيف الريح
٤١٥	يوم زرود الأوقل
٤١٦	يوم غول الأوقل وهو يوم كنهل
٤١٧	يوم الجبابات
٤١٧	يوم الشعب
٤١٨	يوم غول الثاني
٤١٨	يوم الخندمة
٤١٩	يوم اللهماء
٤٢٠	يوم خراز
٤٢١	يوم النصار
٤٢١	يوم ذات الشقوق
٤٢٢	يوم خوق
٤٢٣	أيام الفجار - الفجار الأوقل
٤٢٤	الفجار الثاني
٤٢٤	الفجار الثالث وهو بين كئانة وهوازن
٤٢٥	الفجار الآخر وهو بين قريش وكئانة كلها وبين هوازن
٤٢٧	يوم شمظة وهو يوم نخلة من الفجار الآخر
٤٢٨	يوم العباء
٤٢٨	يوم شرب
٤٢٩	يوم الحريرة
٤٣٠	يوم عين أباغ
٤٣١	يوم ذى قار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر أخبار مصر

ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده ، وما بنوه بها من المدن ، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي وغير ذلك من المبانى ، وما وضعوه بها من العجائب والطلسمات والحكم ، وما أناروا من المعادن وما دبروه من الصنعة ، وما شقوه وأنبطوه من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها

فأما ملوكها قبل الطوفان فقد ذكرهم إبراهيم بن القاسم الكاتب في مختصر كتاب العجائب الكبير الذى ألفه إبراهيم بن وصيف شاه . قال : أول من ملك مصر من الملوك قبل الطوفان ^(١) تقراوس ، ومعناه ملك قومه وعظيمهم . وذلك أن بنى آدم لما بغى بعضهم على بعض ونحاسدوا وتغلب عليهم بنو قابيل تحمل تقراوس ^(٢) الجبار ابن مصرايم بن برايكيل بن زراييل بن غرناب بن آدم فى نيف وسبعين رجلا من بنى غرناب جبابة ، كلهم يطلبون موضعا ينقطعون فيه من بنى آدم . فلما نزلوا على النيل ورأوا سعة البلد وحسنه أقاموا فيه وبنوا الأبنية ، وقالوا : هذا بلد ^(٣) زرع ؛ [وبنى تقراوس مصر] وسمها بأسم أبيه مصرايم ثم تركها ^(٤) . وكان تقراوس

(١) ورد هذا الضبط بالقلم هكذا فى نسخة ب .

(٢) اختلفت المراجع فى ذكر هذه الأسماء فاكثفينا بما ورد فى الأصول .

(٣) التكملة من خطط المقرئى (ج ٣ ص ٦ طبعه فيث) .

(٤) كذا فى خطط المقرئى . وفى الأصل : « تبركا به » .

جباراً له أيدٌ وبسطة، وكان مع ذلك كاهناً عالماً، له معاون من الجن، فملك
 بنى أبيه ولم يزل مطاعاً فيهم. وقد كان وقع إليه من العلوم التي كان زراييل علمها
 من آدم. قال: فهو وبنوه الجبابرة الذين بنوا الأعلام، وأقاموا الأساطين العظام،
 وعملوا المصانع، ووضعوا الطلسمات، واستخرجوا المعادن، وقهروا من ناوأم
 من ملوك الأرض ولم يطمع طامع فيهم. وكل علم جليل في أيدي المصريين إنما هو
 من فضل علم أولئك القوم، كان مرموزاً على الحجارة. فيقال إن فليمون الكاهن
 الذي كان ركب مع نوح عليه السلام في السفينة هو الذي فسرها لهم وعلمهم كتابها،
 وسند كره إن شاء الله تعالى خبر فليمون في موضعه.

قال: ثم أمرهم نقرأوس حين استقر أمرهم ببناء مدينة فقطعوا
 الصخور والأحجار من الجبال، وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة وسموها
 أمسوس، وأقاموا بها أعلاماً، طول كل علم مائة ذراع، وعمروا الأرض،
 وأمرهم ببناء المدائن والقرى، وأسكن أهل كل بيت ناحية من أرض مصر. وهم
 الذين حفروا النيل حتى أجروا ماء اليهم، ولم يكن معتدل الحفر إنما كان يتسطح
 ويتفترق في الأرض. قال: ووجه إلى بلد النوبة جماعة حتى هندسوه وشقوا منه
 أنهاراً إلى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها، وشقوا نهراً عظيماً إلى مدينتهم
 أمسوس يجري في وسطها وغرسوا عليه الغروس، فكثرت خيرهم وعزت أرضهم
 وتجبر ملكهم. قال: وبعد مائة وعشرين سنة من ملكه أمر بإقامة الأساطين
 العظام وزر عليها ذكر دخولهم البلد، وكيف نزلوا به، وحرهم لمن حاربوه من

(١) أمسوس، وردت مضبوطة بالقلم هكذا في نسخة ب وهي أول مدينة بنيت بالديار المصرية قبل

الطوفان. وموضعها خارج الاسكندرية تحت البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) كما ذكره بعض
 المؤرخين، وشق لها نهراً يتصل بها من النيل (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٣١٩) (٢)

الأهم . ثم أمر ببناء قبة على أساطين مُثبتة في الرصاص ، طولها مائة ذراع ، وجعل على رأسها امرأة من زبرجد أخضر ، قُطرها سبعة أشبار ، ترى خُصرتها على أمد بعيد . قال : وفي مصاحف المصريين أنه سال الذي كان معه أن يعرفه مخرج النيل ، فعمله حتى أجاسه على جبل القمر خلف خط الاستواء على البحر الأسود الزرقى ، وأراه النيل كيف يجري فوق ذلك البحر الأسود مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ، ثم يخرج الى بطائح هناك . ويقال : إنه عمل بيت التماثيل هناك ، وعمل فيه هيكلًا للشمس . ورجع الى أمسوس فقسم البلد بين بنيه ، فجعل لتقارس الجانب الغربي ، ولسورب الجانب الشرقي ، ولأبنة الصغير وهو مصرام مدينة سماها برسان وأسكنه فيها ، وأقام فيها أساطين وشق لها نهرًا وغرس بها غروسا . وعمل بأمسوس عجائب كثيرة ، منها صورة طائر على أسطوانة عالية ، يصفر كل يوم مرتين عند طلوع الشمس وعند غروبها صغيرا مختلفا ، فيستدلون به على ما يكون من الحوادث فيتأهبون لها ، ويخزن للواء المقسوم على جناتهم مائة وعشرين قسما لا يقدر أحد أن يحوز ما ليس له . وعمل وسط المدينة صنمين من حجر أسود ، اذا تقدم السارق لم يقدر على الزوال عنها حتى يسلك بينهما ، [فإذا دخل بينهما أطبقا عليه فيؤخذ] .

١٠٥
١٢

(١) المراد بخلف هنا شمال خط الاستواء .
(٢) هذه التسمية وردت هكذا أيضا في خطط المقرئ (ج ٣ ص ٨ طبعة فييت) أثناء كلامه على تقراوس والعسلة في هذا أن النويري والمقرئ يتقلان عن مرجع واحد وهو ابن وصيف شاه . ولم نوفق إلى تحقيقه في مرجع آخر .

(٣) كره المؤلف هنا عبارة « البحر الأسود الزرقى » ولا معنى له واكتفينا بما ورد في خطط المقرئ .
(٤) المراد بالبطائح هنا منابع النيل .
(٥) ذكر الفلقشندي في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٣١٩) هذه المدينة على أنها القاعدة الثانية من قواعد مصر قبل الطوفان ثم قال : « ولم أف على مكانها » .
(٦) الزيادة من المقرئ (ج ٣ ص ٨ طبعة فييت) . وفي الأصلين مكانها : « يسقطان عليه » .

وله أعمال كثيرة سوى هذه . قال : وعمل في برسان صورة [من نحاس مذهب على منار
 عال لا تزال عليها سحب تظلها ، من استمطرها أمطرت عليه ماء ، فهلكت في الطوفان .
 وعمل على حدود بلادهم أصناما من نحاس مجوف وملاها نارا وكبريتا وجلب اليها
 روحانية [النار] ، فإن قصدهم قاصد بسوء أرسلت تلك الأصنام من أفواهاها نارا
 أحرقته . وكان حد بلادهم الى داخل الغرب مسافة أيام كثيرة طامرا كلة
 بالقصور والساتين ، وكذلك في المشرق الى البحر ، ومن الصعيد الى بلاد علوة (١)
 وعمل فوق جبال بطرس منارا يفور بالماء يسقى ما تحته من المزارع . وملكتهم
 مائة وثمانين سنة . فلما مات لطمخوا جسده بالأدوية المسنكة ، وجعلوه في تابوت
 من ذهب ، وعملوا له ناووسا مصفحا بالذهب ، وجعلوا معه كنوزا من أنواع
 الجواهر وتمائيل الزبرجد ، وكثرا من الصنعة المعمولة ، وأواني الذهب ، والطلسمات
 التي تدفع الهوام وغيرها ، وزبروا عليه تاريخ الوقت .
 ولما مات ملك بعده ابنه نقارس بن نقرأوس ، فتجبر وعلا أمره ، وبني
 مدينة يقال لها خلجة ، وعمل فيها جنة صفح حيطانها بصفايح الذهب والحجارة
 الملونة ، وغرس فيها أصناف الفواكه والغروس الحسنة ، وأجرى تحتها الأنهار ،
 وأمر بإقامة الأساطين والأعلام ، وركب عليها أصناف العقاقير والأدوية وجميع
 العلوم . وكان معه شيطان يعمل له التمائيل العجيبة . وهو أول من بنى بمصر هيكلًا

(١) الزيادة من المقرري . والعبارة فيه : « وكل بهار روحانية النار » .

(٢) بلاد علوة : هي من بلاد النوبة ، وتقع على الضفة النيل أسفل من مدينة دنقلة ، وبينها مسيرة

أيام في النيل (راجع المغرب وأرض السودان ص ١٩ طبع مدينة ليدن) .

(٣) في المقرري (ج ٣ ص ١١ طبعة فييت) « خلجة » وأشير في الخامس الى أنها في السيوطي « خلجة » .

(٤) لعله « وكتبا » .

وجعل فيه صور الكواكب السبعة، وزبر على رأس كل كوكب محارته وما يعمله من المنافع والمضار، وألبسه الثياب الفاخرة وأقام له كاهنا وسدنة. وخرج مغرباً حتى بلغ البحر المحيط وعمل عليه أعلاما، وجعل على رأس كل علم أصناما تُسرج عيونها بالليل كأنها مصابيح، ورجع على بلاد السودان إلى النيل، وأمر ببناء حائط على جانب النيل، وجعل له أبوابا يخرج الماء منها. وبني في صحراء الغرب وراء الواحات ثلاث مدن على أساطين، وجعل شرفها من الحجارة الملوّنة التي تتشّف، وجعل في كل ناحية منها ثلاث خزائن للحكمة، وهي أول عجائب الأرض، جعل الدخول إلى هذه المدن من الأساطين التي بنيت عليها. ففي إحدى هذه الخزائن صنم الشمس الذي هو أعظم أصنامهم، وهي معلقة عليه في بيت شرفها، وعلى رأسه إكليل فيه كواكبها الثابتة. وفي إحداها صنم للشمس رأسه رأس طاووس في جسد إنسان من ذهب أزرق، وعينه جوهرة تان صفراوان، وهو جالس على سرير مغنطيس، وفي يده مصحف العلوم. وفي إحداها صنم رأسه رأس إنسان وجسده جسد طائر، وصوره امرأة جالسة من زئبق معقود، لها ذؤابتان، وفي يدها امرأة وعلى رأسها صورة كوكب، وهي رافعة بالمرأة إلى وجهه، ومطهرة فيها سبعة ألوان، من الماء السائل لا يختلط بعضها ببعض ولا يوارى بعضها بعضا. وصوره شيخ من حجر الفيروزج، وبين يديه

- (١) المحارة : المكان الذي يحور أو يحار فيه (المدار) . والمحارتان : رأسا الورك المستديران اللذان يدور فيهما رموس الفخذين . والمعروف أن لكل كوكب محور يدور فيه . وقيل له محور : للدوران ، لأنه يرجع إلى المكان الذي زال عنه ؛ فالمراد بالمحارة هنا الدائرة التي يدور فيها الكوكب . (٢) بيت شرفها : أي محل عزها وعلوها وسعادتها وحلوقها في الحمل وهو محل قوة الكوكب ، فالشمس من أجل أنها إذا حلت الحمل تصاعدت في الشمال وظهرت قوتها وصارت شرفها فيه (راجع شرح العلامة الخضرى على متن اللغة ورقة ٨٧ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٨ بيتات) . (٣) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « صورة أحدها » . (٤) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « والآخر » .

صَبِيَّةٌ يَعْلَمُهُمْ ، وهم من أصناف العقيق والجوهر . وفي الخزانة الثانية صورة هِرْمِسَ
 [يعنى عطارداً] وهو مَكْبٌ ينظر الى مائدة بين يديه من نُوشَادِرٍ على قوائم كبريت أحمر ،
 وفي وسطها مثل الصَّحْفَةِ من جوهر أحمر فيها دواء أخضر من الصنعة ، وصورة عُقَابٍ
 من زُرْمَدٍ أخضر عيناه من ياقوت أصفر ، وبين يديه حَيَّةٌ من فضة قد لوت ذنبها
 على رجليه ورفعت رأسها كأنها تريد أن تنفخ عليه ، وفي ناحية منها صورة المِرْبِخِ
 راجعاً على فرس وبيده سيف مسلول من حديد أخضر ، وعمود من جوهر أخضر ،
 عليه قبة من ذهب فيها صورة المُشْتَرِي ، وقبة [من أدرك] ^(٢) على أربعة أعمدة من جَرَجٍ
 أزرق في سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين في صورة امرأة ورجل كأنهما يتحاذيان ،
 وقبة من كبريت أحمر فيها صورة الزَّهْرَةِ على صورة امرأة مُسَكَّةٌ بصفيرتها وتحتها رجلٌ
 من زبرجد أخضر ، في يده تحاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها . ^(٣) وجعل في كل
 خزانة من بقية الخزائن من العجائب ما لا يحصى ، وعلى باب كل مدينة طَلْسِمَاتٌ تمنع
 من دخولها في صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً ، وفي كل مدينة من الجواهر
 النفيس والذهب والفضة والكبريت الأحمر والتربة الصنعية في البراني الملائمة ، وصنوف
 الأدوية النفيسة المؤلفة والسموم القاتلة . وعلم كل باب من الأساطين بعلامة
 يعرف بها يُصعد اليها من مسارب تحت الأرض . قال : وجعل بين هذه المدائن ^(٤)

١٠٦
١٢

في الخزانة الثانية صورة هِرْمِسَ . وفي الخزانة الثانية صورة هِرْمِسَ . وفي الخزانة الثانية صورة هِرْمِسَ .

(١) زيادة من المقرئ (ج ٣ ص ١٠ طبعه فييت) .

(٢) زيادة من المقرئ (طبعه فييت) . والأدرك : الحجر الأحمر . وفي طبعه بلاق «من أنك»

والآنك : التصدير .

(٣) كذا في المقرئ (ج ٣ ص ١٠ طبعه فييت) وفي الأصول : «... وكانهم يفرون عليه» .

(٤) يريد : وجعل بين أول هذه المدائن وبين مدينة خلجة ، وهي التي عمل فيها الجنة ، شعبة أميال الى

الغرب ، وبين مدينة خلجة وبين الثانية أربعة عشر ميلاً ، وبينها وبين الأخيرة واحد وعشرون ميلاً .

ففي العبارة هنا قصور .

و بين مدينة خلجة، وهي التي عمل فيها الجنة، سبعة أميال الى الغرب، و بينها وبين
 الأخرى أربعة عشر ميلا، و بين الأخرى واحد وعشرون ميلا . وكان له من
 مدينته إلى هذه المدائن أسراب تحت الأرض يصل منها إليها، وكذلك من بعضها
 الى بعض . و عمل عجائب كثيرة أزالتها الطوفان، و ركبت هذه الأرض الرمال فأزالت
 طلسماتها . قال : و ملك نقيس مائة سنة و سبع سنين ثم هلك فعُمل له ناووس^{١٠٧} و
 و جعل معه من الأشياء العجيبة ما يطول الأمر بذكره .

ثم ملك بعده أخوه مصرام بن نقر اوس، فبنى للشمس هيكلًا من المرمر الأبيض
 و مؤه بالذهب، و جعل وسط الهيكل كالعرش من جوهر أزرق عليه صورة الشمس
 من ذهب أحمر و أرخى عليها كل الحرير الملون، و أمر أن يوقد عليها بطيب الأدهان،
 و جعل في الهيكل قنديلا من الزجاج الصافي، و جعل فيه حجرا مدبراً يضيء كما يضيء
 السراج و أكثر منه ضوءاً، و أقام له سدنة، و عمل له سبعة أعياد في السنة . و قيل : إن مصر
 سميت به . و تسمى به مصرام بن بصير بن حام بن نوح بعد الطوفان لأنه وجد
 اسمه مزبوراً على الحجارة . و كان فليمون الكاهن أخبرهم أخبار هؤلاء الملوك . و كان
 مصرام هذا قد ذل الأسد في وقته فكان يركبها . و صحبه الروحاني الذي كان مع أبيه
 لما رأى من حرصه على لوازم الهياكل و التقيام بأمور الكواكب، و أمره أن
 يحتجب عن الناس . و ألقى على وجهه بسحره نورا عظيماً لا يقدر أحد أن يتمكن من
 النظر إليه . فادعى أنه إله، و غاب عن الناس ثلاثين سنة، و استخاف عليهم رجلا من
 ولد غرناط و كان كاهنا . و يقال : إن مصرام ركب في عرش و حملته الشياطين حتى
 آتته الى وسط البحر الأسود، فعمل فيه القلعة الفضة و جعل عليها صنيين من
 النحاس و زبر عليها : أنا مصرام الجبار، كاشف الأمرار، الغالب القهار، صنعت

(١) في القرني (ج ٣ ص ١١ طبع في بيت) : « وفي وسطه فرس من جوهر » .

- الطَّاسِمَاتِ الصَّادِقَةِ ، وَأَقْمَتُ الصُّورِ النَّاطِقَةِ ، وَنَصَبَتِ الْأَعْلَامَ الْمَاهِلَةَ عَلَى الْبَحَارِ
السَّائِلَةِ ، لِيَعْلَمَ مِنْ بَعْدِي أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مَلِكِي ، وَكُلَّ ذَلِكَ فِي أَوْقَاتِ السَّعَادَةِ ،
وَكَانَ قَدْ عَمِلَ فِي جَنَّتِهِ شَجَرَةً مَوْلِدَةً يُؤْكَلُ مِنْهَا جَمِيعُ الْفَوَاكِهِ ، وَقَبَّةٌ مِنْ زَجَاجِ أَحْمَرَ
عَلَى رَأْسِهَا صَنْمٌ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ ، وَوَقَلَّ بِهَا شَيْطَانِينَ إِذَا ائْتَلَطَ الظَّلَامُ نَادَوْا :
٥ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ مَتْرَاهُ حَتَّى يُصْبِحَ وَإِلَّا هَلَكَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ لَهُ ذَلِكَ ،
وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا لَهُ ، وَجَلَسَ لَهُمْ فِي مَجْلَسِ عَالِ مَرْزِينَ بِأَصْنَافِ الزَّيْنَةِ وَتَجَلَّى لَهُمْ
فِي صُورَةٍ هَالَتْهُمْ وَمَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ رَعْبًا ، فَخَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَدَعَوْا لَهُ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا وَرَجَعُوا إِلَى مَوَاضِعِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَرَوْهُ بَعْدَ . وَبَلَغَ بِكَهَانَتِهِ
مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِهِ .
- ١٠ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ عُنُقَامُ الْكَاهِنِ ، فَعَدَلَ فِيهِمْ ، وَعَمِلَ مَدِينَةَ عَجَبِيَّةَ قَرِيبَ الْعَرِيشِ
جَعَلَهَا لَهُمْ حَرَمًا . وَقِيلَ : إِنَّ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُفِعَ فِي زَمَانِهِ . قَالَ : وَيَحْكِي عَنْهُ أَهْلُ
مِصْرَ حِكَايَاتٍ كَثِيرَةٌ تَخْرُجُ عَنِ الْعُقُولِ . وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي عَالِمِهِ كَوْنَ الطُّوفَانِ ، فَأَمَرَ
الشَّيَاطِينَ الَّتِي تَصْحَبُهُ أَنْ تَتَّبِعَنَّهُ لِمَكَانٍ خَلْفَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ الْفَسَادُ ،
فَبُنِيَ لَهُ الْقَصْرُ الَّذِي فِي مَفْحِ جَبَلِ الْقَمَرِ ، وَهُوَ قَصْرُ النَّحَاسِ الَّذِي فِيهِ التَّمَائِيلُ ،
وَهِيَ نَحْسَةٌ وَتَمَانُونَ تَمْتَلَا ، يُخْرَجُ مَاءُ النَّيْلِ مِنْ حُلُوقِهَا وَيَنْصَبُ إِلَى بَطِيحَةٍ .
٢٥ وَلَمَّا عَمِلَ لَهُ ذَلِكَ الْقَصْرَ أَحَبَّ أَنْ يَرَاهُ قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَهُ ، فَجَلَسَ فِي قَبْتِهِ وَحَمَلَتْهُ
الشَّيَاطِينُ عَلَى أَعْنَاقِهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى حِكْمَةَ بِنْيَانِهِ وَزَخْرَفَةَ حَيْطَانِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ
النَّقُوشِ وَصُورِ الْأَفْسَاكِ وَالْكَوَاكِبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْعَجَائِبِ — وَكَانَ
يُنْسَرَجُ بِغَيْرِ مَصَابِيحَ ، وَتُنْصَبُ فِيهِ مَوَائِدُ يُوجَدُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ الْأَطْعَمَةِ وَلَا يُدْرَى
مَنْ يَعْمَلُهَا ، وَكَذَلِكَ الْأَشْرَبَةُ فِي أَوَائِنَ ، يُسْتَعْمَلُ مِنْهَا وَلَا تَنْقُصُ . وَفِي وَسْطِهِ [بَرَكَةٌ]
٢٠

(١) ضبط هكذا بالقلم في نسخة ب . (٢) زيادة عن المقرئ (ج) ٣ ص ١٢ طبعه قبيت .

١٠٧
١٢

من ماء جامد الظاهر تُرى حركته من وراء ما جمد منه ، وأشياء كثيرة من هذا النوع وإن كانت تنبو عن العقول - أعجبه ما رأى ، وزجع الى مصر فأستخلف ابنه عرنّاق وأوصاه بما يريد وقده المُلْك ، ورجع الى ذلك القصر فأقام به حتى هلك هناك . واليه تُعزى مصاحف القبط التي فيها توارينهم وجميع ما يجري الى آخر الزمان . قالوا : ولم تطل مدة ملكه .

ثم ملك بعده ابنه عرنّاق بن عناق^(١) . ملك بعد أبيه وعمل عجائب كثيرة ، منها شجرة صُفر فيها أغصان حديد بخطاطيف حادة اذا تقرب منها الظالم والكاذب تقربت اليه تلك الخطاطيف فتعلقت به وشكت بدنه ولم تفارقه حتى يُحدث عن نفسه بالصدق ويعترف بظلمه ويخرج عن ظلامه خُصمه . وعمل صنما من صَوَان أسود وسماه عبد قزويس ، أى عبد زحل ، فكانوا يحتكمون اليه ، فن زاع عن الحق ثبت في مكانه فلم يقدر على الخروج منه حتى يُنصف من نفسه ولو أقام سنة أو أكثر . ومن كانت له حاجة منهم أو طلب شيئا بجز الصنم ليلا ونظر الى الكواكب وذكر اسم عرنّاق وتضرع فيصبح وقد وجد حاجته على باب منزله . قال : وكان عرنّاق ربما حملته أطيار عظام وتمز به وهم يرونه . وكان ربما غضب على ناس فجعل ماءهم مرّا لا يُدّاق ، وسلط عليهم وحوش الأرض وسباعها وهوائها . قال : وتمزأ على صيد السباع والوحوش ، وعمل عجائب ، منها أنه عمل شجرة من حديد ذات أغصان لظخها بدواء مدبر ، فكانت تجتلب كل صنم من الوحش . قال : وفي كتب المصريين أن هاروت وماروت كانا في وقته وعلمها أهل مصر أصنافا من

(١) « عناق » : أرى (٢)

(١) ضبطت هكذا بالقلم في نسخة ب .

(٢) في نسخة أ : « عبد فرديس » .

السحر، ونُقلا بعد الطوفان الى بابل. وكان عِرناق يجتلب النساء بسحره وبعصبيته، وكان يسكن الجنة التي عملها نقارس، فأحتالت عليه امرأة من المغصوبات فسَمته فهلك وبقي مدة لا يعرف خبره. وكان من رَسْمه - إذا خلا بفسائه - لا يقرب به أحد، فلما تأخر خبره عن الناس هجم عليه قتي من بني نقراوس يقال له لُوخيم ومعه نفر من أهله، فوجدوه ملقى في فراشه جيفة. فأمر أن توقد له نار فأحرقه فيها. وجمع النسوة اللواتي كن في الجنة، فمن كانت من نسائه تركها، ومن كانت من المغصوبات سرحها الى أهلها، ففرح الناس بذلك وبما نزل به.

وملك بعده لُوخيم وجلس على سرير المُلْك ولبس تاج أبيه، وأمر بجمع الناس وقام فيهم وتكلم وذكر ما كان عليه عِرناق الأثيم من سوء السيرة وأغتصاب النساء وسفك الدماء ورفض الهياكل والاستخفاف بالكهنة الى أن هلك، وأنه أحق بتراث أبيه وجده. وضمن للناس العدل والإحسان والقيام بأمرهم ودفع كل أذى عنهم. فرضى الناس به وأطاعوه وقالوا: أنت أحق بالملك، ولا زلت دائم السعادة طويل العمر قائما تجويد الهياكل وتعظيمها. فركب الى هيكل الشمس فقرب له بقرا كثيرا، وسار في الناس بالعدل. قال: وكانت الغرائيق قد كثرت في زمن عِرناق فأهلكت زروع الناس. فعمل لُوخيم أربع منارات من نحاس في أربعة جوانب أمسوس، وجعل على كل منارة صورة غراب في فمه حية قد ألتوت عليه فلم يقربهم شيء من تلك الطيور، فكانت كذلك حتى أزالها الطوفان.

(١) في المقرئ (ج ٣ ص ١٤ طبعة فينت): «لوجيم» بالجمجمة.
 (٢) في ١: «أخيه».
 (٣) الغرائيق: المذكور من الطير واحدا غرنوق وغرنيق، وهو طائر مائي طويل القوائم والعنق أسود وقيل أبيض (راجع شرح القاموس مادة غرنق).
 (٤) نسخة (٢) فينت.

قال: ومن ملوكهم خصليم وهو أول من عمل مقياسا لزيادة الماء، وذلك أنه جمع أصحاب العلوم والهندسة فعملوا بيتا من رُخام على حافة النيل، وجعل في وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون، وعلى حافتَي البركة تمثال عُقابين من نحاس ذكر وأنثى. فإذا كان في أول الشهر الذي يزيد فيه الماء فتح باب البيت وحضر الكُهان وأمناء الملك وتكلموا بكلام لهم حتى يصغير أحد العقابين، فإن صَغُرَ الذكر كان الماء زائدا، وإن صغرت الأنثى كان الماء ناقصا، ثم يعتبرون الماء فكل إصبع يكون في تلك البركة فهو ذراع من زيادة النيل، وكل إصبع ينقص فهو نقصان ذراع.

فإذا علموا ذلك حفروا الترع وأصلحوا الجسور. وعمل على النيل القنطرة التي هي

ببلاد الثوبة. وكان له ابن سماه هِرْصَال، أي خادم الزهرة، لرؤيا كانت رأتها أخت

الملك أن الزهرة تخاطبها، وكفلت الغلام عمته، وأسمها خردافة، وأدبته أحسن التأديب،

وزوجته عشرين امرأة من بنات الملوك والعطاء، وبنت له مدينة فيها عجائب كثيرة،

احتفلت بها وزينتها بأحسن النقوش والزينة والعمارة، وعمات فيها حماما معلقا

على أساطين يرتفع الماء إليها حازا من غير وقيد. ولما هلك خصليم دُفن في ناووس.

ثم ملك بعده ابنه هِرْصَال بن خصليم فتحوّل إلى المشرق وسكنه، وبني مدينة

هي إحدى المدائن ذوات العجائب، وعمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورانها

ويبيت مغربا ويصبح مشرقا. ويقال: إنه عمل من تحت النيل سرّابا. وهو أول

١٠٨
١٢

(١) كذا في الأصول. وفي المقرئ (ج ٣ ص ١٤ طبعة فييت): «النيل».

(٢) ضبطت هكذا بالقلم في نسخة ب.

(٣) ضبطت هكذا (بكسر الخاء المعجمة) بالقلم في نسخة ب م (ص ٢٦٥) وفي نسخة (٢).

(٤) في نسخة (ب): «وزوجته امرأة...».

(٥) الوقيد: ما توقد به النار من الخطب ونحوه.

من عمل ذلك. ونخرج متنكراً يشق الأمام إلى أن بلغ بابل، ورأى ما عمل الملوك من
العجائب. وعلم حال ملكها في الوقت وسيرته ومجاري أموره. ويقال: إن نوحاً عليه
السلام ولد في وقته. قال: وولد له رِصَالُ عشرون ولداً، جعل مع كل ولد منهم قاطراً^(١)
وهو رأس الكهنة. وتزعم القبط أنه بعد مائة وسبع وعشرين سنة من ملكه لزم
الهبيا كل وتبذل للكواكب فأخفته عن أعين الناس. وأقام بنوه على حالهم كل واحد
منهم في قسمة الذي أعطاه إياه يدبره ولا يشركه فيه غيره. وأمور الناس جارية
على سداد، فأقاموا كذلك سبع سنين. ثم وقع بين الإخوة نشاجر، وأجتمع رأى
الكهنة على أن يجعلوا أحدهم ملكاً، ويقم كل واحد منهم في قسمة. فأجتمعوا
في ذلك اليوم في دار المملكة، وأقام رأس الكهنة فتكلم وذكر هِرْصَالاً وسعادة أيامه
وما شملهم فيها من الخير، وأخبر بما رأته الجماعة من تقليد أحدهم الملك. فإن كان
هِرْصَالٌ لم يمت ورجع إليهم لم ينكر ما فعلوه لأنهم أرادوا بذلك حفظ ملكه،
وإن لم يرجع كان الأمر قد جرى على ما سلف من قيام ملك بعدهم فأجتمع رأيهم
على أكبر ولده وهو:

نَدَسَانُ بْنُ هِرْصَالٍ. فلما سار سيرة أبيه وحمد الناس أمره. وعمل قصرًا من

خشب ونقشه بأحسن النقوش، وصور فيه صور الكواكب ونجده بالفرش وحمله
على المساء وكان يتزده فيه. فبينما هو فيه إذ زاد النيل زيادة عظيمة وهبت ريح
عاصف فأنكسر القصر وغرق الملك. وكان قد نفى إخوته إلى المدائن

«...»: (سنة ١١٥٦ - ١١٥٧) في بلاد... (١)

(١) في المقرئ: «ناظراً». (٢)

(٢) في المقرئ (ج ٣ ص ١٥٥ طبعة فينت) وحسن المحاضرة للسيوطي (ج ١ ص ١٩) «قدرسان»

وعبارة المقرئ: «... وكان اسمه قدرشان وقيل قدرسان». وفي صريح الأعشى (ج ٣ ص ٤١١):

«قدرسان». راجع شرح القاموس مادة قدرشان. (٣) في نسخة: «...» (٤)

الداخلة في الغرب . وأقتصر على امرأة من بنات عمه ، وكانت ساحرة ، فتفرد بها وأستخلف بعض وزرائه على الملك وأقبل على لذته ولطوه . فلما هلك كتبت أمراته الساحرة موته ، وكان أمرها ونهبها يخرجان إلى الوزير عن الملك . وأقام الناس تحت طاعته سبع سنين لا يعلمون بأمره . فلما رأى إخوته طول غيبته جمعوا جموعا كثيرة وقدموا على أنفسهم أحدهم وهو شمروذ الجبار وساروا إلى أمسوس . وبلغ ذلك امرأة نَدَسَان الساحرة فأمرت الوزير بالخروج إليهم ومُحَارَبَتِهِمْ ، ففعل ذلك ولقيهم فزقوه وقتلوا كثيرا ممن كان معه ، ودخلوا مدينة أمسوس ، وأتوا دار الملكة فلم يروا نَدَسَان وأيقنوا بهلاكه .

وملك شمروذ بن هرصال فسُرَّ الناس به ، ووعدهم بحسن السيرة فيهم وتغيير ما كانوا يُنكرونه على أخيه . وأستولى على كنوزه وخزائنه ففزعها على إخوته ، وأقطعهم جميع ما كان في يد نَدَسَان . وطلب أمراته الساحرة وآبَنَهَا لِيَقْتُلَهُمَا ، فَأَنْتَقَلَتْ إِلَى مَدِينَةِ أَهْلِهَا مِنَ الصَّعِيدِ ، وَكَانُوا كُلُّهُمْ كُفْهَانًا سَحْرَةً ، فَأَمْتَنَعَتْ بِهِمْ ، وَأرسلت إلى الناس وعرفتهم أن آبَنَهَا الملك في وقته ؛ لأنَّ أباه قلدَه الملك وأمرها أن تدبر أمره حتى يكبر ، فصدقوها وأجابوها وقالوا : إنَّ الغلام مغمس على ملك أبيه ، وإنَّ شمروذ متغلب . فأجتمع في ناحيتها جماعة من أهل البلد وزحف ابن الساحرة وقد عمل له السحرة أصنافا من التخاييل الهائلة والنيران المحرقة ، فقامت الحرب بينهم أياما ، فَأَنْهَزِمَ شَمْرُودُ وَإِخْوَتُهُ وَتَعَلَّقُوا بِبَعْضِ الْجِبَالِ .

ومسك توميدون بن نَدَسَان وهو ابن الساحرة . ودخل دار الملك وجلس على

السرير ولبس التاج الذي كان لأبيه وأطاف به ببطانة أبيه ، وهو يومئذ حدث السن ،

(١) في المقرئ (ج ٣ ص ١٦ طبة فييت) « شمروذ » .

(٢) في المقرئ : « بوسيدون » وراجع تعليقاته عليه (ج ٣ ص ١٦ طبة فييت) . وفي صبح

الأعشى (ج ٣ ص ٤١١) : « فرسيدون » .

- وكانت أمه تدبر أمره، فقتل كل من كان مع شمروذ . وظاب شمروذ حتى ظفر به،
 واجتمع الناس لينظروا ما يصنع به، فشد رأسه برأس أسطوانة قائمة، ورجلاه برأس
 أسطوانة أخرى، وكان طوله فيما يذكر القبط عشرين ذراعاً، ووكلت الساحرة به حرساً
 لثقلته يوم عيدها، وكان قريباً . فصاح بالليل صبيحة مات منها بعض الحرمس وهرب
 الباقيون . فلما اتصل بها ذلك أوقدت ناراً وأمرت بإنزاله وجعلت تقطع منه عضواً
 عضواً وترميه في النار . قال : وخرج ابنها كاهناً متنجساً، وعملت له الشياطين قبسة^(١)
 الزجاج الكبيرة الدائرة على دوران الفلك، وصوروا عليها صور الكواكب، وكانوا^(٢)
 يعرفون الطالع منها وما يحدث بطولعه بعد ستين سنة . ثم ماتت أمه الساحرة
 وأوصت أن يجعل جسدها تحت صنم القمر فإنه يجبرهم بالعجائب وما يسألون عنه
 ففعلوا ذلك . وذل الناس لأبنها وهابوه، وكان يتصور لهم في صور كثيرة، وملكهم
 مائة سنة وستين سنة . ولما حضره الموت أمرهم أن يعملوا له صنماً من زجاج
 على شقين ويُطبق على جسده بعد أن يُطلى بالأدوية المُسككة ويُحَم ويقام في هيكل
 الأصنام، ويُعمل له عيد في السنة ويقرب له قرباناً، وتُدفن علومه وكنوزه تحته،
 ففعلوا ذلك كله .
 ولما مات ملك بعده ابنه شرناق بن توميدون، فعمل بسيرة أبيه وجدته،
 واجتمع الناس عليه . وزحف رجل من بني صرا بليس بن إرم من ناحية العراق، فتغلب^(٣)
- (١) عبارة المقرئ (ج ٣ ص ١٦ طبعه فيت) : «... وقام بوسيدون بن قدرشان بالملك في مدينة
 أمسوس، وكان عالماً فاضلاً، فقوى بسحر أمه وعملت له أعمالاً عجبية، منها قبسة من زجاج على هيئة
 الكرة تدور بدوران الفلك، وصورت فيها صور الكواكب . فكانوا يعرفون بها أسرار الطبائع وطولم العالم .
 فلما ماتت أمه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه التن والحشرات، ودفن تحت صنم القمر .
 ويقال إنها كانت بعد موتها يسمع من عندها صوت بعض الأرواح فتخبرهم بعجائب وتجييب عما يسأل عنه .»
 (٢) في المقرئ : «شرباق ويقال فيه شرباق» . وقد أوردت هذا الاسم عدة مصادر بصور مختلفة .
 (٣) في المقرئ : «من بني فراثي بن آدم» . ويقال من بني صوانتي بن آدم . وقد أوردت هذين
 الاسمين عدة مصادر بصور مختلفة .

على الشام، وأراد أن يزحف إلى مصر، فعرف أنه لا يصل إليها لسحر أهلها، فأراد
 أن يدخلها متذكرا ليقف على أحوالها، فخرج في نفر حتى بلغ الحصن الذي كانوا بنوه على
 مصر. فسألم الحرس الموكلون به عن أمرهم، فعزفوهم أنهم قصدوا بلدهم ليسكنوه،
 فخبسوهم وطالعوا الملك بنجرهم. وكان الملك قد رأى في منامه كأنه قائم على منار لهم
 عال، وكان طائرا عظيما انقض عليه ليختطفه، فحاذ عنه حتى كاد يسقط عن المنارة
 بغاوزه ولم يضره، فآتبه مرعوبا، وبعث إلى رأس الكهنة فقص عليه رؤياه، فعزفه
 أن ملكا يطلب ملكه فلا يصل إليه. فنظر في علمه فرأى أنه قد دخل بلده. فلما
 وردت الرسل بذكر القوم علم أن الملك فيهم، فوجه جماعة من أصحابه فاستوثقوا
 منهم وحملوهم إليه، وقد كان أمرهم أن يطوفوا بهم في أعمال مصر كلها ليرؤا ما فيها من
 الطلسمات والأصنام المنحزكات والعجائب المعجزات، فبلغوا بهم إلى الإسكندرية،
 ثم ساروا بهم إلى أمسوس وطيف بهم على عجائبها. ثم سار بهم إلى الجنة التي عملها
 مضرام، وكان الملك مقيا بها وأمر السحرة بإظهار التهاويل والتخايل، ففعلوا
 يتعجبون مما رأوا إلى أن وصلوا إلى شرناق الملك والكهنة حوله وقد أظهروا
 صنوف العجائب، وجعلوا بين يدي الملك نارا عظيمة لا يصل إليه إلا من خاصها
 ولا تضر إلا من أضمر للملك غائلة، وأمر بدخولها، فشقوها واحدا واحدا لم ينلهم
 منها أدنى، وكان الملك آخرهم، فلما دنا من النار أخذته فولى هاربا. فأتى به شرناق
 فسأله عن أمره فأقر، فأمر بقتله على أسطوانة عند باب الحصن من ناحية الشام،
 فقُتِلَ وُزِرَ عليه: هذا فلان المتغلب على الشام أضمر غائلة الملك، طلب ما لا يصل
 إليه فعوقب بهذا. وأمر بإخراج الباقين من بلاده فأخرجوا. وقيل لهم: قد وجب
 عليكم القتل لصحبكم من أراد الفساد في الأرض، ولكن الملك عفا عنكم، فكانوا
 لا يمزون على أحد إلا حدثوه بما رأوا من العجائب، فأقطعت أطلاع الملوك عن

الوصول الى مصر والتعرض إليها . وعملت في أيامه عجائب كثيرة ، منها أنه عمل على باب كل مدينة بطة نحاس قائمة على أسطوانة ، فإذا دخل الغريب من الباب صفقت بجانبها وصرخت ، فيؤخذ ويكشف عن أمره . وشق الى مدائن الغرب نهرا من النيل ، وبني على عبّره منازل وأعلاما وغرس بينها غروبا ، وكان اذا خرج إليها سار في عمارة متصلة . وملكهم مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات .

وملك بعده آبنه سهلوق بن شرناق ، وكان كاهنا منجما ، فأفاض العدل وقسم ماء النيل قسما موزونا ، صرف الى كل ناحية قسمها ، ورتب المراتب وجعلها على سبعة أقسام : فالطبقة الأولى للملك وولده وأهل بيته ومن يلي عهده ورأس الكهّان والوزير الأكبر وقائد الجيش الأكبر وصاحب خاتم الملك وصاحب خزانته . والطبقة الثانية مراتب العيال والمتولين جباية الأموال والإشراف على النفقات في أمر المملكة ومصالح البلد والعمارات وقسمة المياه . والطبقة الثالثة الكهّان وأصحاب الهياكل وخدمتها ومتولو القرابين والمشرفون على جميع ما يتقرب به من بواكير الفواكه والرياحين وقبيّ البقر والقراديج الذكور ورءوس خواصي الشراب . والطبقة الرابعة المنجمون والأطباء والفلاسفة . والطبقة الخامسة أصحاب عمارة الأرض ومتولّو أمر الزراعة . والطبقة السادسة أصحاب الصناعات والمهّن في كل فن ، والمشرفون على أعمالهم ونقل ما يستجسبون منها الى خزانة الملك . والطبقة السابعة أصحاب الصيد من الوحش والسباع والطيور والهوام والخشاش ، والمشرفون على أخذ دماثها ومرائرها وشحومها وحملها الى الأطباء لإصلاح العقاقير وتأليف الأدوية . وتقدم الا يدخل أهل مهنة ولا صناعة في غيرهم ، ومن قصر في عمله عوقب ، ومن أحسن في عمله جوزى بقدره . وكانت رتبة الألمان والملاهي في قسمة الملك . وتقدم في آسنياب المعادن وبناء المدائن ونصب الأعلام والمنارات وإبداع الصناعات وجر المياه وتوليد غرائب

الأشجار . وأقام على أعالي الجبال سحرة يقسمون الرياح ويمنعون من يقصدهم ويقصد
بلادهم بأذى ، وكذلك كل مفسد من طائر وسبع ووحش وهوام ، وأجرى أمر البلاد
والناس على سداد ، وجعل في كل صنف من الناس صنفا من الكهنة يأمونهم
الدين ، ودينهم يومئذ الصابئة الأولى . ويرفع كل صنف منهم ما يجرى من أمر
ما يتولونه الى الملك في كل يوم . وعمل البيت ذا القباب النورية الثلاث ، وأوقد
فيه النار الدائمة تعظيما للنور . والقبط تزعم أنه أول من وضع بيتا لتعظيم النار .
وقيل : إن جَمَّ الفارسي إنما بنى بيت النار - وهو أول من عمل ذلك للفُرس - اقتداء
بسهلوق مصر . وكان السبب في عمل سهلوق بيت النار أنه رأى أباه في نومه
يقول له : انطلق الى جبل كذا من جبال مصر فإن فيه كوة من صفتها كذا وكذا ،
وإنك واجد على باب الكوة أفعى لها رأسان ، وإنما اذا رأتك كشت في وجهك ، فليكن
معك طيران صغيران ، فإذا رأيت الأفعى فاذبحهما لها وألقهما إليها ، فإنه يأخذ كل رأس
من رأسيها أحد الطيرين وتنحى الى سرب قريب من الكوة فتدخله ، فإذا غابت عنك
فأدخل الكوة فإنك تنهى الى آخرها الى صورة امرأة جميلة الخلق ، وهى من نور
حار يابس ، وسوف يقع عليك وهجها وتحمس بحرارة شديدة ، فلا تقرب منها فتحترق ،
وقف وسلم عليها فإنها تحاطبك فأسكن الى خطابها ، وأنظر ما تقول لك فأعمل به ، فإنك
تشرف بذلك . وهى حافظة كنوز جدك مصرام التى رفعها الى مداين العجائب المعلقة
وهى تدلك عليها . وتنال مع ذلك شرفا في بلدك وطاعة في قومك ، ثم مضى وتركه .
فلما آتته سهلوق جعل يفكر فيما رأى ويتعجب منه ، ورأى أن ينقذ ما أخبره به أبوه ،
فمضى الى الجبل وحمل الطيرين معه وفعل جميع ما أمره أبوه الى أن وقف حذاء
المرأة وسلم عليها ، فقالت له : أتعرفنى ؟ قال : لا ، لآتى ما رأيتك قبل وقتى هذا .

(١) كذا فى الأصلين ، ولعله : « فى آخرها » .

- قالت : أنا صورة النار المعبودة في الأمم الخالية ، وقد أردتُ أن تُحْيى ذكرى وتُتخذَ لي بيتاً وتُوقد فيه ناراً دائمة بقدر واحد ، وتُتخذ لها عيداً في كل سنة تحضره أنت وقومك فإنك تتخذ بذلك عندي يداً وتنال به شرفاً وملكا إلى مُدحك ، وأمنع عنك وعن بلدك من يطلبك ويعمل الحيلة عليك ، وأدلك على كنوز جدك مصرام . فلما سمع ذلك منها ضحك لها أن يفعل ، ودلته على الكنوز التي كانت بلجده تحت المدائن المعلقة ، وكيف يصير إليها ويمتنع من الأرواح الموكلة بها وما يتجرها به . فلما فرغ من ذلك قال لها : كيف لي بأن أراك في الأوقات وأسألك عما أريده ، أصير إليك في هذا المكان أو غيره؟ قالت : أما هذا المكان فلا تقدر بعد وقتك هذا عليه ؛ لأن الأفعى التي رأيتهما فيه قيمته لأن فيه آية تمنع أن يوقف عليها في وقتنا هذا ، ولكن إن أحببت أن تراني فدخلني في البيت الذي تعمله لي بكذا وكذا : أشياء ذكرتها له ، منها : عظام ما يقربه له من القرابين والذبايح والضموغ ، فإني أنخيل لك وأخبرك بكل حق وباطل مما يكون في بلدك . فلما سمع ذلك منها سر به وضاقت عنه ، وظهرت الأفعى وخرج هاربا وجعل على الكوة سداً ، وعمل ما أمرته به وأخرج كنوز جده .
- وَعَمِلَ مِنَ الْعَجَائِبِ بِأَسْوَسٍ وَغَيْرِهَا مَا يَطُولُ شَرْحُهُ . وَعَمِلَ الْقَبَّةَ الْمُرَكَّبَةَ عَلَى سَبْعَةِ أَرْكَانٍ ، وَلَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، عَلَى كُلِّ بَابٍ صُورَةٌ مَعْمُولَةٌ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا قَبَّةُ الْقَصْرِ .
- وَكَانَ السَّبَبُ فِي بِنَائِهَا أَنَّ بَعْضَ الْكَهَّانِ جَارٍ فِي قَضِيَّةٍ قَضَى بِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْعَاقِمَةِ أَنَاهُ يَشْكُو أَمْرَاتِهِ - وَكَانَ يُحِبُّهَا وَالْمَرْأَةُ تُبْغِضُهُ - وَسَأَلَهُ أَنْ يَقُومَ مَعَهُ ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْكَاهِنِ ، فَالَأُهَا عَلَى زَوْجِهَا ، وَأَمْرُهُ بِتَخْلِيَّتِهَا فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَخَبَسَهُ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ ، فَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ صَنْعَتِهِ مِمَّنْ كَانَ قَدْ عَرَفَ حَالِ الْمَرْأَةِ مَعَهُ وَأَنَّهَا لَهُ ظَالِمَةٌ وَهُوَ لَهَا مُنْصَفٌّ ، فَوَقَفُوا عَلَى ظَلَمِ الْكَاهِنِ فَاسْتَعَدُّوا عَلَيْهِ
- عِنْدَ خَلِيفَةِ الْمَلِكِ . فَاحْضَرَ الْكَاهِنَ وَسَأَلَهُ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْكَمْ إِلَّا بِوَأَجِبَ . فَاحْضَرَ

رؤساء الكهنة والقوم الذين شهدوا للرجل ، فوقف على ظلم الكاهن فأخرج الرجل
وحبس الكاهن مكانه ، وأمر بعقوبة المرأة ورددّها إلى زوجها ورفع ذلك إلى الملك ،
فأمر بإخراج الكاهن من رسم الكهانة ، وأن يعاقب ويحبس إلى أن يرى فيه رأيه .
وأهتم الملك لذلك وخشى أن يجرى من غير ذلك الكاهن في أمر الرعية مثل ما جرى
منه ، فبات مهموما . ثم فكر في أمر النار ، فأتى إلى بيت النار ودخن بالدخنة التي
أمرته بها ، فأنته وخاطبته . فسألها أن تعمل له عملا يقف به على حقيقة أمر المظلوم من
الظالم ، فأمرته أن يعمل بيتا مرتبا على سبعة أركان ويجعل له سبعة أبواب في كل
ركن باب ، ويعمل في وسطه قبة من صُفْر ، ويصوّر عليها صور الكواكب السبعة ،
ويعمل تحت القبة مطهرة من جوهر ملون ، ويجعل فيها سبعة أدهان من أشجار
مختلفة ؛ وتكون القبة معلقة على سبعة أساطين ، ويعمل على الباب الأول تمثال أسد
رابض ، وحذاءه من الجانب الآخر لبؤة رابضة من صُفْر ويقرب لها جرو أسد
ويخرهما بشعره . وعلى الباب الثاني صورة ثور وبقرة ويذبح لها عجلا ويخرهما
بشعره . وعلى الباب الثالث صورة خنزير وحذاءه خنزيرة ويذبح لها خنوصا^(١) ويخرهما
بشعره . وعلى الباب الرابع صورة فرس وحجر ويذبح لها مهرا ويخرهما بشعره .
وعلى الباب الخامس صورة ثعلب وحذاءه أثناء ويذبح لها جرو ثعلب ويخرهما
بوبره . وعلى الباب السادس صورة حمار وحذاءه أتان ويذبح لها عيرا ويخرهما
بشعره . وعلى الباب السابع صورة ديك وحذاءه دجاجة ويذبح لها قرّوجا ويخرهما
بريشه . ويلطخ وجوهها جميعا بدم ما يذبح . ثم يحرق بقية القربان ويجعل تحت عتب
أبوابها وتعلق الأبواب ، ويقام للبيت سدنة يوقدونه ليله ونهاره . فإذا فرغ ذلك

(١) الخنوص : ولد الخنزير . (٢) الحجر (بالكسر) : الأثني من الخيل .

(٣) كذا في الأصلين ، ولعله : « فإذا فرغت من ذلك فتكلم ... الخ »

- يتكلم على باب الكواكب السبعة ، فإنى سوف ألقى روحانية الكواكب على تلك الصور فننطق . وإذا فرغت من ذلك فأجعل لكل مرتبة من المراتب التي قسمتها بابا من تلك الأبواب ، وليكن باب الأسد لأهل بيت المملكة ، وسائر الأبواب لسائر المراتب . فإذا تقدم الحصان إلى شيء من تلك الصور التصقت بالظالم وشدت عليه شدا عنيفا يؤله حتى يخرج لخصمه من حقه ، الذ ذكر للذكر ، والأُنثى للأُنثى ، فيعرف بذلك المظلوم من الظالم ، ومن كان له قِبَل أحد حق ودعاه إلى تلك الصور فلم ينجى معه فاتاه المظلوم ، وقد عرف الصورة ذلك ، أقعد الظالم من رجله ونحرس لسانه ولم يتحرك . فاستراح الملك إلى تلك الصورة . ولم تزل على ذلك حتى أزالها الطوفان مع ما أزال من أعمالهم وطلساتهم ومعجزاتهم . وعملت في أيام سهلوق أعمال كثيرة ، وكتبت سيرته وما عمل من العجائب في مصحف . وعمل عقاقير كثيرة وتمائيل
- ١٠ . ومخزكات وصنعة ، وأمر أن يُحمل ذلك كله إلى ناووس عمله لنفسه في الجبل الغربي ونقل إليه حكمه . وهلك بعد أن ملك تسعا وستين سنة وحمل إلى ناووسه ، وأقام أهل المملكة ووجوه المدينة ونساؤهم عند ناووسه ثمرا يكون عليه ويتوجهون عنده ، وأغتموا عليه غمما لم يغموه على ملك قبله ، وأقاموا لناووسه سدنة يخدمونه .
- ١٥ . وملك بعده أبنته سُور يد بن سهلوق ، وكان أبوه قد قلده الملك قبل مهلكه ، فملك وأقتفى سيرة أبيه في العيارة ومصالح البلد والإنصاف بين الناس والأخذ لهم من نفسه وأهل بيته ، وعمل الهياكل وبني المنارات ، ونصب الأعلام والطسّمات فأجبه الناس . وبني بالصعيد ثلاث مدائن وعمل فيها عجائب كثيرة . وهو أول من اجبى الخراج بمصر ، وألزم أهل الصناعات على أقدارهم ، وأول من أمر بالإنفاق على الزمنى والمرضى من خزائنه . وعمل مرآة من أخلاط كان ينظر منها جميع الأقاليم ما أخصب منها
- ٢٠ . وما أجذب وما حدث فيها ، وكانت المرآة على منارة من النحاس وسط مدينة أمسوس ،

وكان يعلم من المرأة من يقصد مدينته من جميع النواحي فيتأهب له . وهو أول من عمل صحيفة في كل يوم يكتب فيها جميع ما يكون في يومه وما يعمله ويرفع إليه ، ثم يُخَالِد في خزانته يوماً بيوم . وإذا مضى الشهر نُقلت إلى مصحف الملك وختمه بخاتمها ، وما صلح أن يُزَبَّر على الحجارة زَبَره : وكذلك ما عمل من الصنائع وما أُحْدِث منها . وكان يُعْطَى الرغائب على الصناعات العجيبة والحكم الغريبة . وعمل في المدائن صورة امرأة جالسة في حجرها صورة صبي كأنها تُرْضِعُه ، فن أصابها علة يجسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فيزول عنها ما تجسد ، وكذلك إن قلّ لبنها مسحت ثديها ، وإن أحببت أن يعطف عليها زوجها مسحت وجهها بدهن طيب وقالت افعلي كذا وكذا ، وإن قلت حيضتها مسحت فوق ركبها ، وإن كثرت دمها ونزفت مسحت تحت ركبها ، وإن أصاب ولدها شيء فعلت مثل ذلك بالصبي فيبرأ ، وإن عمرت ولادتها ومسحت رأس الصبي سهلت ويسهل افتضاضها ، وإذا بخرته ومسحته بدهن طيب منع جميع التوابع . وإذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تكف عن زناها . وما كان من أعمال الليل بخرت ليلاً ، وما كان من أعمال النهار بخرت نهاراً . وكانت تعمل أعمالاً كثيرة إلى أن أزالها الطوفان . قال : وفي بعض كتب القبط أنها وجدت بعد الطوفان وأنهم استعمالوها وعبدوها .

وصورتها مصورة في جميع البرابي ، وأسمها نسلوية ، والذي دهم عليها قوابة فليمون الكاهن . قال : وعمل سور يد عجائب كثيرة ، منها الصنم الذي يقال له تكرس^(٣) المعمول من عدة أخلاط كان يعمل أعمالاً كثيرة في الطب ودفع الأَسقام

(١) عبارة المقرئ (ج ٣ ص ٢١ طبعة فييت) : « وإن عمرت ولادة امرأة مسحت رأس

الصبي الذي في حجر الصورة فتضع حملها » .

(٢) في المقرئ (طبعة فييت) : « فيلون » وفي معجم البلدان وبعض نسخ المقرئ : « فيليون »

بالقاف . (٣) في ب « تكرس » بالفاء .

والعلل ، ويعرفون به من تُبرئهِ الأديوية فيعيش ، وإن كان يموت فله علامات فيُقْصرون عن علاجه ، وكانوا يغسلون المواضع التي يإزاء أعضاء العلل منه ويُسْقَى لصاحب الداء فيزول عنه . وهو أول من عمل الأفروثنات^(١) وزبر فيها جميع العلوم . وهو الذي بنى الهرمين الكبيرين .

ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وشيء من عجائبها

- قال : كان بناء الأهرام قبل الطوفان بنحو ثلاثمائة سنة . وقد ذكرنا فيما سلف من كتابنا هذا نبذة من خبر الأهرام في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول ؛ وذلك في السفر الأول من هذه النسخة . ونحن الآن نذكر من خبرها خلاف ما قدمناه مما أورده إبراهيم بن القاسم الكاتب مما اختصره من كتاب العجائب الكبير لإبراهيم بن وصيف شاه . قال : كان سبب بنائها أن الملك سُوريد رأى رؤيا أفرغته ؛ رأى كأن الأرض انقلبت بأهلها ، وكان الناس يَخْرُونَ على رؤوسهم ، وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة مفرجة ، فغم ذلك ولم يذكره لأحد ، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم . ثم رأى بعد ذلك [أيام^(٢)] كأن الكواكب الثابتة [نزلت إلى الأرض] في صور طيور تنصب^(٣) ، وكأنها تنخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكان الجبلين انطبعا عليهم ، وكان الكواكب النيرة مظلمة كاسفة ؛ فأنتبه أيضا مذعورا فرعا ، فدخل إلى هيكل الشمس وجعل يمرغ خديه ويكي . ولما أصبح أمر

(١) الأفروثنات : لفظ يوناني معناه القبور . وفي معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٩٦٣ طبع

أوربا) : « الأفروثيات » .

(٢) راجع (ج ١ ص ٣٨٨ من هذه الطبعة) .

(٣) الكلمة من خطاط المقرئ (ج ٢ ص ١١٣ طبعة فييت) .

(٤) في خطاط المقرئ « ... طيور بوض » .

بجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر فأجتمعوا ، وكانوا مائة وثلاثين ، فخلا بهم وقص عليهم رؤياه ، فأعظموه وأكبروه وأولوه على أمر عظيم يحدث في العالم . فقال لهم فليمون = وكان من كبارهم وكان لا يبرح من حضرة الملك لأنه رأس كهنة أمسوس - : إن في رؤيا الملك لعجبا وأمرأ كبيرا ، والملك رؤياهم لا تجرى على فساد ولا كذب لعظم أخطارهم ، وكبر أقدارهم . وأنا أخبر الملك عن رؤيا رأيتها منذ سنة لم أذكرها لأحد من الناس . فقال له الملك : قصها علينا . قال : رأيت كأني مع الملك على رأس المنار الذي في أمسوس ، وكأني الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب سمّت رؤوسنا ، وكان علينا كالقبة المحيطة بنا ، وكأني [الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها] ^(١) قد خالطنا في صور مختلفة ، وكأن الناس يستغيثون بالملك وقد انضموا إلى قصره ، وكأني الملك رافع يديه ليدفع الفلك أن يبلغ رأسه ، وأمرني أن أفعل فعله ونحن على وجل شديد ، إذ رأينا منه نورا مضيئا طلعت علينا منه الشمس ، فكأننا استغثنا بها ، فخطبتنا بأن الفلك سيعود إلى موضعه إذا مضت ثلاثمائة دورة ، وكأني الفلك لصق بالأرض ثم عاد إلى موضعه ، ثم أنتهت فرعا . فعند ذلك قال لهم الملك : خذوا ارتفاع الكواكب فأنظروا هل من حادثة تحدث ، فنظروا فأخبروه بأمر الطوفان وبعده بذكر النار [التي تخرج من برج الأسد تحرق العالم] ، فذكروا له أن ذلك يكون في وقت عينوه له من مقارنات النجوم ونزولها في الأبراج على ما حرروه من الدقائق ، وشرحه إبراهيم في كتابه مما لا فائدة لنا في ذكره . قال : فلما تبين ذلك له أمر بقطع الأساطين العظام ونشر البلاط

(١) كذا في المقرئ (ج ٢ ص ١١٤ طبعه فينت) وفي الأصول : « كالمكبة » . (٢)

(٢) الكلمة من خطط المقرئ . وفي الأصول : « وكان كواكب » . « كالمكبة » .

(٣) ازيادة من خطط المقرئ . « كالمكبة » . « كالمكبة » . « كالمكبة » . (٤)

- الكبير المصفح، واستخراج الرصاص من أرض المغرب، وإحضار الصخر
السود التي جعلها أساسا من ناحية أسوان، وكانت تُحْمَلُ على أطواف^(١)، وقيل:
كانت لهم فراقل من خوص لها عَدَبٌ وعليها كتابة منقوشة، فكانوا إذا ضربوا بها
الحجارة عَدَّتْ على وجه الأرض وحدها مقدار رمية سهم حتى وضعت الأساسات.
وأمر أن يُزَبَّرَ على البلاط المنشور المهندس جميع علومهم. ثم بنى الأهرام
الثلاثة الأول: الشرقى، والغربي، والملقون؛ فكانوا يجعلون في وسط البلاطة
قلب حديد قائما ويركبون عليه بلاطة أخرى مثقوبة الوسط، ثم يدخل ذلك القلب
الحديد في ثقب البلاطة التي تُطَبَّقُ عليه، ويذاب الرصاص ويُصَبَّ حول البلاطة
بعد أن تُولَفَ الكتابة التي عليها. وجعل أبوابها من تحت الأرض بأربعين ذراعا
في آراج مبنية بالحجارة في الأرض، طول كل آراج مائة وخمسون ذراعا. قال: فأما
باب الهرم الشرقى فإنه من الناحية الجنوبية على قياس مائة ذراع من وسط حائط
الهرم إلى الناحية الجنوبية، ويحفر حتى يتزل إلى باب الأراج ثم يدخل إليه منه.
وأما باب الهرم الغربي فمن الناحية الغربية يُقاس أيضا من وسط الحائط الغربي
إلى الغرب مائة ذراع، ويحفر حتى يتزل إلى باب الأراج المبنى ويدخل منه إليه.
وأما باب الهرم الملقون فمن الناحية البحرية يُقاس أيضا من وسط الحائط البحري
مائة ذراع، ويحفر حتى يتزل إلى باب الأراج. وجعل طول كل واحد منها أربع مائة

- (١) الطوف: خشب يشد بعضه إلى بعض ويركب عليه في الماء.
(٢) الأراج بالتحريك: بيت بنى طولاً، ويقال له بالفارسية: «أوستان» وانظر الكلام عليه
في شرح القاموس واللسان والصباح والمصباح وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدنى شير.
(٣) في معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٩٦٤): «الناحية البحرية». وفي خطاط المقرزى:
«الناحية الشرقية».
(٤) في معجم البلدان لياقوت: «الناحية القبلة». وفي خطاط المقرزى: «الناحية الجنوبية».

ذراع بالملكي، يكون خمسمائة بذراعنا . وجعل تربيع كل واحد أربعمائة ذراع . وبنائها في الأستواء الى أربعين ذراعا ثم هزمتها^(١) . وكان أول بنائهم لها في أوقات السعادة ، فلما فرغ منها كساها ديباجا ملونا من أعلاها الى أسفلها ، وعمل لها عيدا عظيما لم يبق في المملكة أحد إلا حضره . ثم أمر بعمل ثلاثين جرننا من حجارة الصوان ملونة فجعلت في الهرم الغربي ، ونقل إليها من الكنوز والأموال والجواهر المعدنية ، والجواهر المسبوكة الملونة ، والآلات الزبرجد ، والتماثيل المعمولة ، والطلسمات ، والحديد الفاخر ، والسلاح الذي لا يصدأ ، والزجاج الذي ينطوى ولا ينكسر ، والنواميس والمولدات والدخن وأصناف العقاقير والمفردات والمؤلفات والسموم وغير ذلك شيئا كثيرا لا يدرك وصفه . ونقل الى الآخر وهو الشرق أصنام الكواكب والقباب الفلكية ، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن التي يتقرب بها لها ومصاحفها ، وما عمل لها من السواريح والحوادث التي مضت ، والحوادث التي تحدث ، والأوقات التي تحدث فيها ، ومن بلى مصر من الملوك الى آخر الزمان ، وتكون الكواكب الثابتة وما يحدث بكونها وقتا وقتا ، وجعل فيها المطاهر التي فيها المياه المدبرة والبودقات الدهنية وما أشبه هذه الأشياء . وجعل في الهرم الآخر أجساد الكهنة في نوابيت من الصوان الأسود ، وعند كل كاهن منهم مصحف فيه عجائب صناعته وسيرته وما عمل في وقته . وكانوا سبع مراتب . فالمرتبة الأولى القاطرون ، وهم الذين يعبدون الكواكب السبعة لكل كوكب

(١) يلاحظ أن هذا الوصف ينطبق عما كان في عصر المؤلف . وقد كشف العلم الحديث عن أشياء

كثيرة تدل على عظمة بناء هذا الأثر الخالد .

(٢) عبارة المقرئ : « ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا من حجارة صوان ملون وملئت بالأموال

الجملة والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة ... الخ » . (٣) كذا في خطط المقرئ .

« الذي لا يطلوى » . (٤) كذا في خطط المقرئ . وفي الأصلين « والمطاهر » .

- سبع سنين ، ومعنى القاطرون جامع العلوم . والمرتبة الثانية لمن يعبد ستة من الكواكب وهم اللاحقون بالدرجة الأولى . ثم يسمون صاحب الخمسة وما دونها كل واحد بأسم ، فجعل في كل ناحية من الهرم مرتبة من هذه المراتب ، فأجسادهم هناك وما عملوه من العجائب . وجعل في الحيطان من كل جانب مما يدور أصناما [تعمل^(٢)] بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها ، وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح لها ، وكذلك أصحاب النواميس ومن عاج شيئا من الأشياء وجعل فيها أموال الكواكب التي أهديت إليها الكواكب وأموال الكهنة . وجعل لكل هرم منها خادما ؛ فخان الهرم الشرقي صنم من جرع أسود [مجزّع بأسود^(٣)] وأبيض له عينان مفتوحتان [برأقتان ، وهو^(٣)] جالس على كرسي ، ومعها شبيه بالحربة ، إذا نظر إليه الناظر سمع من جهته صوتا كالرعد يكاد يفزع قلبه ، فيميم على وجهه ويحتلس عقله ، ولا يكاد يفارق الهرم حتى يموت فيه . وجعل خازن الهرم الآخر من حجر الصوّان المجزّع ، معه شبيه بالحربة ، وعلى رأسه حية تطوق بها ، من قرب منه وثبت عليه من ناحيته وتطوّقت في عنقه فقتلته [ثم تعود إلى مكانها] . وجعل خازن الهرم الثالث صنما صغيرا من حجر البهته على قاعدتيه ، من نظر إليه اجتذبه إليه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت . فلما فرغ من ذلك حصنها بالأرواح وذبح لها

(١) كذا في خطط المقرزى (ج ٢ ص ١١٧ طبعة فييت) وفي الأصلين : « في حيطان البرقي ما يدور » .

(٢) الزيادة عن خطط المقرزى (ج ٢ ص ١١٧ طبعة فييت) .

(٣) في خطط المقرزى كلمة "خادم" بدل "خازن" في هذا المقام .

(٤) كذا في خطط المقرزى . وفي الأصلين « مطوّقة » .

(٥) حجر البهته ، ويقال له البهت والباهت ، يوجد في المحيط الأطلنطي وكانت له شهرة في أفريقية الغربية حيث يباع بطن غال . وقد نسب إليه أهل الشرق خصائص بحرية . (عن قاموس دوزي باختصار) .

(٦) كذا في المقرزى . وفي الأصلين : « صدها » .

الذبايح ^(١) لتتبع عن نفسها [من أرادها] إلا من قزب إليها وعمل لها أعمال الوصول فإنه يصل إليها . قال : وذكر القبط أنه كُتِبَ عليها اسم الملك والوقت الذي بناها فيه ، ويقول : إنا بنيناها في ست سنين فقل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة فإن الهدم أهون من البنيان . وإنا كسوناها الديباج الملون المذهب المرقوم بالذهب فقل لمن يأتي بعدنا يكسوها حصيرا . فنظروا فوجدوا أحدا لا يقوم بهدمها وكسوتها لأنه لا يستطيع ذلك ولا يُقدَّر عليه .

قال : وحكى عن هذه الأهرام عجائب يطول الشرح بذكرها ، منها أن المأمون لما دخل إلى مصر أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها ، فقبل له : إنك لا تقدر على ذلك . فقال : لا بد من فتح شيء منه . فعولجت الثمة المفتوحة منه فانفق عليها مالا كثيرا لنار توقد وخل يُرش ومنجنيقات ترمى بها ، فوجد عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا . فلما آتوها إلى داخل الهرم وجدوا خلف الحائط عند النقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب دنانير ، وزن كل دينار أوقية ^(٤) من أواقنا ، وكان عددها ألف دينار ، فعجبوا من ذلك ولم يعرفوا ما معناه ، ثم أتى المأمون بالذهب والمطهرة فجعل يتعجب من الذهب وحسنه وجودته وحموته ، فقال : ارفعوا لي حساب ما أنفقتموه على هذه الثمة ففعلوا ، فوجده بإزاء المال الذي

أصابوه لا يزيد ولا ينقص . فعجب المأمون من معرفتهم على طول المدد بأنهم سيفتجونه من ذلك الموضع بعينه ، ومعرفتهم بمقدار ما يتفق عليه وتركهم مقداره

(١) في الأصلين : « فتبع » والصواب من خط المقرئ .

(٢) في الأصلين : « في ستة أشهر » .

(٣) وكان ذلك في سنة ست عشرة ومائتين كما في صحيح الأعتى ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٤) بهامش نسخة ما نصه : « الأوقية هي سبعة مثاقيل زنتها أربعون درهما فيما مضى . وأوقية الأطباء عشرة دراهم ونحسة أسباع درهم وهو أستار وثلاث أستار ، وأوقية بزراقرنا عشرة درهما » .

في موضعه ، فقال : كان هؤلاء القوم من العلوم بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا .
وقيل : إن المطهرة التي وُجد فيها الذهب كانت من زبرجد ، فأمر المأمون بجمعها
إلى خزانته ، وكانت أحد ما حمل من عجائب مصر .

ومن عجائب أخبارها أن المأمون لما فتح الهرم أقام الناس سنين يقصدونه
و يدخلون فيه ويتزلون الزلافة التي فيه ، فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك .

وأت جماعة من الأحداث آهتوا ، وكانوا عشرين رجلا ، على أن يدخلوا الهرم
ولا يبرحوا منه حتى يقفوا على منتهى أمره ، فأخذوا معهم من الطعام والشراب
ما يكفيهم لشهرين ، وأخذوا السكك والحبال والشمع والوقيد والقشوس والقفاف
ودخلوا الهرم ، ونزل أكثرهم في الزلافة الأولى والثانية ، ومضوا في أرض الهرم فرأوا

فيه خفافيش بقدر العقبان تضرب وجوههم ، فأتتهوا إلى لصب^(١) في حائط تخرج
منه ريح باردة لا تفر ، فذهبوا ليدخلوا فأنطقت سرجهم ، فجعلوها في زجاج وذهبوا
ليدخلوا فكاد اللصب ينطبق عليهم فهابوه فقال أحدهم : اربطوا وسطى بجبل وأنا

أدخل ، فإذا كاد اللصب ينطبق بخزوني إليكم ؛ وكان على باب اللصب أجرنة فارغة^(٢)
فعلما أن أجساد موتاهم داخل ذلك اللصب ، فربطوه بالحبل ، فلما تقم اللصب^(٣)

انطبق عليه فجزه أصحابه فلم يقدروا على نزعها وسمعوا عظامه تتكسر ، وسمعوا صيحة
هائلة فسقطوا على وجوههم لا يعقلون . فلما أفاقوا طلبوا الخروج فأخرجهم

أصحابهم بشدة ، وسقط بعضهم في وقت صعودهم من الزلافة فنزل ، وخرجوا من
الهرم بخلسوا في سَفحه متعجبين ، فإنهم كذلك إذ أخرجت لهم الأرض صاحبهم

(١) اللصب (بالكسر) : الشعب الصغير في الجبل . وقالوا فثبت اللصب في حائط (٢) أجرنة

(٢) أجرنة : الأجرنة جمع جرن بالضم وهو حجر مقوّر لئلا . وقالوا فثبت اللصب في حائط (٣) تقم

(٣) تقم اللصب : دخل فيه . وقالوا فثبت اللصب في حائط (٤) أجرنة : أجرنة

يتكلم بكلام كاهني فسرهم لهم بعض أصحاب الديارات بالصعيد: هذا جزء من يطلب ما ليس له؛ ثم سقط ميتا، فحملوه وفطن بهمم فأخذوا وأتى بهم إلى الوالي فخذنوه بالخبر.

وفي خبر آخر: أن قوما دخلوا الحرم وآنهوا إلى أسفله وطوفوه فعرض لهم مثل الطريق فساروا فيه فوجدوا قبة تحتها كالمطهرة يقطر فيها ماء^(١) فينش^(٢) ثم يغيض^(٣) ولم يدروا ما هو، ووجدوا موضعا كالمجلس المربع حيطانه كلها بحجارة ملونة عجيبية، فقلع أحدهم منها حجرا وجعله في كفه فأنسدت أذناه من الريح، ولم تزل^(٤) تُصر وهو معه، ووجدوا مكانا كالنفوارة العظيمة فيها ذهب مضروب كثير يكون الدينار منه زهاء مائة منقال، فأخذوا منه شيئا فلم يستطيعوا أن يمشوا ولم يتحركوا حتى تركوه من بين أيديهم. ووجدوا في مكان آخر كالصفاة فيها شيخ من حنم أخضر كأنه مشتمل بشملة، وبين يديه تماثيل صغار في صور الصبيان وكأنه يعلمهم، فأخذوا منه شيئا فلم يقدرُوا أن يتحركوا فردوه، ومشوا أيضا في ذلك الطريق فوجدوا بيتا مسدودا فيه دوى هائل وزمزمة فلم يتعوضوا له، ومضوا فوجدوا كالمجلس المربع فيه صورة ديك من جواهر معمولية، قائم على أسطوانة خضراء، وله عينان يُسرج منهما المجلس، فلما قربوا منه صوت بصوت مُفزع وخفق بجناحيه، فتركوه ومضوا حتى بلغوا صنما من حجر أبيض في صورة امرأة منكسة على رأسها ومن جانبيها أسدان من حجارة كأنهما يريدان نهسها، فجعلوا يتعوذون ويقرءون إلى أن جاوزوها. قال: وقيل إنهم مشوا حتى لاح لهم نور فأتبعوه فإذا بقوهة مفتوحة نخرجوا منها فإذا هم

(١) ينش: يأخذ مائه في النضوب. (٢) يغيض: ينقص. (٣) تصر: تصوت

صوتا شديدا. (٤) الحنم: جوار خضر تضرب إلى الحجرة.

(٥) نهسها: يقال نهسه الكلب والذئب والسبع بالسين المهملة، ونهشته الحية بالسين المعجمة.

في صحراء، وإذا على باب تلك الفوهة تماثلان من حجر أسود معهما كالمزراقين فعجبوا
من ذلك . ووجدوا أجرة منقورة وأسطوانات مخروطة ، فساروا منها بعداً فأتوها
إلى ماء وجدوه في نِقَارِ حِذاء^(١) تلك الفوهة ، وأخذوا نحو المشرق فساروا يوماً حتى
وصلوا إلى الأهرام من خارج فأخبروا والى مصر بخبرهم ، فوجه معهم من يدخل
من تلك الفوهة ، فطافوا فلم يجدوها وأشكل عليهم أمرها . ووجد الآخذ للحجر الحجر
جوهراً نفيساً فباعه بمال .

قال : وحكى أن قوماً في زمن أحمد بن طولون^(٢) دخلوا الهرم فوجدوا
في طاق في أحد بيوته أستاذانة زجاجاً ثخينة فأخذوها وخرجوا ، ففقدوا رجلاً
منهم فدخلوا في طلبه ، إذ خرج عليهم الرجل عرياناً يضحك ويقول : لا تتبعوا
في طلبي ، ورجع هارباً إلى أن دخل ، فعلموا أن الجن استهوته وشاع أمرهم ، فأخذوا
الأستاذانة منهم ومنع الناس من الدخول إلى الهرم ، ووزنت الأستاذانة فكانت
أربعة أرتال زجاجاً أبيض صافياً ، فأتته رجل من أهل المعرفة لها وقال :
لم تعمل إلا لشيء ، وملاها ماء ووزنها فوجد وزنها وهي ملاءى مثل وزنها
فارغة لا تزيد ولا تنقص فكانت أعجوبة .

وحكى أن قوماً دخلوا الهرم ومعهم من يريدون يعشون به ، فلما هموا بذلك
خرج عليهم غلام أسود أمرد في يده عصا فأخذ في ضربهم ، فخرجوا هاربين
وتركوا ما كان معهم من طعام وشراب وبعض ثيابهم .

وحكى أن رجلاً دخل بأمرأة ليفجر بها فصرعا جميعاً ولم يزالا بمجنونين
مشهورين حتى ماتا .

(١) نقار : التفار جمع قرة بالضم ، الوهدة المستديرة في الأرض غير كبيرة .

(٢) طولون بضم الطاء اسم تركي معناه : البدر الكامل .

قال : وفي بعض مصاحف القبط أن سُورِيدَ الملك لما أخبره كهنته بنحبر النار المحرقة وأنها تخرج من برج الأسد فتحرق العالم ، عمِلَ في الأهرام مَسَارِبَ موجهة إلى آزاج ضيقة تجلب الرياح إلى داخل بصوت هائل . وعمِلَ فيها مَسَارِبَ يدخل منها ماء النيل إلى مكان ينتهي إلى موضع من أرض الغرب وأرض الصعيد ، وملاً تلك الأهراب عجائب وطلسمات وأصناما تنطق .

قال : وحكى بعض القبط أن سُورِيدَ لما أخبره منجموه قال : انظروا البلدنا هذا هل تلحقه آفة ؟ فنظروا فقالوا : يلحقه طوفان ويلحقه خراب يُقيم فيه عدّة سنين وتغلب عليها التنانين . قال : كيف يكون خرابها ؟ قالوا : يقصدها ملك فيقتل أهلها ويغنم مالها ويهدم مصانعها . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم تكون عمارتها من قِبله . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم يقصدها قوم مشوهون من ناحية مصب النيل فيأتون على أكثرها . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم ينقطع نيلها ويجلو أهلها عنها ؛ فأمر أن يكتب جميع ذلك على الأهرام .

قال : وذكر رجل من أهل الغرب ممن يختلف إلى الواح ويمسح الشمار على جمل له أنه بات في بعض الليالي قرب الهرم فما زال يسمع الضوضاء والعططة فهاله ذلك وتباعد عنه بجملة ، وكان يرى حول الهرم شبه النيران تأتلق ، فلم يزل مرعوباً إلى أن سرقت عيناه فنام وأصبح وهو في الموضع الذي جمع منه الشمار وشماره موضوع بحاله ، فتعجب من ذلك وشدّ شماره على جملة ورجع إلى القسطنطين وآلى على نفسه ألا يقرب من الهرم بعد ذلك .

١١٦

١٢

(١) الشمار : هو الرازيانج تعريب راز يانه وهو الأيسون ، وأنواعه ثلاثة : بستاني وبري وشامي . وهو نبات بزره حريف مرّ .

٢٠

قال: والقبط يذكرون أن روحانية الهرم الغربي في صورة امرأة عريانة مكشوفة
الفرج حسناء لها ذؤابتان ، فإذا أرادت أن تستغفر الإنسي^(١) ضحكت اليه فاختلسته
الى نفسها فيدنو منها قستهمويه ويزول عقله . قال : وقد رأى جماعة هذه المرأة
تدور حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس . وروحانية الهرم الشرق
غلام أمرد أصفر عريان له ذؤابة . قال : وقد رأوه أيضا يطوف حوله . وروحانية
الهرم الملقون في صورة شيخ يرى عليه برطلة^(٢) وفي يده نجمة من مجامر الكنائس وهو
يخر كذلك في جميع الأفرشيات .

وأما روحانيات البرايي: فبريا إنحيم روحانيتهما غلام أسود عريان . وروحانية
بربا ققط في صورة جارية سوداء تحمل صبيا أسود صغيرا . وروحانية بربا
دندرة في صورة إنسان رأسه رأس أسد وله قرنان . وروحانية بربا بوسير في صورة شيخ
(١) برطلة ، البرطلة (بضم الباء ، وفتح اللام وتشدد) : المظلة الصيفية ، نبطية وقد استعملت
في لفظ العرب .

- (٢) راجع الحاشية رقم ٤ صفحة ٢٠ من هذا الجزء .
- (٣) إنحيم : من البلاد المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الشرق لليل . وكانت إنحيم في عهد الفراعنة
قاعدة قسم « نجينو » وفي عهد الرومان قاعدة قسم « بانوس » وفي عهد العرب قاعدة كورة الإنجيمية ،
واستمرت كذلك الى آخر حكم دولتي المنساليك . وفي العهد العثماني ألغيت الإنجيمية وأضيفت بلادها الى ولاية
جرجا وأضحت إنحيم إحدى بلاد مركز سوهاج . وفي سنة ١٩٠٣ م صدر قرار من الداخلية بفصل البلاد
الواقعة شرق النيل من مركز سوهاج وجعلها مركزا باسم إنحيم وهي قاعدة المركز من تلك السنة الى اليوم .
(راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٢ ص ٣١٣ من الجزء الخامس طبع دار الكتب المصرية) .
- (٤) ققط : مدينة بالصعيد الأعلى ، اسمها القديم « قوطي » ومنه اشتق اسم قبلي وأقباط للصيرين .
وهي وطن الوزير صاحب جمال الدين القفطي الملقب بالقاضي الأكرم وزير حلب المتوفى سنة ٥٦٤ هـ .
- (٥) سيدكرها المؤلف فيما بعد أثناء كلامه على ققطريم بن قبطيم .
- (٦) هي بوسير مبنود ، وكانت قاعدة شهيرة قبل الاسلام .

أبيض عليه زى الرهبان ومعه مصحف يحملة . وروحانية بربا سمنود في صورة شيخ^(١)
 آدم طوال أشيب صغير اللحية . وروحانية بربا عدى في صورة راجع عليه كساء ومعه
 عصا . وهذه البربا في أعمال المُرَاحِيَةِ من عمل أشمون طَناح بقرب تلبانة عدى^(٢) .
 قال : ولكل من هذه الأهرام والبرابي قوابين وبُحُورَات تظهر كنوزها وتؤلف
 بين الناس والروحانيين الذين بها .

- (١) سمنود : مدينة شهيرة بالوجه البحرى بمصر ، واسمها الفرعونى تينوتير واليونانى سينطوس .
- (٢) المُرَاحِيَةِ : هو اسم أحد الأقاليم المصرية بالوجه البحرى فى العهد العربى ، وكان يقال لها :
 كورة المُرَاحِيَةِ ثم الأعمال المُرَاحِيَةِ . وكان إقليم المُرَاحِيَةِ واقعا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مركزى
 المنصورة وأجا بمديرية الدقهلية ، وكان يجاوره من الجهة البحرية إقليم الدقهلية . وكان إقليم الدقهلية فى ذلك
 الوقت واقعا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مراكز فارسكور ودكرنس والمنزلة بمديرية الدقهلية . وفى زمن
 حكم دولى المماليك جعل هذان الإقليمان إقليما واحدا باسم إقليم الدقهلية والمُرَاحِيَةِ . وفى عهد الحكم
 العثمانى اختصر باسم الدقهلية ولم يزل يطلق لغاية اليوم على مديرية الدقهلية التى قاعدتها مدينة المنصورة .
 (راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٣ ص ٣١٢ من الجزء الخامس طبع دار الكتب المصرية) .
- (٣) أشمون طناح ، ويقال لها « أشموم طناح » ، وهى من المدن المصرية القديمة واقعة على الشاطئ
 الشرقى للبحر الصغير الذى كان يسمى ببحر أشموم نسبة الى هذه المدينة ، وكان اسمها المصرى شون آرمان ، والرومى
 بانيفوسوس ، وسماها العرب أشموم طناح نسبة الى كورة طناح التى كانت تقع أشموم فى دائرتها ، وتعرف
 اليوم باسم أشمون الزمان ، وهو اسمها القديم محرفا .
- ولما تكلم عليها ابن دقاق فى كتاب الانتصار قال : « وتعرف بأشموم طناح وأشموم الزمان ، وهى
 قصبة كورة الدقهلية ومدينة ذات حمامات وأسواق وجوامع وفنادق » وقد استمرت قاعدة لإقليم الدقهلية
 والمُرَاحِيَةِ الى آخر عهد المماليك . وفى أوائل الحكم العثمانى نقلت القاعدة الى مدينة المنصورة ومن ذلك
 الوقت اضطلعت أشمون الزمان وزال ما كان فيها من آثار المدينة والعمران ، وأصبحت اليوم قرية عادية
 من قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية . (راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء
 السادس طبع دار الكتب المصرية) .
- (٤) تلبانة عدى : بلد بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية . وقد ورد فى المشترك والتحفة السنية لابن
 الجيعان : أنها من أعمال الدقهلية والمُرَاحِيَةِ . وفى مساحة سنة ١٢٢٨ هـ وردت مختصرة باسمها الحالى .

والتاريخ في سنة ١٠٠٠ هـ . * * *
 * * *

ولنرجع الى أخبار الملوك قال : وأقام سُورِيدُ في الملك مائة سنة وسبع سنين ،
 وقد كان منجموه عرفوه الوقت الذي يموت فيه واليوم والساعة ، فأوصى الى آبنه
 هِرَجِيْبَ وعرفه ما يعمل ، وأمره أن يدخل جسده الهرم ، وأن يجعله في الجُرْنِ
 الذي أعدّه لنفسه ويفشيه بكافور ، ويحمل معه ما أعدّه من فاخر الثياب والسلاح
 والآلات ، فأمثل جميع ما أمره به .

(١)
 ولما مات ملك بعده آبنه هِرَجِيْبُ بن سُورِيدِ فسار بسيرة أبيه في العدل
 والعمارة والرأفة بالناس ، فأحبوه . وبني الهرم الأول من أهرام دَهَشُورِ وحمل اليه
 من المسال والجواهر . وكان غرضه جمع المسال وعمل الكيمياء واستخراج المعادن
 ودفن ماتتياً له من الكنوز في كل سنة . وكانت له آبنة أفسدت مع بعض خدمه
 فنفاها الى ناحية الغرب ، وأمر أن تُبنى لها مدينة هناك ويقام عليها علم ويُزبر عليها
 أسمها ، وأسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته . قال : وشيخ رجل رجلاً فأمر
 بقطع أصابعه ، ووجد سارقاً من العاقمة فلّمك رقه الذي سرق منه ، وعمل منارات
 ومصانع وطلسمات ، وملكهم نيفاً وسبعين سنة .

١٥ وملك عليهم بعده آبنه منقاوش بن هِرَجِيْبِ وكان جباراً أثمياً فأذى الناس
 وسفك الدماء وأغتصب النساء واستخرج كنوز آبائه ، وبني قصوراً بالذهب والفضة
 [وأجرى] فيها الأنهار ، وجعل حصباءها من صنوف الجواهر ، وتخزق في الهبات^(٢)
 وأغفل العمارات فابغضه الناس ، وأباح أصحابه غضب نساء العاقمة ، وأطاف به
 أهل الشر من كل ناحية ، وكان يفترع النساء قبل أزواجهن ، وأمتنع عليه قوم

(١) في خطط المقرري : « هوجيت » .

(٢) التكله من خطط المقرري . (٣) تخزق في الهبات : توسع فيها . (٤) : نالها .

في شيء أمرهم به فأحرقهم بالنار، وسَلَطَ رجلا من الجبارين اسمه قرناس ^(١) من ولد وزاديس بن آدم على الناس ووجهه لمحاربة الأُمم الغربية فقتل منهم أمسا، وكان أشجع أهل زمانه ثم هلك، فأعتم عليه الملك وأمر أن يدفن مع الملوك في الهرم. ويقال: بل عمِلَ له نأوسا وأقام عنده أعلاما وزبر عليها اسمه وما عمله في وقته. وملك منقوش ثلاثا وسبعين سنة ومات، فجعل في الهرم مع أجداده في حوض مرمر مصفح بالذهب والجوهر، وحمل معه كثير من ذخائره وأمواله وسلاحه وعجائبه.

١١٧
١٢

وملك بعد آبنه أقروش بن منقوش ^(٢)، وكان عاقلا يخالف آثار أبيه وعدل في الناس ورد النساء الآلاتي غضبهن منقوش إلى أهلهن. وعمِلَ في وقته فؤارة قُطِرَها مائة ذراع وطولها خمسون ذراعا، وركب في جميع جوانبها أطيارا تصفر بأصناف اللغات المطربة لا تفتقر. وعمِلَ في وسط المدينة منارتين من صُفر عليهما صورة رأس إنسان من صُفر كلما مضت ساعة من النهار صاح ذلك الرأس صياحا عاليا، وكذلك الليل، فيعلم به دخول الساعات، وجعل فيه علامة لكل ساعة تُمضى تُعرف بها عتبتها. وعمِلَ منارا آخر وجعل على رأسه قبة صُفر مذهب ولطخها بلطوحات، فإذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة نارا يضيء بها أكثر المدينة لا تُطفئها الأمطار ولا الرياح، فإذا كان النهار قل ضوءها بضوء الشمس. ويقال: إنه أهدى الدر مسيل [بن محويل ^(٤)] الملك ببايل مائدة من الزبرجد قُطِرَها خمسة أشبار، وكان استهداه ذلك ليجعلها في بيت القربان. ويقال إنها وُجدت بعد الطوفان. ويقال أيضا: إنه عمِلَ على الجبل

(١) في خطط المقریزی «قرماس» بالميم. (٢) في خطط المقریزی: «أفراوس

ابن مناوس». (٣) في خطط المقریزی: «نورا». (٤) التكلة من خطط المقریزی.

(٥) في خطط المقریزی: «مدعنا». «قائمة أسماء» : في خطط المقریزی (٦)

الشرقيّ صنبا عظيما قائما على قاعدة [وهو] مصبوغ بأطوخ أصفر مصور بالذهب
 ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب، ثم يدور ليلا الى الناحية الجنوبية حتى
 يجاذى الشمس مع الصبح، فلم يزل الى أن سقط في أيام فرغان الملك قهشم. وكان
 نصبه تعظيما للشمس. ويقال: إن أقروش كان يطلب الولد فنكح ثلاثمائة امرأة
 يتبنى الولد منهن فلم يكن ذلك. وقيل: إن في عصره عَقَمَت الأرحام لما أراد
 الله عز وجل من هلاك العالم بالطوفان، وعَقَمَت أرحام البهائم ووقع الموت فيها.
 وقيل: إن الأسد كثرت في وقته حتى كانت تتخلل البيوت، فأحتالوا لها بالطلسمات
 المانعة والحيل المضرة لها، فكانت تنيب وقتا وتعود، فرفعوا ذلك الى الملك فقال:
 هذه علامة مكروهة، وأمر أن تُعمل أخاديد وثملا نارا وأجرتوا إليها الأسد
 بالدخن التي تجلب رُوحا نيّتها وألقوها على تلك النيران، فأجلبتها تلك الدخن قهانت
 في تلك النيران فأحترقت. وجرى في وقته مدائن في ناحية الغرب تلفت بالطوفان
 مع أكثر مدنها.

قال: وارتفعت الأمطار عنهم وقل الماء في النيل فأجدبوا، وهلك الزرع
 بالنار والريح الحازرة وغيرها، فأضر ذلك بهم، فأحتالوا لدفع النار بطلسماتهم
 فكانت تذهب وتعود. وقيل: إن الذي فعل بهم ذلك ساحر من سحرتهم كان
 متقاوش غصبه أمر أنه فكان يعمل الحيلة قليلا قليلا في إفساد طلسماتهم؛ لأن لكل
 طلسم شيء تبطل به روحا نيته. وبهذه العلة دخل بختنصر الفارسي مصر وقد كانت
 ممتنعة من جميع الملوك. فلما أفسد ذلك الساحر الطلسمات، ساط عليهم تلك الآفات
 وأفسد طلسمات التماسيح فهاجت عليهم ومنعتهم الماء وعدّ بهم عذابا كبيرا الى أن

(١) التكلة من خطط المقرزي. (٢) في خطط المقرزي: «حتى يجاذى المشرق مع المغرب».

(٣) في خطط المقرزي: «فرغان» بالعين المهملة. «الملك» بالهمزة المهملة.

فطنوا به من قبل تلاميذه؛ وذلك أن أحدهم لامه على فعله فأنتهره وتنفخ في وجهه
فأنظلم عليه بصره، فجاء الى وزير الملك وعرفه القصة فأنهاها الى الملك، فأمر الملك
بإدخاله عليه فأدخل، فسأله عن الخبر فعترفه بفعل الساحر، فأنفذ اليه جيشا ليأتوه به،
فلما نظر الساحر الى القوم وقد أقبلوا دخن دُخنة أغشت أبصارهم وآرتفعت منها
تجاجة نارٍ أحرقت وحالت بينه وبينهم، فهلمهم ذلك، فرجعوا الى الملك وعرفوه
ما جرى فأمر بجمع السحرة، وكان من رزم السحرة أن يعاهدوا ملوكهم على أن
يكونوا معهم ولا يخالفونهم ولا يناههم منهم مكروه ولا يبغونهم الغوائل، فمن فعل ذلك
سلب علمه، وكان للملك أن يسفك دمه ودم أهل بيته وولده، وكانوا مع الملوك
على هذه الحال يوفون بعهودهم. فلما اجتمع السحرة عند الملك أخبرهم خبر الساحر،
وكان يقال له: أختاليس، وبما عمله وقال: محضرونه إلى وإلا أهلكتم؛ فسأله
النظرة فأنظرهم، فأخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا هارين، فلما خرجوا عنه
تكلموا بينهم وقالوا: إنكم لتعرفون كثرة علم أختاليس وشدة سحره، وما نرى لنا به
طاقة، ومتقاوش الملك الذي نقض عهده وتعدى عليه وأخذ أمراته غصباً، فأحتالوا
لخلاصكم منه؛ فأجمعوا أنهم يصدقون الملك عن أنفسهم، ويستأذنونه في الذهاب
اليه ومداراته حتى يأتوه به بعد أن يأخذوا له أماناً منه ويحدد العهد بينه وبينه.
فمضوا الى الملك وصدقوه عن أنفسهم، فأجابهم الى ما سأله من ذلك، ثم مضوا
الى أختاليس فلطفوا به ووعظوه الى أن أجابهم الى ما أرادوا، فكتبوا الى الملك
بذلك، فكتب للساحر أماناً وعهداً، فرجع وردت اليه امرأته، فأكرمها وردّها الى
دار الملك، وعرفهم أنه لا يرى في ذمته أن يلبس امرأة لابنها الملك على حال من
الأحوال لما كانوا يراعونه من حقوق الملك، ففسر الناس بذلك وعجبوا من عقله

١١٨
١٢

(١) النظرة: التأخير والإمهال في الأمر.

وحكته ، وصَلَح أمر الناس ، وعمل أختاليس طَلْسَمَاتٍ وَعَجَائِبَ كَثِيرَةً . قال :
ومَلِكُهُمْ أَفْرُوشُ أَرْبَعًا وَسِتِينَ سَنَةً ، وَهَلَكَ وَوَلَدٌ لَهُ ، فَدُفِنَ فِي الْحَرَمِ
وَجُعِلَتْ مَعَهُ أَمْوَالُهُ وَذَخَائِرُهُ وَجَوَاهِرُهُ وَالصَّنَائِعُ الَّتِي تُعْمَلُ فِي وَقْتِهِ ، وَاجْتَمَعَ
النَّاسُ عَلَى تَمْلِيكِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَلِكِ .

- فَلَمَّا كَانُوا عَلَيْهِمْ أَرْمَالِيْنُوسَ ، فَلَمَّا مَلَكَ أَمْرًا بِجَمْعِ النَّاسِ وَقَالَ : أَرَى الْأُمَمَ الْغَرِيبَةَ
قَدْ تَطَرَّقَتْ إِلَيْكُمْ فِي نَوَاحِيكُمْ ، وَيُوشِكُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكُمْ ، وَأَنَا مَنَعْتُ لِبِلَادِكُمْ وَدِمَائِكُمْ مِنْهُمْ
بِفَزْوِهِمْ وَالخُرُوجِ إِلَيْهِمْ وَتَحْوِيلِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَأَحْتِاجُ إِلَى مَعُونَةٍ مِنْ حِكْمَتِكُمْ بِالْأَعْمَالِ
الْهَائِلَةِ وَالتَّخَابِيلِ الْعَجِيبَةِ ، فَشَكَرُوهُ وَدَعَّوْا لَهُ بِالتَّوْفِيقِ . وَقَالَتِ الْحِكْمَاءُ : نَحْنُ نَخْرُجُ
مَعَ الْمَلِكِ إِذَا خَرَجَ وَنَبْلِغُ لَهُ مَجَابِهِ أَوْ يَقِيمُ وَنَحْنُ نَخْرُجُ مَعَ الْجَيْشِ مَكَانَهُ وَنَبْدُلُ
أَنْفُسَنَا دُونَهُ . فَأَمْتَعَ مِنْ ذَلِكَ وَخَرَجَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ وَحَارَبَ تِلْكَ الْأُمَمَ وَنَكَأَ فِيهَا
أَعْظَمَ نَكَايَةً ، وَرَجَعَ غَانِمًا وَخَلْفَ فِي وَجُوهِهِمْ جَيْشًا ، فَأَجْتَمَعَتْ تِلْكَ الْأُمَمُ فَهَزِمَتْ
جَيْشَهُ وَرَجَعَ أَصْحَابُهُ مَغْلُوبِينَ فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ . وَكَانَتْ أَصَابَتُهُ عِلَّةً مِنْ تَغْيِيرِ الْهَوَاءِ
فَأَنْفَذَ ابْنَ عَمِّ لَهُ يُقَالُ لَهُ فِرْعَانُ بْنُ مِسُورٍ ، وَكَانَ أَحَدَ الْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ لَا يَطَاقُونَ ،
وَهُوَ أَوَّلُ فِرْعَوْنَ تَسْمَى بِهَذَا الْأَسْمِ وَمِنْ سُمِّيَ بَعْدَهُ سُمِّيَ تَسْبِيحًا بِهِ ؛ فَأَنْفَذَهُ الْمَلِكُ
أَرْمَالِيْنُوسَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ فَأَجْلَى تِلْكَ الْأُمَمَ وَنَفَاها إِلَى أَطْرَافِ الْبَحْرِ ، وَعَادَ وَمَعَهُ
خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَسْرَى وَالرَّءُوسِ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِنَصْبِ تِلْكَ الرَّءُوسِ حَوْلَ مَدِينَتِهِ وَقَتَلَ
جَمِيعَ الْأَسْرَى . وَكَانَ مِنْهُمْ كَاهِنٌ فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُوشَرَ بِمَنْشَارٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ

(١) نكأ : قتل فيهم ورجح وأخضع .

(٢) وكذا ورد في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٢) أنه أول من لقب بلقب الفراعنة .

(٣) يوشر ، يقال : وشر الخشبة بالمنشار إذا نشرها .

ذلك، فأعلم الملك فرعان وألبسه خلعاً منظومةً بالجواهر، وأمر بأن يطاف به
ويذكر فضله، وأمر له ببعض قصوره .

وأتفق أن امرأة من نساء الملك عشقته وراسلته فأمنع فرعان من ذلك وفاءً
للملك، ولأن التحظى إلى نساء الملوك كان من الأمور العظيمة عندهم . فلما طال
ذلك عليها أحضرت ساحرةً ولاطفتها وذكرت لها حالها ووجدتها بفرعان، فضممت
لها بلوغ ما ربهما منه وسخرته لها، فأحتاج إليها وندم على ردها وجعل يدس إليها إلى
أن اجتمعت معه، وتمكن حب كل واحد منهما من صاحبه، إلى أن ذاكرته أمر
الملك وأنها لا تأمن أن يتصل به خبرهما وقالت : أنا أعمل الحيلة في قتله وتكون
أنت الملك وأكون لك ونامن على أنفسنا . فمن شدة ما عنده من حبا حسن لها
ذلك، فسمت الملك في شرابه فمات لوقته وحمل إلى الهرم .

وملك بعده فرعان بن مسور وجلس على سرير الملك فلم يئازه أحد، وفرح
الناس بمكانته لشجاعته . وهو الذي كان الطوفان في وقته . قال : ولما ملك علا في
الأرض وتجبر وأغضب الناس أموالهم وأنفسهم ونساءهم، وعمل ما لم يعمله ملك قبله،
وأسرف في القتل وهابته الملوك وأقزوا له . وهو الذي كتب إلى الدرهمسيل ملك بابل
يشير عليه بقتل نوح عليه السلام . وذلك أن الدرهمسيل بن محويل كتب إلى الأقاليم
يسألهم : هل يعرفون آلهة غير الأصنام؟ ويذكر قصة نوح وأنه يريد تغيير ذلك،
وأن له إلهًا غيرها، فكل أنكر ذلك . ولما أخذ نوح في بناء السفينة كتب فرعان
إلى الدرهمسيل يشير عليه بإحراقها، وكان عند أهل مصر خبر الطوفان ولكنهم
لم يقدروا كثرتهم وطول مقامه على الأرض، فأتخذوا السرايب تحتم الأرض

(١) أعلاه : وصحه بنسبها الحرب .

ببلا الله (٦٦) ربه له لغيره

وصفحوها بالزجاج وحبسوا فيها الرياح بتدييرهم ، وأتخذ فرعان منها عدة له ولأهل بيته . وكان فرعان قد أقصى الكهّان وبعدهم ، وكانوا مع الملوك على خلاف ذلك . ولنصل هذا الخبر بنجر الكهّان وما كانوا عليه .

ذكر خبر كهّان مصر وحالهم مع الملوك

- ٥ قال : وكهّان مصر أعظم الكهان علما ، وأجلهم في الكهانة حديثا . وكان حكام اليونان يصفونهم بذلك ، ويشهدون لهم به ويقولون : أخبرنا حكام مصر بذلك فأستفدناه منهم . وكانوا يتحون في كهاتهم نحو الكواكب ، ويرعمون أنها هي التي تُقيض عليهم العلوم وتُخبرهم بالغيوب ، وهي التي علمتهم أسرار الطبائع ، ودلتهم على العلوم المكنونة ؛ فعملوا الطلسمات المشهورة ، والنواميس الجليلة ، وولّدوا الولادات الناطقة ، والصور المتحرّكة ؛ وبنوا العالى من البنيان ، وزبروا علومهم في الصلب من الصوّان ، وأنفردوا بعمل البرابي ، ومنعوا بها الأعداء من بلدهم ، وعجايبهم ظاهرة . وكان الذي يتعبّد منهم الكواكب السبعة المدبّرة ، لكلّ كوكب سبع سنين ، فإذا بلغ هذه الرتبة سُمّي قاطرا ، وكان يجلس مع الملك في المرتبة ويصدّر الملك عن رأيه ، وإذا رآه قام له .

- ١٥ وكان من رسمهم في كل يوم أن يدخل القاطر إلى الملك فيجلس إلى جانبه ، ويدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصناعات فيقفوا حذاء القاطر ، وكلّ واحد من الكهنة منفردًا بكوكب يخدمه لا يتعداه إلى سواه ، ويُسمّى عبد كوكب كذا ، كما كانت العرب تُسمّى عبد شمس ، فيقول القاطر للكاهن : أين صاحبك؟ فيقول :

(١) القاطر : معناه جامع العلوم ، وهو الذي يعبد الكواكب السبعة لكل كوكب سبع سنين ، كما ذكره

- ٢٠ المؤلف أيضا فيما سبق (ص ٢٣) من هذا الجزء .

في البرج الفلاني في الدرجة الفلانية في دقيقة كذا ، ويسأل الآخر حتى إذا عرف مستقر الكواكب قال لملك : ينبغي لك أن تعمل اليوم كذا ، وتضع بديان كذا ، وتوجه جيشا إلى ناحية كذا ، وتجمع في وقت كذا ، وتأكل في وقت كذا ، وجميع ما يراه صلاحا له في أموره كلها ، والكاتب قائم يكتب جميع ما يقوله القاطر ، ثم يلتفت إلى أهل الصناعات فيقول : انقش أنت صورة كذا على حجر كذا ، وأغرس أنت كذا ، وأصنع أنت كذا ، حتى يمر على أهل الصناعات ، فيخرجون إلى دار الحكمة ويضعون أيديهم في تلك الأعمال ، ويستعمل الملك جميع ما يأمره القاطر ، ويشرح ذلك اليوم في الصحيفة وتطوى وتودع في خزانة الملك ، فعلى ذلك كانت تجري أمورهم .

وكان الملك إذا نابه أمرٌ جمعهم وأصطف الناس لهم في شارع المدينة ، ثم يدخلون رُكباناً يقدم بعضهم بعضا ، ويضرب بين أيديهم بطبل الاجتماع ، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة : فمنهم من يعلو وجهه نورٌ كنور الشمس فلا يقدر أحدٌ على النظر إليه ، ومنهم من يكون عليه بدنة^(١) جوهر أخضر أو أحمر أو من ذهب منسوج . ومنهم من يدخل راجبا أسدا متوتحا بجيات عظام . ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو من جوهر في صنوف من العجائب كثيرة . ويصنع كل واحد منهم ما يدره عليه كوكبه الذي يعبده ، فإذا دخلوا على الملك قالوا : أرادنا الملك لأمر كذا وقد علمنا ، أو أضمر الملك كذا والصواب فيه كذا . فكانوا مع ملوكهم على هذه الحال حتى ملك فرعان فابعدهم . وكان فليمون^(٢) رئيس الكهان ، فرأى فيما يرى النائم كأن مدينة أمسوس قد أنقلبت بأهلها ، وكانت الأصنام

(١) بدنة : البدنة البقيرة ، وهي قيص لاكين له ، تلبسه النساء .

(٢) في خطاط المقرئ : « فليمون » .

تهوى على رؤوسها ، وكانت ناسا يتزلون من السماء معهم مقامع فيضربون الناس بها ،
 وكأنه قد تعاقى بأحدهم وقال له : ما لكم تفعلون بالخالق هذا ! أما ترحمونهم ؟ فقال :
 لأنهم كفروا بإلههم . قال : أفأطعم من خلاص ؟ قالوا : نعم ، من أراد الخلاص فليأتق
 بصاحب السفينة ، فأنتبسه وهو يخاطبه ، فبقي مرعوبا بما رآه . وكان له امرأة
 وولدان ذكر وأنثى ومعه تلاميذه ، فأجمع على أن يلحق بنوح عليه السلام ، ثم نام
 أيضا فرأى كأنه في روضة خضراء ، وكانت فيها طيورا بيضاء تفوح منها رائحة طيبة ،
 وكأنه تعجب من حسنها إذ تكلم بهض الطيور فقال لأصحابه : سيروا بنا ننج
 المؤمنين . قال له فليمنون : ومن هؤلاء المؤمنون ؟ قال : أصحاب السفينة . فأنتبه
 مرعوبا وأخبر أهله وتلاميذه بذلك ثم نام .

١٠ فلما كان الغد أتى الملك فقال : إن رأى الملك أن يُفدني إلى درمسيل لأعرف
 حال هذا الرجل الذي عمل السفينة فأشاهده وأناظره على ما جاء به من هذا الدين
 الذي أظهره وأتبع حقيقة أمره فليقل ؛ فإني أرجو أن يكون ذلك سببا لهلاكه
 ودفعه عما يدعيه ، فأعجب الملك ذلك منه وأذن له في الخروج ، فسار بأهله وولده
 وتلاميذه حتى أتوها إلى أرض بابل وقصد نوحا وسأله أن يشرح له دينه ففعل
 ذلك ، فآمن به وجميع آمن معه ، فقال نوح عليه السلام : من أراد الله عز وجل
 به الخير لم يصدقه أحد عنه . فلم يزل فليمنون مع نوح عليه السلام يخدمه هو وولده
 وتلاميذه إلى أن ركبوا السفينة .

وأما فرعان الملك فإنه أقام منهما في ضلاله وظلمه ، مقبلا على هوه ، وأستخف
 بالكهنة والهيأكل ، وضافت الدنيا بأهلها ، وكثر الهرج والظلم ، وفسدت الزروع ،

٢٠ (١) مقامع : جمع المقمعة ، وهي خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه لينال بهياناً .

وأجذبت النواحي ، وظلم الناس بعضهم بعضا ، ولم يكن أحدٌ ينكر ذلك عليهم ،
 وسُدَّت الهياكل والبرابي ، وطُيِّت أبوابها ، وجاءهم الطوفان وأقبل المطر عليهم ،
 وكان فرعان سكران فلم يقم إلا بخير المساء ، فوثب مُبادرا يريد [الهرب إلى] الهرم^(١)
 فتخلخت الأرض به ، وطلب الأبواب فغاشت رجلاه وسقط على وجهه وجعل
 يُحور كما يُحور الثور ، إلى أن أهلكه الله تعالى بالطوفان ، ومن دخل الأسراب منهم
 هلك بغمها ، ولحق الماء من الأرض والأهرام إلى آخر التبريع ، وهو ظاهر عليها
 إلى الآن ، وأتقرضت ملوك الدنيا أجمع بالطوفان ولم يسلم إلا أصحاب السفينة كما
 تقدم . فعدة من سُمِّي لنا من ملوك مصر قبل الطوفان على هذا السياق تسعة عشر
 ملكا ، ثم ملكها بعد الطوفان من نذكره .

ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك

قال إبراهيم بن القاسم الكاتب : قال إبراهيم بن وصيف شاه : أجمع أهل الأثر أن
 أول من ملك مصر بعد الطوفان مصرم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام ،
 وذلك بدعوة سبقت له من جدّه ، وكان السبب في ذلك أن فليمون الكاهن سأل نوحا
 عليه السلام أن يخلطه بأهله وولده وقال : يا نبي الله ، إنني قصدتك رغبة في الإيمان بالله
 سبحانه وتعالى وتصديقتك يا نبي الله ، وتركت وطني وبلدي فأجعل لي رفعة وقدرًا
 إذ كرت بهما من بعدى ، فزوج نوح عليه السلام ببصر بن حام بنت فليمون الكاهن
 فولدت له ولدا سماه فليمون مصرم باسم بلده ، فلما أراد نوح قسمة الأرض بين
 بنيه قال له فليمون : ابعت معي يا نبي الله ابني حتى أمضي به إلى بلدي وأظهره
 على كنوزه وأوقفه على علومه ورموزه ، فأنفذه معه في جماعة من أهل بيته ، وكان

(١) التكملة من خط المبريزي (ج ٣ ص ٢٥ طبع فييت) .

(٢) في خط المبريزي (ج ١ ص ٧٣ طبع فييت) : « مصرم » .

غلاما مرأقا ، فلما قُرب من مصر بنى له عَرِيْشًا من أعْصان الشجر وستره بحشيش الأرض ، ثم بنى له بعد ذلك في الموضع مدينة وسمّاها دَرَسَان ، أَيْ باب الجنة ؛ فزرعوا وغرسوا الأشجار والأجنّة من درسان الى البحر . [فصارت هناك] زروع وأجنّة وعمارة وكان الذين مع مِصرِيم جبابرة ، فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عَيْش .

- ٥ ونكح مِصرِيم امرأة من بنات الكهنة فولدت له ولدا سمّاها قِطِيم ، ونكح قِطِيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر ، وهم : قُفْطَرِيم ، وأشمون ، وأتريب ، وصا ، وكثروا وعمروا الأرض وبُورِك لهم فيها . وقيل : كان عدد من وصل مع مِصرِيم ثلاثين نفرا فبنوا مدينة سمّوها مائة ، ومعنى مائة ثلاثون بلغتهم ، وهي مَنْف ؛ وكشف أصحاب فليمون عن كنوز مصر وعلموهم خُط البرابي ، وأثاروا لهم المعادن من الذهب والزرّجد والقيروزج والأسباد شم وغير ذلك ، ووصفوا لهم عمل الصنعة ، فجعل الملك أمرها الى رجل من أهل بيته يقال له مقيطام ، فكان يعمل الكيمياء في الجبل الشرقي فسُمّي به المَقْطَم ، وعلموهم أيضا عمل الطلّسات . وكانت تخرُج من البحر دواب تفسد زرعهم وأجنّتهم وبنائهم فعملوا لها الطلّسات فغابت ولم تعد . وبنوا على عبّر البحر مدنا منها : رَقُودَة مكان الإسكندرية ، وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نُحاس مُذهب والقبة مُذهبة ، ونصبوا فوقها مرآة من أخلاط شتى قُطرها خمسة أشبار ؛ وكان ارتفاع القبة مائة ذراع ؛ فكانوا اذا قصدهم قاصد من الأمم التي حولهم ، فإن كان مما يهيمهم أو من البحر عملوا لتلك المرآة عملا فالقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته ؛ فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها
- (١) درسان : هي مدينة العريش . (٢) التكملة من خطط المقرئ (ج ١ ص ٧٣ طبعة فييت) .
 (٣) في مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٨٠ طبع بلاق) : « الأشباد جشم » وذكر أنه نوع من الجواهر تتخذ منه النصول وغيرها .

البحر فنسفها . وقيل : إن الإسكندر إنما عمل المنارة تشبها بها . وقد ذكرنا خبر المنارة فيما تقدم من كتابنا هذا^(١) .

وقال : لما حضرت مصرم بضم الهمزة والفاء عهد الى ابنه قبطيم بن مصرم ؛ فقسم قبطيم مصر بين بنيه الأربعة : فجعل لابنه قفطريم من قفط الى أسوان الى النوبة ، ولأشمون من أشمون الى منف ، ولأتريب الحوف كله الى الشجرتين الى أيلة من المجاز ، ولصا من ناحية صا البحيرة الى قرب برقة ؛ وقال لأخيه فارق : لك من برقة الى المغرب ، فهو صاحب إفريقية . وولده الأفارق . وأمر كل واحد من بنيه أن يبنى لنفسه مدينة في موضعه . وأمر مصرم عند موته أن يحفروا له في الأرض سربا وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض ويجعلوا فيه جسده ، ويدفنوا معه جميع ما في خزائنه من الذهب والجوهر ، ويزبروا عليه أسماء الله تعالى المانعة من أخذه . فحفروا له سربا طوله مائة وخمسون ذراعا ، وجعلوا في وسطه مجلسا مصفحا بصفائح الذهب ، وجعلوا له أربعة أبواب ، على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر ، جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد ، وزبروا في صدر كل تمثال آيات عظاما مانعة ، وجعلوا جسده في حرن من المرمر مصفح بالذهب وزبروا على مجلسه : مات مصرم بن بصر بن حام بعد سبعمائة عام مضت من أيام الطوفان ، ومات ولم يعبد الأصنام ، إذ لا هرم ولا سقام ، ولا حزن ولا آهتام ، وحصنه بأسماء الله العظام ، لا يصل اليه إلا ملك ولدته سبعة ملوك يدين بدين الملك الديان ، ويؤمن بالبعث والفرقان ، الداعي الى الإيمان في آخر الزمان . وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط ، وألف تمثال من الجوهر النفيس ، وألف

١٢١
١٢

٥

١٠

١٥

٢٠

(١) راجع (ج ١ ص ٣٩٥ من هذه الطبعة) .

برنية [مملوءة] ^(١) من الدر الفاخر والصنعة الإلهية ، والعقاير البرية ، والطاسمات العجيبة ، وسبائك الذهب مكدسة بعضها على بعض ، وسقفوا ذلك بالصخور العظام وهالوا فوقها الرمال [بين جبلين] ^(٢) .

وأستقل قبطيم بالملك بعد أبيه .

ويقال : إن قبط مصر منسوبون إليه . وهو أول من عمل العجايب وأثار

المعادن ، وشق الأنهار . ويقال : إنه لحق البلبلة ونرج منهم بهذه اللغة

القبطية ، وعمل ما لم يعمله أبوه من نصب الأعلام والمنارات والعجايب

والطلسمات . وملكهم قبطيم [أربعائة و] ^(٣) ثمانين سنة ومات ، فأعم عليه بنوه

وأهله ودفن في الشرق في سرب تحت الجبل الكبير الداخل ، وصفحوه بالمرمر الملون

وجعلت فيه منافذ للرياح ، فهي تتخزق فيه بدوى عظيم هائل ، وجعل فيه من الكبريت

الأحمر وأكر من نحاس مطبقة بأدوية مشعلة لا تطفأ ، ولطخوا جسده بالمتز والكافور

والمومياء ، وجعلوه في جرن من ذهب في ثياب منسوجة بالمرجان والدر ، وكشفوا عن

وجهه وجعلوه تحت قبة ملونة ، في وسطها درة معلقة نضى كالسراج ، والقبة على

أعمدة بين كل عمودين تمثال في يده أعجوبة ، وجعلوا حول الجرن توابيت مملوءة

جوهرا وذهبا وتمائيل وصنعة وغير ذلك ، وحول ذلك مصاحف القبط والحكمة ،

وسدوا عليه بالصخور والرصاص وزبروا عليه كما زبروا على ناووس أبيه .

وملك بعده ابنه قفطريم بن قبطيم ، وكان أكبر ولد أبيه ، وكان جبارا عظيم

الخلق ، وهو الذي وضع أساسات الأهرام الدهشورية وغيرها ليعمل منها كما عمل

الأولون ، وهو الذي بنى دندرة ومدينة الأصنام . ودندرة : بلد من بلاد إقليم

قوص ، وهي في البر الغربي مشهورة هناك . قال : وأثار من المعادن ما لم يثر غيره ،

(١) الكلمة من خطط المقرزي (ج ١ ص ٧٥ طبعة فيث) . (٢) البلبلة : اختلاط الألسن .

(٣) الكلمة من خطط المقرزي (ج ٣ ص ٣٣ طبعة فيث) . (٤) قول (١)

وكان يجم من الذهب مثل حجر الرحي، ومن الزبرجد كالأسطوانة، ومن الأسياد شم
 في صحراء القرب كالقلة. وعمل من العجائب شيئا كثيرا. وبني منارا عاليا على جبل فقط
 يرى من البحر الشرقي، ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه بركة كبيرة، فيقال إنها
 هناك الى الآن؛ وأما المنار فسقط. وعمل عجائب كثيرة. ويقال: إنه بني المدائن
 الداخلة وعمل فيها عجائب كثيرة، منها: الماء الملفوف القائم كالعمود لا ينخل
 ولا يذوب، والبركة التي تسمى فلسطين، أي صيادة الطير، إذا مر عليها الطير سقط
 فيها ولم يمكنه أن يبرح حتى يؤخذ. وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر
 إذا قربت الأسد والحيات والأشياء المضرة من تلك المدينة صفر صغيرا عاليا فترجع
 تلك الدواب هاربة. وكان على أربعة أبواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس
 لا يقرب منها غريب إلا ألقى عليه النوم والسبات، فينام عندها ولا يستيقظ حتى
 يأتيه أهل المدينة وينفخون في وجهه فيقوم، وإن لم يفعلوا ذلك لم يزل نائما عند
 الأصنام حتى يهلك. وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس، وعلى
 رأس المنارة صورة صنم من أخلاط كثيرة، وفي يده كالقوس كأنه يرمى عنها، فإن
 عاينه غريب وقف في موضعه لم يبرح حتى يُنحيه أهل المدينة. وكان ذلك الصنم
 يتوجه إلى مهب الرياح الأربع من نفسه. قال وقيل: إن هذا الصنم على حالته إلى الآن، وإن الناس تحاموا تلك
 المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والعجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم
 أن تقع عين الإنسان عليه فلا يزال قائما حتى يتلف. قال: وكان بعض الملوك
 عمل على قلعه فسا أمكنه، وهلك لذلك خلق كثير. ويقال: إنه عمل في بعض
 المدن الداخلة مرآة من أخلاط ترى جميع ما يسأل الإنسان عنه وهي غربي
 البلد. قال: وعمل خلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجائب كثيرة

- ووتكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها ، فما يستطيع أحد أن يدنو منها ولا يدخلها أو يعمل قرابين أولئك الروحانيين فيصل إليها حينئذ يأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر . قال : وأقام قفطريم ملكا أربعائة سنة . وأكثر العجائب عملت في وقته ووقت آبنه البودسير . وكان الصعيد أكثر عجائب من أسفل الأرض . قال : وفي آخر أيام قفطريم هلكت عاد بالريح العقيم .
- ولما حضرت قفطريم الوفاة عمل له ناووس من الجبل الغربي قرب مدينة الكهنة ، كان عمله لنفسه قبل موته في سرب في الجبل كهيئة الدار الواسعة وجعل دورها نخراثن متقورة ، وجعل في سقوفها مسارب للرياح ، وبني ذلك بالمرمر ، وجعل في وسط الدار مجلسا على ثمانية أركان مصفعا بالزجاج الملون المسبوك ، وجعل في سقفه جواهر وحمارة تسرج ، وجعل في كل ركن من أركان المجلس تماثلا من الذهب بيده كالقوق ، وجعل تحت القبة دكة مصفحة بالذهب ، وجعل لها حوافي زبرجد ، وفرش فوق الدكة فرش الحرير ، وجعل عليها جسده بعد أن لطح بالأدوية المسكرة ، ومن جوانبه آلات الكافور المخروطة ، وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ، ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج ملكه ، وعن جوانب الدكة أربع تماثيل مخوفات من زجاج مسبوك مثل صور النساء والوانهن ، بأيديهن كالمراوح من ذهب ، وعلى صدره من فوق الثياب سيف صاعق قائمه من الزبرجد ، وجعل في تلك الخراثن : من الزبرجد وسبائك الذهب والتيجان والجواهر وبراقي الحكم وأصناف العقاقير والطلسمات ، ومن المصاحف الحاوية لجميع العلوم ، مالا يحصى قدره كثرة ، وجعل على باب المجلس ديك من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشور الجناحين مزبور عليه آيات عظام مانعة ، وجعل على مدخل كل أزج صورتين من نحاس مشوهتين بأيديهما
- (١) في خطط المقریزی : « البودسير » بالسين المعجمة ، *سنة* : راحة . *سنة* : راحة .

سيفان كالبرق ، ووراءهما بلاطة تحتها لوالب فن وطئها ضرباه بأسيافهما فقتلاه ،
 وفي سقف كل أزج كرة عليها لَطُوخ مدبر يُسْرَج ، وسُد باب الأَزْج بالأساطين ورصوا
 على سقفه البلاط العظام ورددوا فوقها الرمال ، وزبروا على باب الأَزْج : هذا
 الداخل إلى جسد الملك العظيم المهيب الكريم الشديد قفطريم ذى الأيد والفخر ،
 والغلبة والقهر ، أقل نجمه وبقى ذكره وعلمه ، فلا يصل أحد إليه ، ولا يقدر بحيلة
 عليه ، وذلك بعد سبعمائة وسبعين ، ودورات مضت من السنين .

قال : ولما مات قفطريم ملك بعده آبنه البودسير بن قفطريم ؛ فتجبر وتكبر
 وعمل بالسحر وأحجب عن العيون ، وقد كان أعمامه أشمون وأتريب وصاموكا على
 أحيازهم إلا أنه قهرهم بيجبروته وقوته ، فكان الذكر له كما كان لأبيه . ويقال : إنه
 أرسل هيرمس الكاهن المصرى إلى جبل القمر الذى يخرج النيل من تحته حتى
 عمل هناك هيكل التماثيل النحاس ، وعدل إلى البطيخة التى ينصب إليها ماء النيل .
 ويقال : إنه الذى عدل جانبي النيل وقد كان يفيض [فى مواضع وينقطع
 فى مواضع ^(١)] ، وأمره البودسير أن يسير مغتربا فينظر إلى ما هناك ، فوقع على أرض
 واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب ، فبنى منائر ومنتزهات ، وحول إليها جماعة
 من أهل بيته فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب كلها عمارة ،
 وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فتناكحوا ؛ ثم إنهم تحاسدوا وبنى بعضهم
 على بعض ، وكانت بينهم حروب تغرب البلد وباد أهله إلا بقية منازل تسمى
 الواحات هى موجودة إلى وقتنا هذا .

ويقال : إنه عمل عجائب كثيرة فى وقته ، منها : قبة لها أربعة أركان
 وفى كل ركن منها كوة يخرج منها كالدخان الملتف فى ألوان شتى [يستدلون بكل

(١) الكلمة من خطط المقرئى (ج ٣ ص ٣٧ طبعه فييت) .

- (١) لون على شيء [؛ فما خرج منه أخضر دل على العمارة وحسن النبات والزرع
 وصلاحه ، وإن خرج الدخان أبيض دل على الخشب وقلة الزكاء ، وإن خرج
 أحمر دل على الدماء والحروب وقصد الأعداء ، وإن كان أسود دل على
 كثرة الأمطار والمياه وفساد بعض الأرض بذلك ، وإن كان أصفر دل على
 ٥ التيار وآفات تحدث في الفلك ، وما كان منها مختلطا دل على مظالم الناس وتعدي
 بعضهم على بعض وإهمال ملوكهم لهم ، وأشياء من هذا الضرب . وكانت هذه القبة
 على منار أقام زمنا طويلا ثم هدمه بعض الملوك البربر ؛ لأنه أراد غزو قوم بتلك
 الناحية فعملوا بحاله فانتقلوا عن ذلك الموضع الى قرب النيل فلما جاء ولم يجدهم هدمه .
 وتما عمل له في الصحراء التي تقرب منه - وكانت الوحش قد كثرت وأفسدت
 ١٠ عليهم زرعهم وكذلك خنازير الماء - شجرة من نحاس عليها أمثال تلك الوحوش
 ملجئة أفواها بجيوط من نحاس ، فما يجوز بها من الوحش لا يستطيع الحراك
 ولا البراح من عندها حتى يؤخذ قبضا ويقتل ؛ فأشبع الناس في لحوم تلك الوحوش
 وانتفعوا بجلودها زمنا طويلا إلى أن اترعها بعض ملوك الغرب سرا من أهل مصر
 وقدر أن ينصبها في بلدهم فتعمل له مثل ذلك ، فلما عملها بطلت ؛ لأنهم كانوا
 يعملون ما يعملون بطالع يأخذونه له ، فلا يزال عمله مستقيا إلى أن تغير عن مكانه
 ١٥ فبطل عمله .
- ومما عمل في وقته أن غرابا تقصر عين صبي من أولاد الكهنسة فقلعها ،
 فعمل شجرة من نحاس عليها تمثال غراب من نحاس في منقاره حربة بادية الطرفين ،
 منشور الجناحين ، وكتب على ظهره كتابا ؛ فكانت الغرابان تقع على تلك الشجرة
- (١) الكلمة من خطط المقرئ . (٢) الزكاء . الخاء . يقال زكا الشيء يزكو زكاء وزكوا ، نسا .

ولا تبرح حتى تؤخذ فتقتل ، ففني أكثر الغربان وزالت عن تلك الناحية إلى ناحية الشام . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن أصاب بعض ملوكهم علةٌ ووصف له فيها لحم غراب يطبخه ويأكله ويشرب من مرقه فلم يوجد ، فوجه إلى آخر العمل الذي بمصر من ناحية الشام من يأتيه بغراب فأبطأ عليه ، فأمر بترع الشجرة فرجع الغربان وأخذ منها ما عولج به الملك قبل أن يرجع رسوله .

ومما عمل في وقته - وكانت الرمال قد كثرت عليهم من ناحية الغرب حتى ظهرت على زروعهم - فعمل لذلك صنماً من صوان أسود على قاعدة منه وعلى كتفه شبه الققة فيها كالمسحاة ، ونقش على جبهته وصدره وذراعيه وساقيه حروفاً ، وأقامه الكاهن بطالع أخذه له ووجهه إلى الغرب ، فأكتشفت تلك الرمال ورجعت إلى ورائها . فتلك الأكداس العالية في صحراء الغرب منها . ولم تزل الرمال تندفع عنهم إلى أن زال ذلك الصنم عن موضعه . قال : وأقام البودسير مدة واحتجب عن الناس ، وكان يتجلى لهم في صورة وجه عظيم ، وربما خاطبهم ولا يرونه ، ثم غير مدة وهم في طاعته إلى أن رآه أبنته عديم وهو يأمره بالجلوس على سرير الملك .

جلس عديم بن البودسير على الملك وكان جباراً لا يطاق ، عظيم الخلق ، فأمر بقطع الصخور ليعمل هرمًا كما عمل الأولون . قال : وكان في وقته الملكان اللذان

(١) غير : مكث وبق .

(٢) في خطط المقرري (ج ٣ ص ٣٨ طبعة فييت) مانصه : « فلما مات ملك بعده آتته أرقليمون ، وكان كاهنًا ساحرًا ، فعمل أعمالاً عظيمة ، منها : أنه كان يجلس في السحاب فيرونه في صورة إنسان عظيم ، وأقام مدة على ذلك ، ثم إنه غاب عن أهل مصر وصاروا يغير ملك ، ثم رأوا صورة بمخداوم جرم الشمس عند حلوطا أتزل برج الحمل ، فأمرتهم أن يقدوا الملك عديم بن قفطريم : وأعلمتهم أنه ما بقي يعود إليهم . فولوا عليهم ملك مصر عديم بن قفطريم ، وكان جباراً عظيماً الخلق » .

هبط من السماء، وكان في بئر يقال لها أفناوه، وكانا يعلمان أهل مصر السحر. ويقال:
 إن عديم استكثر من علمهما ثم نُقلا إلى بابل. *السفر الثاني من سفر التوراة*
 قال: وأهل مصر من القبط يقولون إنهما شيطانان يقال لهما: مَهْلَة ومَهَالَة،
 وليس هما المَلَكِين. والمَلَكَان ببابل في بئر هناك يعيشان السحرة إلى يوم الساعة.
 ولنصل هذا الفصل بخبر هاروت وماروت وإن لم يكن منه؛ وإنما الشيء
 بالشيء يذكر. والله أعلم.

ذكر خبر هاروت وماروت

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾
 الآية. قال أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره: وكانت قصتهما - على ما ذكره ابن عباس
 رضى الله عنه والمفسرون - أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة
 وذنوبهم الكثيرة؛ وذلك في زمن إدريس عليه السلام فبعبروهم بذلك، ودعت عليهم
 الملائكة وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض وأخترتهم فهم يعصونك؛ فقال الله
 عز وجل لهم: لو أنزلتكم إلى الأرض ورغبتم فيكم ما رغبتم فيهم لركبتم ما آرتكبوا؛
 فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك؛ قال الله تعالى: فأخترنا ملكين
 من خياركم أهبطهما إلى الأرض، فأخترنا هاروت وماروت، وكانا من أصلح
 الملائكة وأعبدهم. قال: وقال الكلبي: قال الله لهم: اخترنا ثلاثة فأخترنا
 عزرا وهو هاروت، وعزرايا وهو ماروت، وضيرا اسمهما لما قارفا الذنب، وعزرايل؛
 فركب الله فيهم الشهوة التي ركبها في بنى آدم وأهبطهم إلى الأرض، وأمرهم أن يحكوا

١٢٤
١٢

بين الناس بالحق ، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير حق ، ونهاهم عن الزنا وشرب الخمر . فأما عزراييل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله ورفعه ، فسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه . ولم يزل بعد ذلك مطاطنا رأسه حياءً من الله تعالى . وأما الآخران فإنهما بقيا على ذلك ، وكانا يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء . قال قتادة :
 ٥ فما مرة عليهما أشهر حتى افتتنا .

قال الثعلبي : قالوا جميعا : وذلك أنه اختص اليهما ذات يوم الزهرة ، وكانت من أجمل النساء . قال علي رضي الله عنه : كانت من أهل فارس ، وكانت ملكة في بلدها ، فلما رأياها أخذت بقلوبهما ، فراوداها عن نفسها فأبت وأنصرفت ، ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك ، فأبت وقالت : لا ! إلا تعبدا ما أعبد ، وتصليا لهذا الصنم ، وتقتلا النفس ، وتشربا الخمر . فقالا : لا سبيل إلى هذه الأشياء ، فإن الله عز وجل نهانا عنها ، فأنصرفت ، ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها ، فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم ، وقتل النفس عظيم ، وأهون الثلاثة شرب الخمر ، فشربا فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا ، فلما فرغا رأهما إنسانا فقتلاه . قال الربيع بن أنس : وسجدا للصنم فمسخ الله عز وجل الزهرة
 ١٥ كوكبا .

وقال علي بن أبي طالب والسدي والكلبي رضي الله عنهم : إنها قالت لها : لن تدركاني حتى تحبراني بالذي تصعدان به إلى السماء . فقالا : بأسم الله الأكبر . قالت : فما أنتما بمدركاني حتى تعلمانيه . فقال أحدهما لصاحبه : علمها ! قال :
 ٢٠ إني أخاف الله . قال الآخر : فأين رحمة الله ! فعلمها ذلك . فتكلمت به وصعدت

إلى السماء . فمسخها الله تعالى كوكبا . فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها ، وقيدوها
فقالوا : هي هذه الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسية «ناهيد» ، وبالنبطية «بيدخت» .

قال : ويدل على صحة هذا القول ما رواه الثعلبي بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي
الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى شهبلا قال : " لعن الله شهبلا
إنه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فإنها قتلت ملكين " .

وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما ذات ليلة فقال لي : أرمى
الكوكبة فإذا طلعت فأيقظني ، فلما طلعت أيقظته ، فجعل ينظر إليها ويسبها سباً
شديداً ، فقلت : رحمتك الله تسب نجما سامعا مطيعا لله؟ ما له يسب! فقال : إن

هذه كانت بغياً فلقى الملكان منها ما لقيها . وقال نافع : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا
رأى الزهرة قال : لا مرحباً بها ولا أهلاً . وروى أبو عثمان النهدي عن ابن عباس
رضي الله عنهما : أن المرأة التي قُتِنَ بها الملكان مُسِخَتْ ، فهي هذه الكوكبة
الحمراء ، يعني الزهرة .

قال الثعلبي : وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا : إن الزهرة من الكواكب
السبعة السيارة التي جعلها الله قواماً للعالم ، وإنما كانت هذه التي قُتِنَتْ هاروت
وماروت امرأة ، كانت تسمى زهرة من جمالها ، فلما بغت جعلها الله تعالى شهاباً ،

(١) المشار : الذي يقبض عشر الأموال .

(٢) ويؤيد هذا مقاله الإمام القرطبي في تفسيره هذه الآية الكريمة (ج ٢ ص ٥٢) : «هذا كله
ضعيف ويؤيد عن ابن عمر وغيره ، لا يضح منه شيء ، فإنه قول تدفمه الأصول في الملائكة الذين هم أمثال الله
على وجهه ، وسفراؤه إلى رسله (لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ، (بل عباد مكرمون .
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) ، (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) . وأما العقل فلا ينكر وقوع
المصيبة من الملائكة ويوجد منهم خلاف ما كلفوه ، ويخلق فيهم الشهوات ؛ إذ في قدرة الله تعالى
كل موهوم ؛ ومن هذا خوف الأنبياء والأولياء الفضلاء العلماء ، لكن وقوع هذا الجائر لا يدرك إلا بالسمع
ولم يصح . وما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء ؛ ففي الخبر : =

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الآسمين فلعنهما ، وكذلك سهيل العشار . والله أعلم .

قالوا : فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء

فلم تطاوعهما أجنحتهما ، فعلمنا ما حلّ بهما فقصدنا إدريس عليه السلام فأخبراه
١٢٥
١٢

بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل ففعل ذلك ، فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فأختارا عذاب الدنيا إذ علمنا أنه يتقطع ، فهما بيبابل

يعذبان . واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود رضی الله عنه :

هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة . وقال قتادة : كُتِلَا من أقدامهما إلى أصول

أخاذهما . وقال مجاهد : إن جبا ملئ نارا بجعلها فيه . وقال حُصَيْف : معلقان

منكسان في السلاسل . وقال محمد بن سعد : منكوسان يُضْرَبَان بسياط الحديد .

وروى أن رجلا أراد تعلم السحر فقصد هاروت وماروت فوجدتهما معلقين بأرجلهما ،

مُزْرَقَةٌ أعينهما ، مُسَوِّدَةٌ جلودهما ، ليس بين ألسنتهما وبين المساء إلا قدر أربع

أصابع ، وهما يعذبان بالعطش ، فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال : لا إله إلا الله ،

وقد نهي عن ذكر الله هناك . فلما سمعا كلامه قالا : من أنت ؟ قال : رجل من

الناس . قالا : من أي أمة أنت ؟ قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قالا :

وقد بُعث ؟ قال نعم . قالا : الحمد لله ! وقد أظهرنا الاستبشار . فقال الرجل : وممّ

استبشاركما ؟ قالا : إنه نبي الساعة ، وقد دنا آقضاء عذابنا .

== "أن السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دوائر زحل والمشتري وبنهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر"

وهذا معنى قول الله تعالى : (وكل في فلك يسبحون) . ثبت بهذا أن الزهرة وسهلا قد كانا قبل خلق آدم ،

ثم إن قول الملائكة : ما كان ينبغي لنا عوده ، لا تقدر على فتننا ، وهذا كفر نعوذ بالله منه ومن نسبته

إلى الملائكة الكرام صلوات الله عليهم أجمعين ؛ وقد زهناهم وهم المزهونون عن كل ما ذكره ونقله

المفسرون ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

٥

١٠

١٥

٢٠

قال: وأما كيفية تعلم السحر، فقد روي فيه خبر جامع، وهو ما رواه أبو إسحاق بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به؛ قالت عائشة رضي الله عنها لعروة: يا ابن أخي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت تبكي حتى إنى لأرحمها! تقول: إنى أخاف أن أكون قد هلكت؛ قالت: كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها فقالت: إن فعلت ما أمرك به فالعله يأتيك، فلما كان الليل جاءني بكبشين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل، فإذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السحر، قالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري وأرجعي، فأبيت فقلت: لا، فقالا: إذهبي إلى ذلك التنور فبولى فيه، فذهبت ففرغت فلم أفعل، فرجعت إليهما فقالا: فعلت؟ قلت نعم، قالا: هل رأيت شيئا؟ قلت: لم أر شيئا، فقالا: لم تفعل، إرجعي إلى بلادك فلا تكفري، قالت: فأبيت، فقالا: إذهبي إلى ذلك التنور فبولى فيه، فذهبت فأقشعرت جلدي فرجعت إليهما فقلت: قد فعلت، فقالا: هل رأيت شيئا؟ فقلت: لم أر شيئا، فقالا: كذبت لم تفعل، إرجعي إلى بلادك فلا تكفري فإنك على رأس أمرك، قالت: فأبيت، فقالا: إذهبي إلى ذلك التنور فبولى فيه، فذهبت إليه فلبت فرأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني حتى ما أراه، فبختهما فقلت: قد فعلت، قالا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء حتى ما أراه، قالا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك؛ اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئا، وما قال لي شيئا. فقالت: لن تريدي شيئا إلا كان؛ خذي هذا القمح فأبذري،

فبَدَرْتُ ، قلت : أطلُّعي ، فأطلعت ، فقلت ، أحقِلِي ، فأحقت ، ثم قلت : أفركِي ،^(١)
فأفركت ، ثم قلت : أطحنِي ، فأطحنت ، ثم قلت : أخبزِي ، فأخبزت . فلما رأيت
أنِّي لا أريد شيئا إلا كان ، سُقط في يدي ونِدِمت . والله يا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ما فعلتُ
شيئا قط ، ولا أفعله أبدا .

قال : وقال بعضهم : إنهما لا يتعمدان تعلم السحر ولكنهما يصفانه ويذكران
بطلانه ويامرآن بأجتنابه ، فيتعلم الشقيّ منهما في خلال صفتها ويترك موعظتها
ونصيحتها ، فلا يكون على هذا التأويل كفرا وإنما يكون العمل به كفرا . وقد أنكر
بعضهم أن يكونا ملكين قال : وإنما كانا مَلِكَيْنِ . وقري في الشواذ : ﴿ وَمَا أُنزِلَ
عَلَى الْمَلِكَيْنِ ﴾ (بكسر اللام) . وقيل : كانا عُلَجين ببابل . حكاه القاضي عياض
في كتاب الشفا . والله تعالى أعلم .

ولترجع إلى أخبار عَدِيم بن البوسودسير الملك . قال : وعديم أول من صلب ؛
وذلك أن امرأة زنت برجل من أهل الصناعات ، وكان لها زوج من أصحابه ، فأمر

١٢٦
١٢

(١) أطلعت : أطلع الزرع ، بدا . (٢) أحقت : أحقت الزرع ، تشعب ورقة قبل
أن تغلظ سوقه . (٣) أفركي : يقال أفرك الزرع إذا بلغ أن يفرك باليد .
(٤) ورد بهامش نسخة ب هذه الحاشية ونصها : « والصحيح الذي ذكره القاضي عياض ، وأما
الذي ذكر أولاً ليس بصحيح ، فإن صاحب العقل الرابع الصحيح هو الذي يقول بقول العلماء الأقدمين
الذين درسوا العلوم الإلهية الحقيقية والمعارف العقلية ، وهم الفلاسفة العظام الذين هم في مراتب الأنبياء
العظام مثل آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهارون ويوشع وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ، لأن
الملائكة خلقهم الله تعالى خلقه غير خلقه ابن آدم وجعل فيهم من القوة والتلون ، يتصورون بكل مسورة
أرادوا ، وهم شباب لم يموتوا ولم يتفسروا ولم يجبروا ولم يرهقوا بشر إلا إن أرادوا ذلك . والصحيح أن
هاروت وماروت ليسا ملكين وإنما كانا عُلَجين ظالمين فأهلكهما الله سبحانه وضرب بهما المثل » .
(٥) راجع صفحة ١٧٢ طبع الأمانة . (٦) يعني لأجل الزنا .

بصلبهما على منارتين، وجعل ظهر كل منهما إلى ظهر صاحبه، وزبر على المنارتين
 آسهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي حُمِلَ ذلك بهما فيه، فأتتهى الناس عن الزنا.
 قال: وبني أربع مدائن وأودعها صنوفا كثيرة من عجائب الأعمال والطَّاسِمَاتِ
 وغير ذلك، وكثر فيها كنوزا كثيرة. وعمل في الشرق منارا وأقام على رأسه صنما^(١)
 موجها إلى الشرق، ما إذا يديه يمنع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حده، وزبر
 في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه؛ ويقال: إن هذا المنار قائم إلى وقتنا هذا؛
 ولولاه لغاب الماء المالح من البحر الشرقي على أرض مصر. وعمل قنطرة على النيل
 في أول بلاد النوبة ونصب عليها أربعة أصنام موجهة [إلى أربع جهات الدنيا]^(٢)
 في يدي كل صنم جرس يضرب به إذا أتاهم آت من تلك الناحية؛ فلم تزل بحالها
 إلى أن هدمها فرعون موسى. وهو الذي عمل البريا على باب النوبة، ويقال:
 ١٠ إنه عمل في إحدى المدائن الأربع التي ذكرناها حوضا من صوان أسود مملوء ماء
 لا ينقص على طول الدهر ولا يتغير؛ وكان أهل تلك الناحية يشربون منه ولا
 ينقص مائه؛ وإنما عمل ذلك لبعدهم عن النيل وقربهم من البحر المالح. وقد
 ذكر بعض كهنة القبط أن ذلك لقربهم من البحر المالح، لأن الشمس فيما ذكروا
 ١٥ ترفع بجزرها بخارا فيحصل من ذلك البخار حر بالهندسة، وقيل بالسحر. وملكهم
 عديم مائة سنة وأربعين سنة، ومات وهو ابن سبعائة سنة وثلاثين سنة. وقيل:
 إنه دفن في إحدى المدائن ذات العجائب في أزج من رخام ملون بزرقة، مبطن
 برخام أصفر، وطلي جسده بما يُمسكه، وجعل حوله كثير من ذخائره، وذلك
 وسط المدينة، فهي محروسة بما يمنع منها من الروحانيين.

(١) كذا في المقرئى. وفي الأصل: «منارا عليه صنما».

(٢) التكلة من خطط المقرئى.

قال : وذكر بعض القبط أن عديماً هذا عمل لنفسه في صحراء فقط على وجه الأرض قبة عظيمة من زجاج أخضر براق ، معقودة على ثمانية أراج من صنفاها ، على رأسها أكرة من ذهب ، عليها طائر من ذهب ، متوشح بجوهر ، منشور الجناحين ، يمنع من الدخول إليها ، وقطرها مائة ذراع في مثلها ، وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه ، وعليه ثياب منسوجة بذهب مغرورة بجوهر منظوم ، والآراج مفتحة ، طول كل أراج ثمانية أذرع ، وارتفاع القبة أربعون ذراعاً تلي الشعاع على ما حولها من الأرض ، وجعل حوله في القبة مائة وسبعون مصحفاً من مصاحف الحكمة ، وسبع موائد عليها أوانيها ، منها : مائدة من أدرك رقاني أحمر وآيتها منها . ومائدة من ذهب فيلموني يخطف البصر ، وهو من الذهب الذي تعمل منه تيجان الحكماء ، وآيتها منها . ومائدة من حجر الشمس المضي بآيتها . ومائدة من الزبرجد المخروط الذي يخالطه شعاع أصفر بآيتها ، قال : وهذا الزبرجد إذا نظرت إليه الأفاعي سالت عيونها . ومائدة من كبريت أحمر مدبر بآيتها . ومائدة من ملح مدبر براق يكاد نوره يخطف الأبصار بآيتها . ومائدة من زئبق معقود وقوائمه وحافاتهما من زئبق أصفر معقود مضي ، وعليها آنية من زئبق أحمر معقود . وجعل في القبة جواهر كثيرة ملونة ورائي صنعة مدبرة ، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية وكاهنية وأتراس من حديد أبيض مدبر ، وجعل معه تمائيل أفراس من ذهب ، [عليها سروج من ذهب] وسبعة توأيت من الدنانير التي ضربها وصور عليها صورته ، وجعل معه من أصناف العقاقير والسمومات والأدوية في براني الحنتم ، ومن أصناف الأحجار شيء كثير .

(١) كذا في خطط المقرزي ، وفي الأصول « فلزق » ، وفي هامش خطط المقرزي طبعه فينت « قلهوني » . (٢) التكلة من المقرزي . (٣) الحنتم : جراز خضر تضرب إلى الحمرة

قال : وقد ذكر من رأى تلك القبة وأقاموا عليها أياما فما قدروا على الوصول إليها ، وأنهم إذا قصدوها وكانوا منها على مقدار ثمانية أذرع دارت القبة عن أيانهم وشمالهم وقد عاينوا ما فيها . ومن أعجب ما ذكروا أنهم كانوا يحاذون أزاجها أزجا أزجا فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الأزج الآخر على معنى واحد . وذكروا أنهم رأوا وجهه في قدر ذراع ونصف بالذراع الكبير ، ولحيته كبيرة مكشوفة ،

وقدروا طول بدنه عشرة أذرع وزيادة ، وأنهم لما تبها أن يصلوا إليها فني مأوهم وخافوا على أنفسهم فرجعوا ليمتاروا ما يكفيهم من الزاد ففعلوا ، ثم رجعوا فأقاموا أياما يطوفون تلك الصحراء ، ثم أخبروا أنهم رأوا بها عجائب كثيرة وصنوفاً من الوحش لم يروا مثلها .

قال : وفي كتبهم أنهم لا يصلون إليها إلا بأن يذبح لها ديك أفرق ويختر بريشه من بعد ، ثم يسأل من المريخ الوصول حتى يصل ، وتكون الكواكب النيرة على مثل ما كانت عليه وقت نصيبها من اجتماعها في البروج : يكون زحل والمشتري والمريخ في برج واحد ، والشمس والقمر في برج واحد ، والزهرة وعطارد في برج واحد ، ويتكلم عليها بصلاة الكهنة سبع مرات ، فإذا وصل إليها لطخ حائطها بدم الديك الذي قزبه لها يأخذ ما شاء من المسال والتماثيل ولا يكثر المقام فيها ولا يقم غير ساعة واحدة .

قال : وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم لم يكونوا من تلك الناحية وإنما خرجوا يطلبون غيرها ، فإنهم سألوا أهل قفط عنها فلم يجدوا من يعرفها ولا رآها غير رجل شيخ منهم ، فإنه ذكر أن أبنا له خرج في بعض الأمور ومعه جمل له فراها ولم يصل إليها ، وبحث عن أمرها فعرف أن قوما من الشرق جاءوا في طلبها وأنهم أقاموا يطوفون بقفط أياما وخرجوا إليها فما رجع أحد منهم ولا عرف لهم خبر .

قال : وكان عديم قد أوصى إلى أبنه شدّات عند موته أن ينصبّ في كل
 حيز من أحياز عمومته منارا ويزبر عليه اسمه ، فأخذوا إلى الأشموين فعمل منارا
 و زبر عليه اسمه وعمل بها ملاعب ، وعمل في صحرائها منارا وأقام عليه صنما
 ذا رأسين بأسم كوكبين كانا مقترنين في الوقت .^(١) وخرج إلى أتريب وبنى فيها قبة
 عظيمة مرتفعة على عمُد وأساطين بعضها فوق بعض ، وجعل على رأسها صنما
 صغيرا من ذهب ، وعمل هيكلًا للكواكب . وكان أبوه البودسير أول من أقام
 للكواكب فأخذ ذلك عنه . ومضى إلى حيز صا فعمل فيه منارا على رأسه مرآة من
 أخلاط توري الأقاليم ، ورجع إلى أبيه فعهد له بالملك .

فلك شدّات بن عديم وهو الذي بنى الأهرام الدهشورية من الحجارة التي
 قُطعت في زمان أبيه . قال : من أنكر أن يكون العاديّة دخلوا مصر إنما غلطوا بأسم
 شدّات بن عديم فقالوا شدّاد بن عاد لأنه أكثر ما يجرى على ألسنتهم ، وقلة ما يجرى
 على ألسنتهم شدّات بن عديم ؛ وإلا فما قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى
 على أهلها غير بُحْت نصر . وشدّات الذي عمل مصاحف النارنجيات ، وعمل هيكل
 أرمنت وأقام فيه أصناما بأسماء الكواكب من ذهب وفضة وحديد أبيض ونحاس^(٢)

(١) عبارة المقرئى : « كانا مقترنين في الوقت الذي خرج فيه إلى أتريب ، وبنى فيها ... الخ » .

(٢) كذا في المقرئى . وفي الأصول : « مربعة » .

(٣) كذا في الأصل وكتاب الانتصار لابن دقاق (ج ٥ ص ٣٨) . وفي المقرئى (ج ٣ ص ٣٩)

طبعة فييت (وصبح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٣) : « شدّات » بالثنين المعجمة والهاء المشددة .

(٤) كذا في الأصل . والذي في القاموس « النسيج » قال شارح القاموس : « هكذا

في سائر النسخ ، والمتقول عن نص كلام الليث « النسيج » بإسقاط النون الثانية . وكذا ورد

في لسان العرب لابن منظور . وهو أخذ كالسحر وليس به ، إنما هو تشبيه وتليس » . (٥) أرمنت :

بلدة بصعيد مصر الأعلى ، بينها وبين الأقصر في سمت الجنوب بعض مرحلة ، وبينها وبين أسوان مرحلتان

(راجع معجم البلدان والانتصار لابن دقاق) . (٦) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « أصنام

الكواكب » .

مذهب وحرصا مصفى وزئبق معقود. وهذه الأجساد المعدنية في طباع الكواكب
 وفي قسمتها . فلما فرغ منه زينته بأحسن زينة ونقشه بأحسن النقوش من الجواهر
 الملونة والزجاج المعمول الملون وكساه الوشى والديباج ولم يترك شيئا من التحف إلا
 عمله ، وكذلك عمل في المدن الداخلة من أنصنا هيكلا ، والقبة التي أقامها بأتريب^(٢)
 وهيكلا شرقي الإسكندرية ، وأقام لزحل صنما من صوان أسود على عبر النيل من
 الجانب الغربي . وبني شدات من الجانب الشرقي مدائن وجعل فيها صورة صنم
 قائم له إحليل إذا أتاه المعقود والمسحور ومن لا ينتشر فسه بكتنا يديه أزال عنه
 ذلك وانتشر وقوى على الباه ، وجعل في إحداها بقرة لها ضرعان كبيران إذا مسحتهما
 المرأة التي آنعقد لبنها دز وصلح أمرها .

وفي أيامه بنيت قوص العالسة ، بناها لابن له كان سخط على أمه فحولها إليها^(٣)
 وأسكن معها قوما من أهل الحكمة وأهل الصناعات . وقيل : إن شطب بنيت^(٤)
 في أيامه ، وعمل الصورتين اللتصقتين لكثرة النسل . وكانت الحيش والسودان
 عاثوا في بلده فأخرج لهم أبسه منقوش في جيش عظيم فقتل منهم وسبى وأستعبد
 الذين سباهم وصار ذلك سنة لهم ، واقتطع معدن الذهب من أرضهم وأقام ذلك

- ١٥ (١) أنصنا : بلدة بالصعيد الأوسط ، وبها آثار عظيمة أولية ، وهي على شط النيل من البر الشرقي قبالة
 الأشموئين من البر الآخر ، ولها مزدوع كثير ، وهي المدينة المشهورة بمدينة السحرة ومنها جدهم فرعون (راجع
 تقويم البلدان) . (٢) أتريب : كورة في شرق مصر ، بناها أتريب بن قبطيم بن مصر ، وقد
 وصفها المقرزي وشرح ما فيها من آثار وعجائب (راجع ج ١ ص ١٧٥ طبع بلاق) . (٣) قوص : أعظم مدائن الصعيد وهي على ضفة النيل الشرقية ، سميت باسم قوص بن فقط بن أنعم ،
 وهي باب مكة واليمن وسواكن ، وقد وصفها المقرزي في خططه (ج ١ ص ٢٣٦) وابن دقاق في كتاب
 الانتصار (ج ٥ ص ٣٨) ووصفها الأدفوي كذلك في كتابه الطالع السعيد (ص ٨) وصفا بديعا وذكر كثيرا
 من الأشعار التي قيلت فيها . (٤) شطب : مدينة من المدن التي أخربها بخت نصر وأحرقها ،
 وهي بالقرب من أسبوط . (راجع كتاب الانتصار ج ٥ ص ٢٤ ومعجم البلدان لياقوت) .

السبي يعملون فيه ويحملون الذهب إليه ، وهو أول من أحب الصيد وأتخذ
الجوارح ، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية ، وعمل البيطرة
وما تعالج به الدواب ، وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة ،
وجمع التماسيح ، بطلم عملها ، إلى بركة بناحية أسيوط فكانت تنصب إليها من
النيل انصبابا فتقتلها ، وتستعمل جلودها في السفن وغيرها ، وتستعمل لحومها
في الأدوية والعقاقير المؤلفة . قال : وبعض القبط يحكى أنه عمل بمصر اثنتي عشرة
ألف أعجوبة وطلسمًا ، ولم يعمل في بلد كما عمل فيها ولا تهبأ لأهله ما تهبأ لهم من ذلك .
قال : وأقام شدات في الملك تسعين سنة وخرج يطرد فأكب فرسه في وهدة
فقتله . وفي بعض كتبهم : أنه أخذ بعض خدمه ، وقد خالفه في أمر من الأمور ،
فأمر بطرحه من أعلى الجبل إلى أسفل فطرح فتقطع جسده ، وندم على فعله
ذلك فرأى في منامه أنه سيصيبه مثل ذلك فكان يتوقاه ، وآلى على نفسه ألا يعلو
جبلًا ، وأوصى إن أصابه شيء أن يجعل ناووسه في الموضوع الذي يلحقه فيه ما يلحقه ،
ويزبر عليه : ليس ينسخي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب ويفعل ما لا يجوز له
فعله ، وهذا ناووس شدات بن عديم بن قفطريم الملك ، عمل ما لا يحل له فكوفي
عليه بمثله .
قال : ولما هلك عميل له سرب في سفح الجبل فيه قبة على مجلس قد صُفح
بالفضة وجعل فيه على سرير مُلكه ، وجعل معه من الأموال والجواهر والتماثيل
وأصناف الحكم والمصاحف نبيء كثير . وكان له أر بمائة وأربعون سنة .
وملك بعده ابنه منقأوش^(٢) بن شدات ، فلك بحزم وحسنة وأظهر مصاحف
الحكم وأمر بالنظر فيها ، وأن ينسخ منها لهم بخط العاقمة ليفهموها ، وردت الكهنة إلى
(١) يطرد : يصطاد . (٢) في المقرزي : « منقأوش » بالسين المهملة .

١٢٨
١٢

١٠

١٥

٢٠

مراتبهم . وهو أول من عمل له الحمام من ملوك مصر . وكان كثير النكاح ، تزوج عدة نساء من بنات عمه وبنات الكهنة ، وجعل لكل امرأة منهن مكانا بجميع ما يصاحبه من البنيان العجيب والصور المتقنة والغروس الحسنة والآلات العجيبة ، وأسكنهن فيها . وقد قال بعض أهل الأثر : إنه الذي بنى منف لبناته وكثر ثلاثين بنتا ونقلهن إليها ، وعمل مدنا غيرها ومصانع ، وعمل هيكلا لصور الكواكب وأصنامها على ثمانية فراعخ من منف ، وعمل بتلك الناحية طلسمات كثيرة وعجائب أغرب فيها بفضل حكمة أبيه وجده ، وعمل في السنة آتني عشر عيدا لكل شهر عيد يعمل فيه من الأعمال ما كان موافقا لبرج ذلك الشهر ؛ وكان يطعم الناس في تلك الأعياد ويوسع عليهم ، ففرح الناس به ورأوا معه ما لم يروه مع غيره ، وقُتِح عليه من المعادن ما لم يُفتح على أحد ، وألزم أصحاب الكيمياء العمل فكانوا لا يفترون ليلا ولا نهارا ، فأجتمع عنده أموال عظيمة وجوهر كثير وزجاج نفيس مسبوك وغير ذلك ، فأحب كثره فدعا أخاه فقال له : قد ترى كثرة هذا الذهب والجوهر ، وما عمل من هذه التماثيل الكثيرة ، ولست آمن أن يتسامع بنا الملوك فيغزونا من أجله ، فأمين في أرض الغرب ثم انظر مكانا حريزا خفي الأثر ثم أحرزه فيه ثم أسرته بعلامات وأكتب صفة المكان وطريقه وعلامته . قال : ويقول أهل الأثر : إنه حمل معه اثنتي عشرة ألف عجلة ، منها من الجوهر ثلاثمائة عجلة ، وسائرها من الذهب الإبريز الصفائح والمضروب ، ومن آلات الملوك وطرائفهم وسلاحهم وأوانيهم ؛ فسار في الجنوب يوما ثم أخذ مغزبا اليسوم الثاني وبعض الثالث ، فأتتهى إلى جبل أسود منيف ليس له مصعد بين جبال مستديرة حوله ، فعمل تحت ذلك الجبل أسرابا ومغاور ودفن فيها ما كان معه وردمها وزبر عليها ورجع ؛ فمكث أربع سنين يبعث كل سنة عجلة عظيمة تدفن في نواح شتى .

وهو الذي عمل في أنديمس المدينة بيتا تدور به تماثيل لجميع العِلال ، وكتب
على رأس كل تمثال ما يصلح له من العلاج ، فانتفع الناس بها زمانا إلى أن
أفسدها بعض الملوك ضنًا بالحكمة . وعمل في هذه المدينة صورة امرأة مبتسمة
لا يراها مهموم إلا زال همه ونسيه ؛ وكان الناس يأتونها ويطوفون حولها
ثم عبدوها من بعد . وعمل تماثلا روحانيا من صُفر مُذهب بجناحين لا يمر به زان
ولا زانية إلا كشف عورته بيده ، وكان الناس يمتحنون به فامتنعوا من الزنا فرقا
منه ، واستمر كذلك إلى زمن كلكن الملك ؛ وذلك أن بعض نساؤه ، وكانت حظية
عنده ، عشقت رجلا من خدم الملك وخافت أن ينتمى إليه خبرها فيمتحنها بذلك
الصنم فيقتلها ، فأحتالت لذلك فخلا بها الملك في بعض الليالي ، وهما يشربان ،
فأخذت في ذكر الزواني وجعلت تسبهن وتذمهن ، فذكر الملك ذلك الصنم وما فيه
من المنافع للناس ، وما يستحق من عمله من الثناء والذكر الجميل ؛ فقالت المرأة :
إنه كذلك وقد صدق الملك ، غير أن متقاوش لم يُصب الرأي في أمره ؛ قال الملك :
وكيف قلت ذلك ؟ قالت : لأنه أتعب نفسه وحكاهه فيما جعله لصلاح العاقبة
دون نفسه ، وهذا أكبر العجز ؛ وإنما كان حُكم هذا التمثال أن يُنصب في دار
الملك حيث تكون نساؤه وجواريه ، فإن آقترفت إحداهن ذنبا علم بها فيكون رادعا
لهن متى عرض بقلوبهن شيء من الشهوة ؛ لأن شهواتهن أغلب وأكثر من شهوات
الرجال ؛ ولو حدث — وأعوذ بسعد الله الأعلى — في دار الملك شيء من هذا فأحب
امتجانه فضع نفسه وشاع في الخالص والعام أمره ، وإن عاقب بغير أمر يتحققه كان
متعديا آثما ، وإن لم يمتحنه صبر على المكروه . قال الملك : صدقت ، فكيف الوجه
في هذا الأمر؟ قالت : يأمر الملك بترع هذا الصنم من مكانه ونقله إلى داره ففعل
فبطل عمله ، وأمتحن فلم يصنع شيئا ، فعملت المرأة ما كانت همت به وأنهمكت فيه .

قال : ويقال : إن منقوش بنى هيكلًا للسحرة على جبل القصير وقدم عليه
رجلا منهم يقال له مسيس ، فكانوا لا يطلقون الرياح للراكب المقاعة إلا بصريبة
ياخذونها منهم للملك . وكان الملك إذا ركب عملوا بين يديه التخاييل العجيبة ، فيجتمع
الناس إليهم ويعجبون من أعمالهم ، وأمر أن يُبنى لهم هيكل للعبادة يكون لهم
خصوصا ، وجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب ، وجعل حولها أصناما
وعجائب ، وكان الملك يركب إليه ويقم سبعة أيام ، وجعل فيه عمودين زر عليهما
تاريخ الوقت الذي عُمل فيه ، وهما بعين شمس ، ونقل منقوش إلى عين شمس كنوزا
وجواهر وطمائم وعقاقير وعجائب ودفنها بها وبنواحيها .

قال : وكان منقوش قسم خراج البلاد أرباعا : فربع منه للملك خاصة يعمل
منه ما يريد ، وربع لأرزاق خدمه ، وربع ينفق في مصالح الأرض وما يحتاج إليه
من حفر ترعها وعمل جسورها وتقوية أهلها على العبارة ، وربع يدفن لحادثة تحدث
وحاجة تنزل . وكان خراج البلد في ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف دينار .
وهو مقسوم على مائة وثلاث كور بعدة الآلاف . وأقام ملكا إحدى وسبعين سنة ،
ومات من طاعون أصابه ، وقيل : من سم جعل له في طعامه ، وعُمل له ناووس
في صحراء المغرب ، وقيل : في غربي قوص ، ودفن معه من مصاحف الحكمة
والصنعة المعمولة وتمثيل الذهب والجوهر ، ومن الذهب المضروب شيء كثير ،
ودُفن معه روحاني الشمس من ذهب يلمع ، وله جناحان من زبرجد ، وصنم على
صورة أمراته التي كانت أحظى نسائه عنده وكان يحبها ، فأمر أن تُعمل صورتها

(١) التخاييل : هي التوهم بالحيل ، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني ، فيخيل للناظر أنها
بخلاف ماهي به ، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ، وراكب السفينة السائرة سيرا حقيقيا
يخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه .

في هياكلهم جميعا، فعمل له تماثلا من ذهب بذؤابتين من ذهب أسودا، وألبست
حلة من جواهر منظومة وجعلت جالسة على كرسي، فكانت تجعل بين يديه في موضع
تجلس فيه يتسلى بذلك عنها، فدُفنت معه عند رجله .

وملك بعده ابنه مناوش بن منقاوش، ملك بوصية من أبيه، فطلب الحكمة
على عادة أبيه وأستخرج كتبها وأكرم أهلها، وبذل فيهم الجوائز وطلب الإغراب
في عمل العجائب، وكان كل واحد من ملوكهم يجهد جهده في أن تعمل له غريبة
من الأعمال لم تعمل لمن كان قبله وتثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة في توار يخهم .

قال : ومناوش هذا أول من عبد البقر من أهل مصر، وكان السبب في ذلك أنه
اعتل علة يشس منه فيها، وأنه رأى في منامه صورة روحاني عظيم يخاطبه ويقول له :

إنك لا يخرجك من علك إلا عبادة البقر لأن الطالع كان وقت حلولها بك في صورة
ثور بقرين، ففعل ذلك، وأمر بأخذ ثور أبلق حسن الصورة، وعمل له مجلسا
في قصره وسقفه بقبة مذهبة، فكان يبخره ويطيب موضعه، ووكل به سادنا يقوم
به ويكنس تحته، وكان يتعبد له سرا من أهل مملكته، فبرأ من علة وعاد إلى
أحسن أحواله .

ويقال : إنه أول من عمل العجل وضبيها بالذهب، وعمل فيها قبايا من

الخشب المذهبة وفُرشت بأحسن الفرش، وكان يركب عليها مع من أحب . وقيل :

إنه عمل له ذلك في علة لأنه كان لا يقدر على الركوب، وكانت البقر تجزه فإذا مر

بالمكان التزه أقام فيه، وإن مر بالمكان الخراب أمر بعمارة . وقيل : إنه نظر إلى

ثور أبلق من البقر الذي يبخر بجملته فأعجبه حسن بشرته فأمر بترفيه وسوقه بين يديه

إلى كل موضع يسلكه إعجابا به، وجعل عليه جلا من الديباج المنسوج بالذهب، فلما

كان في بعض الأيام - وقد خلا في موضع منفرد عن أتباعه والثور قائم بين يديه -

إذ خاطبه الثور وقال: لو رفهني الملك عن السير معه وجعلني في الهيكل وعبدني وأمر أهل مملكته بعبادتي كقيته جميع ما يريد ، وعاونته على أمره ، وقوته في ملكه ، وأزلت عنه جميع عله ، فأرتاع لذلك وأمر بالشور أن يُغسل ويطيب وينظف ويدخل الهيكل ، وأمر بعبادته . وعُبد ذلك الثور مدة وصارت فيه آية أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل إلا أطراف ورق القصب الأخضر في كل شهر مرتين ، فأفتن الناس به وصار ذلك أصلا لعبادة البقر .

١٣٠

١٢

قال : وابنتي مناوش مواضع وكثر فيها كنوزا وأقام أعلاما . وبني في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا . قال : ويقال : إن هذه المدينة قائمة ، وإن قوما جازوا بها من نواحي الغرب وقد أضلوا الطريق فسمعوا بها عزيق الجحش ورأوا أضيواء نيرانهم . قال : وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور ، بعد مدة من عبادتهم له ، أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ، ويؤخذ من رأسه هو شعرات ، ومن ذنبه ومن نخاعة قرونه وأظلافه ، ويُعمل ذلك في التمثال ، وعرفهم أنه يَحِقُّ بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر [أحمر]^(٣) ويدفن في الهيكل ويُصب تمثاله عليه ، ويكون ذلك وزحل في شرفه والشمس مسعودة تنظر إليه من تثليث والقمر في الزيادة ، ويُنقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك ، وعملت الصورة من ذهب ملمع على شبه الثور ، وجعل له قرنان من ذهب وكُلًّا بأصناف الجواهر ، وجعلوا عينيه جرتين سوادا في بياض ، ودفن جسده الثور في الجرن الأحمر .

قال : وجعل في المدينة شجرة تُطلع كل لون من الفاكهة ، ومنارا في وسطها طولها ثمانون ذراعا ، وعلى رأسه قبة تتأون في كل يوم لونا حتى تمضي سبعة أيام

٢٠

(١) كذا في المقرئ (ج ١ ص ٢٣٨ طبع بلاق) . وفي الأصل : « وعرفة » .

(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « بعالمه فيجعلوا » . (٣) التكملة من المقرئ .

ثم تعود إلى اللون الأول فيكسو المدينة من تلك الألوان، وجعل حول المنار ماء شسقه إليه من النيل، وجعل في ذلك المساء سمكا من ذلك اللون، وجعل حول المدينة طلسمات رعوسها رعوس قردة وأبدانها أبدان الناس، كل واحد منها لدفع مضرة أو اجتلاب منفعة، وعمل على أبواب المدينة، وهي أربعة أبواب^(١)، على كل باب صنفا، ودفن تحت كل صنم كتزا من الكنوز؛ وباب كل واحد منها على قياس مائة ذراع منه إلى الجهة التي وجهه منصرف إليها، وكتب على كل واحد منها قربانه وبنجوره والوصول إليه، وأسكنها السحرة فكات تعرف بمدينة السحرة، ومنها كانت أصناف السحرة تخرج.

قال: وأقام مناوش في الملك سبعا وثلاثين سنة وهلك، وعمل له ناووس تحت الجبل الغربي، وجعل وصيته إلى أبنته من بعده هر ميس بن متقاوش، فملك إحدى عشرة سنة لم يبن بناينا ولا نصب متارا ولا عمل في أيامه أعجوبة حتى إنه لم يكن يذكر في عداد ملوكهم. فهذا ما أورده في أخبار قفطريم بن قبطيم وبنه على توالي وآساق فلنذكر أخبار أشمون.

ذكر أخبار أشمون ومن ملك من بنيه

هو أشمون بن قبطيم بن مضريم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام؛ وهو أخو قفطريم أبي الملوك الذين قدمنا ذكرهم. كان ملكه من أشمونيين إلى منف، ومن الشرق إلى البحر المسالخ، ومن الغرب إلى حدود برقة، وهو آخر حاد مصر.

(١) وفي المقرئ (ج ١ ص ١٣٨ طبع بلاق) في كلامه على أشمون بن قبطيم: أنها مدينة في سفح الجبل لها أربعة أبواب من كل ناحية باب، فعلى الباب الشرق صورة عقاب، وعلى الباب الغربي صورة ثور، وعلى الباب الشمالي صورة أسد، وعلى الباب الجنوبي صورة كلب، وفي هذه الصور روحانيات تنطق، فإذا قدم غريب لا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها ودفن تحت ... الخ.

- ومن الصعيد إلى حدّ أنجيم . وكان ينزل مدينة الأشمونين وله بُدَيْت وبأسمه
سُمِّيَتْ ، وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها . قال إبراهيم : وأشمون أول من اتخذ
الملاعب بأنصنا والبهنسا وغيرها ، وبني القصور وغرس الغروس ، وبني مدينة تُعرف
بِقَمَنْطَر ذات العجائب ، وهي بالقرب من مدينة السحرة التي تقدّم ذكرها في أخبار
منقاوش . قال : وفي وسط هذه المدينة قبة تُمطر شتاء وصيفا مطرا خفيفا ، وتحت
القبة مطهرة فيها ماء أخضر يُتداوى به من كل داء فيبرئه ، وفي شرقها سَرَب لطيف
له أربعة أبواب ، لكل باب منها عضادة صورة وجه يخاطب كل واحد منها صاحبه
بما يحدث في قومه ، ومن دخل تلك البربا على غير طهارة نفخوا عليه فأصابته علة
فظبيعة لا تفارقه إلى أن يموت . وكانوا يقولون إن في وسطه مهبط النور وهو
في صورة العمود ، من اعتنقه لم يحتجب عن نظره شيء من الروحانيات ، ويسمع
كلامهم ويرى ما يعملون ، وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب
في يده مصحف فيه علوم الكهنة ، فمن أحبّ ذلك العلم أتى تلك الصورة فمسحها
بسيديه وأمرهما على صدره ، فيثبت ذلك العلم في صدره . ويقال : إن هاتين
المدينتين قَمَنْطَر ومدينة السحرة بُنيتا على أسم هرْمَس وهو عطارد ، وأنهما بجالهما .
- قال : وحكى عن رجل أنه أتى عبد العزيز بن مروان ، وهو على مصر ، فعرفه
أنه تاه في صحراء الشرق وأنه وقع على مدينة خراب ، وأنه وجد فيها شجرة تحمل من
كل فاكهة ، وأنه أكل منها وتزوّد ، فقال له رجل من القبط : هذه إحدى مدينتي
هرْمَس وفيها كنوز كثيرة ، فوجه عبد العزيز معه جماعة وحمل معهم زادا وماء ،
فأقاموا يطوفون شهرا في تلك الصحارى فلم يقفوا لها على أثر . ويقال : إن أشمون
عمل في وقته على باب الأشمونين إوزة من نحاس ، فكان الغريب إذا دخل المدينة
صاحت الإوزة وخفقت بجناحها فيعلم به ، فإن أحبوا منعه ، وإن أحبوا تركوه .

قال : وفي أيامه كثرت الحيات فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها الأدوية والدرياقات ، ثم ساقوها بسحرهم إلى وادى الحيات في جبال لوبية ومراقية فسجنوها هناك . قال : وهو أول من عمل النوروز بمصر ورتبه سبعة أيام يدهنون فيها الأكل والشرب واللهو . وفي زمانه بُنيت البهنسا وأقام بها أسطوانات ، وجعل فيها مجلسا من رُجاج أصفر وعليه قبة مذهبة ، فكانت الشمس إذا طلعت على القبة ^(١) ألفت شعاعها على المدينة . وعمل فيها عجائب كثيرة يطول الشرح بذكرها .

قال : ويقال إن أشمون كان أول إخوته ملكا ، وكان أعدل بنى أبيه وأرغبهم في صنعة تبقّ ويبقى ذكرها . وهو الذى بنى المجالس المصقّعة بالزجاج الملون في وسط النيل . وترجم القبط أنه بنى سربا تحت الأرض من الأشمونيين إلى أنصنا تحت النيل . وقيل : إنه عمله لبناته لأنهن كنّ يميّزين إلى هيكل الشمس . وكان هذا السرب مبلط الأرض والحيطان والسقف بالزجاج النخين الملون . وقيل : إنه كان أطول إخوته ملكا . وقال أهل الأثر : إنه ملك ثمانمائة سنة ، وإن قوم عاد اترعوا منه الملك بعد ستمائة سنة من ملكه . وأقاموا تسعين سنة وأستوبسوا البلد فانتقلوا [إلى الدّينة من طريق الحجاز إلى وادى القرى فعمروها] ^(٢) واتخذوا [بها] المنازل ^(٢) والمصانع فسأط الله عليهم الذّر فأهلكهم ، وعاد ملك مصر إلى أشمون بعد خروجهم من البلد . ويقال : إنه ملكهم ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، ودُفن في أحد الأهرام الصّغار القبليّة . وقيل : بل حُمّل له ناووس في غربى الأشمونيين ودُفن معه فيه من الأموال والعجائب شىء كثير ، وأصنام الكواكب السبعة التى كانت في هيكل المرأة التى تُرى منها الأقاليم ، ودُفن معه ألف سرج من ذهب وفضة ، وعشرة آلاف

(١) فى المقرئى (ج ١ ص ٢٣٨ طبع بلاق) : « فإفوقها » .

(٢) التكلّة من المقرئى (ج ١ ص ٢٣٩) ، والدّينة : ناحية بين الهند وعدن .

خابية صغار من ذهب وفضة وزجاج ، وألف عقار مدبرة لفتنون الأعمال وزُبر عليه اسمه ومدّة مُلكه والوقت الذي مات فيه .

وأستخلف ابنه مناقيوس بن أشمون . وكان جَلداً محنّكا فاستأنف العجّارة وبني القرى ونصب الأعلام ، وجمع الحكمة ومصاحف الملوك والحكماء وعمل العجائب ، وبني لنفسه مدينة وأنفرد بها ، وعمل عليها حصنا ونصب عليه أربعة أعلام ، في كل ركن من أركانه علم ، وبين تلك الأعلام ثمانون صنما من نحاس وأخلاقا ، في أيديها آلات السلاح وزبر على صدرها آياتها .

قال : وكان بمنف رجل من أولاد الكهنة من أعلم الناس بالسحر وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع ، وكان يعلم الغلمان السحر فإذا حدقوا علم غيرهم ، فأمر الملك أن تُبنى له مدينة ويحوّل إليها قبنت ، وهي إنجم . وملك مناقيوس نيّفا وأربعين سنة ومات فُدفن في الهرم المخاذي لإطفيح ، وتُقل معه شيء كثير من المال والجواهر والآنية والتماثيل ، وزُبر عليه اسمه والوقت الذي مات فيه .

وملك بعده ابنه - ولم يُسمّه إبراهيم^(١) - فكان أحزم من أبيه ، فعظّم في عيون أهل مصر . وهو أوّل من عمل الميدان وأمر أصحابه برياضة أنفسهم فيه . وأوّل من عمل البيمارستانات لعلاج المرضى والزمنى وأودعها العقاقير ورُتب فيها الأطباء وأجرى عليهم ما يسعهم ، وأقام الأمان على ذلك ، وصنع لنفسه عيدا وسمّاه عيد الملك ، فكان الناس يجمعون إليه في يوم من السنة ، فيأكلون ويشربون

(١) هو إبراهيم بن القائم الكاتب مختصر كتاب العجائب الكبير الذي ألفه إبراهيم بن وصيف شاه

وهو الذي اعتمد عليه المؤلف في النقل في كلامه على ملوك مصر كما أشار إلى ذلك في أوّل هذا الجزء .

وقد رجعت إلى بعض المصادر التاريخية التي بأيدينا فلم توفق إلى معرفة اسم هذا الملك ، بل رأينا بعض المؤرخين ينكروا (راجع الهامش رقم ٢ ص ٤٤ ج ٣ من خطط المقرئ طبعه فينت) .

سبعة أيام وهو يُشرف عليهم في مجلس قد بُني له على عمد قد طوّقت ذهباً وألبست
فانحر الذهب المنسوج، وعليه قبة مصفحة من داخلها وخارجها بالذهب والزجاج
المسبوك، وكان يعطى كل قوم قسطهم من النظر ثم يُكثرون الدعاء له وينصرفون إلى
مواضعهم .

وفي أيامه بنيت مستنصرية^(١) في صحراء الواحات ، عملها من حجارة بيض
مربعة على تقدير واحد، وجعل في كل حائط من حيطانها باباً في وسطه شارع
يتهي إلى الحائط المجاور له من الجهة الأخرى، وجعل في كل شارع أبواباً يمتدة
وتيسرة تنتهي طرفاتها إلى داخل المدينة، وجعل في وسط هذه المدينة ملعباً يدور
به من كل ناحية سبع درج ، وعمل عليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة^(٢)
من رخام ، وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من صوان أسود يدور مع الشمس
بدورانها ، وبسائر نواحي القبة صور معلقة تصفر وتصيح بلغات مختلفة . وكان
الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك، وعلى
الدرجة الثانية رؤساء الكهنة [والوزراء]^(٣) ، وعلى الثالثة رؤساء الجيش ، وعلى الرابعة
أصحاب الفلاسفة والمنجمون والأطباء وأصحاب العلوم ، وعلى الخامسة أصحاب
العمارات ، وعلى السادسة أصحاب المهن ، وعلى السابعة العامة ؛ فيقال لكل طائفة
منهم : انظروا من دونكم ولا تنظروا من فوقكم ، فإنكم لا تلحقونهم . فكان في هذا
ضرب من التأديب .

قال : وكان لللك عدة نسوة ، وكان يحب منهن امرأتين ويتحفظهما ويجمع
بينهما في مجلس واحد ، فمال لإحديهما في بعض الأيام دون الأخرى ، فغارت

(١) مستنصرية، مدينة في غربي الفيوم دون فران السودان وهي آخر أعمال مصر .

(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « على خشب عظيمة من زجاج » وهو تحريف .

(٣) التكلة من المقرئ .

وغرّب عقلها وتناولت سكيناً ودخلت الى الملك وهو مغتر وتلك المرأة جالسة الى جنبه فضربتها بالسكين ، وقام الملك دونها ليمنعها منها فضربته على فؤاده فخر صريعاً ، وقُبض على المرأة وحُبست ، ومات الملك . وقد أوصى بقتل المرأة ووضع رأسها على ناووسه . ومدّة مُلكه ستون سنة .

- ٥ . وملك بعده ابنه مرقورة الملك ، فدخل عليه العطاء وهنّوه ودعّوا له بدوام المُلْك والنعمة ، وكان حازماً عاقلاً ، فأخذ في حُسن التدبير وتقويم العارة وترتيب المراتب ، وجعل لرأس الكهّان الحكومة في أمر الدّين . قال : وفي كتبهم أنه أوّل من ذلّل السباع بمصر وركبها . قال : وبني [المدن وعمّر^(١)] الهياكل وأقام الأصنام التي غرّبني منف ، وكان مُلكه نيّفًا وثلاثين سننة ، وعُمل له ناووس على طريق الغرب على مسافة يومين .

- ١٠ . وقدّ ابنه بلاطس بن مرقورة ، فملك وهو صبيّ ، وكانت أمه تدبّر الملك مع الوزراء والكهنة ، وكانت حازمة بجزّية ، فأجرت الأمور على ما كانت في حياة أبيه ، وأحسنّت الى الأولياء ، وعدت في الرعية ، ووضعت عنهم بعض الخراج فأحبّوها . وعملت في وقته البركة العظيمة في صحراء الغرب ، وجعل في وسطها عمود طوله ثلاثون ذراعاً ، في أعلاه قصعة من حجارة يفور منها الماء فهي لا تنقص أبداً ، وجعل حولها أصنام حجارة ملوّنة من كل صنف على صُور الحيوان والوحش والطير ، وكان كل جنس يأتي الى صورته وبالفها فيؤخذ ولا يدري .

قال : ولما ترعرع الملك أحبّ الصيد ولمّج به ، فعملت له أمه متزّها فيه مجالس مرّكة على أساطين من المرمر مصفّحة بالذهب ، عليها قباب مرصعة بالتصاوير

(١) التكملة من المقرري (ج ١ ص ١٣٨ طبع بلقي) .

العجيبة والنقوش المؤلفة، يطلع من تحتها الماء، في فوارات وتنصب الى أنهار مصفحة
 بالفضة تفيض الى حدائق فيها بدائع الفروس، عليها تماثيل تصفر بأصناف اللغات،
 ونُضدت بأنواع الفواكه، وأرخت عليها ستور الديباج المنسوجة بالذهب، وأختارت
 له من بنات الملوك الحسان وأزوجته ممنه، و بنت حول تلك الجنة مجالس يجلس
 فيها الوزراء والكهنة وأشرف أهل الصناعات يرفعون اليه ما يعملونه، فكان أكثر
 مقام الملك في تلك الجنة، فإذا فرغوا من أعمالهم نُقل اليهم الطعام والشراب من
 مطبخه، ولا يزالون في أكل وشرب بقية يومهم وليتهم، وأقاموا على ذلك والأمور
 جارية على السداد.

وكانت أيامه سعيدة كثيرة الخصب والسعة للناس والعدل فيهم والإحسان
 اليهم. وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لمن معه بالحوائر
 والأطعمة والأشربة، ويجلس يوما للناس فينظر في أمورهم ومصالحهم ويقضى
 حوائجهم، ويجلس يوما للخلوة بنسائه، ثم جدر فمات، وعمل له ناووس في جنته
 وجعل فيه من الأموال والجواهر والصنعة والتماثيل كما كان يجعل لأبائه. وكان
 ملكه ثلاث عشرة سنة، وانتقل الملك إلى أعمامه.

ذكر أخبار أتريب الملك

هو أتريب بن قبطيم بن مصرم بن بيضر بن حام بن نوح عليه السلام. قال:
 وكان أتريب قد انتقل إلى حيزه بعد وفاة أبيه قبطيم، وهي المدينة التي كان أبوه
 بناها له، وكان طولها اثني عشر ميلا، ولها اثنا عشر بابا، وفي شارعها الأعظم
 ثلاث قباب عالية على عمد بعضها فوق بعض، منها قبة في وسط المدينة، وقبتان
 في طرفيها، وجعل على كل ركن منها مرقبا كبيرا يُوقد ليلا، وعلى كل باب من أبوابها

حرسا كثيرا، وجعل في كل جانب منها ملعبا ومجالس ومنتزهات تشرف من تلك
المجالس عليها، وشق في عرضها نهرا وعمل عليه قناطر معقودة، وبني فوقها مجالس
يتصل بعضها ببعض، وجعل حوله منازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض
مزروعة وخلفها الأجنحة والبساتين؛ وعلى كل باب من أبوابها أعجوبة من تماثيل
وأصنام متحركة وأصنام ينبع الماء من آذانها، ومن داخل كل باب صورة شيطانيين
من صُفر، فكان إذا قصدوا أحد من أهل الحير فهقه الشيطان الذي عن يمينه
الباب، وإن كان من أهل الريب بكى الشيطان الذي عن يسرة الباب، وجعل
في كل متزه منها من الوحوش الآلفة والطيور المغزدة كل مستحسن، وجعل فوق
قباب المدينة صوراً تصفر إذا هبت الرياح، ونصب له فيها مرايا ترى البسندان
البعيدة والعجائب الغريبة، وبني حذاءها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب
وأصناما بارزة كثيرة في خلق مختلفة، وجعل في وسطها بركة إذا مر بها الطير سقط
عليها فلا يبرح حتى يؤخذ، وجعل لها حصنا [بأثنى عشر بابا] وجعل على كل
باب من أبوابها تماثلا يعمل أعجوبة وعمل حولها أجنحة، وجعل ما يقرب منها من
ناحية الشرق مجلسا منقوشا على ثمانى أساطين، وفوق المجلس قبة عليها طائر منشور
الحناحين يصفر كل يوم ثلاث صقرات : بكرة، ونصف النهار، وعند الغروب،
وأقام فيها أصناما وعجائب كثيرة، وبني مدنا كثيرة وأكثر من العمارات، وأقام رجلا
يقال له برسان يعمل الكيمياء، وضرب منها دنانير، في كل دينار سبعة مثاقيل عليها
صورته، وعمل منها تماثيل كثيرة. وعاش أتريب في الملك ثلاثمائة سنة وستين سنة،

(١) في المقرئى (ج ١ ص ١٧٥ طبع بلاق) : « غريبا » .

(٢) في المقرئى : « الشر » .

(٣) التكملة من المقرئى (ج ١ ص ١٧٦ طبع بلاق) : « ... » .

وكانت سنه خمسمائة سنة . وعمل له ناووس في جبل بالشرق حُفَر [له]^(١) تحته سَرَب
بُطْن بالزجاج [والمرمر]^(١) وجعل على سرير من ذهب [مرصع]^(١) وحملت إليه ذخائره ،
وجعل على بابه صورة تين لا يدنو منه أحد إلا أهلكه ، وزبر عليه اسمه وتاريخ
وقته ، وسفوا عليه الرمال .

وملكت بعده أبنته [تدرورة]^(٢) فدبرت الملك وسامته بأيد وقوة نحسا وثلاثين
سنة ثم ماتت .

فقام بالملك بعدها أخوها فليمون بن أتريب ، فردّ الوزراء إلى مراتبهم ،
وأقام الكهان [على مواضعهم]^(٣) ولم يخرج الأمر عن رأيهم ، وجدّ في العمارات وطلب
الحكم وعمل بها . وفي أيامه بُنيت تيس الأولى التي غرقها البحر ، وكان بينها وبين
البحر شئ كثير ، وحولها الزروع والأشجار والكروم والقري ومعاصر الخمر وغيرها
وعمارة لم يكن أحسن منها ، فأمر الملك أن يُبنى له [في]^(٤) وسطها مجالس ، ويُنصب
له عليها قباب ، وترين بأحسن الزينة والنقوش ، وأمر بفرشها وإصلاحها ، وكان
إذا بدأ النيل في الزيادة انتقل الملك إليها فأقام بها إلى التوروز ورجع . وكان للملك
بها أمناء يقسمون المياه ويُعطون كل قرية قسطها ، وكان على تلك القرى حصن
يدور بقناطر ، وكان كل ملك يأتي بأمر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له متمزها .

(١) التكلة من المقرزي (ج ١ ص ١٧٦) . (٢) التكلة من المقرزي (ج ١ ص ١٣٨) ،
ووصف هذه الملكة بقوله : « وكانت كاهنة ساحرة ، فساست الملك أحسن سياسة ، ودبرت الملك أجود
تدبير ، وعملت طلبات مجيبة ، منها طلسم منع الوحش والطيور أن يشرب من النيل حتى مات أكثرها عطشا ،
ورفعت في زمانها صبة ارتجت لها الأرض فهلكت » . (٣) في المقرزي (ج ١ ص ١٧٦) :
« ابن أختها » . (٤) في المقرزي : « فليمون » بالقاف . (٥) التكلة من المقرزي
(ج ١ ص ١٧٦) .

ويقال: إن الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه كانتا لأخوين من أهل بيت الملك أقطعهما الملك ذلك الموضع . وقد تقدم ذكر خبرهما عند ذكرنا بحيرة تنييس^(١) ، وهو في الباب السادس من القسم الرابع من الفن الأول في ذكر البحار والجزائر وهو في السفر الأول من كتابنا هذا .

- قال : وفي زمان فليمون بُنيت دمياط على أمم غلام له كانت أمه ساحرة لفليمون . قال : وملك فليمون تسعين سنة ، وعمل لنفسه ناووسا في الجبل الشرقي ، وحول إليه من الأموال والجواهر وسائر الذخائر شيئا كثيرا ، وجعل من داخله تماثيل تدور بلوالب في أيديها سيوف فمن دخلها قطعته بسيوفها . وجعل عن يمينه ويساره أسدين من نحاس مذهب بلوالب أيضا فمن دنا منهما حطماه ، وزبر على الناووس : هذا قبر فليمون بن أتريب بن قبطيم بن مصريم ، عمر عمرا ، وبقى دهرا ، وأتاه الموت فما أستطاع له دفعا ، فمن وصل إليه فلا يسلبه ما عليه ، وليأخذ مما بين يديه .

- وصار الملك بعده إلى ابنه قرسون بن فليمون ، وجلس على سرير الملك ، ودخل إليه عطاء أهل البلد والخاص والعام فهنئوه بالملك ، فتقدم في أمر الهياكل والكهنة وطلب الحكمة ، وكان حدنا جميلا فعشقتة إحدى نساء أبيه ، وكانت تتولى طيبة^(٢) وتزعم أن أباه أمرها بذلك ، ثم بعثت إلى ساحرة من أعلم السحرة بمنف^(٣)

- (١) راجع (ج ١ ص ٢٥٢ من هذه الطبعة) .
 (٢) طيبة : هي تيبة عاصمة الصعيد في أيام الفراعنة وذات المسافة باب ، وفي بعض مكانها الآن مدينة الأقصر أو قصور أبي المهاج (راجع قاموس الجغرافية القديمة للرحوم أحمد زكي باشا) .
 (٣) منف : هو الاسم العربي لعاصمة مصر في أيام الفراعنة ، وتسمى عند اليونان منفيس ، وعند قدماء المصريين مانوفري ، وفي بعض محلها الآن قرية بيت رهيبة بالجزيرة . (راجع قاموس الجغرافية القديمة) .

١٣٤
١٢

فسألتها أن تسحره لها وبذلت لها على ذلك أموالا ، وإذا الساحرة قد عشقته أشد من عشقها ، فسعت بامرأة أبيه وعزفته ما بذلت لها على ذلك ، فأبعدها عن مجلسه ومنعها من الدخول إليه .

وبلغ ملكا من ملوك حمير أن ملك مصر صار إلى غلام حدث غر فطمع فيه وسار إليه في جموع عظيمة ، فخرج قرسون نحوه فالتقوا بأيلة وأقتلوا قتالا شديدا حتى تفانى الفريقان ، فأتت تلك الساحرة إلى الملك فقالت : ما تجعل لي إن أعنتك على عدوك حتى تفض جموعه وتظفر به ؟ قال حُكْمِك ؛ فأخذت عليه بذلك اليهود والمواثيق ، وأصبحوا للحرب فدخنت الساحرة بدخن عجيبة وأظهرت تخاييل هائلة ، فهرب الحميري في نفر يسير من ثقاته ، وقتل بقية أصحابه ، وحاز جميع ما كان في خزائهم ، وعاد الملك إلى منف بالظفر والغنيمة ، فأنته الساحرة فسألته الوفاء بالشرط فقال : احتكى ما أحببت ، فهذه الأموال والخزائن بين يديك ؛ فقالت : ما أريد غير الملك ؛ فقال : ويحك ! إنك لست من أهل بيت الملك ، وقد علمت ما في هذا على الملك ؛ فقالت : قد كان الملوك قبلك يغضبون نساء الناس ويلدن منهم ولا يسألون عن ولاداتهم ، وأنا أبنة فلان رئيس الكهنة ، ويوشك أن يحتاج الملك إلى بعد هذا . ولم تزل به حتى انصرف قلبه إليها ، فترجها وأحبها وحظيت عنده . فضاقت الأرض بامرأة أبيه فأخذت في أعمال الحيلة عليها ؛ فدست جارية لها عاقلة لطيفة على ساق الملك الذي يتولى شرايه ، فاختلطت بجواريه حتى

(١) أيلة : فرضه على خليج العقبة ، سميت باسم أيلة بن مدين بن إبراهيم عليه السلام ، كانت مدينة شهيرة في الأزمان الخالية ، وفيها قلعة شيدها أحد بن طولون صاحب مصر ، وفي جنوبها على ساحل بلاد العرب كانت مدينة أز يونجابر القديمة . وخليج أيلة ، أو العقبة ، يعبرف في كتب اليونان باسم : « إلاتيك » . (راجع معجم الخريطة التاريخية الإسلامية للرحوم أمين واصف بك) .

تمكنت من إناء كان فيه شرابٌ للملك فألقت فيه سماً وعادت في الوقت إلى مولاتها وأخبرتها ، فدخلت إلى الملك فسجدت له وقالت : قد كنتُ للملك ناصحة ، وعليه مشفقة ، فأقصاني وأختص هذه الساحرة الفاجرة ، وقد ستمت شرابه في إناء من صفته كذا وكذا ، فليسقتها الملك منه ليعلم صدقي ؛ فمدعا الملك بالإناء فوجده على ما ذكرت ، فأحضر الساحرة وأمرها بشرب قدح منه فشربته ولم تعلم ما فيه فسقط لحمها عن عظمها ، فأمر بدفنها في ناووس وزبر عليه أسمها وما همت به وما صار أمرها إليه ، وعاد إلى امرأة أبيه وتزوج بها وحسنت حالها عنده .

قال : وفي أيامه عمل المنار على بحر القلزم^(١) وجعلت على رأسه امرأة من أخلاط تجتذب المراكب على شاطئ البحر ، فلا يمكنها أن تبرح أو تعشر ، فإذا عشت سترت المرأة فتجوز المراكب .

قال : وأقام قرسون ملكا مائتين وستين سنة ؛ وقد كان عمل لنفسه ناووسا خلف الجبل الأسود الشرقي ، وجعل في وسطه قبة فيها اثني عشر بيتا ، في كل بيت أعجوبة لا تشبه الأخرى ، وزبر عليها اسمه ومدة ملكه . قال : وملك بعده ثلاثة وأربعة . فهؤلاء الذين ستمهم من أولاد أتريب ممن ملك منهم . والله أعلم .

(١) هو الآن البحر الأحمر .

(٢) هنا ينتهي السفر الثاني عشر من هذا الكتاب من تجزئة الأصل من النسختين المأخوذتين بالتصوير الشمسي المحفوظتين بدار الكتب المصرية تحت رقمي ٥٤٧ ، ٥٥١ معارف عامة . وصورة ماجا . في آخر هذا السفر من النسخة الأولى : « كل الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري في أواسط شهر ربيع الأول من شهر سنة سبع وستين وقصعائة على يد كاتبه أقسر الخلق إلى رحمة الحق نور الدين بن شرف الدين العاملي "بلدا الشافعي" مذهبا غفر الله له ولوالديه ولمن يقرأ له الفاتحة ويهديها للنبي "ثم له آمين" . وصورة ماورد في النسخة الثانية : « كل الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التيمي القرشي المعروف بالنويري عفا الله عنهم . يسألوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الثالث عشر منه ذكر أخبار صا بن قبطيم بن مصرم بن يعمر ابن حام بن نوح عليه السلام .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

١
١٣

(١) ذكر أخبار صا بن قبطيم بن مصر يم بن بيصر بن حام

أبن نوح عليه السلام

قال: ولما قسم قبطيم الأرض بين بنيه الأربعة كما تقدم وانتقل كل واحد منهم إلى حيزه، خرج صا بأهله وولده وحشمه إلى حيزه، وهو بلد البحيرة وما يليها إلى برقة، ونزل مدينة صا، وذلك قبل أن تُبنى الإسكندرية. وكان صا أصغر ولد أبيه وأحبهم إليه، فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارة، وبني المدائن والبلدان والهياكل، وعمل في إظهار العجائب كما صنع إخوته، وطلب الزيادة في ذلك. وكان مرهون الهندى (٢) صاحب بنائه، فبنى له من حد صا إلى حد لوبية ومراقبة على بحر أعلاما، وجعل على رؤوس تلك الأعلام مرايا من أخلاط شتى: فكان منها ما يمنع من دواب البحر وأذاهم، ومنها ما إذا قصدهم عدو من الجزائر الداخلة وأصابها الشمس ألفت شعاعها على مراكبهم فأحرقتها، ومنها ما يرى المدائن التي تجاورهم من عدوة البحر وما يعملها أهلها، ومنها ما ينظر منها إلى إقليم مصر فيعلم ما يخصب وما يجذب منه في كل سنة. وجعل فيها حمامات تُوقد من نفسها ومستشرفات. وكان كل يوم في موضع منها بمن يخصه من حشمه وخدمه، وجعل حولها بساتين وسرح فيها الطيور المغزدة والوحش المستوحش والمستأنس والأنهار المطردة والرياض المونقة،

(١) أول الجزء الثالث عشر من تجزئة الأصل. وكتب المرحوم أحمد زكي باشا في أول هذا الجزء من نسخة ب ما نصه: « يظهر لي أن هذا الجزء كتب في أيام المؤلف، وفي آخره عبارة هذا نصها: "بلغ مؤلفه مقابته بأصله واحمد لله" وهي بخط المؤلف كما يظهر من مضاهاتها بالأجزاء الأخرى المكتوبة بخطه ».

(٢) كذا في المقرئى (ج ١ ص ١٨٢ طبع بلاق) ونسخة (ب) وفي نسخة (أ): « مرهوب ».

(٣) كذا في الأصل والمقرئى. وفي تعليقات المقرئى (ج ٣ ص ٢١٨ طبعة فييت): « المهندس ».

(٤) في المقرئى طبعة فييت: « صاحب يابه ».

وجعل شرف القصر من حجارة ملونة تلمع إذا أصابتها الشمس فتشع شعاعها على ما حولها ؛ ولم يدع شيئا من آلة النعمة والرفاهية إلا استعمله . فكانت العمارة ممتدة إلى برقة في رمال من رشيد إلى الإسكندرية إلى برقة . وكان الرجل يسافر في أرض مصر لا يحتاج إلى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ، ولا يسير إلا في ظلال تستره من الشمس . وعمل في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا ، وساق إليها من النيل أنهارا . وكان يسلك من الجانب الغربي إلى حدّ الغرب في عمارة متصلة .

قال : فلما أنقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى ونحرت تلك المنازل وباد أهلها . قال : ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رأى فيها من الآثار والعجائب .

قال : ومن ملوكهم مرقونس ؛ وكان [فاضلا] ^(١) حكيما ، محبا للنجوم والحكمة ، فعمل في أيامه درهم إذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط أن يزن له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة ، فيغتر البائع بذلك ويقبل الشرط ، فإذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم أرتال كثيرة تساوى عشرة أضعافه ، وإن أحب أن يدخل في وزنه أضعاف تلك الأرتال دخل . قال : وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم في أيام بنى أمية ، فكان الناس يتعجبون منه . وقد كانوا وجدوا درهما آخر قيل إنه عمل في وقته أيضا يكون في ميزان الرجل ، فإذا أراد أن يبتاع حاجة أخذ الدرهم من ميزانه وقبله وقال : اذكر العهد ، ومضى فأبتاع به ما أراد ، فإذا أخذ السلعة ومضى إلى بيته

٢
١٣

(١) التكلة من المقرزى (ج ١ ص ١٣٩ طبع بلاق) .

(٢) فى المقرزى (ج ١ ص ٣٤) « وقيلة » .

وجد الدرهم قد سبقه إلى منزله ، ووجد البائع حيث وضعه ورقة آس أو قرطاس أو مثل ذلك بدور الدرهم^(١) .

وقيل : إن في وقته عُملت الآنية الزجاج التي تُوزَن ، فإذا مُلئت [ثم^(٢)] وُزنت لم تزد على وزنها الأول شيئا ، وهي تحمل من الماء بوزنها . وعُمِل أيضا في وقته الآنية التي إذا جُعل الماء فيها صار نحرا في لونه ورائحته وسكره . قال : وقد وُجد من هذه الآنية بإطفيح في إمارة هارون بن نُحارويه بن أحمد ابن طولون شربة جُزج^(٣) بعُروة زرقاء بياض . وكان الذي وجدها أبو الحسن [الصائغ] الخراساني هو ونقر^(٤) معه ، فجلسوا أيا كوا على عبْر النيل وشرَبوا الماء بها فوجدوه نحرا فسكروا منه ورقصوا ، فوقعت الشربة فأنكسرت على عدّة قطع ، فاغتم الرجل وجاء بها إلى هارون مكسورة ، فأسف عليها وقال : لو كانت صحيحة لأشتريتها ببعض مُلكي .

وفي أيامه عُملت الصورة الحتمية من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب وسائر الحشرات ، فكانت إذا جُعلت في موضع من المواضع آجتماع إليها ذلك الجلس بعينه ولا يقدر أن يفارقها حتى يُقتل . وعمل في صحراء الغرب ملعبا من زجاج ملون ، وجعل في وسطه قبة من الزجاج خضراء صافية اللون ، وكانت إذا طلعت عليها الشمس ألقّت شعاعها على المواضع البعيدة . وعمل من أربع جهاته أربعة مواضع عالية من الزجاج ، كلّ مجلس منها بلون ، ونقش كلّ مجلس منها بما

(١) كذا في الأصل والمقرئ . وفي تعليقات المقرئ (ج ١ ص ١٥٠ طبعة فييت) : « بدون » .
 (٢) التكلة من المقرئ . (٣) إطفيح : هي الآن إحدى بلاد مركز الصف بمديرية الحيرة .
 وهارون بن نحارويه ولي مصر في اليوم العاشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين .
 (٤) سمي جزعا لأنه مقطوع بألوان مختلفة ، أي قطع سواده بياضه وصفرتة . (٥) التكلة من المقرئ (ج ١ ص ٣٤ طبع بلاق) . (٦) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « الدبابات » .

يخالف لونه من الطلسمات العجيبة والنقوش الغريبة والصور البديعة ؛ كل ذلك من زجاج مطابق يَشْف . وكان يقصد هذا الملعب ويُقيم فيه الأيام الكثيرة . وعمل له ثلاثة أعياد في كل سنة ، فكانوا يحجّون إليه ويدبحون له ويقيمون فيه سبعة أيام ؛ فلم يزل ذلك الملعب بحاله تقصده الأمم لتنظر إليه لأنه لم يكن له نظير ولا شكل ، ولا عمل [في العالم ^(١)] مثله إلى أن هدمه بعض الملوك لأنه تعاطى مثله . فلم يقدر على ذلك .

وكانت أم مرقونس ابنة ملك النوبة ، وكان أبوها يعبد نجما يقال له السُّها ، ويسميه إلهًا ، فسألت أبنا أن يعمل لها هيكلًا ويفردها به ، فعمله لها وصفحته بالذهب والفضة [وأقام فيه صنما ^(١)] وأرخت عليه ستور الحرير ، فكانت تدخل إليه مع جواريتها وحشيمها وتسجد له كل يوم ثلاث مرّات . وعملت في كل شهر عيدا ١٠ تقرب له فيه القرابين وتبخره ليله ونهاره ، ونصبت له كاهنا من النوبة فكان يقوم به ويتخّر [ه] ويقرب [له] ، ولم تزل بأبنا حتى سجد له ودعا الناس إلى عبادته .

قال : ولما رأى الكاهن أن الأمر قد أحكم له من جهة الملك في عبادة الكواكب ، أحب أن يكون له مثالا في الأرض على صورة شيء من الحيوان يتعبده ليكون حذاء عينيه ؛ فأقام يعمل الحيلة في ذلك إلى أن آنفق بمصر كثرة العقبان ١٥ حتى أضرت بالناس ، فأحضره الملك وسأله عن كثرتها فقال : إن إلهك أرسلها لتعمل له نظيرا يسجد له . فقال الملك : إن كان ذلك يرضيه فأفعله ، فعمل تمثال عُقاب طوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب مسبوك ، وعمل عينيه من ياقوتتين ،

(١) التكلفة من المقرزي (ج ١ ص ٣٥ طبع بلاق) .

(٢) كذا في المقرزي . وفي الأصل : « ويفرده » .

وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على أنابيب جواهر [أخضر ^(١)]، وجعل في منقاره
 كرة معلقة وسرّوله بأدرك أحمر ، وأقامه على قاعدة [من ^(٢)] فضة منقوشة ، وربّها
 على قائمة زجاج أزرق ، وجعله في أزج عن يمين الهيكل ، وألقى عليه ستور الحرير ،
 وجعل [له] دُخنة معمولة من جميع الأفاويه والصمغ ، وقرب له بعجل أسود وبكارة
 الفراريج وبوا كبير الفواكه والرياحين . فلما تمت له سبعة أيام دعاهم إلى السجود له
 فأجابوه . ولم يزل [الكاهن ^(٣)] يُجهد نفسه في عبادته ، وعمل له عيداً دعاهم فيه إلى
 أن يتخلّله في أنصاف الشهور بالمتدل وترش الهياكل بالخمير العتيقة [التي تؤخذ ^(٤)]
 من رءوس الجوابي ، ونطق لهم العقاب وعرفهم أنه أزال عنهم العقبان وضررها ؛
 وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون ؛ فسُرّ الكاهن بذلك ووجهه إلى أم الملك فعرفها
 ذلك فصارت إلى الهيكل ، فلما سمعت كلام العقاب سرّها ذلك وأعظمته ، وبلغ
 الملك خبره فركب إلى الهيكل حتى خاطبه وأمره ونهاه ، فسجد له وأقام له سدنة
 وأمر أن يزین بأصناف الزينة ، وكان الملك يقوم بذلك الهيكل ويسجد لتلك
 الصورة ويسألها عما يريد فتخبره .

وعمل من الكيمياء والذهب ما لم يعمله أحد من الملوك . فيقال : إنه دقن
 في صحراء الغرب نحسماً دفين . ويقال : إنه عمل على باب صا عموداً وجعل
 عليه صنماً في صورة امرأة جالسة وفي يدها مرآة ينظر فيها العليل [أو ينظر له
 أحد فيها ^(١)] فإن كان يموت رآه ميتاً ، وإن كان يعيش رآه حياً ؛ والمسافر ، فإن كان
 مُقبلاً بوجهه علموا أنه راجع ، وإن رآه مولياً علموا أنه متماد ، وإن كان مريضاً
 أو ميتاً رأوه كذلك . وعمل بالإسكندرية صورة راهب جالس على قاعدة وعلى

(١) التكملة من المقرئ (ج ١ ص ٣٥) . (٢) في المقرئ : « دزة » . (٣) كذا في المقرئ .
 وفي الأصل : « الجوابي » . (٤) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « أحب » .

- (١) رأسه كالبرنس وفي يده كالعكاز إذا مرّ به رجل تاجر جعل بين يديه شيئا من الذهب على قدر بضاعته، وإن حاذاه عن بُعد ولم يفعل ذلك لم يقدر على الجواز ويبيت قائما مكانه، فكان يجتمع من ذلك مالٌ عظيم يفترق في الزماني والفقراء.
- وعمل في وقته كل أعجوبة طريفة، وأمر أن يُزبرَ اسمه عليها وعلى كل علم وكل طِّسَم وصنم. وعمل لنفسه ناووسا في داخل أرض الغرب عند جبل يقال له سدّام، وعمل تحته رحى طولها مائة ذراع في ارتفاع ثلاثين ذراعا في عرض عشرين ذراعا، وصفحه بالمرمر والزجاج الملون المسبوك وسقفه بالمحجارة الصافية، وعمل فيما دار به مصاطب لطافا مبلطة بالزجاج، وعمل على كل مصطبة فيها أعجوبة وتمثالا مما عمل في وقته، وعمل في وسط الأزج دكة من زجاج ملون، على كل ركن من أركانها صورة تمنع من الدق إليها، وبين كل صورتين كالمنازة عليها حجر مضيء، وجعل في وسط الدكة حوضا من ذهب يكون جسده فيه بعد تضميده بالأدوية المسككة، ونقل إليه ذخائره من الجواهر والذهب وغير ذلك، وأمر أن يُسَدَّ باب الأزج بالصخور والرصاص وتُهال عليه الرمال. وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة، وعمره مائتين وأربعين سنة، وكان جميلا ذا وقرة حسنة فنسكت عاقمة نسائه بعده ولزمن الهيكل.

١٥ وعهد بالملك إلى أبنيه أنساد بن مرقونس، فملك بعد أبيه وهو غلام ابن خمس وأربعين سنة، وكان مُعجبا جبارا طّاح العين، فنكح امرأة من نساء أبيه وأنكشف أمره معها، وكان أكبرهمه اللهو واللعب، فجمع كل مله كان في مملكته وقصده كل من هذه سبيله، وجعل تدير الملك إلى وزير له يقال له

٢٠ (١) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « كالريش » .

(٢) في المقرئى : « تجاوزه » .

مسرور ، ورفض العلوم والهياكل والكهنسة والنظر في أمور الناس . وعمل
 قصورا من خشب عليها قباب من خشب منقوشة مموهة وجعلها على أطواف
 في النيل ، فكان يشرب عليها مع من يجبه من نسائه وخدمه ومن يليه .
 وعمل تجلا في البر وحمل عليها الأروقة المذهبة وفرشها بفانحر الفرش ، فكان يتره
 عليها ويجزها البقر ويقم في زهته شهورا لا يتر بموضع نزه إلا أقام فيه أياما . وولد
 من الشجر توليدا كثيرا . وأستفد أكثر ما في خزائن أبيه بلخوائز الملهين والنفقات
 في غير وجهه . فلما أسرف في ذلك اجتمع الناس إلى وزيره فأنكروا عليه حاله وسألوه
 مسألته والمشورة عليه أن يقع عما هو عليه فضمن لهم ذلك ، وفاوضه فيه فلم ينته
 عنه ، وسلط أصحابه على الناس فأساءوا إليهم وأضروا بهم . وخرج في بعض الأيام
 إلى متنة كان له قد صفح مجالسه بصفايح الذهب والفضة ، وغريب الزجاج الملون ،
 والجواهر المخروطة ، والصهاريج المرنحة الملقونة ، وأمال إليه المياه ، وغرس فيه
 الرياحين والثمار ، وفرش مجالسه بأصناف الفرش ؛ وكان إذا أحب أن يخلو بامرأة
 من نسائه خلا بها هناك ؛ فإنه في ذلك المكان ، وقد أقام به أياما ، إذ خرج غلام
 لبعض حرمه فأتى بعض التجار في حاجة أراد أخذها بغير ثمن ، فمنعه التجار منها ،
 فوشب بهم فضربوه حتى أسالوا دمه وحمل ، وأتصل الخبر بالوزير وصاحب الجيش
 فركبا إلى الموضع وأنكرا على الناس فأغلظوا لها ، فأنصرفا وعرفا الملك الخبر ،
 فأراهما أنه لم يحفل بذلك ، وأمر بالنداء في الناس من تعترض لكم من خدم الملك
 وأصحابه بأذى فأقتلوه ، فشكره الناس وحمدوا فعله على ذلك ، وتواصوا بالوثوب
 على أصحابه ، حتى إذا مضى لذلك أسبوع وجه الملك إلى الوزير وصاحب الجيش
 فعترفهما أنه قد عزم على الركوب إلى صحراء الغرب يتصيد هناك ، وأمر أن يركب
 معه الجيش ويتروا لثلاثة أيام ففعلوا ، وخرج إلى البرية فسار حتى إذا اختلط

الظلام رجع الجيش حتى وافي باب المدينة ، وأمر أصحابه أن يضعوا السيف في الناس فقتلوا خلقا كثيرا ، ثم أمر أن ينادى : هذا جزاء من أقدم على الملوك من رعاياهم وأصحاب مهتهم ، وأحرب الموضوع الذي ضرب فيه الغلام ، فاستغاث به الناس ، فتقدم إلى وزيره أن يطرح نفسه بين يديه ويسأله فيهم ، ففعل وأقنهم وقال : من عاد إلى مثل ما كان فقد حل لنا دمه ، فدعوا له وأنصرفوا . ثم احتجب عن الناس وأستخف بالكهنة والهبيا كل فأبغضته العامة والخاصة وبقوا الغوائل فأحتال عليه خاصته بطباخه وساقية فسماه وهو ابن مائة وعشرين سنة فمات .

وصار الملك من بعده إلى ابنه صبا بن أنساد بن مرقونس ، قال : وأكثر القبط تزعم أن صبا بن مرقونس أخو أنساد . فملك وهتأه الناس ، فوعدهم بالعدل فيهم ، والإحسان إليهم ، وحسن النظر لهم ، وسكن منف وحكم الأحياز كلها ، وعمل بها عجائب وطلسمات ، وزد الكهنة إلى مراتبهم ، ونفى الملتهين وأهل الشر ممن كان يصحب أخاه ، ونصب العقاب الذي كان أبوه عمله ، وشرف هيكله ودعا إليه . وعمل في منف مرآة كان يرى منها ما ينجب من بلده وما يجذب . وبني بداخل الواحات مدينة غرس حولها نخلا كثيرا . ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة . وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة ، فكان كل من تعذر عليه أمر يأتيه فيبيخره فيتيسر عليه ذلك الأمر . وجعل على أطراف مصر أصحاب أخبار يرفعون إليه ما يجري في حدودهم . وعمل على غربي النيل منائر يوقد عليها إذا قصدهم قاصد أو ناهبهم أمر . ويقال : إنه بنى أكثر منف وكل بنيان عظيم بالإسكندرية . قال : وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء إليه ونظر في النجوم — وكان بها

حاذقا — فرأى أن بلده لا بد أن تغرق بالطوفان من نيلها ، ورأى أنها تخرب على (١) وورد في المقرئ (ج ١ ص ١٥٥ طبعه فييت) بعد هذا ما نصه : « وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه أمر البحر وما يحدث فيه من أقصى ما يصل إليه البصر على مسيرة أيام وهو أول من اتخذها » .

يد رجل [يأتي^(١)] من ناحية الشام ، بجمع كل فاعل بمصر وبني في الواح الأقصى مدينة جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها جميع الحكيم والأموال .

وبني المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني أمية ، وكان قد أخذ على الواح الأقصى ، وكان عنده علم منها ، وأقام سبعة أيام يسير في رمال وصحارى سمّت الغرب والجنوب إلى أن ظهرت له مدينة عليها حصن وأبواب حديد ، فأصعد إليها الرجال ليقفوا على ما فيها لما لم يمكنه فتح أبوابها ، ولغلبة الرمال على ما حولها ، فكانوا إذا علوا الحصن وأشرفوا عليها وشبوا إليها ، وعرض حصنها عشرون ذراعا ، فلما أعياه أمرها تركها ومضى ، فهلك في تلك الطريق جماعة من أصحابه . فلم يُسمع بأحد بعد موسى بن نصير ولا قبله وقع عليها .

قال : وفي تلك الصحارى أكثر متزهاتهم ومدائنهم العجيبة ؛ إلا أن الرمال غلبت عليها . ولم يبق بمصر ملك إلا وقد عمل للرمال دفعا ثم تفسد طلسماتهم على تقادم الأيام .

(١) التكملة من المقرئى (ج ٣ ص ٤٨ طبعة فييت) .

(٢) هذه المدينة تسمى «مدينة النحاس» ويقال لها «مدينة الصفر» وتقع في بعض مفاوز الأندلس . قال ياقوت في معجمه : « ولها قصة بعيدة من الصحة لفارقتها العادة وأنا بري . من عهدتها ، إنما أكتب ما وجدته في الكتب المشهورة التي دونها العقدا . ومع ذلك فهي مدينة مشهورة الذكر فلذلك ذكرتها » ثم ذكر عن ابن الفقيه أن ذا القرنين بناها وأودعها كنوزه وعلومه وطاسم بابها فلا يقف عليه أحد ، وبني داخلها بجعر البهتة وهو مغناطيس الناس ، وذلك أن الإنسان إذا نظر إليها لم يتمالك أن يضحك ويلقى نفسه عليها فلا يزالها أبدا حتى يموت . ولما بلغ عبد الملك بن مروان خبرها وخبر ما فيها من الكنوز والعلوم وأن إلى جانبها بحيرة بها كنوز عظيمة كتب إلى موسى بن نصير عامله على المغرب بأمره بالمسير إليها والحرس على دخولها وأن يعرف ما فيها ، ودفع الكتاب إلى طالب بن مدرك لحملة وسار حتى انتهى إلى موسى بن نصير وكان بالقيروان ، فلما أوصله إليه تجهز وسار في ألف فارس نحوها فلما رجع كتب إلى عبد الملك بن مروان... وساق الكتاب الذى وصف فيه رحلته إلى هذه المدينة وما صادفه فيها (راجع معجم البلدان في كلامه على مدينة النحاس) .

وقال : وحكى قوم من الثناء في ضياع الغرب : أن عاملا من عمالهم عَنف بهم
 فهربوا ودخلوا في صحراء الغرب وحملوا معهم زادا إلى أن يصلح أمرهم ويرجعوا
 إلى بلادهم ، وكانوا على يوم وبعض آخر قد لحجوا في سفح الجبل ، فوجدوا عيرا^(٢)
 أهليا قد خرج من بعض شعابه ، فتبعه نفر منهم ، فأخرجهم إلى مساكن وأشجار
 ونخل ومياه تطرد وقوم يسكنون هناك ويزرعون ، فخطبهم وعجبوا منهم وسألهم
 عن حالهم فعزفهم أنهم منذ كانوا يسكنون تلك الناحية ويتناسلون ويزرعون
 ولا يظالهم أحد بخراج ولا يؤذيهم ، وأنهم لم يدخلوا إلى ضياع الغرب قط ، وقالوا
 لهم آتقلوا إلينا ؛ فخرج القوم بعد أن صلحت أمورهم واجتمعوا على الرجوع إلى
 ذلك الموضع والسكنى فيه بأهليهم ومواشيهم ، فخرجوا يطلبون الطريق مدة فما
 عرفوا الطريق ولا تأتي لهم الوصول إليه بعد ذلك فأسفوا على ما فاتهم منه .

وَحكى أيضا عن آخرين ضلوا الطريق في الغرب ، فوقفوا على مدينة عامرة ،
 كثيرة الناس والمواشى والنخيل والشجر ، فأضافهم وأكلوا عندهم وشربوا ، وباتوا
 في طاحونة يعمل فيها الخبز ، فسكروا من الشراب وناموا ، فلم ينتبهوا إلا عند طلوع
 الشمس ، فوجدوا أنفسهم في مدينة كبيرة خراب ليس فيها أحد ، فارتاعوا لذلك
 وخرجوا على وجوههم كالحارين ، وساروا يومهم على غير سمت حتى قرب المساء ،
 فظهرت لهم مدينة أخرى عظيمة أكبر من الأولى وأعمر ، وأكثر أهلا ودواب
 ومواشى وشجرا ونحلا ، فأنسوا بهم وأخبرهم بخبر المدينة ، ففعلوا يعجبون منهم
 ويضحكون ؛ وإذا لبعض أهل المدينة وليمة فأطلقوا بهم معهم ، فأكلوا وشربوا

(١) التنا : المقيمون ؛ يقال : تنأ بالبلد يتنوتون أو أقام به وقطعه . ويقال : هو من بناء تلك

الكورة ، أى أصله منها . (٢) طبع بالمكان : لزمه . (٣) تطرد : تجرى .

(٤) كذا في نسخة ب وفي نسخة أ : « الخمر » .

وغنّوهم بأصناف الملاهي ، وسألوهم عن حالهم فخذّثوهم أنهم ضلّوا عن الطريق في هذه الصحاري ، فقالوا لهم : الطريق بين أيديكم واضح مستقيم لا يمكن أن تغلطوا فيه ، فإن أحببتهم المسير وجّهنا معكم من يوقفكم على سنن الطريق الكبير الذي يوصلكم إلى منازلكم ، وإن أحببتهم أن تقيموا عندنا رقدناكم وكنتم إخواننا وأحبابنا . قالوا : فسّرنا بذلك من قولهم ، وأجمع بعضنا على المقام معهم ، وأجمع من كان له منا أهلٌ وولدٌ على أن يسير إلى منزله ويحمل أهله وولده ويعود إليهم . قال : وبتنا عندهم في خير مبيت ، فريحين بما ساق الله إلينا . فلما كان من الغد انتبهنا فوجدنا أنفسنا في مدينة عظيمة ليس فيها أحدٌ من الناس وقد تشعب بعض حصنها ، إلا أن حولها نخلا قد تساقط ثمره وتكّدت حوله ، فإحققنا من الخوف لذلك والآرتياع ما استوحشنا له ، وخرجنا على وجوهنا هار بين مفكرين فيما عايناه من أهلها ، وإنا لنجد روائح الشراب منا ومعاني الخمار ظاهرة ، فلم نزل نسير يومنا أجمع وليس بنا جوع ولا عطش ، حتى إذا كان المساء رأينا راعيا يرعى غنما فسألناه عن العارة وعن الطريق فدلّنا على الطريق وقال : إن العارة حذاؤكم ، وإذا بتقار من ماء المطر فشربنا منه وبتنا عليها ، ثم أصبحنا فإذا نحن في خلاف موضعنا الذي كنّا فيه ، وإذا آتار العارة والناس فما سرنا إلا بعض يوم حتى دخلنا مدينة الأشمونين بالصعيد ، فكنا نحدث الناس ولا يقبلون منا .

قال : وهذه مدائن القوم القديمة قد غلب عليها الجأح ، ومنها ما قد سترته عن العيون فلا ينظر إليها أحد .

قال : وذكر بعض القبط أن رجلا من بني الكهنة الذين قتلهم أنساد سار إلى ملك الإفرنجية فذكر له كنوز مصر وعجائبها وخيرها ، وضمن له أن يوصله إلى ملكها

(١) القفار : جمع نقرة (بالضم) ، وهي الوهدة المستديرة في الأرض .

- وأموالها، ويدفع عنه أذى طأسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد ويعرّفه مواضع الكنوز. فلما اتصل بصا الملك أن صاحب الإفرنجية يتجهز إليه، عمد إلى جبل بين البحر المالح وشرقي النيل فأصعد إليه أكثر كنوزه وما في خزائنه، وبني عليها قبابا وصفحها بالرصاص، وأمر ففتحوا جوانب الجبل إلى منتهى خمسين ذراعا، وجعلوا في آنتهاء المنحوت منه شبه الطرر البارزة خارجة من النحت بقدر مائة ذراع وهو بين جبال وعرة، فخصن أمواله هناك. وتجهز إليه صاحب الإفرنجية في ألف مركب، فكان لا يمر بشيء من أعلام مصر ومنازلها وأصنامها إلا هدمه وكسره بمعونة الكاهن له. حتى أتى الإسكندرية الأولى فعاث فيها وهدم كثيرا من معالمها إلى أن دخل النيل من ناحية رشيد وصعد إلى منف فخاربه أهل النواحي، وجعل ينهب ما مرّ به ويقتل من قدر عليه إلى أن طلب المدائن الداخلة ليأخذ كنوزها فوجدها ممتعة بالطلسمات الشداد والمياه العميقة والخنادق الشداخات، فأقام عليها أياما كثيرة يعالج أن يصل إليها، فلما لم يتمكن ذلك قتل الكاهن، وهلك جماعة من أصحابه، وأجتمع أهل النواحي على مراكبه وأصحابه فقتلوا منهم خلقا وأحرقوا بعض المراكب. ولما تيقن أهل مصر تلف الكاهن الذي كان معه أرسلوا إليه سحرهم وتهاويلهم، وأتت مع ذلك رياح غرقت كثيرا من مراكبه، وكان جل مرامه أن ينجو بنفسه فما عاد إلى الإفرنجية إلا وقيدا بجراحات أصابته، ورجع الناس إلى منازلهم وقراهم، ورجع صا إلى منف فأقام بها وترك ما كثره على حاله.
- قال: ولم يزل بعد ذلك يغزو بلاد الروم وأهل الجزائر ويخربها فهابته الملوك، وتبّع الكهنة فقتل منهم خلقا، وأقام سبعا وستين سنة، وكانت سنه مائة وسبعين سنة وهلك، فدفن بمنف في ناووس عمله وسط المدينة من تحت الأرض، وجعل

(١) الوقيد: الشديب المرض المشرف.

المدخل إليه من خارج المدينة من الجهة الغربية ، وحمل إليه أموالا عظيمة وجواهر كثيرة ، وتمائيل وطلسمات وغير ذلك كما فعل أجداده . وكان فيه أربعة آلاف تمثال ذهب على صور شتى برية وبحرية ، وتمثال عقاب من جوهر أخضر جعل عند رأسه ، وتمثال تين من ذهب مشبك عند رجله وزبر عليه اسمه وسيرته وعلبته للولك .

وعهد إلى ابنه تدارس بن صا ، فلك الأحياز كلها بعد أبيه وصفاله ملك مصر . وكان محنكا مجزبا ذا أيدٍ وفؤة ومعرفة بالأمور ، فأظهر العدل ، وأقام الهياكل وأهلها قياما حسنا . وبنى غربي منف بيتا عظيما للزهرة وزبر جميع الأخبار — وكان صنم الزهرة من لازورد مذهب متوجا بذهب — وسوره بسوارين من الزبرجد الأخضر ، وكان في صورة امرأة لها ضفيرةان من ذهب أسود مدبر ، وفي رجلها خلخالان من حجر أحمر شفاف وعلان من ذهب ، وفي يدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كالمسامة على من في الهيكل ، وجعل حذاءها من الجانب الآخر تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس أحمر مموه بذهب موشحة بحجر اللازورد ، ووجه البقرة محاذيا لوجه الزهرة ، وجعل بينهما مطهرة من أخلاط للأجساد على عمود رخام مجزع فيها ماء مدبر يستشفى به من كل داء ، وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلونها في كل سبعة أيام ، وجعل فيه كراسي للكهننة مصفحة بذهب وفضة ، وقرب له ألف رأس من الضان والمعز والوحش والطير ، وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به . وكانت فرش الهيكل وستوره عن يمين تمثال الزهرة ويساره . وكان في قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان وله حربة في سنانها رأس إنسان معلق ، وبقي هذا إلى زمان بُحَّت نصر

(١) في المقرئ (ج ١ ص ١٥٦ طبعة فييت) «نجاه وجه» .

وهو الذي هدمه . ويقال : إن تدارسُ الملك هذا هو الذي حفر خليج سخا ، وارتفع مال البلد في أيامه مائة ألف ألف [دينار^(١)] وخمسين ألف [ألف^(١)] دينار . وقصده بعض عمالقة الشام نخرج إليه وأستباحه ودخل إلى فلسطين فقتل منها خلقا كثيرا وسبي بعض حكامها وأسكنهم مصر وهابته الملوك .

- قال : وعلى رأس ثلاثين سنة من ملكه طمع السودان من الزنج والثوبة في أرضه فعاثوا وأفسدوا ، فأمر بجمع الجيوش وأعد المراكب ووجه قائدا من قواده يقال له : بلوطس في ثلاثمائة ألف ، وقائدا آخر في مثلها ، ووجه في البحر ثلاثمائة سفينة في كل سفينة كاهن يعمل أعجوبة من العجائب [ثم نخرج في جيوش كثيرة ، فلقى جموع السودان] وكانوا في زهاء ألف ألف فهزموهم ، وقتلوا أكثرهم أبحر قتل ، وأسر منهم خلقا كثيرا ، وتبعهم حتى وصل إلى أرض الفييلة من بلاد الزنج فأخذ منها عدة من النمرور والوحش وذللها وساقها معه إلى مصر . وعمل على حدود بلده منارات وزبر عليها مسيره وظفره والوقت الذي سار فيه . ولما وصل إلى مصر أعتل ورأى رؤيا تدل على موته ، فعمل لنفسه ناووسا ونقل إليه شيئا كثيرا من أصنام الكواكب والذهب والجوهر والصنعة والتماثيل وهلك ؛ فحمل إليه وزبر عليه اسمه وتاريخ الوقت الذي هلك فيه ، وجعل عليه طلسما تمنع منه .

وعهد إلى أبنه ماليق بن تدارس ؛ فملك بعد أبيه . وكان غلاما كريما حسن الوجه ، مجتريا ، مخالفا لأبيه وأهل بلده في عبادة الكواكب والبقر .

(١) التكملة من المقرئى (ج ١ ص ٢٨٨ طبعة فييت) .

(٢) في المقرئى : « في النيل » .

(٣) التكملة من المقرئى . وفي الأصل : « وتوجه هو » .

(٤) بلاد الزنج هي الآن بلاد الصومال والحبشة وبلاد زنجبار (راجع معجم الخريطة التاريخية) .

ويقال : إنه كان موحدًا على دين أجداده قبطيم ومصرم ، وكانت القبط تذمه
لذلك . وكان سبب إيمانه فيما حكى أنه رأى في منامه أن رجلين لها أجنحة
أتياه فأخطفاه وحمله إلى الفلك ، فأوقفاه بين يدي شيخ أسود أبيض الرأس
والحية ، فقال : هل عرفتنى ؟ فدخائمه فزعة الحدائنة ، وكانت سنه نيفًا وثلاثين
سنة ، فقال له : ما أعرفك ! فقال : أنا قرويس ، يعنى زحل ، فقال :
قد عرفتك ، أنت إلهى ، فقال : إنك وإن كنت تدعونى إلهًا فإنى مر بوب
منلك ، وإلهى الذى خلق السموات والأرض وخلقنى وخلقك ، فقال : وأين هو ؟
فقال : هو فى العلو لا تراه العيون ، ولا تلحقه الأوهام ، وهو الذى جعلنا سببا لتدبير
العالم الأسفل . قال له ماليق الملك : فكيف أعمل ؟ قال : تُضمر فى نفسك
ربو بيته علينا . وتُخلص فى وحدانيته وتعرف بأزليته . ثم إنه أمر الرجلين فأنزلاه ؛
فأنبته وهو مذعور ، فدعا رأس الكهنة فقَصَّ عليه رؤياه فقال : قد نهاك عن عبادة
الأوثان فإنها لا تُضر ولا تنفع ، فقال له : من أعبد ؟ قال : الله الذى خلق السموات
والكواكب التى فيها والأرض ومن عليها . فكان الملك يحضر الهيكل فإذا سجد
انحرف عن الصنم وأضمر السجود لخالق السموات والأرض دون غيره ، ثم أخذ
فى الغزو والغيبة عن أهل مصر وجال فى البلدان .

قال : وقال بعض أهل مصر : إن الله تعالى أيده بملك من الملائكة يعضده
ويرشده ، وربما أتاه فى نومه ، فأمره أن يأمر الناس باتخاذ كل فاره من الخيل ،
واتخاذ السلاح وما يصلح للأسفار ، وإعداد الزاد ، واتخذ فى بحر الغرب مائتى سفينة ،
ونخرج فى جيش عظيم فى البر والبحر ، فلقبه جموع البربر فى جموع لا تُحصى فهزموهم
وأستأصل أكثرهم ، وبلغ إلى إفريقية وسار منها ، وكان لا يمر بأمة إلا أبادها إلى أن
عدى من ناحية الأندلس يريد الإفريقية ، وكان بها ملك عظيم يقال له : أرقبوس ، فأقام
يحاربه شهرا ثم طلب صلحه وأهدى له هدايا كثيرة فسار عنه ، ودوخ الأمم المتصلة

(١) بالبحر الأخضر وأطاعه أكثرها . ومرة باقة عُراة لهم حوافر في أرجلهم ، وقرون صغار ، وشعور كشعور الدواب ، ولهم أنياب بارزة من أفواههم ، فقاتلهم قتالا شديدا حتى أئخضهم ، فنَفَرُوا منه إلى غيرانٍ لهم مظلمة عظام .

والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة ، وعمل أعلاما على البحر وزبر عليها اسمه ومسيره ، وخرّب مدن البربر حيث كانت ، وأجّاهم إلى قرون الجبال ورجع ؛ فتلقاه أهل مصر بأصناف اللّهُو والطيب والرياحين ، وفُرشت له الطرقات ولقوه بأبنسه بلهقانس وكان وُلد بعد مسيره فسُرّ به . واتصل خبره بالملوك فهابوه وحملوا إليه الهدايا من كل وجه ومكان .

قال : وبلغه أن قوما من البربر سحرّهم تخاييل عجيبة وبخورات يدلّون بها ، وأنهم في مدينة لهم يقال لها : قرميدة ، في الغرب من مصر ، قد ملكوا عليهم امرأة ساحرة يقال لها : اسطافا ، فاتصل به كثرة أذاهم للناس فغزاهم ، فلما قرب منهم ستروا عنه مدينتهم بسحرهم فلم يرها ، وطمّوا مياههم فلم يعرفها ، فهلك أكثر أصحابه عطشا . فلما ستروا عنه البلد صعد إلى ناحية الجنوب ، ثم رجع على غير الطريق التي سار إليهم فيها ، فترهبه كل كان لهم يحضرونه في أعيادهم ، فهدم بعضه وسقط منه موضع على جماعة ممن تولّى هدمه فأهلكهم ، فلما رأى ذلك تركهم وأنصرف ، وخرجوا إلى هيكلمهم فبنّوا ما سقط منه وحرسوه بطلسّيات محكمة ، ونصبوا فوق قبتة طلسّيا من نحاس مذهب ، وكان إذا قصده أحد صاح صياحا منكرا يرعد منه من سمعه ويبهت فيخرجون إليه ويصطلمون . وكانت ملكتهم أحذق منهم بالسحر فقالت :

(١) البحر الأخضر ، ويقال له بحر الظلمات : هو المحيط الأطلسي ، ويسمى أيضا : بحر الظلّة أو بحر أقيانس أو البحر الأعظم ، ويقرأ في بعض الكتب « بحر أفتايس » وهو تصحيف ظاهر (راجع معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية للرحوم أمين واصف بك) . (٢) الغيران : جمع غار ، وهو ما يتحت في الجبل شبه المغارة فاذا اتسع قبل كهف . (٣) يصطلونه : يستاصلونه .

إني أعمل الحيلة في إفساد مصر وأضرّ وأذى أهلها، فعملت أشياء وأرسلتها مع من ألقاها في النيل، ففاض النيل على مزارعهم وغلاتهم، وكثرت فيه التماسيح والضفادع، وكثرت العلل في الناس، وأنبتت فيهم الثعابين والعقارب، فأحضر ماليق الكهنة والحكماء وقال: أخبروني عن هذه الحوادث التي حدثت في بلادنا ما هي؟ ولِمَ لم تشرحوها في طالع السنة؟ فأجتمعوا في دار حكمتهم ونظروا حتى علموا أنه من ناحية الغرب، وأن امرأة عملته وألقته في النيل، فعلم أنه من فعل تلك الساحرة، فقال لهم: اجهدوا أنفسكم في هلاكها فقد بلغت فيكم مرآدها، فأجتمعوا للهيكلي الذي فيه صور الكواكب وأصنامها، وسألوا الملك الحضور معهم فلم يمكنه الخلاف عليهم. فلما أمسى لبس مسحا واقترش رمادا وأستقبل مصلاه وأقبل على الأبهال إلى الله والتضرّع وقال: يا ربّ يا الله، أنت إله الآلهة، وخالق الخلق، ولا يكون شيء إلا بقضائك، أسألك أن تكفيني أمر هؤلاء القوم، وغلبه السهر فأغنى في مصلاه، فرأى آتيا يقول له: قد رحم الله تضرّعك، وأجاب دعائك، وهو مهلك هؤلاء القوم ومدمر عليهم، وصارف عنك الماء المفسد والدواب المضرة. فلما أصبح الكهنة غدّوا عليه وسألوه حضور هيكلكم، فقال لهم: قد كفتكم أمر عدوكم وأهلكتم، وأزلت الماء الفاسد والدواب المضرة عنكم، ولن ترّوا بعدها شيئا تكرهونه، فنظر بعضهم إلى بعض كالمنكرين لقوله وقالوا: قد سررنا بما ذكره الملك، وهم يضمرون الاستمراء به والتكذيب له، ومضّوا إلى دار الحكمة فقال بعضهم: الرأي ألا تقولوا في هذا شيئا، فإن كان حقاً وقفتم عليه، وإن كان باطلا اتسع لكم اللفظ في لومه، وسيتبين لكم أمره.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ انْكَشَفَ ذَلِكَ الْمَاءُ الْفَاسِدُ، وَهَلَكَتْ تِلْكَ الدَّوَابُّ الْمَضِرَّةُ، فَعَامُوا أَنْ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ بِهِ حَقٌّ، وَأَمْرٌ قَائِدًا مِنْ قَوَادِهِ وَرِجَالًا مِنَ الْكَهْنَةِ أَنْ يَمْضُوا

- حتى يعلموا علم هؤلاء القوم ، فاتوا المدينة فوجدوا حصنها قد سقط وقد هلكوا بأجمعهم
واحترقوا وأسودت وجوههم ؛ ووجدوا الأصنام منكسة على وجوهها ، وأموالهم
ظاهرة بين أيديهم ، فطرقوا المدينة فلم يجدوا فيها غير رجل واحد كان مخالفا لهم
بسبب رؤيا رآها ؛ ووجدوا من الأموال والجواهر وأصنام الذهب والتمثال
ما لا يحصى ولا تعرف له قيمة ، ووجدوا صورة كاهن لهم من زبرجد أخضر على
قائمة من حجر الأسباد شم ؛ ووجدوا صورة روحاني من ذهب ، ورأسه من
جواهر أحمر ، وله جناحان من دُرّ ، وفي يده مصحف فيه كثير من علومهم في دقتين
مرصعتين بجواهر ملون ؛ ووجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة من زجاج
أخضر مسبوك ، وفيها فضالة من الماء الدافع لأسقامهم ، وفرسا من فضة من
عزم عليه بعزائمهم ودخنه بدخنة وركبه طار به فيما يزعمون ، وغير ذلك من العجائب
والأصنام ؛ فحملوا من ذلك ما قدروا عليه من الأموال والجواهر ، وسأل الملك
ذلك الرجل : ما أعجب ما رأيت من أعمالهم ؟ فقال : نعم أخبرك أيها الملك ؛ إنه
قصدهم بعض ملوك البربر ، وكان جبارا من أهل بيت سحر ، بغاء بالجموع الكثيرة
وتخايل هائلة ، فأغلق أهل مدينتنا حصنهم ولبأوا إلى أصنامهم يخضعون لها
ويتضرعون إليها ، وكان لهم كاهن عظيم الشأن ، فسار إليه رؤسائهم وشكوا إليه
ما دهمهم من عدوهم ، فأتى إلى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها ،
بغاس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها وزمزم على ماء البركة ، فلم يزل كذلك
حتى فار الماء وفاض ، وخرجت من وسطه نار تابسج ، وظهر من وسطها وجه
كدارة الشمس وعلى صورتها وضوئها ، نخر الجماعة وسجدوا لذلك الوجه ، وتجاللهم
نور ؛ وجعل يعظم حتى ملأ البركة ، وصعد حتى نخر سقف القبة ، ثم ارتفع
إلى رأسها وسمعه يقول : قد كفيتم شر عدوكم ، وأمرهم أن يأخذوا دوابهم ففعلوا

ذلك ، وهلك الملك الذي قصدهم وجميع من كان معه ، وأنصرفوا ؛ فأقبلوا يأكلون ويشربون ، فقلت لبعض الكهنة : لقد رأيت عجبا من ذلك الوجه فما هو؟ فقال : تلك الشمس تبدت لنا في صورتها وأهلكت عدونا ، صاحت بهم صيحة أحرقتهم فأصبحوا خامدين .

قال : وكان هذا الرجل عاقلا فاتخذته ماليق وزيرا . ولم يزل ماليق على التوحيد ، وهو مع ذلك يسير أهل البلد خوفا من اضطراب ملكه ، وأمر أن يعمل له ناووس ، فكان يقصده ويتعبد فيه ، وأمر ألا يدفن معه ذهب ولا جواهر ، فلم يدفن معه شيء سوى الطيب وصحيفة مكتوبة بخطه فيها : هذا ناووس ملك مصر ماليق ، مات مؤمنا بالله العظيم لا يعبد معه غيره ، بريثا من الأصنام وعبادتها ، مؤمنا بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال ، عاش كذا وكذا سنة ، ملك فيها كذا وكذا ، فمن أحب النجاة من عذاب الآخرة فليدين بما دان به . وأوصى ألا يدفن معه في ناووسه أحد من أهله ، وكان قد كثر كنوزا عظيمة وزر عليها أن تخرجها أمة النبي المبعوث في آخر الزمان .

وأستخلف ابنه حرما بن ماليق . قال : وكان لينا سهل الخلق ، لم يمت أبوه حتى شرح له التوحيد ، وأمره أن يدين به ، ونهاه عن عبادة الأصنام ؛ وكان معه على ذلك في حياته ، ثم رجع عنه بعد وفاته الى دينهم . وكان سبب رجوعه الى عبادة الأصنام أن أمه كانت من بنات كبار الكهان ، فنقلته بعد موت أبيه الى دينها وغلبته على رأيه ، وأمرت بتجديد الهياكل وتشددت في عبادة الأصنام . وتزوج حرما امرأة من بنى عمه فأحبها حبا شديدا وهام بها ، فأفسدته على جميع نسائه ،

(١) في المقرري (ج ٣ ص ٩ : طبعة فييت) : « خريتا » .

فاشته ذلك على أمه ، وكانت له قهرمانه من أهل سيوط ساحرة لانطاق ، وكانت تميل الى هذه المرأة لأنها كانت تعشق أخاها ؛ فزادت في سحرها لتسلك المرأة فأوحشت ما بين الملك وأمّه حتى رفضها وأستخف بأمرها ، وزاد الأمر حتى حلف ألا يجاورها ، وأنه يغزو وينصرف فلا يرجع الى مصر أو يتصل به موثها ، ففعل ذلك وغزا بلد الهند وأرض السودان .

- وكان سبب خروجه الى الهند أن ملكا من ملوكها يقال له مسور خرج في عدد كثير وسأيرته مراكبه في البحر ففتح بلدانا وجزائر ، وأكثر القتل والسبي ؛ وذُكرت له مصر فقصدها وأعتل فرجع من طريقه ، فأمر حرما الملك بعمل مائة سفينة على شكل سفن الهند ، وتجهز وركب وحمل معه المرأة ووجوه أصحابه وقواده ، وأستخلف أبنته كلكن على مصر وكان صبياً ، وجعل معه وزيرا يقال له لاون ، وكاهنا يقال له ويسموس ، وخرج فمتر على ساحل اليمن وعاث في مدائنه . وكان لا يمر بمدينة إلا أقام صنما وزبر عليه اسمه ومسيره ووقته ، وبلغ سرنديب فأوقع بأهلها ، وغنم منها مالا وجوهرا كثيرا ، وحمل معه حكيما لهم ، وبلغ جزيرة بين الهند والصين بها قوم سمر طوال يجزون شعورهم ، ورأى لهم الدواب والطيور وشجر الطيب والنارجيل والفواكه التي لا تكون إلا عندهم ، فأذعنوا له بالطاعة وحملوا اليه أموالا وهدايا فقبلها وسار عنهم . وأقبل يتنقل في تلك الجزائر عدة سنين ؛ فقيل : إنه أقام في سفره سبع عشرة سنة ، ورجع إلى مصر بالظفر والغنيمة ، ووجد أمه قد هلكت ، ووجد أبنته على الملك كما أستخلفه ؛ فسر بذلك وهابه من حوله من الملوك . وبني عدة هياكل وأقام فيها أصنام الكواكب ؛ لأنها - فيما زعم - هي التي أيدته في سفره حتى ظفر بما ظفر به وغنم ما غنمه . وقد كان حمل

(١) سرنديب : هي جزيرة سيلان الآن .

١٠
١٣ معه من الهند حكيما وطيبيا ، وكان معهما من كتبهم وحكمهم ما أظهرها به في مصر عجائب مشهورة ، وحمل معه صنما من أصنام الهند من الذهب مقرّطا بالجوهر ، فنصبه على بعض الهياكل التي عملها . وكان حكيم الهند يقوم به ويخدمه ويقرب له . وكان يجبرهم بما يريدون منه .

٥ قال : وأقام حرما بعد مُنصرَفه من الهند مدة ثم غزا نواحي الشام فأطاعه أهلها وهادّوه ورجع إلى مصر . ثم غزا نواحي النوبة والسودان فصالحوه على خراج يحملونه له ، ورفع أقدار الكهنة وزاد في تعظيم دينهم ؛ فصوّروه في هياكلهم ومضاجعهم ، وملكهم نحسا وسبعين سنة . وعمل لنفسه في صحراء الغرب ناووسا ، وعمل برقودة مصانع وعجائب ، وأقام بها إلى أن مات وأبنته كلكن بمنف ، فضمده جسده بالمويا والكافور والمز ، وجعل في تابوت من ذهب ، وجعل معه مال كثير ، وجوهر نفيس ، وسلاح عجيب ، وتمائيل وصنعة وعقاقير ، ومصحف الحكمة .
١٠ وصوّر في جانب الناووس صورا وزبر عليها ذكر السفن التي سار فيها ، والبلدان التي فتحتها ، وسد باب الناووس وزبر عليه اسمه ومدته وتاريخ الوقت الذي هلك فيه ، وقتل جماعة من نسائه أنفسهن عليه . وكان جميلا سمح الأخلاق ، وأعتم عليه الكهنة لإكرامه لهم ، وأهل المملكة لأتباعه لهم .
١٥

وملك بعده أبنته كلكن بن حرما ، وعقد التاج على رأسه بالإسكندرية بعد موت أبيه وأقام بها شهرا ورجع إلى منف . وكان أصناميا على دين أبيه وأستبشر به أهل مصر . وكان يحب الحكمة وإظهار العجائب ويقرب أهلها ويكثر جوائزهم . ولم يزل يعمل الكيمياء في مدة ملكه ؛ فخرن أموالا عظيمة بصحارى الغرب . وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان مكتوما . وكان الملوك قبله

(١) رقودة : هي مدينة الإسكندرية .

- أصروا بترك صنعتها لئلا تجتمع ملوك الأمم على غزوهم ، فعملها كلكن وملا دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب بمصر أكثر منه في وقته ولا الخراج ؛ لأنه كان في وقته - فيا حكاة القبط - مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف مثقال . قال : وكان المثقال الواحد من الصنعة يطرح على القناطير الكثيرة فيصبغها ، فاستغنوا عن إثارة المعادن لقلّة حاجتهم إليها . وعمل من الحجارة المسبوكة الملونة الصمّ التي تشفّ شيئا كثيرا لم يعمل مثله أحد من تقدمه . وعمل من الأدرك^(١) الملون والفيروزج أشياء تخرج عن العقول ، حتى كان يسمّى حكيم الملوك . وغلب جميع الكهنة في علومهم ، وكان يخبرهم بما يغيب عنهم ، فهابوه واحتاجوا إلى علمه . وكان نمرود بن كنعان الذي أهلكه الله تعالى على يد إبراهيم الخليل عليه السلام في وقته ، فيقال : إنه لما اتصل بنمرود خبر حكمته استتراره فوجه إليه أن يلقاه منفردا من أهله وحشمه بموضع كذا ، ففعل النمرود ذلك وسار إلى الموضع الذي ذكره ، وأقبل كلكن على أربعة أفراس تجمله ذوات أجنحة ، وقد أحاط به نور كالنار ، وحوله صور هائلة قد خيل بها ، وهو متوشّح بشعبان محترما ببعضه ، والشعبان فاغر فاه ، ومعه قضيب آس أخضر كلما حرك الشعبان رأسه ضربه بالقضيب . فلما رآه النمرود هاله أمره وخاطبه ، فاعترف له بجليل الملك والحكمة ، وسأله أن يكون ظهيرا له .

- وتقول القبط : إن كلكن الملك كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه . وكان أهل البلد إذا دهمهم أمر اجتمعوا حول الهرم . ويقولون : إنه ربما أقام على رأس الهرم أياما لا يأكل ولا يشرب ، ثم استتر عنهم مدة حتى توهموا أنه هلك . وكان يحسول في الأرض وحده حتى طمعت الملوك التي حوله

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ٥ من هذا الجزء .

في ملكه؛ فقصده ملك من ملوك الغرب يقال له «سادوم» في جيش عظيم، وأقبل من ناحية المغرب من نحو وادي هيب ليكبس البلد، فأقبل حتى وافاهم، ثم جلّهم بشيء من سحره كالغمام شديد الحرارة، فأقاموا تحته أياما لا يدرون أين يتوجهون، فطار إلى مصر فاستأنس الناس لمقدمه، فعرفهم ماجرى وأمرهم بالخروج إليهم ليعرفوا خبرهم، فوجدوهم ودوا بهم أمواتا فعجبوا لذلك، وهابه الكهنة هيبسة لم يهابوها أحدا قبله، وصوّروه في جميع الهياكل، وملكهم زمانا.

١١
١٣

وبنى في آخر عمره هيكلا لزحل من صوّان أسود في ناحية الغرب، وجعل له عيدا، وجعل في وسطه ناووسا، وحمل إليه ما أراد من ذهب وجوهر، وحكم وعقاير، وعرفهم بموته، وجعل على باب الناووس طلسمات تمنع منه، وغاب عنهم فلم يقفوا على موته.

وكان قد أوصى إلى ابنه ماليا بن كلكن فملك بعد أبيه. وكان شريفا كثيرا الأكل والشرب، منفردا بالفراة، غير ناظر في شيء من الحكمة، وجعل أمر البلد إلى وزيره. وكان معجبا بالنساء، وكان له ثمانون امرأة، ثم آتخذ امرأة من بنات الملوك التي بمنف وكانت عاقلة سديدة الرأي، وكان بها معجبا فحتمته النساء. وكان له بنون وبنات، وكان أكبر بنيه يقال له: طوطيس، فكان يستجمل أباه فأعمل الخيلة في قتله، وإنما حملته على ذلك أمه وجماعة نسائه وبعض وزراء أبيه، فهجم عليه في وزرائه وهو سكران وتلك المرأة عنده فقتله وقتل المرأة وصلبها.

(١) وادي هيب: هذا الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر فيا بين مريوط والقيوم، يجلب منه الملح والنظرون. عرف بهيب بن محمد الغفاري أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. شهد فتح مصر (راجع خطط المقرئ ج ١ ص ١٨٦ طبع بلاق).

وملك بعده آبنه طوطيس بن ماليا وجلس على سرير الملك . وكان جبّاراً جريئاً شديد البأس مهيباً ، فدخل عليه الأشراف وهنئوه ودعّوا له ، وأمرهم بالإقبال على مصالحتهم وما يعينهم ، ووعدهم الإحسان .

والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر ، وهو فرعون إبراهيم الخليل عليه السلام . ويقولون إن الفراعنة سبعة هو أولهم . قال : ثم تذاكر الناس ما فعله بأبيه وأنكروه وأستقبحوا صلبه المرأة فأنزلها ودفنها ، وأستخف بالكهنة والهيكل .

ولنذكر خبره مع إبراهيم الخليل عليه السلام في أمر سارة^(١) ، ونورد من ذلك ما أورده أهل الأثر وما ورد في الحديث الصحيح النبوي من هذه القصة . قال إبراهيم بن القاسم الكاتب في سياقه أخباره : لما فارق إبراهيم عليه السلام قومه والنمرود بن كنعان ونزل الشام ثم خرج إلى مصر ومعه سارة امرأته وخلف ابن أخيه لوطا بالشام وسار إلى مصر ، وكانت سارة أحسن نساء العالمين في وقتها ، ويقال إن يوسف الصديق ورث جزءاً من حسناتها لأنها جدّة أبيه . قال : فلما سار إبراهيم إلى مصر وأتى الحرس المقيمون على أبواب المدينة فرأوا سارة وعجبوا من حسناتها ورفعوا خبرها إلى طوطيس^(٢) . وقد روينا في ذلك حديثاً بسندنا الذي قدّمناه إلى أبي عبد الله البخاري رحمه الله قال : حدثنا أبو إيمان قال : أخبرنا شعيب قال : حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك

(١) سارة : بخفيف الراء . وقيل بتشديد الراء .

(٢) في شرح البخاري لقسطلاني (ج ٤ ص ١٢٢ طبع بلاق سنة ١٢٩٣ هـ) أن اسم هذا الملك

صاروق ، وقيل سنان بن علوان ، وقيل عمرو بن امرئ القيس بن سبأ ، وكان على مصر .

(٣) في شرح البخاري لقسطلاني : « هي مصر . وقال ابن قتيبة : الأردن » .

من الملوك أو جبار من الجبابرة فقيل : دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء؛ فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي. ثم رجع إليها فقال: لا تكذبي حديثي فإني أخبرتهم أنك أختي؛ والله إن على الأرض من مؤمن غيري وغيرك؛ فأرسل بها إليه فقام إليها فقامت تَوْضاً وتصلى، فقالت: اللهم إن كنتُ أمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على هذا الكافر، ففط حتى ركض برجله.

قال الأعرج: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: إن أباهريرة قال: قالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلته فأرسل، ثم قام إليها فقامت تَوْضاً وتصلى وتقول: اللهم إن كنتُ أمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط على هذا الكافر، ففط حتى ركض برجله.

قال عبد الرحمن: قال أبو سلمة: قال أبوهريرة: فقالت: اللهم إن يمت فيقال هي قتلته فأرسل في الثانية أو في الثالثة. فقال: والله ما أرسلتم إلى إلا شيطاناً! إرجعوا إلى إبراهيم وأعطوها أجر، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة. هذا ما روينا من صحيح البخاري.

وقد ورد في أخبار طوطيس زيادات نذكرها؛ وهو أن الملك لما أطلقته في المرة الثالثة قال لها: إن لك رباً عظيماً لا يُضَيِّعُك، وأعظم قدرها وسألها عن إبراهيم فقالت: هو قريبي وزوجي. قال: فإنه ذكر أنك أخته. قالت: صدق أنا أخته في الدين، وكل من كان على ديننا فهو أخ لنا. قال: نعم الدين دينكم! ووجهها إلى ابنته حوريا، وكانت من العقل والكمال بمكان كبير، فالتقى الله تعالى محبة سارة في قلبها فعظمتها حوريا وأضاعتها أحسن ضيافة، وهبت لها جوهراً ومالا، فأت

(١) إن بكسر الهمزة وسكون النون نافية بمعنى « ما » .
 (٢) غط: بضم الغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة، أي أخذ بخباري نفسه حتى سمع له غطيظ .
 (٣) يقال هي قتلته: بإثبات الألف في « يقال » على أن جواب الشرط المحزوم محذوف تقديره « ... أعذب ويقال ... » .
 (٤) هي هاجر أم اسماعيل كما سيأتي بعد . (٥) راجع (ج) ص ٣٥ طبع بلاق سنة ١٢٩٠ .

- به إبراهيم عليه السلام فقال لها : رُدِّيهِ فإنا حاجة لنا به فردته؛ فذكرت حوريا ذلك لأبيها فعجب منها وقال : هؤلاء من قوم كرام ومن أهل بيت طهارة فتحلّى في برّها بكل حيلة ، فوهبت لها جاريةً قبطيةً من أحسن الجوارى يقال لها آجر، وهي هاجر أم إسماعيل عليه السلام، وعملت لها سلالاً من الحلوى وقالت : يكون معك هذا للزاد. وجعلت تحت الحلوى جوهر انفيساً وحلياً مصبوغاً مكّلاً. فقالت :
- أشاور صاحبي ، فأنت إبراهيم عليه السلام فشاورته فقال : إذا كان ما كولا تغذيه، فقبلته منها ونحرج إبراهيم عليه السلام . فلما أمعنوا في السير أخرجت سارة بعض تلك السلال فأصابها الجوهر والحلي ، فعزفت إبراهيم ذلك ، فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي جعلها للسبيل وفزق بعضه في وجوه البرّ، وكان يضيف كل من مرّ به .
- ١٠ قال : وعاش طوطيس إلى أن وجهت إليه هاجر من مكة تعزّفه أنها بمكان جدب وتستغيثه، فأمر بحفر نهر في شرقي مصر يمتد بسفح الجبل حتى يتهى إلى مرفأ السفن في البحر المالح ، فكان يحمل إليهما الخنطة وأصناف الغلات فتصل إلى جُدّة وتحمّل من هناك على المطايا، فأحيا بلد الحجاز مدّة . ويقال : إن كل ما حُلّيت به الكعبة في ذلك العصر هو مما أهداه ملك مصر . ويقال : إنه لكثرة ما كان طوطيس يحمله إلى الحجاز سمّته العرب «جرهم الصادق» وكذلك يسمّيه كثير من أهل الأثر. وقد تقدّم في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام أن اسم الملك صادق، ويقال : إنه سأل إبراهيم عليه السلام أن يبارك له في بلده، فدعا بالبركة لمصر، وعزّفه إبراهيم أن ولده سيملكها ويصير أمرها إليه .
- ١٥ قال : وطوطيس أول الفراعنة بمصر؛ وذلك أنه أكثر القتل حتى قتل قراباته وأهل بيته وبني عمه وخدمه ونسائه، وأكثر الكهنة والحكماء . وكان حريصاً على الولد

(١) راجع (ج ١٣ ص ١١٥ من هذه الطبعة).

فلم يرزقه الله ولدا غير أبنته حوريا، وكانت عاقلة حكيمة تأخذ على يده كثيرا وتمنعه من سفك الدماء، فأبغضته وأبغضه الخلق : الخاص والعام . فلما رأته أمره يزيد خافت على زوال ملكهم فسمته فهلك . وكان ملكه سبعين سنة . ولما مات اختلفوا فيمن يملكوه عليهم بعده فقالوا : لا يملك علينا أحد من أهل بيته، وأرادوا تملك بعض ولد أتريب ؛ فقام بعض الوزراء ودعا إلى تملك أبنته لصنيعها فيه، وليا كانت تنكر عليه، وتبعه أكثر القواد والوجوه فتم لها الأمر .

وملكت حوريا بنت طوطيس وجلست على سرير الملك، ووعدت الناس بالإحسان، وأخذت في جمع الأموال وحفظها، فاجتمع لها من الأموال والجواهر والحلى والطيب ما لم يجتمع لملك، وقدمت الكهنة وأهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم، وأمرت بتجديد الهياكل وتعظيمها . وسار من لم يرضها إلى مدينة أتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد أتريب يقال له أنداخس ؛ فعقد على رأسه تاجا وأنضم إليه جماعة من بنى عمه وأهل بيته، فأنفذت إليه جيشا فخاربه ؛ فلما رأى أنه لا طاقة له بهادها إلى الصلح وخطبها إلى نفسه وقال لها : إن الملك لا يقوم بالنساء، وخوفها أن يزول ملكهم بمكانها ؛ فعملت صنيعا وأمرت أن يحضره الناس على منازلهم، فحضروا وأكلوا وشربوا وبذلت لهم الأموال وعزفتهم ما جرى من خطبتها، فبعض صوب الرأي، وبعض امتنع وقالوا : لا يتولى علينا غيرها لمعرفتنا بعقلها وحكمتها، وهى وارثة الملك ؛ ووشبوا على نفر من خالفها فقتلوه، وخرجوا في جيش كثيف فلقوا جيش الخارج بأتريب فهزموه وقتلوا كثيرا من أصحابه، فهرب إلى أرض الشام وبها الكنعانيون من ولد عمليق، فاستغاث بملكهم وضمن له أخذ مصر وفتحها، فجهزه بجيش عظيم إلى مصر، فاجتمع الناس كلهم إلى حوريا، ففتحت خزائن أيها ووزعت ما فيها على الناس فأحبوها، وقوت السحرة بالمسال ووعدهم بالإحسان .

فلما تقدّم أنداخس بالجيوش أمرت السحرة أن يعملوا له عملاً ، وكان على جيوشهم قائدٌ من عظماء قواد ملكهم يقال له جيرون ؛ فلما نزلوا أرض مصر بعثت ظئراً لها من عقلاء النساء إلى جيرون سرّاً من أنداخس تعزفه رغبتها في تزويجه ، لأنها لا تختار أحداً من أهل بيتها ، وأنه إن قتل أنداخس تزوجت به وسلمت إليه ملك مصر ومنعت منه صاحبه . فرغب في ذلك وسم أنداخس بسم أنفذته إليه فقتله ؛ فوجهت إليه أنه لا يجوز أن أتزوجك حتى تُظهِرَ في بلدي قوتك وحكمتك وتبني لي مدينة عجيبة — وكان آفتخارهم حينئذ بالبنيان وإقامة الأعلام وعمل العجائب — وقالت له : انتقل من موضعك هذا إلى غربى بلدى فثم آثار لنا كثيرة فاقتف تلك الأعمال الغربية وآبن عليها . ففعل ذلك وبني لها مدينة بصحراء الغرب يقال لها تندومة^(١) ، وجرّ إليها من النيل نهراً وخرس عليها غر وساكثيرة ، وأقام بها منارا عاليا ، وعمل فوقه منظرا وصفحه بالذهب والفضة والصففر والرخام الملقون والزجاج المسبوك وأبدع في عمله . وكانت تمدّه بالأموال وتكاتب صاحبه عنه وتهاديه وهو لا يعلم . فلما فرغ من بناء المدينة قالت له : إن لنا مدينة حصينة كانت لأوائلنا وقد نحربت منها أمكنة [وتشعث حصنها] فامض إليها واعمل في إصلاحها إلى أن أنتقل إلى هذه المدينة التي بنيتها وأنقل إليها جميع ما يحتاج إليه ، فإذا فرغت من إصلاح تلك المدينة فأنفذ إلى جيشا حتى أصير إليك وأنظر ما صنعته ، وأبعد عن مدينتي وأهل بيتي فلا يأتك بالقرى منهم . فمضى وجدّ في عمل الإسكندرية الثالثة . قال : وأهل التاريخ يسوقون شيئا من أخبار أنداخس ويذكرون أنه الذى قصد الوايد بن دومع العمليقي ، وهو ثانى الفراعنة . وكان سبب قصده له أنه كانت به علة فوجهه إلى المواضع ليحمل إليه من مياهها حتى يعرف ما يلائم جسده ، فوجه

(١) فى خطاط المقرئى (ج ٣ ص ٧٤ طبعه فييت) : «أندومة» . وأشار فى الهامش الى أنها وردت أيضا باسم «تندومة . قندومة . فندومة» . (٢) الزيادة من المقرئى .

غلاما له فأتى مملكة مصر ووقف على كثرة خيراتها^(١) وحمل إلى صاحبه من مائها وألطفها وعاد إليه ، فعزفه حال مصر فقصدتها في جيش كثيف حتى حط عليها ، وكتب الملكة وخطب إليها نفسها ، فوجهت إليه من أشرف على حاله فوجد قوما عظاما لا يقوم بحربهم ، فأجابته إلى التزويج والطفقة وشرطت عليه أن يبنى لها مدينة يظهر فيها أيده وقوته ، ويجعلها مهرا لها ، فأجابها ودخل مصر وأتى إلى ناحية الغرب ليجنبا لها المدينة ناحية الإسكندرية ، فأمرت أن يتلقى بأصناف الرياحين والفواكه وتُحلق وجوه الخليل ، ففضى إلى الإسكندرية — وقد خربت بعد خروج العادية منها^(٢) — فنقل منها ما كان من حجارها ومعالمها وعمدها ووضع أساس مدينة عظيمة وبعث إليها مائة ألف فاعل ، فأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من المال ، وكان كلما بنى بناء خرجت من البحر دواب تقلعه فإذا أصبح لم يجد منه شيئا ، فاهتم لذلك .

وكانت حوريا قد أنفذت إليه ألف رأس من المعز اللبون يستعمل ألبانها في مطبخه ، وكانت مع راع يثق به ، وكان ذلك الراعي يطوف بها ويرعاها هناك ، فكان إذا أراد أن ينصرف عند المساء خرجت إليه من البحر جارية حسناء فتتوق نفسه إليها ، فإذا كلمها شرطت عليه أن تصارعه فإن صرعه كانت له وإن صرعه أخذت رأسين من المعز ، فكانت على طول الأيام تصرعه وتأخذ من الغنم حتى أخذت أكثر من نصفها وتغير باقيا لشغله بحب تلك الصورة عن رعيها ، وتفسير هو أيضا في جسمه وتخل ، فتربه صاحبه وسأله عن حاله وحال الغنم فخبره الخبر خوف سطوته فقال : أي وقت تخرج ؟ قال : قرب المساء . فلبس ثياب الراعي وتولى رعية^(٣) الغنم يومه إلى المساء ، وخرجت الجارية فشرطت عليه كما شرطت على الراعي ، فأجابها وصارعه فصرعه وقبض عليها وشدها فقالت له : إن كان لا بد

(١) كذا في المقرئ وفي الأصول : « خرائتها » . (٢) كذا في الأصول والمقرئ .
والعادية : نسبة إلى قبيلة عاد البائدة . (٣) رعية : بكسر الراء ، اسم من رمى المشاة برعاها .

- من أخذنى فسأنى لصاحبي الأول فإنه ألطف بى ، وقد عدبته مرة بعد مرة ،
 فردّها إليه وقال له : سلها عن هذا البنيان الذى بنيته ويزول من ليلته من يفعل به
 ذلك ؛ وهل فى بنائه من حيلة ؟ فسألها الراعى عن ذلك فقالت : إن دوابّ البحر
 التى تتزِعُ بنيانكم . قال : فهل فيها من حيلة ؟ قالت : نعم . قال : وما هى ؟
 ٥ قالت : تعملُ توابيتَ من زجاج كثيف بأغطية وتجعل فيها قوما يُحسِنون الصناعة
 فى التصوير ، وتجعل معهم صحفاً وأنقاشاً وزادا يكفهم أياماً ، وتجعل التوابيتَ
 فى المراكب بعد أن تُشَدّها بالحبال ، فإذا توسّطوا الماء صوّر المصورون جميع
 ما مرّ بهم وتُرفع تلك التوابيتُ من الماء ، فإذا وقفت على تلك الصور فأعملوا لها
 أشباهاً من الصُّفْر أو من الحجارة أو من الرصاص وأنصبوها أمام البنيان الذى تبنيه
 ١٠ من جانب البحر ، فإن تلك الدوابّ إذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد .
 فعزّفته الراعى ذلك ففعله ، وتمّ بناء المدينة .

- وقال قوم من أهل التاريخ : إن صاحب البناء والغنم جيرون [المؤتفكي^(١)]
 وكان قصدهم قبل الوليد ، وإنما أتاهم بعد حوريا وقهرهم جيرون وملك مصر .
 وذكروا أن الأموال التى كانت مع جيرون نفدت كلها فى تلك المدة ولم يتم البناء ،
 فأمر الراعى فسأل تلك الجارية فقالت : إن فى المدينة التى تحربت ملعباً مستديراً
 ١٥ حوله سبعة عمُد على رؤوسها تماثيل [من^(١)] صُفْر قِيَام ، فقرب لكل تمثال منها نورا
 سمينا ولطّخ العمود الذى عليه التمثال من دم الثور ، ويخره بشعر من ذنبه وشيء من
 نُحّاتة قرونه وأظلافه ، وقل له : هذا قربانك فأطلق لى ماعندك ، ثم قس من كل عمود
 إلى الجهة التى يتوجّه إليها وجه التمثال مائة ذراع وأحفر ، وليكن ذلك فى وقت أمّتلاء
 ٢٠ القمر واستقامة زُحل ؛ فإنك تنتهى بعد خمسين ذراعاً إلى بلاطة عظيمة فلطّخها بمراة
 النور وأقلعها فإنك تنزل منها إلى سرب طوله خمسون ذراعاً فى آخره خزانة مقلّفة ومفتاح

(١) الزيادة من المقرئى .

القفل تحت عتبة الباب نخذه ولطخ الباب ببقية مرارة الثور ودمه وبخره بئحانة قرونه وأظلافه وشعره، وأدخل الباب بعد أن تخرج الرياح التي فيه، فإنه يستقبلك صنم في عنقه لوح من صُفر معلق مكتوب فيه جميع ما في الخزانة من مال وجوهر وتمثال وأعجوبة، نخذ منه ما شئت ولا تتعرض لميت تجده ولا لمسا عليه؛ وكذلك فافعل بكل عمود وتمثاله؛ فإنك تجد في تلك الخزائن نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم. فلما سمع ذلك سرّ به وفعله فوجد ما لا يدرك وصفه، ووجد من العجائب شيئا كثيرا؛ فتم بناء المدينة. وأتصل ذلك بحوريا فساءها؛ وإنما كانت أرادت إغتابه وهلاكه بالحيلة عليه. فيقال: إنه فيما وُجد من العجائب درج ذهب مختوم بطين ذهب فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور أخضر ومعها عرق جوهر أحمر، من اكتحل من ذلك الذرور وكان أشيب عاد شابا وأسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك النظر إلى أصناف الروحانيين، ووجد تمثال من الذهب إذا أظهر غيمت السماء وأمطرت، وتمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوت وأجاب عنه. ويقال: إنه كان في كل خزانة عشر أعجوبات.

قال: فلما فرغ جيرون من بناء المدينة وجه إليها يعامها ذلك ويحتمها على القدوم، فحملت إليه فرشا فاحرة وقالت: أبسطها في المجلس الذي تجلس فيه، وأقسم جيشك أنلانا وأنفذ إلى ثلثه، حتى إذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ إلى الثلث الآخر، فإذا جرت نصف الطريق فأنفذ إلى الثلث الباقي، ويكونون من ورائي لثلاثي أحدى إذا دخلت عليك، ولا يكن عندك إلا صبيبة تنق بهم يخدمونك فإني أوافقك في جوار تكفيك الخدمة ولا أحشمهن؛ ففعل. وأقامت تحمل إليه الجهاز والأموال حتى علم بمسيرها ووجه إليها ثلث جيشه فعملت لهم الأظعمة والأشربة المسمومة، فلما أتوها استنزطهم جواربها وحشمها وأقبلوا عليهم بتلك الأظعمة والأشربة والطيب والكساء

- واللهو فلم يصبح منهم أحد يعيش ، ولقيها الثلث الثاني والثالث بعده ففعلت بهم كذلك ، وهي توجه إليه أنها أنفذت جيشه إلى قصرها ومملكته يحفظونه ، إلى أن دخلت عليه هي وظئرها وجوارٍ كن معها ، فنفتخت ظئرها في وجهه نفخة بيته إليها ورشت عليه ماء كان معها فأرتعدت مفاصله فقال : من ظن أنه يغلب النساء فقد كذّبه نفسه وغلبته النساء ، ثم فصّدت عروقه وأسالت دمه وقالت : دماء الملوك شفاء .
- وأخذت رأسه فوجهت به إلى قصرها فنُصب عليه وحملت تلك الأموال إلى منف .
- وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها وآمنه وما فعلت به وتاريخ الوقت .
- قال : ولما أتصل خبرها بالملوك الذين يتأخمون بلدها ، هابوها وأذعنوا لها وهادوها . وعملت بمصر عجائب كثيرة ، وأقطعت أهل بيتها وقوادها وحشمها أقطعا كثيرة ، وأمرت أن يبني على حد مصر من ناحية النوبة حصن وقنطرة يجرى ماء النيل من تحتها . وأعتلت حوريا فاجتمع إليها أهل مملكته وسألوها أن تقدم عليهم مديكا ، ولم يكن في ذلك الوقت من ولد أبيها وأهل بيته من يصلح لذلك ، فقلدت عمتها دليفة بنت مامون ، وكانت عذراء من عقلاء النساء وكبراهن ، فعهّدت إليها وأخذت لها الموائيق على أهل مصر ألا يُسلموها وأن يتبعوا أمرها ، وسلمت إليها مفاتيح خزائنها ، وأطاعتها على مواضع كنوز آبائها وكنوزها ، وأمرت أن يضمّد جسدها بالكافور وتحمّل إلى المدينة التي بنيت لها في صحراء الغرب ، وقد كانت عملت لها فيها ناووسا وعملت فيه عجائب ونقلت إليه أصنام الكواكب ، وزينته بأحسن الزينة ونصبت له قومة ، وأسكنت تلك المدينة جماعة من الكهنة وأصحاب العلوم والمهن وبعض الجيش ، وعمرت تلك المدينة فلم تزل على حالها من العمارة إلى أن حربها بختنصر وحمل بعض كنوزها .

٢٠

(١) في المقرئى : « مامون » بالنون .

وجلست دليفة بنت ماموم على سرير الملك بعد وفاة حوريا ، واجتمعت الكلمة عليها وأحسنّت الى الناس ووضعت عنهم راج سنة ، وقام عليها أيمن يطلب بثأر خاله انداخس ، واستنصر بملك العمالقَة فوجه معه قائدا من قواده في جيش كثيف ، فأخرجت اليه دليفة بعض قوادها فالتقوا بالعريش ، وجعل سخرة الفرقيين يُظهرون التخاييل الهائلة والعجائب العظيمة والأصوات التي تفرع الأسماع وتولمها ، فأقاموا مدة يتكاثفون الحرب ويتراجعون فهلك بينهم خلق كثير ، ثم أنهزم أصحاب دليفة الى منف وسار أصحاب أيمن في آثارهم ، ومضت دليفة في جمع من جيوشها الى ناحية الصعيد فنزلت الأشمونين وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش ووقعت الحرب بينهم بناحية الفيوم وختل أصحاب دليفة الماء بينهم وبين عدوهم ، وأستنجدت دليفة بأهل مدائن الصعيد فاربوا أصحاب أيمن حتى أزالوهم عن منف ، وكانوا قد ظفروا بها وعاثوا فيها ، فهزموهم حتى ركبوا المراكب وعدوا الى ناحية الحوف ، وكان معهم ساحر من أهل ناحية قفط فأظهر بسحره نارا حالت بينهم وبين أصحاب دليفة ، فلما زاد الأمر وأشفق أهل مصر من خروجها عن أيديهم سقر السفراء بينهم على أن يجعلوا البلد قسمة بينهم فأجاب كل منهما الى الصلح ، ثم غدرت دليفة بعد ذلك بأيمن وأخرجت الأموال والجواهر وفرقتها في الناس ، وكان بعضهم قد لامها في الصلح ، فرجعت الى الحرب فأقاموا ثلاثة أشهر ثم ظهر أيمن عليها وهزمها الى ناحية قوص وسار خلفها وتمكن من المملكة ، فلما رأّت ذلك سمت نفسها فهلكت .

وملك بعدها أيمن ، فتجبر وقتل خلقا كثيرا ممن كان حاربه . وكان الوليد بن دوعم العمليقي قد خرج في جيش كثيف ينتقل في البلدان ويقهر ملوكها ليسكن

(١) العمالقَة : من ولد عمليقي بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

ما يوافقها منها؛ فلما صار بالشام انتهى إليه خبر مصر وعظم قدرها ، وأن أمرها قد صار إلى النساء وبادت ملوكها ، فوجه غلاما له يقال له عون ، فسار إلى مصر وفتحها وحوى أموالا ، ومولاه لا يعرف خبره ولا يشك في هلاكه وهلاك الجيش الذي معه ، لما كان يسمع عما بمصر من الطلسمات والسحر ؛ ثم اتصل به خبره فسار إلى مصر فلتقه عون وعرفه أنه كان عزم على المسير إليه وإنما أراد تعديل البلد وإصلاحه فقبل قوله ودخل .

وملك مصر الوليد بن دومع العمليقي ، واستباح أهلها وأخذ أموالها وقتل جماعة من كهنتها ، ثم صنع له أن يخرج فيقف على مصب النيل ويعرف ما بناحيته من الأمم ويفزوهم ، فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه ، وأصلح ما يحتاج إليه ، واستخلف عونا على البلد وخرج في جيش كثيف فلم يمز بأمة إلا أبادها . فيقال : ١٠ إنه أقام في سفره سنين كثيرة ، وإنه مرّ على أمم من السودان وجاوزهم ، ومرّ على أرض الذهب وفيها قضبان نابتة ؛ ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل إليها من الأنهار التي تخرج من تحت جبل القمر^(١) ، ثم سار حتى بلغ هيكلك الشمس فدخله . ويقال : إنه خوطب فيه . وسار حتى بلغ جبل القمر ، وهو جبل عال . ١٥ وإنما سمي جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لخروجه عن خط الاستواء . ونظر إلى النيل يخرج من تحته . وقد تقدّم خير النيل^(٢) .

(١) توجد بالجهات الاستوائية في المصوّرات الجغرافية القديمة ومنها « انخرطة المنسوبة إلى الإدريسي عن ملار » ثلاث بحيرات هي التي تسمى : البطيحة الغربية ، والبطيحة الشرقية ، وبينهما البطيحة الكبرى ، وهي التي يخرج منها نهر النيل المصري ، ونهر النيل السوداني الذي يطلق عليه اسم النيجر ، وإلى الجنوب من هذه البطائح توجد سلسلة جبال القمر ، و يظن أن البطيحة الكبرى هي التي تسمى الآن « فيكتور ياننازه » وهي التي أشار إليها المؤلف هنا (أفادني الأستاذ الجليل الشيخ محمد نغر الدين بك) .

(٢) ضبطه بعض أهل الجغرافيا بفتح القاف والميم . والثقات منهم على أنه بضم القاف وسكون الميم (انظر تقويم البلدان ص ٦٤ طبع باريس) . (٣) راجع ج ١ ص ٢٦٢ من هذه الطبعة .

قال : ودخل الوليد القصر الذي فيه تماثيل النحاس التي عملها هيرمس الأول في وقت البودسير الأول بن قفطريم . قال : ولما بلغ الوليد جبل القمر رأى جبلا عاليًا فأعمل الحيلة وصعد عليه ليرى ما خلفه ، فأشرف على البحر الأسود الزفتي المتين ، ونظر إلى النيل يجري عليه كالأنهار الرقاق ، وأنته من ذلك البحر روائح متنة هلك كثير من أصحابه من ريحها فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك .

قال : وذكر قوم أنهم لم يروا شمسًا ولا قمرًا وإنما رأوا نورًا أحمر كنور الشمس عند مغيبها . وأقام الوليد في غيبته أربعين سنة . وأما عون الذي استخلفه بمصر فإنه فعل في غيبة الوليد ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر خبر عونت وما فعله في غيبة الوليد وخبر المدينة التي بناها

قال : ولما مضت من غيبة الوليد بن دومع سبع سنين تجبر غلامه عون بمصر ، وأدعى أنه الملك ، وأنكر أن يكون غلامًا للوليد ، وأنه أخوه وقاده الملك بعده ، ووثب على الناس وغلبيهم بالسحرة وأسنى جوائزهم ولم يمنعهم محابهم ، فمالوا إليه ووثقوا أمره ، فلم يترك امرأة من بنات ملوك مصر إلا نكحها ، ولا مالا إلا أخذه وقتل صاحبه . وكان مع ذلك يلزم الهياكل ويكرم الكهنة ، فكانوا يمسكون عنه إسفاقا منه وخوفا من السحرة الذين معه ، إلى أن رأى في منامه الوليد بن دومع وكأنه يقول له : من أمرك أن تتسمى بأسم الملك ، وقد علمت أنه من فعل ذلك استحققت القتل ، ونكحت بنات الملوك وأخذت الأموال بغير واجب ، ثم أمر بقدور فثلث زيتا وأحميت على أنه يغمر فيها ، فلما غلت أمر بتزج ثيابه فأتى طائر في صورة عقاب فاخطفه من أيديهم وحلق به في الجوّ وجعله في هوة على رأس جبل ، وأنه سقط من رأس الجبل إلى واد فيه حية ، فانتبه مرعوبًا طائر العقل . وقد

كان في فعله ذلك وتملكه إذا خطرت بقلبه من ذكر الوليد خطرة كاد عقله يزول، خوفاً منه لِمَا يَعْلَمُهُ من فظاظته وبطشه وقوته . ولم يتيقن هلاكه وأضمر في نفسه الهرب من مصر بما معه من الأموال .

قال : ولما رأى الرؤيا لم يشك في حياة الوليد وأنه سيعود ، فأطلع بعض السحرة ممن يثق به على أمره وقال : إني خائف من الوليد وقد عزمت على الخروج من مصر فما الوجه عندكم ؟ قالوا : نحن نُنجيك منه على أن تقبل منا . قال : قولوا ، قالوا : تعمل عقاباً وتعبده ، فإن الذي حصنك منه أحد الروحانيين وهو يريد ذلك منك . قال عون : أشهد لقد قال لي وأنا معه : أعرف لي هذا المقام ولا تنسه . قالوا : قد بينا لك . فأجابهم إلى ذلك وعمل عقاباً من ذهب وعمل عينيه جوهريتين ووشحه بأصناف من الجواهر ، وعمل له هيكلاً لطيفاً وجعله في صدره وأرخی عليه ستور الحرير ، وأقبل أولئك يجفرونه ويقربون إليه ويسحرون إلى أن نطق لهم ، فأقبل عون على عبادته ودعا الناس إليها فأجابوه .

فلما مضى لذلك مدة أمره العقاب ببناء مدينة يحوله إليها وتكون معقلاً له وحرزاً من كل أحد . فأمر عون أصحابه أن يخرجوا إلى صحارى الغرب ويطلبوا كل أرض سهلة حسنة الاستواء ، ويكون المدخل إليها بين هجول^(١) صعبة وجبال وعرة ، ويتوخأ أن تكون قريبة من ناحية مغيض الماء التي هي اليوم الفيوم . وكانت مغيضا لماء النيل حتى أصاحبها يوسف عليه السلام على ما نذكره إن شاء الله . وإنما أراد عون بذلك ليجر الماء منها إلى مدينته التي بينهما ؛ فخرج أصحابه وأقاموا شهراً يطوفون الصحارى حتى وجدوا له بغيته ، ولم يبق فاعل ولا مهندس ولا أحد ممن

(١) هجول : جمع هجل (يفتح فسكون) ، وهو المظمتين من الأرض .

بيصر البناء ويقطع الصخور ويختها إلا وجهه به عون إليها، وأنفذ معهم ألف رجل من جيشه وسبعمائة ساحر يعاونونهم بالروحانيين الذين في طاعتهم، وأنفذ معهم جميع الآلات وأقام يحمل لهم الزاد إلى هناك شهورا على العجل، وطريق العجل على الفيوم واضحة في صحراء الغرب وخلف الأهرام— وهي التي يقصدها أصحاب المطالب— مشهورة.

قال : فلما تكامل له ما أراد من ذلك ومن نحت الأحجار خطوا المدينة فرسختين ٥
 في فرسختين ، وحفروا في الوسط بئرا وجعلوا في تلك البئر تمثال خنزير من نحاس
 بأخلاق ونصبوه على قاعدة من نحاس وجعلوا وجهه إلى الشرق ، وكان ذلك
 بطالع زحل واستقامته وسلامته من المتضادين له في شرفه ، وأخذوا خنزيرا فذبحوه له
 ولطخوا وجهه بدمه وبخروه بشعره ، وأخذوا شيئا من عظامه ولحمه ومرارته فجعلوه
 في جوف ذلك الخنزير النحاس ، وجعلوا في أذنيه شيئا من مرارته ، وأحرقوا بقية ١٠
 الخنزير ، وجعلوا رماده في قلة نحاس بين يدي الخنزير النحاس ، ونقشوا عليه آيات
 زحل ، ثم شقوا في البئر أخدودا من أربعة وجوه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، ومدوا
 تلك الأخاديد إلى حيطان المدينة ، وعملوا على أفواهاها مسارب تجتلب الرياح إليها ،
 ثم سدوا البئر وعملوا عليها قبة على عمد مربعة ، وجعلوا منها شوارع كل شارع ينتهي ١٥
 إلى باب من أبواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل ، وجعلوا حول القبة
 تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حراب ووجوهها مقابلة لتلك الأبواب ، وجعلوا
 أساس المدينة من حجر أسود وفوقه أحمر وفوقه أصفر وفوقه أخضر ، وفوق الجميع
 أبيض يشق ، مثبتة كلها بالرصاص المصبوب بين الحجارة ، وقلوبها أعمدة من حديد
 على وضع بناء الأهرام ، وجعل طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين ذراعا ،
 ونُصب على كل رأس باب من أبوابها في أعلا الحصن تمثال عقاب كبير من صفر ٢٠
 وأخلاق ناشر الجناحين أجوف ، وعلى كل ركن صورة فارس بيده حربته ووجهه

إلى خارج المدينة؛ وساق الماء إلى ناحية الباب الشرقي ينحدر في صَبَبٍ إلى الباب الغربي ويخرج إلى صهاريج هناك، وكذلك من الباب الجنوبي إلى الشمالي، وقرب تلك العقبان عقباناً ذكورا، واجتذب الرياح إلى أفواه التماثيل، فكانت الرياح إذا دخلتها سُمعت لها أصواتٌ شديدة لا يسمعها أحد إلا هالته، وصمدها بعقاريت تمنع الداخل إليها إلا أن يكون من أهلها، ونصب العقاب الذي كان يعبده تحت القبة التي في وسط المدينة على قاعدة لها أربعة أركان في كل ركن منها وجه شيطان، وجعلها على عمود يديرها، والعقاب يدور إلى كل الجهات الأربع، ويقم فيها ربع السنة، يقرب إليه من جهتها .

فلمَّا فرغ من ذلك كله حمل إليها جميع الأموال والجواهر المخزونة بمصر وما وجدته في خزائن الملوك، ومن التماثيل والحكم وتراب الصنعة والعقاير والسلاح وغير ذلك، وحول إليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار، وقسم المساكن بينهم لا يختلط أهل صنعة بغيرها، وعمل لها رِبَضاً^(٢) يحيط بها، وبني فيه منازل لأصحاب المهن والزراعة، وعقد على تلك الأنهار قناطر يترع عليها الداخل إلى المدينة، وجعل الماء يدور حول الرِبَضِ، ونصب عليها أعلاما وحرسا، ثم غرس وراء ذلك بالبرية النخل والكروم وأصناف الأشجار، ومن وراء ذلك مزارع الغلات من كل جهة، وكان يرتفع له بها في كل سنة ما يكفيه لعشر سنين، كل ذلك خوفا من الوليد .

قال : وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة أيام؛ فكان عونٌ يخرج إليها فيقيم بها عشرة أيام ثم يعود إلى منف، وكان لها أربعة أعياد في السنة؛ وهي الأوقات التي يتحول العقاب فيها . فلما تم ذلك كله لعون أطمأن قلبه، وسكنت نفسه .

(١) في خطط المقرئ (ج ١ ص ١٤١ طبع بلاق) : «وكل بها أرواحا تمنع الداخل إليها...»

(٢) الرِبَض هنا : سور المدينة .

ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون إلى مدينته

قال : ثم وافا كتاب الوليد بن دوعم من نواحي النوبة إلى عون يأمره أن يُنْفَذَ إليه الأزوادَ وينصبَ له الأسواقَ؛ فوجهَ إليه ذلك في المراكب وعلى الظهر، وحوّل^(١) جميع عياله ومن أصطفاه من بنات ملوك مصر وكبرائها إلى المدينة ، حتى إذا قرب دخولُ الوليد إلى مصر خرج عون إلى مدينته وخلف خليفة على مصر يكون بين يدي الوليد . ودخل الوليد مدينة منفً وتلقاه أهل مصر وشكوا إليه عوناً وما حل بهم منه . قال : وأين هو؟ قالوا : فز منك . فغضب الوليد وأمر بجيش كثيف ينفذ إليه ، فعزفوه أن الجيش لا يصل إليه ، وأخبروه خبر المدينة وكيف بناها وخبر السحرة الذين معه . فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ويحذره التخلف عنه ، ويُقسم أنه إن لم يفعل وظفر به بضع لحمه يَضَعًا . فردَّ جوابه يقول : ما على الملك مني مؤنة ، وأنا لا أتعرض إلى بلده ولا أعيث فيه ؛ لأنني عبده، وأنا له في هذا الموضع أردت كل عدو يأتيه من نواحي الغرب ، ولا أقدر على المصير إليه لخوفي منه ، فليقرني الملك بحالي كأحد عماله وأوجه إليه ما يلزمني من الخراج والهدايا . ووجه إليه بأموال جبلية وجوهر نفيس . فلما رأى ذلك كَفَّ عنه . وأقام الوليد بمصر فأستعبد أهلها وأستباح حريمهم وأموالهم . وملكهم مائة وعشرين سنة فأبغضوه وسبوا أيامه . وأتفق أنه ركب في بعض الأيام إلى الصيد فألقاه فرسه في وهدة فهلك . وكان أبسه الريان يُنكر عليه فعله ولا يرضاه . فلما هلك عمل له ناووسا قرب الأهرام . وقيل : بل دفن في الهرم .

(١) الظهر : الركاب التي عمل الأتقال في السفر، حملها إياها على ظهرها .

ثم ملك بعده ابنه الريان بن الوليد بن دومع، وهو فرعون يوسف عليه السلام، والقبط تسميه نهر اوش^(١)، وجلس على سرير الملك. وكان عظيم الخلق، جميل الوجه، عاقلا متمكنا، فتكلم ومنى الناس وضمن لهم الإحسان وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين، فأتوا عليه وشكروه، وأمر بفتح الخزان وفزق ما فيها على الخاص والعام، وتمكنت منه أريحية الصبا فللك على الرعية رجلا من أهل بيته يقال له أطفين، وقيل في اسمه: قطفير، وقيل: قوطيفر، وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز. وكان من أولاد الوزراء. وكان عاقلا أدبيا متمكنا صائب الرأي كثير النزاهة مستعملا للعدل والعبارة والإصلاح. وأمر الريان أن ينصب له في قصر الملك سرير من الفضة يجلس عليه ويغدو ويروح إلى باب الملك، ويخرج بجميع الوزراء والعمال والكتاب بين يديه، فكفى الريان ما خلف سريره وقام بجميع أمره وأخلاه لذاته، فأقام الريان منعكفا على قصفه وطوه منغمسا في لذته لا ينظر في عمل ولا يظهر للناس ولا يخاطبهم، فأقاموا بذلك حيناً. وهذا البلد عامر.

وبلغ الخراج في وقته سبعة وتسعين ألف ألف مثقال بغيرها أقساما، فما كان للملك وأسبابه وموائده حمل إليه، وما كان في أرزاق الجيش والكهنة والفلاسفة وأصحاب الصنائع ومصالح البلد وأهل المهنة صرف إليهم، والملك مع ذلك غير سائل عن شيء؛ قد عملت له مجالس من الزجاج الملون وأجرى حولها الماء وأرسلت فيها الأسماك المقرطة، فكانت الشمس إذا وقعت على المجلس منها أرسل شعاعا عجيبا يبهر العيون. وعملت له عدة متزهات على عدد أيام السنة، فكان كل يوم في موضع منها، وفي كل موضع منها من الفرش والآنية والآلات ما ليس في غيره.

(١) هو أحد العالقة، وكان أقوى أهل الأرض في زمانه وأعظم ملكا. والعالقة: ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح (راجع المقرئ). (٢) في المقرئ: « ما خلف ستره ».

فلما اتصل بملوك النواحي تشاغل الريان بلداته وتدير العزيز لأمره، قصده رجل من العالقة يقال له عاكن بن يحووم وكنيته أبو قابوس، وقصد مصر حتى نزل على حدودها، فأنفذ إليه العزيز جيشا كثيفا وجعل عليه قائدا يقال له بريانس، فأقام ثلاث سنين يحاربه، ثم ظفر به العمليقي ودخل من الحدود وهدم أعلاما ومصانع كثيرة، وتمكن طمعه في البلد فأعظم أهل مصر ذلك واجتمعوا إلى قصر الملك وجعلوا يصيحون ويستغيثون ويرفعون أصواتهم حتى سمعها الملك فقال: ما بال الناس؟ فأخبر خبر العمليقي وأنه قد دخل عمّل مصر وعاث وأفسد المزارع والمصانع والأعلام، وأنه سار بجيشه إلى قصر الملك، فارتاع الريان لذلك وأنف منه وآتبه من غفلته وعرض جيوشه وأصلح أمره وخرج في ستمائة ألف مقاتل سوى الأتباع، فالتقوا من وراء الأحواف في تلك الصحراء، واقتتلوا قتالا شديدا فأنهزم العمليقي وآتبعه الريان إلى حدود الشام وقتل من أصحابه خلقا وأفسد زرعهم وأكثر أشجار الفواكه والزيتون، وأحرق وصلب ونصب أعلاما على الموضع الذي بلغه وزبر عليها: إني لمن يجاوز هذا المكان بالمرصاد. فلما تم له هذا الظفر هابته الملوك ولاطفوه وأعظموه .

وقيل: إنه بلغ الموصل وضرب على الشام خراجا وبني عند العريش مدينة لطيفة وشحنها هي وتلك الناحية بالرجال، ورجع إلى مصر فحشد جنوده من جميع الأعمال، وأستعد لغزو ملوك العرب فخرج في تسعمائة ألف واتصل بالملوك خبره، فمنهم من تنحى عن طريقه، ومنهم من دخل تحت طاعته . ومر بأرض البربر فأجلى كثيرا منهم، ووجه قائدا يقال له مريطس في سفن فركب البحر من ناحية رقودة . ومر الريان بجزائر بني يافت فعاث فيها وأصطلم أهلها، وخرج من ناحية أرض البربر فقتل بعضهم وصالح بعضهم وحملوا إليه الأموال، ومضى إلى إفريقية وقرطاجنة فصالحوه على أموال

(١) اصطلم أهلها: استأصلهم .

والطاف كثيرة حملوها إليه، ومرّ حتى بلغ مصبّ البحر الأخضر وهو موضع الأصنام
 النحاس، فأقام هناك صنما وزبر عليه اسمه وتاريخ الوقت الذي خرج فيه، وضرب
 على أهل تلك النواحي خراجا، وعدّى إلى الأرض الكبيرة وصار في الإفرنجية، والأندلس
 في حوزهم وعليها لذريق الأصغر، فخاربه أياما وقتل من أصحابه خلقا وصالحه بعد ذلك
 على ذهب مضروب، وعلى ألا يغزو مصر ويمنع من رام ذلك من جميع أهل النواحي،
 وأنصرف مشرقا فشقّ بلد البربر فلم يمر بموضع إلا أخرج أهله بين يديه وأهدوا له
 ودخلوا تحت طاعته. ثم أخذ نحو الجنوب ومر ببلد الكوسانيين فخاربه فقتل
 خلقا كثيرا، وبعث قائدا إلى مدينة على عبر البحر الأخضر فخرج إليه ملك المدينة^(١)
 وأهلها فعرفهم حال الريان ومصالحة الملوك له فقالوا: ما بلغنا أحد قط، وسألهم هل
 ركب هذا البحر أحد؟ فقالوا: ما يستطيع أحد أن يركبه، وأخبروه أنه ربما أظله
 الغمام فلا يرونه أياما، وأتى الريان فتلقوه بهدايا وفاكهة أكثرها الموز، وحجارة سود
 فإذا جعلت في الماء صارت بيضاء، ثم تركهم وسار إلى أمم السودان حتى بلغ ملك
 الدمدم الذين يأكلون الناس، فخرجوا إليه عراة بأيديهم العمدة الحديد، وخرج ملكهم^(٢)
 على دابة وهو عظيم الخلق له قرون، وكان جسيما أحمر العينين، فظفر بهم فانهزموا
 إلى أوحال وأدغال فلم يتهدأ له اتباعهم فيها، وجازهم إلى قوم على خلق القروود لهم
 أجنحة صغار يثبون بها من غير ريش. ومرّ على عبر البحر المظلم فغشيه من غمام
 فرجع شمالا حتى انتهى إلى جبل يقال له وسن، فرأى فوقه تمثالا من حجر أحمر يومي

٢٠
١٣

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٦ من هذا الجزء.

(٢) في المقرئ « على البحر الأسود ».

(٣) كذا في الأصل. وفي مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (ج ١ ص ٤٩) « تتم » وكتب

بالهامش ما نصه: « ولعلها تتم ».

بيده: إرجعوا، وعلى صدره مزبور: ما ورائي أحد. فتركه وسار راجعا فاتمى إلى مدينة النحاس فلم يصل إليها. ومضى حتى بلغ الوادى المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحدا لشدة ظلمته. وسار حتى آتمى إلى وادى الرمل ورأى على عبّره أصناما عليها أسماء الملوك قبله فأقام معها صنما وزبر عليها اسمه. فلما أسبت^(١) الرمل جاز عليه إلى الخراب المتصل بالبحر الأسود، وسمع جلبة وصياحا هائلا فخرج في شبعان أصحابه حتى أشرف على السباع المقرنة الأنوف، فإذا بعضها تهرّ وتأكل بعضها بعضا، فعلم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع، وعدى وادى الرمل ومرّ بأرض العقارب فهلك بعض أصحابه ورفعوها عنهم بالرقي التي يعرفونها، ثم جاوزهم حتى آتمى إلى مكان صلوفاة وهي حيسة عظيمة، فهجموا عليها ولم يعرفوها وظنوا أنها جبل، ثم عرجوا عنها وتعدّوا منها بالرقي. قال: ويزعم القبط أنه منعها من الحركة بسحره وتركها فهلكت. وقيل: إن تعريج هذه الحية ميل^(٢) وأنها كانت تتلع السباع هناك.

وسار حتى بلغ مدينة الكند، وهي مدينة الحكماء، فتأربوا منه إلى جبل صعدوه من مواضع يعرفونها من داخل مدينتهم لم يعرفها غيرهم، ولم يجد الريان ومن معه إلى الصعود إليها سبيلا، فأقاموا عليها أياما وكادوا يهلكون من العطش، فقل إليهم من الجبل رجل يقال له مندوس، كان من أفاضل الحكماء وقد لبس شعره جسده، فقال: أين تريد أيها المغرور الممدود له في الأجل! المرزوق الكفاية! أتعبت نفسك وجيشك! ألا اقتنعت بما تملكه وأتكلت على خالقك [وربحت الراحة]^(٣) وتركت العناء والغرور بهذا الخلق. فعجب الملك من قوله وسأله عن الماء فدله عليه، وسأله عن

(١) أسبت هنا: سكن ولم يتحرك.

(٢) في هامش خطط المقرئى طبعة فينت: «الكهنة».

(٣) التكلة من المقرئى.

- موضعهم فقال: موضع لا يصل إليه احد ولا بلغه قبلك أحد. قال: فما عيشكم؟ قال:
- من أصول نبات لنا نعتصم به ونقنع بأكله ويكفينا اليسير. قال: فمن أين تشرّبون؟
- قال: من تقار الماء من الأمطار. قال: فلم هربتم منا؟ قال: رغبة عن خلطكم
- وإلا فليس لنا ما نخاف عليه. قال: فكيف تكونون إذا حيت عليكم الشمس؟
- قال: في غيران تحت هذه الجبال. قال: فهل تحتاجون إلى مال أخلفه لكم؟ قال:
- إنما يريد المال أهل البذخ ونحن لا نستعمل منه شيئا، أستغينا عنه بما قد اكتفينا
- به، وعندنا منه ما لو رأيت له حقرت ما عندك. قال: فأرنيه، فانطلق به مع نفر
- من أصحابه إلى أرض في سفح جبلهم فيها قضبان الذهب نابتة، وأراهم واديا حافاته
- حجارة الزبرجد والفيروزج، فأمر الرّيان أصحابه أن يأخذوا من كبار تلك الحجارة
- ففعلوا؛ وأراهم الحكيم يصلّون إلى صنم يحملونه معهم، فسألهم ألا يقيموا بأرضهم
- خوفا من عبادة الأصنام؛ فسأله الملك أن يدلّه على الطريق ففعل، وودّع الحكيم
- وسار على السميت الذي وصفه له. فلم يمر بأمة إلا أبادها وأثر فيها إلى أن بلغ بلد
- النوبة، فصالح أهلها على مال يحملونه إليه، ثم أوى دُنُقَلَة فأقام بها علما وزبر عليه
- أسمه ومسيره. ومرّ يريد منف؛ فكان أهل كل مدينة من مدائن مصر يتلقّونه بالفرح
- والسرور والطيب والرياحين والملاهي إلى أن بلغ منف، فلم يبق أحد من أهلها
- إلا خرج إليه مع العزيز وتلقّوه بأصناف الطيب والبخورات والرياحين.
- وكان العزيز قد بنى له مجلسا من الزجاج الملون وفرشه بأحسن الفُرش المذهبة،
- وغرس حوله جميع الأشجار والرياحين، وجعل فيه صهريجا من زجاج سمائي،
- وجعل في أرضه شبه السمك من زجاج أبيض وأنزله فيه، وأقام الناس يأكلون
- ويشربون أياما كثيرة. وأمر بعرض جيشه فوجد أنه قد فُقد منهم سبعون ألفا،
- وكان قد خرج في ألف ألف، ووجد من أنصاف إليه من الغرباء والمأسورين نيفا

وخمسين ألفاً، وكان مسيره وغيبته إحدى وعشرين سنة . فلما سمع الملوك بذكره وما فتح من البلاد وما أسر هابوه ، وخافوا شدة بأسه وعظم سلطانه . وتجبّر وبنى بالجانب الشرقى قصورا من الرخام ونصب عليها أعلاما ، فكان يقيم بها الأيام الكثيرة . وكان الحراج قد بلغ في وقته سبعة وتسعين ألف ألف فأحب أن يتمه مائة ألف دينار ، فأمر بوجوه العمارات وإصلاح الجسور والزيادة في استنباط الأراضى حتى بلغ ذلك وزاد عليه .

ثم كان من خبر يوسف الصديق عليه السلام وبيعه بمصر وخبره مع امرأة العزيز وسجنه وقصته مع صاحبي الملك ورؤيا الملك وتعبيرها وتولية الريان بن الوليد يوسف عليه السلام رتبة العزيز وخبر القحط ، ما قدمنا ذكره في أخبار يوسف عليه السلام ، وهو في السفر الحادى عشر من نسخة الأصل . فلا فائدة في إعادته . إلا أنه قد وردت زيادات أخر لم ترد هناك نحن نذكرها الآن . وهو ما حكاه مؤلف هذا الكتاب الذى نقلنا منه إبراهيم بن القاسم الكاتب عن إبراهيم بن وصيف شاه قال : إن يعقوب عليه السلام لما قدم مصر بأهله وولده ، خرج يوسف عليه السلام في وجوه أهل مصر فتلقاه وأدخله على الملك ؛ وكان يعقوب عليه السلام مهيبا جميلا فقزبه الملك وعظمه وقال له : يا شيخ ، كم سنوك وما صناعتك وما تعبد ؟ فقال : أما سنى فعشرون ومائة سنة ، وأما صناعتى فلنا غنم نرعاها ونتفع بها ، وأما الذى أعبد فرب العالمين ، وهو الذى خلقنى وخلقك ، وهو إله آبائى وإلهك وإله كل شىء .

قال : وكان فى مجلس الملك فنيامين ، وهو كاهن جليل القدر ، فلما سمع كلام يعقوب ضاق به ذرعا وقال للملك بلغتهم : أخاف أن يكون خراب مصر على يد ولد هذا .

(١) راجع (ج ١٢ ص ١٣٠ - ١٥٦ من هذه الطبعة) .

فقال له الملك : فأتى لئسا خبره ؟ فقال الكاهن : أرنا إلهك أيها الشيخ . قال :
 إلهي أعظم من أن يُرى . قال : فإننا نحن نرى آلهتنا . قال : لأن آلهتكم ذهبٌ
 وفضةٌ ونحاسٌ وخشبٌ ، وما يعملُه بنو آدم عبيدُ إلهي الذي أحتجب عن خلقه
 بعز ربوبيته ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . قال له فنيامين : إن لكل شيء دليلًا ،
 وكل شيء لا تراه العيون فليس بشيء ، فغضب يعقوب وقال : كذبت يا عدو الله
 وطمغيت في هذه الدنيا ؛ إن الله سبحانه وتعالى شيءٌ وليس كالأشياء ، وهو خالق كل
 شيء لا إله إلا هو . قال : فصغره لنا . قال : إنما يوصف المخالقون ولا يوصف
 الخالق عز وجل ؛ لأنه يرتفع عن الصفات ؛ لأنه واحد قديم مدبر للأشياء في كل
 مكان يرى ولا يُرى . ثم قام يعقوب مُغضبًا ، فأجلسه الملك وأمر فنيامين أن يكف
 عنه ويكون بين يديه ويأخذ في غير هذا . ثم قال الملك : كم عدّة من دخل معك إلى
 مصر ؟ قال ستون رجلاً . قال الكاهن : كذلك نجده في كتبنا ؛ إن خراب مصر يجري
 على أيديهم . قال الملك : فهل يكون في أيامنا ؟ قال : لا ، ولا إلى مدة كبيرة . والصواب
 أن يقتله الملك ولا يستبق من ذريته أحدا . قال الملك : إن كان الأمر كما تقول فما
 يمكننا أن ندفعه ولا نقتل هؤلاء ، وإن لهم إلهًا عظيمًا ، وقد قبل قلبى هذا الشيخ ، ومالى
 إلى قتله من سبيل ، فخاطبه بألين الكلام ؛ فغرت بينهما بعد ذلك مخاطبات ألان
 له فيها القول .

٢٢
١٣

قال : ثم إن يعقوب عليه السلام أحب أن يعرف خبر مصر ومدانها وكيف
 بُنيت وخبر طسماياتها وعجائبها . فسأله عن ذلك وسأله بحق الملك ألا يكتبه شيئا من
 أمرها فأخبره . قال : وأقام يعقوب عليه السلام مع الريان بن الوليد الملك يعظمه
 ويبيحله إلى أن حضرته الوفاة ، فأوصى أن يُحمل إلى مكانه من الشام ، فحُمِل في تابوت

(١) كذا في مخطوط المقرئى ، وفي الأصل «أين» .

وخرج معه يوسف عليه السلام ووجوه مصر حتى بلغ الى موضعه ورجعوا . وقيل : إن عيصو منعهم من دفنه هناك لأن إسحاق عليه السلام كان قد وهبه الموضع فأشتراه يوسف عليه السلام منه . ويقال : إن الريان آمن بيوسف وكم إيمانه خوفا من فساد ملكه .

٥
وملك الريان مائة وعشرين سنة . وفي وقته عمل يوسف عليه السلام الفيوم لأبنة الملك ، وكان أهل مصر قد وشوا به وقالوا : قد كبر ونقص نفعه فأخبره . فقال له الملك : قد وهبت هذه الناحية لأبنتي ، وكانت مغايض للماء فدبرها . قال : فقلع أذغالها ، وساق المنهى ، وبني الألاهون^(٢) ، وجعل الماء فيه مقسوما موزونا ، وفرغ من ذلك كله في أربعة أشهر ، فعجبوا من حكمة يوسف عليه السلام . قال : ولما مات الريان بن الوليد ملك بعده آبنه دريموس بن الريان^(٣) ابن الوليد ويسميه أهل الأثر دارم ، وهو الفرعون الرابع عندهم . قال : ولما ملك خالف سنة أبيه ، وكان يوسف عليه السلام خليفته كما كان مع أبيه ، وذلك بأمر الريان . وكان يوسف يستدده فرما قبل منه وربما خالفه ، وظهر في وقته معدن فضة على ثلاثة أيام من النيل فأبان^(٤) منه شيئا عظيما ، وعمل منه صنما على أسم القمر ، لأن طالعه كان بالسرطان ، ونصبه على القصر الرخام الذي كان أبوه بناه في شرقي النيل ، ونصب حوله أصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الأحمر ، وعمل لها عيدا في كل سنة ، وهو إذا نزل القمر السرطان .^(٥)

(١) المنهى : اسم فم النهر الذي احتفروه يوسف الصديق يفنى الى الفيوم مأخذه من النيل .

(٢) الألاهون : هو السكر الذي بناه لرد الماء الى الفيوم .

(٣) كذا في نسخة «ب» والمقرزى . وفي نسخة «أ» «ديموش بالشين المعجمة» .

(٤) أبان : فصل .

(٥) كذا في نسخة أ . وفي نسخة ب «شهر» .

٣٠

وكان يتنقل الى مواضع شتى يتتره فيها ، وإذا أراد أن يضر الناس بشيء منعه يوسف عليه السلام ودفعه عنه الى أن توفى يوسف عليه السلام ، كما تقدم في خبر وفاته ، فاستوزر الملك دارمُ بعده بلاطس بن مذسا الكاهن ، فكان بلاطس يُطلق له ما كان يوسف يمنعه عنه ، وحمله على أذى الناس وأخذ أموالهم فبلغ منهم كل مبلغ . وعمل الوادي المنحوت بين الجبلين في الناحية الغربية وكثر الأموال فلا يُوصَل إليها ، وجعل صقالة من الوادي الى باب الخباء ، وجعل له بابا من الحديد يتوصَل إليه من تلك الصقالة ، وصمده بجماعة من العفاريت يمنعون من ذلك الخباء ، فمن رآه من الناس سقط في الوادي . وقال آخرون : كثرت في موضع منه يدخل إليه ويُنظر الى الأموال مكشوفة مضروبة ، في كل دينار عشرة مثاقيل عليها صورته ، فإن أخذ الداخل منها شيئا انطبق عليه الباب فلم يقدر على الخروج ، فإذا رده الى موضعه انفتح له الباب . وهو بحاله الى هذا الوقت كما زعموا .

قال : ثم زاد دارمُ في التجبر الى أن آختلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من أهلها ، ولا يسمع بأمرأة حسنة في ناحية من النواحي إلا وجه فحمت إليه . وفشا ذلك في المملكة واضطرب الناس من فعله وشق عليهم أمره الى أن شغبوا عليه وعطلوا الصنائع والأعمال والأسواق فعسدا على جماعة منهم فقتلهم . وزاد الأمر حتى اجتمعوا على خلعه ، فخاف بلاطس الوزير أن يفسد أمر المملكة فدخَلَ على الملك وأشار عليه أن يتوَدد الى الناس ويعتذر إليهم ويرد نساءهم فأبى إلا مخالفتَه ، وهم أن يخرج الى الناس في خاصته ويقتل منهم وقال : إنما هم عبيدي وعبيد آبائي . فلم يزل يرفق به الى أن سكن غضبه ، فأمره أن يعتذر الى الناس عنه ، ففعل الوزير ذلك وذكر عنه جميلا ، فأبى الناس أن يقبلوا منه دون مخاطبتهم الملك فضمين لهم ذلك وخاطبه وأشار به عليه ، فأمره أن ينادى في الناس بالحضور في يوم عينه ،

ثم لبس أرفع ثيابه وأكبر تيجانه وجلس ودخل الناس عليه فذكروا ما حل بهم من أخذ أموالهم ، وعزفوه أنه لم يحسر عليهم من ملكٍ قبله مثل هذا ، فاعتذر إليهم ووعدهم الإقلاع عما شكوا منه وأسقط عنهم نجاج ثلاث سنين .

ثم أمر بعمل قصر من خشب على أساطين خشب ممدودة بأضلاع مسمرة يتزده فيه ، فعمل ودهن بالأدهان والأصبغ الملونة المذهبة ، وضُرب بالفضة والنحاس المذهب ، وعمل فوقه قبة من الفضة المذهبة مصورة بالزجاج الملون وعلق فيها الحجر المضى الذى أتى به أبوه من المغرب . فلما فرغ القصر فرش به بأحسن الفرش وجعله طبقتين : طبقة له يجلس فيها مع من يحبه ، وطبقة لحشمه ، وجعل حول ذلك أروقة ملصقة بالمجلس يجلس فيها من يريد ؛ فكان يركب فيه بمن أحبه من خاصته ونسائه ويُصعد فيه في المساء إلى ناحية الصعيد وتبعه المراكب فيها أصحابه وغلمانه بالعدد والسلاح وينحدر إلى أسفل الأرض ، فإذا مرّ بمكان يستحسنه أقام فيه أياما .

وأتفق أنه خرج في بعض الأيام مُصعداً فوثب رجل من الإسرائيليين على رجل من سدنة الهياكل فضربه حتى أدماه وعاب دين الكهنة ، فغضب القبط لذلك وخاطبوا خليفة الملك أن يُخْرِجَهُم من مصر فامتنع دون مشاورة الملك ، وكتب إليه يعزفه ذلك ، فكتب إليه ألا يُحدث في القوم حادثة دون موافاته ، فشعَبُوا وأجمعوا على خلعه وتمليك غيره ، وتعزض بعضهم إلى ذكر الملك فحشد أهل الصعيد وأخدر إليهم ، فخار به فهلك بينهم خلق كثير . وعاونته امرأة أبيه ، وكانت ساحرة ، فأظهرت من سحرها وتخايلها ودُخِنها ما أعماهم عن النظر ، وأضعف حواسهم وأسكرهم ، فقتل خلقا منهم وصلب خلقا على عبر النيل ، ورجع إلى أكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء ونهب الأموال واستخدام الأشراف والوجوه من القبط ومن بنى إسرائيل ؛

فأجمع الكل على ذمه . وكانت الساحرة لا تُحْلِيه من معوتها الى أن ركب في ذلك القصر في بعض الليالي وقد أهدق النيل بالبلد ، وهو من الجبل الى الجبل ، وامتد القمر على الماء ، فأراد أن يعدى من العدو الى العدو الأخرى فلم يتهيا له سوق القصر بسرعة لعظمه ، فركب مراكبا لطيفا مع ثلاثة من خدمه والساحرة ، فلما توسط البحر هاجت ريح عاصف ففرق هو ومن معه ، وأصبح الناس شاكين في أمره لا يعلمون ما نزل به ، الى أن وجدت جثته بشطونف^(١) فعرف بخاتمه وبيجوهر كان يتقلد به فحمل الى منف .

وملك بعده أبه معاديوس بن دريموس ، ويسميه أهل الأثر معدان ابن دارم ، وهو الفرعون الخامس . وذلك بتدبير الوزير ، فأجاسه على سرير الملك وبايعه الجيش ، وكان صبيا فكرهه الناس ثم رضوا به ، فأسقط عن الناس الخراج الذي كان أبوه أسقطه ، وزادهم سنة وأحسن إليهم فأطاعوه ، وأستقام له الأمر وردت نساءهم . وكان ينكر على أبيه فعله ولا يرضاه ، فلذلك رضوا به .

قال : وفي زمانه كان طوفانٌ أضرَّ ببعض البلد فلزم الملك الإقبال على الهياكل والتعبد ، وطلب القاطر ووجوه الكهنة بالحضور معه ، وأنصف بعض الناس من بعض . وكثر بنو إسرائيل وعابوا الأصنام وثلبوها . وكان الوزير قد هلك فأستوزر كاهنا يقال له املاده ، فلما رأى ما فعله بنو إسرائيل أنكروه وأمر أن يُفردوا بناحية من البلد لا يختلط بهم أحد غيرهم ، فأقطعهم موضعا في قبلي منف ، واجتمعوا إليه وعملوا لأنفسهم معبدا كانوا يتلون فيه صحف إبراهيم عليه السلام ، وأنفق أن رجلا من أهل بيت الكهنة عشق امرأة من بنى إسرائيل كانت قد جاءت

٢٤
١٣

(١) شطونف : بلدة - مركز أشمون - مديرية المنوفية .

لتشكى أخاها أنه غصبها ميراثها، وأرادت أن يعتنى بأمرها عند وزير الملك، فرأها
 ابنه فأحبها وسأل والده أن يزوجه منها ، فخطبها من أهلها فأبوا ذلك ، فأنكر
 الناس فعلهم وأجمعوا الى الوزير وقالوا : هؤلاء قوم يعيبوننا ويرغبون عنا ،
 ولا نحب أن يجاورونا إلا أن يدينوا بديننا . فقال الوزير : قد علمت إكرام
 الريان الملك بلحدم يوسف عليه السلام ، وقد وقفتم على بركة جدكم يوسف
 عليه السلام حتى جعلتم قبره وسط النيل فأخصب جانبا مصر بمكانه فلا تخوضوا
 في هذا ، فأمسكوا .

قال : وتغلب أحد ملوك الكنعانيين على الشام وامتنع أهله أن يحملوا الضريبة
 التي كانت عليهم ملك مصر ، فأذكر أهل مصر ذلك وأشفقوا من غلبة صاحب
 الشام على بلدهم ، فحضوا الملك على غزو الشام فقال : إن رام أحد حدود بلدنا
 غزوانه ، وما لنا في ذلك البلد من حاجة ؛ فاستنقصوا رأيه . وأقام على ملازمة
 الهياكل والتعبد فيها ؛ فيزعم القبط أنه بينما ذات يوم قائم في هيكل زحل حذاء
 صورته ، وقد أجهد نفسه في التعبد ، إذ تغشاه النوم فتجلى له زحل وخاطبه وقال :
 قد جعلتك رباً على أهلك وأهل بلدك ، وحبوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم ، وسأرفك
 إلى فلا تخل من ذكرى ؛ فعظم عند نفسه ، وآنصل خبره بأهل البلد ، وأخبرهم
 سدة الهيكل أنهم رأوا النور وسمعوا الخطاب ، وأعظم الناس أمره ، فتجبر في نفسه
 وأمر الناس أن يسموه رباً ، وترفع أن ينظر في شيء من أمر الملك ، وأحضر
 الناس وقال : قد وقفتم على ما خصصت به دون الملوك ، وهذه موهبة يلزمي
 الشكر لواهبها عليها ، ولست أفتخر للنظر في أموركم ، وقد رأيت أن أجعل الملك
 إلى أبى أكسامس ، وأكون من ورائه إلى أن يغيب شخصي عنكم كما وعدت ، وقد
 أيديته بالقاطرين ، فأنظروا كيف تكونون ، ولا تنتظلموا فإنكم مني بمراى ومسمع ،

فرضوا بذلك وقالوا : نحن عبيد الملك ومن رضيت الالهة فحكم الخلق أن يرضوه ولا يخالفونه .

- فلك ابنه أكسامس بن معاديوس ، ويسميه أهل الأثر كاسم
 ابن معدان ، وهو الفرعون السادس ، وجلس على سرير الملك وتوج بتاج أبيه
 وقام القاطرون بين يديه ، فجعل لكل واحد منهم رتبة ، ورتب الناس مراتب ،
 وقسم الكور والأعمال ، وأمر باستنباط العارات وإظهار الصناعات ، ووسع على
 الناس في أرزاقهم وعلى حاشيته وحاشية أبيه ، وأمر بتنظيف الهياكل وتجديد
 لباسها وأوانها ، وزاد في القرابين ، وكلم أتى شيئا من ذلك لم تخالفه الكهنة
 وقدروا أن ذلك عن أمر أبيه برضى الكواكب ، واحتجب أبوه عن الناس ، وأقام
 كاسم أعلاما كثيرة حول منف وجعل عليها أساطين يمر عليها من بعضها إلى بعض .
 وعمل برقودة وصا ومدائن الصعيد وأسفل الأرض مدنا كثيرة وأعلاما ومناثر للوقود
 والطلسمات . وعمل كرة من الفضة على عمل البيضة الفلكية ونقش عليها صور
 الكواكب الثابتة ودهنها بدهن الصيني وركبها على منار في وسط منف . وعمل
 في هيكل أبيه روحاني زحل من ذهب أسود مدبر . وعمل في وقته الميزان الذي
 يعتبر به الناس ، وجعلت كفتاه من ذهب وعلائقه من فضة وخيوطه سلاسل ذهب ،
 وكان معلقا في هيكل الشمس ، وكتب على إحدى كفتيه حق ، والأخرى باطل ،
 وتحت فصوص قد نقش عليها أسماء كل شيء من الكواكب ، فيدخل الظالم
 والمظلوم ويأخذ كل واحد منهما فصا من تلك الفصوص ويسمى عليها ما يريد ،
 ويجعل أحد الفصين في كفة والآخر في الأخرى ، فتثقل كفة الظالم وترتفع كفة
 المظلوم . وكذلك من أراد سفرا أخذ فصين فذكر على واحد اسم السفر ، والآخر
 اسم الجلوس ، ويجعل كل واحد في كفة ، فإن لم يرتفع أحدهما على الآخر جلس ،

وإن ارتفعوا نخرج ، وإن ارتفع أحدهما مكث شهرا . ومن نحو هذا من غائب
ودين وفساد وصلاح . ويقال إن بُحْتَنَصَّرَ لِمَا ظَفِرَ بِمَصْرِ حَمَلِهِ فِي جَمَلَةٍ مَا حَمَلَ
إلى بابل وجعله في بيت من بيوت النار .

قال : وطالب كاسم الناس بلزوم الأعمال وإظهار الصنائع ، فعُملت كل
غريبة منها : التَّنُورُ الَّذِي يَشْوَى مِنْ غَيْرِ نَارٍ فِيهِ ، وَالْقُدُورُ الَّتِي يَطْبَخُ فِيهَا مِنْ غَيْرِ
نَارٍ ، وَالسَّكِينُ الَّتِي تُنْصَبُ إِذَا رَأَى شَيْءًا مِنَ الْبِهَائِمِ أَقْبَلَ حَتَّى يَذْبَحَ نَفْسَهُ بِهَا ،
وَالْمَاءُ الَّذِي يَسْتَحِيلُ نَارًا ، وَالزُّجَاجُ الَّذِي يَسْتَحِيلُ هَوَاءً ، وَأَشْيَاءٌ مِنْ ذَلِكَ .

قال : فأقام في أول ولايته ثلاث سنين بأجمل أمر وأصلح حال ، ومات وزير
أبيه الذي كان معه فاستخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال له طلما ، وكان
شجاعا فارسا كاهنا كاتبًا حكيمًا دهبًا متصرفًا في كل فن ، وكانت نفسه تنازعه الملك
فصلح أمر المملكة بمكانه وأحبه الناس ، فعمل معالم كثيرة وعمر نحرابا وبني مدنا من
الجنانين . ورأى في نجومه أنه ستكون شدة فاستعمل ما استعمله نهراوش ، وبني
بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع . وشكا القبط إليه حال الإسرائيليين
فقال : هم عبيد لكم ، فكان القبطي إذا أراد حاجة سخر الإسرائيلي ، وكان القبطي
يضرب الإسرائيلي فلا ينكر عليه أحد ، وإن ضرب الإسرائيلي القبطي قُتل ، فكان
أول من أذى بني إسرائيل ، ويفعل نساء القبط بنساء بني إسرائيل ما يفعل الرجال
بالرجال من السَّخَرِ وَالضَّرْبِ .

قال : وفي أيام أكسامس بُنيت منارة الإسكندرية . وفي زمانه هاج البحر
المالح فغرق كثيرا من القسرى والجنان والمصانع . وحكى أن أكسامس تغيّب عن
الناس مدة . وقيل : مات وكنموا موته . وكانت مدة ملكه إلى أن غاب إحدى
وثلاثين سنة ، وأقام طلما إحدى عشرة سنة يدبّر المملكة ثم اضطرب الناس على

طلما وتغيروا واتصل بهم أنه قتل الملك بسم سقاه إياه فأجتمعوا وقالوا : لا بد لنا من النظر إلى الملك ، فعرفهم أنه قد تخلى عن الملك وولى ابنه لاطس فلم يقبلوا ذلك .

فأمر طلما الجيوش فركبت في السلاح وأجلس لاطس بن أكسامس

على سرير الملك ولبس التاج . وكان جريئا معجبا فوعد الناس جميلا وقال : أنا

٥ مستقيم لكم ما استقمتم ، وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم ، وأمر ونهى وألزم الناس

أعمالهم ، وحط جماعة من الوجوه عن مراتبهم ، وصرف طلما عن خلافة المملكة

وآستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولد صا الملك ودفع إليه خاتمه ، وأنفذ طلما

عاملا على الصعيد وأنفذ معه جماعة من الإسرائيليين ، وعمل الأعلام وأصلح الهياكل

وبنى قرى كثيرة ، وأثيرت ^(١) في أيامه معادن كثيرة وكنوز في صحراء المشرق ، واستعمل

١٠ آنية كثيرة من الجواهر الأخضر وأصناف الزجاج . وكان محبا للحكم ثم تجبر وعلا ،

وأمر ألا يجلس أحد في مجلسه ولا في قصر الملك من الكهنة وغيرهم ، بل يقومون

على أرجلهم إلى أن ينصرفوا ، وزاد في أذى الناس والعنف بهم ، ثم منع الناس

فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت ، وجمع أموالهم وطلب النساء فانتزع كثيرا

منهن ، وفعل في ذلك أكثر من فعل من تقدمه من الملوك ، وقهر الناس بالسطوة

١٥ واستعبد بنى إسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعام .

وكان طلما لما صرفه لاطس عن خلافته وجد في نفسه وأضمر الغدر به .

فلما خرج إلى الصعيد احتجز الأموال فلم يحملها ، وحال بين الملك وبين المعادن ،

وأراد أن يقيم ملكا من ولد قبطريم ويجلسه في الملك ، فأشار بعض الكهنة على طلما

أن يطلب الملك لنفسه وعرفه أنه سيكون له حال . فلما شجعه الكاهن وجزأه على

(١) أثيرت : من الإثارة ، وهي الإخراج من تحت الأرض .

(٢) وجد بالتحريك : غضب .

ذلك دعا إلى نفسه وكاتب وجوه أهل البلد، فبعض أجابه وبعض توقف، ورفع كل واحد من ولد الملوك رأسه وطمع في الملك .

قال : وفي بعض كتبهم أن بعض الروحانيين ظهر له وقال : إني أطيعك إن أطعني ، وأقلدك مصر زمانا طويلا ، فأجابه إلى ما سأله وقرب له أشياء ذكرها له ، منها غلام إسرائيلي ، فعاونوه حينئذ وكان له رسولا إلى رؤساء مصر ، فكان يتصور بصور بعضهم ويشير بتلكه عليهم إلى أن استقام له الأمر ، قال : ولما منع طلما لاطس من مال الصعيد كتب بصرفه عن العمل فأبى أن ينصرف ، فوجه إليه قائدا من أهل بيته وقاده مكانه وأمره أن يحمله إليه ، فخاربه وأعانه الروحاني فظفر به طلما وأعتقله ثم خلّاه وقزبه وأدخله في جملته ، واتصل الخبر بلاطس فأنفذ إليه قائدا آخر فهزمه طلما وسار في أثره بجيش كثيف ، وكاتب جميع القواد وأهل البلد وبذل لهم الأموال ، وخرج إليه لاطس فخاربه طلما وعاونوه الروحاني فظفر به طلما وقتله وسار حتى دخل منف وعاث فيها .

وملك طلما بن قومس ؛ ونزل قصر المملكة وجلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزائنها . قال : وطلما هذا هو ابن قومس ، وهو الذي يذكر القبط أنه فرعون موسى عليه السلام . وأهل الأثر يسمونه الوليد بن مصعب وأنه من العالقة . وذكروا أن الفراعنة سبعة فأولهم : طوطيس بن ماليا ، ثم الوليد بن دومع ، ثم ابنه الريان بن الوليد ، ثم دريموس بن الريان ، ثم معاديوس بن دريموس ، ثم أكسامس بن معاديوس ، ثم طلما .

قال : وكان طلما فيما زعموا قصيرا . قيل : كان طوله أربعة أشبار ، طويل الخية ، أمهل العينين ، صغير العين اليسرى ، في جبينه شامة . ويقولون : إنه

كان أعرج . وزعم قوم أنه من القبط . قال : والدليل على ذلك ميله إليهم ونكاحه فيهم ؛ ونسب أهل بيته مشهور عندهم .

وقد اختلف الناس في سبب ملكه وعمن تلقى الملك ، فقيل ما ذكرناه ، وقيل ما قدمناه في قصة موسى بن عمران عليه السلام ، والله تعالى أعلم .

- قال : ولما جلس طلها على سرير الملك اضطرب الناس عليه فبذل الأموال وأرغب من أطاعه ، وقتل من خالفه ، فاعتدل الأمر له . وكان أول ما عمل أن رتب المراتب ، وشيّد الأعلام ، وبني المدن ، وخندق الخنادق ، وعمل بناحية العريش حصنا ، وكذلك على حدود مصر ، وأستخلف هامان ، وكان يقرب منه في نفسه ونسبه ، فأثار بعض الكنوز وصرفها في بناء المدن والعمارات ، وحفر خلجانا كثيرة . ويقال : إنه الذي حفر خليج السردوس^(٢) ، وكان كلما عرجه إلى قرية من قرى الخوف حمل إليه أهلها مالا ؛ فاجتمع له من ذلك شيء كثير ، فأصر برده على أهله .

(١) راجع (ج ١٣ ص ١٧٥ من هذه الطبعة) .

- (٢) ذكر ابن دقاق في كتاب الانتصار (ج ٥ ص ٤٧) هذا الخليج أثناء كلامه عن مدينة قلوب فقال : « وبها خليج السردوس وهو أحد نزهات الدنيا وهو خليج يسار فيه بين بساتين مشبكة وأشجار ملتفة وفواكه دانية ... الخ » . وورد في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٣٠٤) بعد وصفه لهذا الخليج ما نصه : « قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وبطل الخليج وعرض عنه بجزأى المنجا » .
- (٣) هذا ما رواه ابن وصيف شاه . وذكر المقرئى بعد هذا ما قاله ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وهو متم هذه الرواية ونصه :

- « إن فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قرىهم ويعطونه مالا . قال : وكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو الشرق ثم يردّه إلى أهل قرية من نحو دبر القبله ثم يردّه إلى قرية في الغرب ثم يردّه إلى أهل قرية في القبلة و يأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فأنى بذلك يحمله إلى فرعون فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل في حفره ، فقال له فرعون : ويحك ! إنه يذبح للسيد أن يعطف على عباده ويفض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم ؛ ردّ على أهل كل قرية ما أخذت منهم . فردّه كله على أهله » (وراجع أيضا فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص ٦ طبع أوروبا) ٨١ .

وأنهى الخراج في وقته الى سبعة وتسعين ألف ألف دينار ، وكان يُترل
الناس على مراتبهم . وهو أول من عرف العرفاء على الناس ، وكان ممن صحبه
من الإسرائيليين رجل يقال له إمرى ، وهو عمران أبو موسى عليه السلام ، وهو
أخو مزاحم لأبويه ، ومزاحم أبو آسية ، فهي ابنة عم موسى وبنت خالته ،
فجعل فرعون عمران حارسا لقصره يتولى حفظه وفتح وإغلاقه . وكان رأى
في كهنته أن هلاكه على يد مولود من الإسرائيليين ، فمنعهم المناخة ثلاث سنين ؛
لأنه رأى أن ذلك المولود يكون فيها . ثم كان من خبر موسى في حمل أمه به
وولادته وغير ذلك من أمره ما قدمنا ذكره في قصة موسى عليه السلام فلا فائدة
في إعادته .

وقد نقل أن موسى عليه السلام لما كبر عند فرعون عظم شأنه ورد فرعون
إليه كثيرا من أمره وجعله من قواده ، وكانت له سطوة ؛ ثم وجه فرعون لغزو
الكوثانيين ، وكانوا قد عاثوا في أطراف مصر ، فخرج في جيش كثيف فرزقه الله
عز وجل الظفر ، فقتل منهم خلقا وأسر خلقا وأنصرف سالما فسر به فرعون
وآسية . قال : وأستولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون . وأراد أن
يستخلفه حتى قتل رجلا من أشرف القبط فكان من أمره ما تقدم ذكره .
والله أعلم .

هذا ما أورده إبراهيم في كتابه ؛ ولم يذكر من أخبار ملوك مصر بعد غرق فرعون
شيئا ولا ذكر من ملك بعده . وقد أشار المسعودى في مروج الذهب الى نبذة من
أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون نحن نذكرها . وأما سياقة أخباره فيما كان
قبل فرعون فهذا الذى ذكرناه أتم منه وأكثر استيعابا .

(١) راجع (ج ١٣ ص ١٧٣ — ٢٣٢ من هذه الطبعة) .

ذكر نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن
الجوهر : لما أهلك الله تعالى فرعون وقومه بالفرق خشى من يبق بمصر من
الذراري والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب ، فلكوا عليهم امرأة يقال
لها دلوكة ؛ فبنت على أرض مصر حائطاً يحيط بجميع البلاد من حدّ أرض رَغ
الى برقة ، وجعلت الحراس على مسافة كل ميل منها يصل أخبار بعضهم الى بعض ،
فإذا حدث أمر في أول ملكها بليل رُفعت النيران في وقت حدوثة فعلم في آخر المملكة
بالخبر من ليلته ، وإن كان بالنهار دخن . وهذا الحائط موجود الى حين وضعنا
لهذا الكتاب ويسمى حائط العجوز . وقيل فيه : حائط المجوز . وقيل : إننا بنت
هذا الحائط من خوفها على ولدها .

واتخذت دلوكة بمصر البرابي وصوّرت فيها الصور ، وأحكمت آلات السحر ،
وجعلت في البرابي صُور من يرد في البر ودوابهم إبلا كانت أو خيسلا ، ومن يرد

(١) راجع (ج ١ ص ١٧١ طبع بلاق) .

(٢) ذكر المؤلف فيما سبق (ج ١ ص ٣٩٢ من هذه الطبعة) ما نصه :

« وهذا الحائط من العريش (وهو حدّ مصر من جهة الشام) الى أسوان (وهي حدّ مصر من جهة النوبة) »
شاملا للديار المصرية من الجانب الشرق .

وقد وصف ابن فضل الله العمري جزءا من هذا السور في كتابه مسالك الأبصار (ج ١ ص ٢٣٩) فقال :

« وهو حائط يستدير بالديار المصرية ، ممتدا على جانب المزدرع بها ، كأنه قد جعل حاجزا بين الرمل

والمزدرع . على أنه غير عالي الذرى .

مشيت معه الى دندرا ، من الصعيد الأعلى ، ورأيت قد دثر غابه ، ومتقطعه أكثر من متصله ، وهو مبنى

من طوب ، ليس بعريض السمك ولا عالي الجدار وأنه يصل الى ما بين العريش ورغ ، منتهى الحد
الفاصل بين مصر وبين الشام . وليس له هناك أثر ، بل ولا في أسافل أرض مصر .

في البحر في المراكب من بلاد الغرب وسواحل الشام ، وأحكمت جميع ذلك بحركات فلكية . فكان إذا ورد عليها عدو من نحو الجحاز واليمن عورت تلك الشخوص التي في البرابي من الإبل وغيرها فيحدث العور في ذلك الجيش وتهلك دوابهم ، وكذلك كل من يقدم عليها من البر والبحر إذا بلغها خبر مقدمه صنعت في تلك الصور ما يحدث مثله في ذلك الجيش من الآفات ، فهابها سائر ملوك الأمم . وخبر هذه المرأة مشهور . وأكثر هذه البرابي باق إلى وقتنا هذا وفيها التصاوير إلا أنها لا فعل لها . وقد قيل في البرابي : إنها اتخذت مع الأهرام قبل الطوفان . والله تعالى أعلم .

وقيل أيضا : إن مما أنشأته هذه المرأة منارة الإسكندرية ، وقد تقدم ذكر خبرها في المباني القديمة وهو في السفر الأول من كتابنا هذا من هذه النسخة .

قال : وملك هذه المرأة نحو من ثلاثين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ولما هلكت دلوكة ملك بعدها دركوس بن بلوطس . ثم ملك بعده ولده بورش^(٣) .

ثم ملك بعده ولده بغاش^(٤) بن بورش نحو من خمسين سنة . ثم ملك بعده ذنيب^(٥) ابن بورش نحو من عشرين سنة . ثم ملك بعده بلوطس عشرين سنة . ثم ملك بعده بلوطس بن متنا كيل^(٦) أربعين سنة . ثم ملك بعده مالس^(٧) بن بلوطس . ثم ملك

(١) راجع (ج ١ ص ٣٩٥ من هذه الطبعة) .

(٢) في المقرئى : « دركون » وفي صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٦) : « دركون بن بطلوس ،

ويقال : دركوس بن ملوطس » .

(٣) في المقرئى : « بورس » وفي صبح الأعشى : « تودس » .

(٤) في المقرئى : « لقاس » . (٥) في المقرئى : « مرنيان مرينوس » .

(٦) في المقرئى : « متاكيل » وفي صبح الأعشى : « مياكيل » .

(٧) في المقرئى وصبح الأعشى : « مالوس » .

بعده بوليه بن مئنا كيل ، وكانت له حروب وسير في الأرض وهو فرعون الأعرج (٢)
 الذي غزا بني إسرائيل وخرب بيت المقدس . ثم ملك بعده وينوس بن مريئوس (٣)
 ثمانين سنة . ثم ملك بعده قومس بن بغاس (٤) عشر سنين . ثم ملك بعده مكابيل (٥)
 وكانت له حروب مع ملوك الغرب ، وهو الذي غزاه بختنصر فقتله وقتل رجاله
 وخرب أرض مصر ، فقبل إنها خربت مدة أربعين سنة . وانقرض ملك الفراعنة .

+
+

وملك الروم أرض مصر فتنصر أهلها ؛ ولم تزل بيد ملوك الروم الى أن ملك
 كسرى أنوشروان فارس فغلبت جيوشه على الشام وسارت نحو مصر ، فملك
 الفرس أرض مصر ، وغلبوا عليها نحو من عشر سنين . وكانت بين الروم وفارس
 حروب كثيرة ، فصار أهل مصر يؤذون نجاجين : للروم وللفرس ، ثم انجالت الفرس
 عن الشام ومصر لأمر حدث في بلادهم ، فغلبت الروم على مصر والشام وأظهروا
 النصرانية ، واستمر ذلك الى أن جاء الله تعالى بالإسلام . وكان المقوقس ينوب
 عن ملك الروم ، وهادى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم تزل الديار المصرية

٢٨
١٣

(١) في المقرئى : « بولة » .

(٢) ورد في المقرئى (ج ٣ ص ٦٢ طبعة فييت) ما نصه : « وقيل له الأعرج لأنه لما غزا
 بيت المقدس ونهبها وسبي ملكها يوشيا بن آمون بن منشا بن حزقيا هم أن يصعد على كرمي نبي الله سليمان
 ابن داود وكان بلولب لا يمكن أحدا أن يصعد عليه إلا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهى اليمنى فدار
 اللولب على ساقه الأخرى فاندقت ، فلم يزل يجمع بها الى أن مات فلذلك سمى الأعرج » .

(٣) في المقرئى : « مريئوس بن بولة » ثم ذكر أن الذى استخلف بعده ابنه « قرقورة » ومكث
 ملكه ستين سنة . ثم توفى واستخلف أخاه « قفاس بن مريئوس » . وانهدم البريا في زمنه فلم يقدر أحد
 على إصلاحه . ثم توفى قفاس واستخلف ابنه « قوميس بن قفاس ... » .

(٤) في المقرئى : « قوميس » .

(٥) في المقرئى : « قفاس » . وفى صبح الأعشى : « بغاش » .

والشام بيد ملوك الروم الى أن قُتحت في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ما سنورد ذلك إن شاء الله تعالى في خلافة عمر في الباب الثاني من القسم الخامس من هذا الفن، وهو في السفر السابع عشر من هذه النسخة .

قال المسعودى رحمه الله : والذي اتفقت عليه التواريخ ، مع تباين ما فيها ، في عدد ملوك مصر الى آخر أيام الفراعنة أنهم اثنتان وثلاثون ملكا . قال : فمن ملوك بابل الى آخر أيام ابنة ماموم — يشير الى دليفة — أحد عشر ملكا وملكة . ومن العماليق أربعة ملوك . ومن الفراعنة من لُدُن الوليد بن مصعب فرعون موسى بن عمران عليه السلام ، والى أن خرج بختنصر الفارسى على مكابيل وقتله سبعة عشر ملكا بما في ذلك من ملك دلوكة ، وهو إنما يشير الى مَنْ ملكها بعد الطوفان . وأما من ملكها قبل الطوفان فإنه لم يتعرض الى ذكرهم . قال : وملكها من الروم سبعة ملوك . ومن اليونان عشرة ملوك . قال : وذلك قبل ظهور المسيح عليه السلام . قال : وملكها أناس من الفرس فكانت مدة من ملكها من الفراعنة ومن بعدهم والعماليق والفرس والروم واليونان ألفى سنة وثلثمائة سنة . والله أعلم بالصواب .

الباب الثالث

من القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك الأمم من الأعاجم ؛ وهم ملوك الفرس الأول ، وملوك الطوائف
من الفرس ، والملوك الساسانية واليونان والسيران والكلوانيين والروم
والصقالبة والنوكبرد والإفرنجية والجلالقة وطوائف السودان

ذكر أخبار ملوك الفرس

وههم الفرس الأول

وقد اختلف الناس في الفرس وأنسابهم وكم من دولة كانت لهم . وسندكر
ها هنا مقالاتهم في ذلك واختلافهم . فمن الناس من زعم أنهم من فارس بن ياسور
ابن سام بن نوح ، وهذا قول هشام بن محمد . ومنهم من زعم أنهم من ولد يوسف
ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ومنهم من زعم أنهم من ولد هدرام
ابن أرغشيد بن سام بن نوح ، وأنه ولد له بضعة عشر رجلا كلهم كان فارسا
شجاعا ؛ فسموا الفرس لفروسيتهم ، وفي ذلك يقول حطّان بن المعلى الفارسي :
وبنا سُمِّيَ الفوارسُ فُرسا ^(١) نا ومنا منا جبُ الفتيان

وزعم قوم أن الفرس من ولد لوط من آبنتيه رشا ورغوشا . وذكر آخرون
أنهم من ولد بؤان بن أران بن الأسود بن سام بن نوح ، ولبؤان هذا ينسب شعب
بؤان وهو أحد متزهات الدنيا . وقد تقدم ذكره في باب الرياض من الفن الرابع .

(١) في مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١١٣ طبع بلاق) (... مناجب الفرسان) وبعد البيت :

وكهول طواهم الركب والكر * ركشال الكرات يوم الطعان

(٢) راجع (ج ١١ ص ٢٥٧ من هذه الطبعة) .

ومن الناس من يرى أن الفرس من ولد إيران بن أفريدون ، ولا خلاف بين
الفرس أجمع أنهم من ولد كيومرث وهو الأشهر ، وإليه يرجع جميع الفرس الأول^(١)
وملوك الطوائف والملوك الساسانية .

وأما التنازع في دولهم فمن الناس من زعم أنهم أربعة أصناف ، وأن الصنف الأول
منهم كان من كيومرث إلى أفريدون وهم الجرمانية ، وقيل الجهدانية . والصنف
الثاني من كان إلى دارا بن دارا وهم السجانية . والصنف الثالث ملوك الطوائف .
والصنف الرابع الساسانية . ومن الناس من جعلهم صنفين : فجعل الصنف الأول
من كيومرث إلى دارا بن دارا . والصنف الثاني من أردشير بن بابك إلى يزيدجرد
ابن شهر يار المقتول في خلافة عثمان رضي الله عنه . فمدة ملكهم في الدولة الأولى ثلاثة
آلاف سنة وثلثمائة وستة وعشرون سنة . وعدة ملوكهم عشرون ملكاً فيهم امرأة واحدة .

فأول ملك ملك من الفرس الأول كيومرث وقيل فيه جيومرث .

وقد اختلف في نسبه ، فمن الناس من قال : إنه ولد آدم لصلبه . ومنهم من
قال : إنه ولد لاوذ بن إرم بن سام بن نوح . وقد قيل : إنه أول ملك ملك
من بني آدم . وكان السبب في ملكه أنه لما كثرت البغي والظلم في الناس اجتمع
أكابر أهل زمانه ورأوا أنه لا يُقيم أمرهم إلا ملك يرجعون إليه فيما يأمر وينهى ،
فأتوه وقالوا : أنت أكبر أهل زمانك وبقية أئمتنا ، والناس قد بتى بعضهم على
بعض ، وأكل القوى الضعيف ، فضم أمرنا إليك وكن القائم بصلاحنا . فأخذ
عليهم العهود والمواثيق بالسمع والطاعة له وترك الخلاف عليه . فصنعوا له تاجا
ووضعه على رأسه . وهو أول من وضع التاج على رأسه . فاستوثق له الأمر وقام

(١) كذا في مروج الذهب لسعودي (ج ١ ص ١٠٥ طبع بلاق) وغير أخبار ملوك الفرس
وسيرهم للعالبي (ص ٢) . وفي الأصل : « كيومرث » بالهاء المثناة . (٢) وفي غير أخبار
ملوك الفرس وسيرهم : « وزعم علماء الفرس أن كيومرث هو آدم عليه السلام » .

- بأمر الناس وحسنت سيرته فيهم . وكانت مدة ملكه عليهم أربعين سنة . وكان ينزل إصطخر من أرض فارس حتى مات ، وأختلف في مقدار عمره ، فقيل : إنه عاش ألف سنة ، وقيل غير ذلك . والله تعالى أعلم .
- فلما مات قام بالأمر من بعده أوشهنيج ابنه وقيل : أخوه ، وقيل : أوشهنيج ابن فيشداد بن كيومرث . وفي الناس من يزعم أنه أول ملك ملك من الفرس ، وهو الذي جمع الأقاليم السبعة ، ورتب الملك ونظم الأعمال ، ولقب بفيشداد ، وتفسيره بالعربية أول سيرة العدل . ويقال : إن أوشهنيج هذا كان بعد الطوفان بمائتي سنة ، وهو أول من قطع الحجر وبني به ، وأستخرج المعادن ، وبني مدينتي بابل والسوس . وكان فاضلا حسن السياسة محمود الأثر . قال : ونزل الهند وتنقل في البلاد وعقد التاج وجلس على السرير . وكان من حسن سياسته أنه نفى أهل الفساد والدعارة من البلدان وأبجأهم إلى رعوس الجبال وجزائر البحر ، وأستخدم منهم من كان يصلح للخدمة وسماهم الشياطين والعمارة ، وقرب أهل الخير والصلاح . وكانت مدة ملكه أربعين سنة . ولما مات ملك بعده طهمورث^(٢) وقيل فيه طهورث بن أنوجهان بن أوشهنيج ، وقيل بل بينهما عدة آباء . قال : ولما ملك سار في الناس سيرة جدّه أوشهنيج . وكان ينزل نيسابور . وقيل إنه الذي أنشأها ثم جددها بعد ذلك سابور . وقيل : إنه أول من كتب بالفارسية ونفى أهل الدعارة والشر^(٣) وأستقام له نظام الملك . قيل : وفي أيامه ظهر بوداسف الذي أحدث دين الصابئة . وكان ملكه ثمانين سنة . وقيل ثلاثين سنة .
- (١) في تاريخ الطبري (ص ٢٠٧ من القسم الأول طبع أوربا) : « أوشهنيق بن فرواك » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « أوشهنيج بن سيامك بن كيومرث » . (٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٧٤ من القسم الأول طبع أوربا) ومروج الذهب للسعودي وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم . وفي الأصل : « طهمورث » . (٣) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ١٠٠) : « بالفهلوية » . (٤) كذا في الأصول ، وفي الطبري (ص ١٧٦ من القسم الأول) : « بوداسف » بالياء الموحدة ؛ وفي مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٧ طبع بلاغ) : « أيوداسف » .

ولما مات ملك بعده أخوه جمشيد^(١)، وتفسير شيد : الشعاع ، سمي بذلك لوضاعة وجهه . قال : ولما ملك سلك سيرة من تقدم وزاد عليها بأن صنف الناس وطبقهم ورتب منازل الكُتّاب وأمر لكل واحد وظيفة وأمره أن يلزمها . وعمل أربعة خواتيم : خاتماً للحرب والشرط^(٢) وكتب عليه الأناة ، وخاتماً للخراج وجباية الأموال وكتب عليه العارة ، وخاتماً للبريد وكتب عليه الوحا ، وخاتماً للاظالم وكتب عليه العدل . فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس الى أن جاء الإسلام .

وكان ملكه ستمائة سنة . وقيل سبعمائة سنة وستة أشهر . وقيل ألف سنة إلا عشر سنين . وفي أيامه أحدث التيروز وجعله عيداً ، وأمر الناس أن يتنعموا فيه . ثم بدل سيرته بالجور بعد الإنصاف ، والظلم بعد العدل ، والإساءة بعد الإحسان ، فنقلت وطأته على الناس . ثم أظهر الكبر على وزرائه وكتابه وقواده . ثم أنهمك على لذاته وترك مراعاة كثير من السياسة الملوكية التي جرت عادة الملك أن يتولاها بنفسه . وقيل : إنه آدعى الإلهية فخرج عليه بيوراسب ، وكان من جملة عماله ، وأستجلب الناس وجمعهم عليه وأستصلحهم لنفسه ، وقصد جمشيد بعد أن كثرت أتباعه وقويت شوكته ، فهرب منه فأتبعه حتى أدركه وظفّره ونشره بمنشار . وملك بعد جمشيد بيوراسب ، وهو الذي يسميه العرب الضحّاك . قالوا : وهو بيوراسب^(٤) بن أرونداسف بن بغاداس بن طوخ بن قروال بن ساعل بن فرس ابن كيومرث ، وهو الدهّاك ، فعُزب اسمه فقيل الضحّاك . وقيل : إنه ملك ألف سنة . وزعم قوم أنه نمروذ . وزعم قوم آخرون أنه كان من عمال بيوراسب على كثير من أعماله .

(١) راجع معناه فيما تقدم (ج ١ ص ١٨٥ من هذه الطبعة) . (٢) الشرط هنا : أول كنيّة تشهد الحرب وتنبأ للوت . (٣) تقدم الكلام عليه في الجزء الأول (ص ١٨٥ من هذه الطبعة) . (٤) ورد هذا النسب في مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٠٧ طبع بلاق) باختلاف في الأسماء .

قال : ولما ملك بيوراسب ظهر منه خبث شديد وبخور كثير ، وملك الأرض كلها ، فسار فيها بالجور والعسف وسفك الدماء والصلب ، وهول على الناس ومحا سيرة من تقدمه من الملوك ، وسنّ الأعشار وأتخذ الملاهي والغناء . وكان على منكبَيْهِ سِلْعَتَانِ يَحْرَكُهُمَا إِذَا شَاءَ كَمَا يَحْرَكُ يَدَهُ ، فَأَدْعَى أَنَّهُمَا حَيَّانَ تَهْوِيَانِ عَلَى ضِعْفَاءِ النَّاسِ . وقد تقدّم ذكره في الباب الرابع من القسم الثالث من الفن الأول ، وهو في السفر الأول^(١) من نسخة الأصل في أخبار أعياد الفرس ، فلا حاجة إلى إعادة ما قدمنا ذكره من أمره .

قال : ولما عمّ الناس جورُه كان من سوء عاقبة ذلك أن ظهر بأصبهان رجل يقال له كَابِي^(٢) من عوالم الناس . ويقال : إنه كان حدّادا . وكان الضحّاك قتل لكابي آبنين ، فبلغ به الجزع على ولديه مبلغا عظيما ، فقام وأخذ عصا وعلق عليها جرابا . وقيل : بل علق النّطع الذي كان يشده على وسطه يتقى به النار إذا صنع الحدادة . وقيل : بل كان جلد أسد . وقيل : بل جلد نمر ، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ، فحمل الناس ما كانوا فيه من البلاء إن أتبعوه وأطاعوه ، فاستفحل أمره ، وكثرت أتباعه ، واجتمع عليه أشراف الناس وأكابرهم ، فقصده بيوراسب . فلما أشرف عليه هرب عن منازلهم ، فجاء أشراف الناس إلى كابي الأصبهاني واجتمعوا عليه ليملكوه ، فامتنع من ذلك وقال : إني لست من بيت الملك ، ولكن التمسوا من هو من بيت الملك فنوليّه علينا . وكان أفريدون^(٣) بن اثنيان قد استخفى من الضحّاك

(١) سلعتان : مثنى سلعة بالكسر ، وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الغدة تورد بين الجسد والحم إذ أضغظت ، وتكون من قدر حصاة إلى بطيخة . (٢) راجع (ج ١ ص ١٨٨ من هذه الطبعة) .

(٣) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٣٢) : « كآوة » .

(٤) كذا في تاريخ الطبري (ص ٢٥٣١ من القسم الأول) وغرر أخبار الفرس وسيرهم (ص ٣٥١)

وخطوط المقرئ (ج ٣ ص ١٠٣ طبعة فييت) . وفي الأصل : « أفريدون » بالبدال المهملة .

في بعض النواحي ، فغاء إلى كابي الأصبهاني ففرح الناس به وأستبشروا بمقدمه ، وكان مرشحا للملك فملكوه عليهم ، وصار كابي من جملة أعوان أفريذون .

قال : وتفاعل الفرس وتبركوا بذلك العلم الذي كان قد رفعه كابي الأصبهاني وعظموه ورصعوه بعد ذلك بالجواهر وسموه الدرّفس وجعلوه علمهم الأكبر الذي يتبركون به ، وهو الذي صار إلى المسلمين في وقعة القادسية . وكانت الفرس لا ينشرونه إلا في الأمور العظيمة .

قال : ولما هرب بيوراسب ملك بعده أفريذون ، وهو التاسع من ولد جمشيد . قال : فأول ما بدأ به أن أتبع بيوراسب فأدرکه بدئباوند وقتله . وفي يوم قتله أحدث المهرجان على ما قدمناه . قال : ثم ردّ أفريذون مظالم الناس وأمر بالإنصاف وبسط العدل ، ونظر إلى ما كان بيوراسب قد اغتصبه من أموال الناس وأملاكهم وأراضيمهم ، فردّ ذلك على أهله ، وما لم يجد أهله وقفه على المساكين ومصالح العامة . وكان مؤثرا للعلم وأهله . وكان صاحب طبّ وفلسفة ونجوم . وزعم بعض الفرس أن بيوراسب الضحاك هو النمرود ، وأن أفريذون هو إبراهيم عليه السلام . قال : ودام ملكه خمسمائة سنة . وقال : هو أول من تسمى بكبي ، فكان يقال له : كبي أفريذون ، وهي كلمة يراد بها التنزيه ؛ أي روحاني متره متصل بالروحانية . وهو أول من ذلّل الفيلة وقاتل بها الأعداء . قال : وكان لأفريذون

٣١
١٣

(١) القادسية : بلدة قرب الكوفة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ؛ وكانت بها وقعة القادسية المعروفة بين المسلمين والفرس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦ من الهجرة . وهذه الوقعة من أعظم وقائع المسلمين خيرا وبركة . (٢) دئباوند : جبل من نواحي الري ، وهو جبل عال مشرف شاق شاخ لا يفارق أعلاه الثلج شتاء ولا صيفا ، ولا يقدر أحد من الناس يعلو ذروته ولا يقار بها ، ويعرف بجبل البيوراسب يراه الناس من مرج القلعة ومن عقبة همدان ، والناظر إليه من الري يظن أنه مشرف عليه ، وأن المسافة بينهما ثلاثة فراسخ أو اثنتان ... وبهذا الجبل عيون كبريتية (راجع معجم البلدان لسانوت) . (٣) راجع الجزء الأول (ص ١٨٨ من هذه الطبعة) .

(١) ثلاثة أولاد وهم : سَرْم وقيل فيه سلم ، وطوخ ، وإيرج وقيل فيه إيران ؛ نخشى أفريدون ألا يتفقوا بعده وأن يبغى بعضهم على بعض ، وظن أنه إذا قسم الملك بينهم في حياته بقى الأمر بعده على انتظام واتساق فقسمه بينهم . فجعل الروم والشام وناحية المغرب لسرم . وجعل الترك والصين لطوخ . وجعل العراق والهند لإيرج ، وهو صاحب التاج والسرير . ففي ذلك يقول شاعرهم :

(٢)
 وَقَسَمْنَا مَلِكْنَا فِي دَهْرِنَا * قَسَمَةَ اللَّحْمِ عَلَى ظَهْرِ الْوَضْمِ
 بِجَعَلْنَا الرُّومَ وَالشَّامَ إِلَى * مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَلِكِ سَرْمِ
 وَلَطُوخَ جَعَلْنَا التُّرْكَ لَهُ * فَبِلَادِ الصِّينِ يَحْوِيهَا ابْنُ عَمِ
 وَإِيرَانَ جَعَلْنَا عِنْوَةَ * فَارِسَ الْمَلِكِ وَفَرَزْنَا بِالنَّعَمِ

١٠ فلما مات أفريدون وثب طوخ وسرم بأخيهما إيران فقتلاه وملكا الأرض بينهما ، ولذلك نشأت العداوة بين الترك والروم ، وقامت الحروب ، وطلب بعضهم بعضا بالدماء . فكان من سوء عاقبة غدرهما بأخيهما وتغلبهما على ملكه أن نشأ ابن لإيران بن أفريدون يقال له منوجهر ، وقيل اسمه منواشجر ، وقيل فيه منوشهر ، فغلب على ملك أبيه إيران .

١٥ وملك منوجهر بن إيران بلاد فارس ، ثم نشأ ابن لطوخ التركي فنفي منوجهر عن بلاده وجرت بينهما حروب ، ثم ظفر منوجهر وعاد إلى ملكه ، ونفى ولد طوخ وقوى أمره وظهر اسمه . وكان منوجهر موصوفا بالعدل والإحسان في مملكته . ويقال : إنه أول من خندق الخنادق ، وجمع آلة الحروب ، وأول من وضع الدهقنة ، وجعل لكل قرية دهقانا ، وجعل أهلها عبيدا وخولا وألبسهم لباس

(١) في تاريخ الطبري (ص ٢٣٠ من القسم الأول) : « طوج » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « توز » . (٢) الوضم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم . (٣) الدهقنة : مصدر واسم من دهقن ، والدهقان (بالكسر ويضم) هنا : رئيس الإقليم ، معرب دهقان . (من محيط المحيط للبستاني) مادة دهقن .

المذلة . ولما قوى أمره سار نحو الترك وطلب بدم أبيه فقتل عميه اللذين قتلا
أباه ، وأدرك ثاره وأنصرف الى بلاده .

ثم نشأ فراسياب^(١) بن ترك من ولد طوخ بن أفريذون وإليه ينسب الترك ، فخارب
منوجهر وحاصره بطبرستان^(٢) ، ثم اصطلحا وضربا بينهما حدًا لا يجاوزه واحد منهما ،
وهو نهر بلخ ، فانقطعت الحرب بين فراسياب ومنوجهر . وكان لمنوجهر هذا خطب
تدل على سداد رأيه ، ووفور عقله ، وجودة فهمه ؛ قد ذكرنا بعضها في الباب
الرابع^(٣) من القسم الخامس من القرن الثاني في وصايا الملوك . قال : وفي أيام منوجهر
ظهر موسى بن عمران عليه السلام .

قال : ولما مات منوجهر تغلب فراسياب على إقليم بابل آتت عشرة سنة ،
وأكثر الفساد ، وخرّب البلاد ، وطم الأنهار ودفن القتي ، فقحط الناس الى أن
ظهر زقبن طهماسب فأخرجه عن بلاد فارس الى تركستان .

وملك زقبن طهماسب وقيل فيه : زاع ، وقيل فيه : زاب ، وقيل : راسب ،
وهو من أولاد منوجهر ، وبينه وبين منوجهر عدة آباء . قال : ولما ملك ابتداء
في عمارة ما خرّبه فراسياب ، وأمر ببناء ما هدم من الحصون ، وحفر الأنهار
والقتي ، حتى عادت البلاد إلى أحسن ما كانت عليه ، ووضع عن الناس الخراج

(١) كذا في نسخة (١) ومروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٠٨) . وفي نسخة (ب) وتاريخ الطبري
(ص ٤٣٤) من القسم الأول طبع أوربا : « فراسيات » بالناء المثناة .

(٢) طبرستان : ناحية واسعة الأرجاء ببلاد القرس بين جرجان والديلم ، على بحس قزوين الذي
يسمى أيضا باسمها « بحر طبرستان » وأشهر مدنها : آمل ، أو عامل ، والدامغان ، وقومسان (وهي
الآن إقليم ما زندان) من مملكة إيران ، فتحها سويد بن مقرن في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
(راجع معجم الخريطة الإسلامية للرحوم أمين واصف بك) .

(٣) في الأصل « الباب الثالث » وما أثبتناه هو ما ورد في (ج ٦ ص ١٦ من هذه الطبعة) ،
وقد راجعنا هذا الباب فلم نجد لتلك الخطب أثرًا ، ولعلها سقطت من الأصل .

سبع سنين، فعمرت البلاد في أيامه، ودرت معايش الناس، واحتفر بالسواد نهرا
وسماه الزاب، وبني على حافته مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة، وكورها
كورا، وجعلها ثلاثة طساسيج: الزاب الأعلى، والزاب الأوسط، والزاب الأسفل،
ونقل إليها بذور الرياحين، وأصول الأشجار.

٣٢
٣١

٥ وزو هذا أول من اتخذ ألوان الطيبخ، وأنواع الأطعمة، وقسم الغنائم على
جنوده. وكانت مدة ملكه ثلاث سنين.

ثم ملك بعده كرشاسب بن أسباس، وأمه من سبط يامين بن يعقوب عليه
السلام. قال: وكان مسكنه ببايل. ومدة ملكه عشرون سنة. وبعض المؤرخين
لم يذكره في الملوك. وقال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم
بتجارب الأمم: إن كرشاسب كان وزيرا لزوق بن طهماسب، وأنه من أولاد طوخ
ابن أفريدون. قال: وقد حكى أن زوقا وكرشاسبا اشتركا في الملك. قال:
والصحيح من أمره أنه كان وزيرا لزوقا ومعين له، والذي أثبت كرشاسب في الملوك
الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن عبدون الحضرمي الشامي في كتابه المترجم بكلمة
الزهر وصدفة الدرر، وقال: ولم يذكره بعض المؤرخين.

١٥ ثم ملك بعده كيقباذ بن زوق، وقيل فيه: ابن زاب بن تور، وسلك سبيل
أبيه فكور الكور، وبين حدودها، وأمر الناس بالعبارات، وأخذ العشر من
الغلات لأرزاق الجند. وكان حريصا على العارة، مانعا لحوزته. والملوك
الكبية من نسله. وكان بينه وبين الترك حروب كثيرة. وكانت إقامته في الحد

(١) يريد بالسواد العراق. (٢) طساسيج: جمع طسوج بالتشديد، وهي الناحية.

٢٠ (٣) الكبية: الذين تبدى أسماءهم بلفظ (ك) وهي كلمة يراد بها التزييه.

الذى بين مملكة الفرس والترك بناحية بلخ . وكان ملكه مائة وعشرين سنة
ثم مات .

وملك بعده كيقابوس بن كيننة بن كيقباز الملك . قال : ولما ملك شدّد على
أعدائه ، وقتل خلقا كثيرا من عظماء البلاد وسكن بلخ ، وولد له ابن لم ير مثله
في عصره جمالا وتمام خلقة ، وسماه سياوخش وضمه الى رستم الشديد بن دستان من
ولد كرشاسب . وكان أصهببدا بسجستان وما يليها من قبل كيقابوس وأمره بتربيته .
فضى به رستم الى سجستان وتخيّر له الحواضن والمراضع الى أن عقّل ، فجمع له
المعلمين ، ثم علمه الفروسية حتى فاق فيها ، فقدم به على أبيه وهو كامل الصفات
من العقل والأدب والفروسية ، فأمتحنه والده فوجده فوق ما يجب .

قال : وكان لكيقابوس زوجة بارعة الجمال يقال إنها بنت فراسياب ملك الترك ؛
ويقال : إنها ابنة ملك اليمن ، فهويت سياوخش وهويها ، ويقال : إنها كانت ساحرة
فسحرتة ، وآل أمرها الى أن انكشف لأبيه كيقابوس وأطلع على ما كان من أمر
أبنة وزوجته ، فأشفق سياوخش على نفسه وخشى عاقبة أبيه فتلطف في البعد عنه ،
فسأل رستم أن يُشير على أبيه لإرساله لحرب فراسياب ملك الترك ، وكان قد تجددت
بين فراسياب وكيقابوس وحشة ، ففعل رستم ذلك وخاطب كيقابوس فيه واستأذن له
في جند يضمهم إليه ، فأذن له وضمّ إليه جندا كثيرا وأشخص سياوخش الى بلاد
الترك ، فسار حتى التقى بفراسياب فآتتظم الصلح بينهما من غير حرب ، فكتب
سياوخش الى أبيه يخبره بما كان بينه وبين فراسياب من الصلح والاتفاق ، فكتب
إليه كيقابوس بإنكار ذلك عليه وأمره بمناهضته ومناجزته الحرب ، فرأى سياوخش

(١) لذا في نسختي (١) و(ب) . وفي تاريخ الطبري (ص ٦٠٠ من القسم الأول طبع أوربا) :

« كيقابوس بن كيننة » . وفي غيرها أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « كيكابوس ويقال له بالعربية قابوس » .

- أنه إن فعل ما أمره به والده من الحرب ونقض الهدنة من غير سبب وقع يوجب تقضها، يكون ذلك عارا عليه ومنقصة، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه وأجمع رأيه على الهرب منه، فكتب إلى فراسياب ملك الترك يطلب منه الأمان لنفسه، وعرفه أنه آثر الخاق به فأجابه إلى ذلك. وكان السفير بينهما أحد عظماء الترك وأكابرهم يسمى قيران. فلما استوثق سياوخش من ملك الترك سار نحوه وأنصرف من كان معه من جند أبيه ورجعوا إليه. قال: ولما وصل سياوخش إلى فراسياب ملك الترك أكرمه وعظمه وزوجه بابته، وهي أم كيخسرو الذي ملك الفرس. ولم يزل على إكرامه إلى أن ظهر له من أدبه وحسن سياسته وجميل تطفه ما أشفق منه وخشي على ملكه لميل الناس إليه فقتله. وكانت ابنة الملك قد اشتملت من سياوخش على حمل، فقصد أن يسقطه وتحيلوا في ذلك فلم تسقط؛ ثم جاء قيران، وهو الذي كان السفير في الصلح بين الترك وسياوخش، وأنكر ما كان من فعل الملك وحدّره عاقبة الغدر والطلب بالتأثر، وأشار عليه أن يدفع ابنته زوجة سياوخش إليه لتكون عنده إلى أن تضع وقال: إذا أردت بعد ذلك قتل ولدها فأقتله؛ فأجابه الملك إلى ذلك وسلم إليه ابنته، فكانت عنده إلى أن وضعت كيخسرو؛ فلما وضعت امتنع قيران من قتله وستر أمره، فكان عند قيران حتى بلغ، ثم احتال جده كيقابوس إلى أن أخرجته هو وأمه من بلاد الترك.

- قال أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم: وللفرس في أمر كيقابوس خرافات كثيرة منها: أنهم يزعمون أن الشياطين مسخوه، وقوم منهم يزعمون أن سليمان بن داود عليهما السلام أمرهم بذلك في خرافات كثيرة ظاهرة الإحالة: من الصعود إلى السماء، وبناء مدينة كسكر بأسوار من ذهب وفضة

وحديد ونحاس وأنهار، وأنها ما بين السماء والأرض؛ وأشباه ذلك مما تُحيله العقول
السليمة؛ لأن ذلك ليس في قدرة البشر .

قال : ولما تمّ لكيقابوس أكثر ما كان يقصده سار من خراسان ونزل بآبِل
وترك ما كان يتسولاه بنفسه من السياسات، وأحتجب عن الناس وتعاضم عليهم،
وآثر الخلوة، فكان من عاقبة ذلك أن فسد عليه ملكه وغزته الملوك؛ فكان بعد ذلك
يغزوهم فيظفّر بهم مرّةً ويُنكبّ أخرى، الى أن غزا بلاد اليمن، والملك بها يومئذ
ذوالأذعار بن أبرهة بن ذى المنار . فلما أتاه كيقابوس خرج اليه ذوالأذعار
في جموعه من حمير وولد حِطّان، فظفّر به ذوالأذعار وأسرّه وأستباح عسكره وحبسّه
في بئر وأطبق عليه طبقاً، فخرج رسمّ الشديد من سجستان في جموع كثيرة من الفرس؛
فالفرس تزعم أنه أوغل في بلاد اليمن واستخرج كيقابوس من محبسه، واليمن تقول غير
ذلك، وأن ملكهم ذوالأذعار لما بلغه إقبال رسمّ خرج اليه في جموعه وجنود
عظيمة، وخذق كل منهما على نفسه وعسكره، وأنهما أشفقا على جندهما من البوار،
فاتفقا على أن دفع لهم ملكُ اليمن كيقابوس وانصرف رسمّ من غير حرب ورجع
بكيقابوس الى بابل، فكتب له كيقابوس كتاباً بالعتق وأقطعه سجستان . ونسخة
الكتاب الذي كتبه : من كيقابوس بن كيقباذ الى رسمّ . إني قد أعتقتك من
العبودية، وملكتك بلاد سجستان، وأجلس على سرير من فضة ممّوه بالذهب،
والبس قلنسوة من الحرير منسوجة بالذهب متوجة . قال : ومما يدل على صحة ما نقل
من أمر كيقابوس قول الحسن بن هانئ :

وقاظ قابوس في سلاسلنا * سنين سبعا وقت لحاسبها

ولما مات كيقابوس ملك بعده ولد ابنه كيكخسرو بن سياوخش بن كيقابوس . قال : ولما ملك عقده التاج على رأسه وخطب رعيته خطبة بليغة أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سياوخش قبيل فراسياب ملك الترك ، وكتب إلى جوذرز بأصبهان — وكان أصهبذا على خراسان — يأمره بالمسير إليه ، وأمره أن يعرض جنده وأن ينتخب ثلاثين ألف راجل ويضمهم إلى طوس [بن نوذران^(١)] وكان فيمن أشخص معه برزافره [بن كيقاوس^(٢)] عم كيكخسرو وابن جوذرز وجماعة من إخوته ، وتقدم كيكخسرو إلى طوس ، وأمره أن يقصد فراسياب وطراخته وحذره من ناحية بيلاذ الترك فيها أخ له من أبيه سياوخش يقال له فروذ ، وكان قد رزقه من بعض نساء الأتراك ، كان سياوخش قد تزوجها لما سار إلى فراسياب فولدت له فروذ ، وأقام بموضعه إلى أن شب ، فسار طوس وكان من غلظه الذي فعله أنه لما صار بالقرب من المدينة التي فيها فروذ حاربه فقتل فروذ في الواقعة . فلما اتصل الخبر بكيكخسرو غضب لذلك وشق عليه ، فكتب إلى عمه برزافره ذلك كتابا غليظا يخبره بما ورد عليه من خبر طوس ومخالفته له ومحاربه لأخيه فروذ وقتله إياه ، وأمره بإشخاص طوس إليه مقيدا مغلولا ، وأن يتقدم هو على العسكر ويتوجه . ففعل برزافره ذلك وتولى أمر العسكر ، وسار وعبر النهر المعروف بكاشرود ، وانتهى خبره إلى فراسياب فوجه للقائه وحربه جماعة من إخوته وطراخته ، فالتقوا وفيهم قيران وإخوته ، فاقتلوا قتالا شديدا ، وظهر من برزافره عم كيكخسرو في ذلك اليوم فشل لما اشتدت الحرب ، فهرب وأنحاز بالعلم إلى رءوس الجبال ، واضطرب على ولد جوذرز الأمر ، فقتل منهم في تلك الملحمة في وقعة

٢٠

(١) الزيادة من تاريخ الطبرى .

(٢) طراخته : الطراخنة جمع طرخان (بالفتح) ، والطرخان : زعيم القوم المعنى من الضراب

(٢) : ١٤٩ .

(فارسي)

واحدة سبعون رجلا، وقتل خلق كثير، وأنصرف برزافره ومن أفلت معه إلى كيخسرو،
 فرُميت الكآبة في وجهه وأمتنع عن الطعام والشراب أياما، ثم أتاه جوذرز وشكا
 إليه عمه برزافره وأنه كان سبب الهزيمة، ولاطفه كيخسرو وقال : إن حقك لازم
 لنا لخدمتك إيانا، وهذا جندنا ونحزائنا مبدولة لك فاطلب تترك^(١) واستعدّ وتجهز
 للتوجه إلى فراسياب . فنهض جوذرز وقبل يده وقال : نحن رعيتك وعبيدك
 أيها الملك ، فإن كانت آفة أو نازلة فلتكن بالعبيد دون المملوك ، وأولادى الذين قُتلوا
 فداؤك ، ونحن من وراء الانتقام من فراسياب والاستيفاء من الترك . فكتب
 كيخسرو إلى وجوه عساكره وأكابر أجناده يأمرهم بموافاته في صحراء تعرف بشاه
 اسطون من كورة بلخ في وقت وقته لهم ، فوافقوه في ذلك الوقت ، وشخص كيخسرو
 بأصبهذيته وأصحابهم وفيهم برزافره عمه وجوذرز وولده ، فعرض كيخسرو الجند
 بنفسه حتى عرف عدتهم وأطلع على أحوالهم ، ثم أحضر جوذرز وثلاثة نفر معه
 من القواد فأعلمهم أنه يريد إدخال العساكر على الترك من أربعة وجوه ليحيطوا بهم
 من جميع جهاتهم ، وقود على تلك العساكر ، وجعل أعظمها إلى جوذرز ،
 ودفع إليه يومئذ درفس^(٢) كابيان ، ولم يكن يُدفع قبل ذلك لأحد من القواد ، بل مع
 أولاد المملوك .

قال : وأمر أحد القواد بالدخول مما يلي الصين وضم إليه ثلاثين ألف رجل ،
 وأمرهم بالدخول من ناحية الخزر من طريق بين جوذرز وبين الذي دخل من
 طريق الصين ، ودخل جوذرز من ناحية خراسان وبدأ بقران والتحمت بينهما

(١) الترة هنا : النار . (٢) في تاريخ الطبرى : « والاشفءا » .

(٣) في تاريخ الطبرى (ص ٦٠٩ من القسم الأول) : « درفس كابيان » بالشين المعجمة وقال :

إنه العلم الأكبر الذى كانوا يحملونه .

الحرب وأشدت القتال ، فقتل جوذرز أخا القيран ، ثم قتل قيран مبارزة ، ثم قصد فراسياب وألتحمت عليه العساكر من كل جهة ، وأتبع كيخسرو القوم بنفسه وقصد الوجه الذي كان فيه جوذرز ، وقد أثنى في القتل وقتل أصهبند فراسياب والمرشح للملك بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته وأولاده ، وأسر برويز وهو الذي قتل سياوخش .

قال : ولما جاء كيخسرو وجد جوذرز قد أحصى الأسرى والقتلى وما غنم من الكراع والأموال ، فوجد ما في يده من الأسرى ثلاثين ألفا ، ومن القتلى خمسمائة ألف ونيفا وستين ألفا على ما تزعم الفرس ، وحاز من الكراع والأموال ما لا يحصى كثرة ، وأمر كل واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره ورأس قتيله [عند علمه ^(٢)] لينظر إلى ذلك كيخسرو عند موافاته . فلما وافى كيخسرو موضع الملحمة تلقاه جوذرز وعرض عليه الأسرى والقتلى ، فرأى قيран قتيلا ، وأتى بقاتل أبيه الذي مثل به بعد قتله . فقتله كيخسرو شرقتله ؛ قطعته عضوا عضوا ثم ذبحه ، وأحسن صلوة جوذرز وفوض إليه الوزارة التي يقال لها بزر جفرمذار وجعل إليه مع ذلك أصهبان وجرجان ، وأحسن لكل من أبلى من قواده ورجاله ، ثم أنته أخبار قواده الثلاثة الأخر أنهم قد أحاطوا بفراسياب ، وبرز فراسياب ومن بقي من ولده وعساكره وتوجه نحو كيخسرو بجيوش عظيمة ، فيقال إن كيخسرو أشفق منه وهابه حتى ظن أنه لا قبل له به ، ودام القتال بين العسكرين أربعة أيام ، فقتل شيده مقدم عسكر فراسياب ، وكانت هذه

(١) الكراع بالضم : اسم يجمع الخيل والسلاح . (٢) التكلة من تاريخ الطبرى (ص ٦١٢ من القسم الأول) والعبارة في الأصل مضطربة . (٣) في تاريخ الطبرى أن اسم هذا القاتل « بروا بن فشنجان » . (٤) كذا في الطبرى وفي نسخة (١) « بزرخ فرمدار » وفي نسخة (ب) « بزرخ فرمدار » .

الحرب معه ، ثم أقبل فراسياب في جمع عظيم من الأتراك وآلتقى هو وكيخسرو ونسبت بينهما حروب عظيمة يقال إنه لم ير مثلها قبلها قط على وجه الأرض ، فكانت الدائرة على الترك ، وأنهم فراسياب وكثر القتل في أصحابه وأتبعه كيخسرو حتى أدركه بأذربيجان فظفر به وأستوثق منه بالحديد ووثقه على ما كان منه من قتل سیاوخش ، فلم يكن له حجة ، فذبحه ثم أنصرف . وقد غنم غنائم عظيمة لا تحصى وأدرك بناره .

قال : ولما فرغ كيخسرو من أمر الترك ورجع إلى بلاده واستقر بدار ملكه زهد في الملك وتنسك ، وأعلم وجوه أهل بيته وأكابر مملكته أنه قد عزم على التخلي والآنفراد وترك الملك ، فجزعوا من ذلك وسألوه ألا يفعل ، فأبى عليهم . فلما أيسوا منه سألوه أن ينصب في الملك من يراه له أهلا ، فأشار بيده إلى لهراسف وأعلمهم أنه خاصته ووصيته ، فقبل لهراسف ذلك وأقبل الناس عليه . وفقد كيخسرو . فمنهم من يقول : إنه غاب للتنسك ، وبعضهم يقول غير ذلك ، إلا أنه لم تعلم جهة وفاته . قال : وكان ملكه ستين سنة . قال : وفي أيام ملكه كان سليمان بن داود عليه السلام .

ثم ملك بعده لهراسف^(١) ، وقيل فيه بهراسف بن تنوف بن كيمش وهو ابن أنحى كيقابوس ويلقب بكى لهراسف . قال : ولما ملك اتخذ سريرا من ذهب مكلا بالجواهر للجولوس عليه ، وبنيت له بأرض خراسان مدينة ، سماها بلخ الحسناء . قال : وهو أول من دقن الدواوين ، وقوى ملكه بانتخاب الجنود ، وعمّر الأرض . وكانت شوكة الأتراك اشتدت في زمانه ، فنزل بلخ لمقاتلتهم ، ووجه بختنصر

(١) كذا في نسخة (ب) وفي نسخة (١) « كهراسف » وفي تاريخ الطبري : « كى لهراسب » وفي مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٩ طبع بلاق) : « لهراسب » .

أصبهياً ما بين الأهواز إلى أرض الروم، من غربي الفرات . وسنذكر أخباره
إذا انتهت أخبار لهراسف .

قال : وكان لهراسف بعيد المهمة ، طويل الفكرة ، شديد القمع للملوك المحيطة
لإيران شهر . وكانت ملوك الروم والمغرب والهند يؤدون إليه إتاوة معلومة في كل
سنة ، ويُقرون له أنه ملك الملوك هيبته له ، واستمر في الملك إلى أن تكبرت سنته
وأحس بالضعف فاعتزل الملك ونصب ابنه بثتاسب . وكان ملكه فيما ذكر
مائة وعشرين سنة .

ذكر أخبار بختنصر

ويقال في اسمه بالفارسية بخترشه ، وكان مرزباناً للهراسف ، ومعنى المرزبان
أنه ملك على ربع من أرباع المملكة . وقد قدمنا أن الملك لهراسف كان قد
جعل له أصبهبدا ما بين الأهواز إلى أرض الروم . قال : فسار حتى أتى دمشق
فصالحه أهلها ، ووجه قائدا له فأتى بيت المقدس فصالح ملك بني إسرائيل ، وهو
رجل من بني داود النبي عليه السلام ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبرية
وثب بنو إسرائيل على ملكهم فقتلوه وقالوا له : إنك هادنت أهل الكفر وخذلتنا
واستعدتوا للقتال ؛ فكان عاقبة ذلك أن قائد بختنصر — لما بلغه ما كان من بني
إسرائيل — كتب إليه يخبره بقتلهم ملكهم ، فأجابه بختنصر أن يقيم بموضعه حتى
يوافيه ، وأمره بضرب أعناق الرهائن الذين معه . وسار بختنصر حتى أتى بيت

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي غرر أخبار ملوك الفرس : « بثتاسف » وفي نسخة أ ، ب :

« بستاسف » .

(٢) كذا في تاريخ الطبري : (ص ٦٤٥ من القسم الأول) وغرر أخبار الفرس وسيرهم للنعماني

(ص ٤٤ طبع باريس) . وفي نسخة (أ) هكذا « نخت نومي » وفي نسخة (ب) « نخت نومي » .

٣٦
١٣

المقدس فأخذ المدينة عنوة وقتل المقاتلة وسبي الذرية وهرب الباقون إلى مصر ، فكتب بختنصر إلى ملك مصر : أن عبيدا لي هربوا مني إليك فسرّحهم إلىّ وإلا غزوتك وأوطأت خيلي بلادك ، فكتب إليه ملك مصر : إنهم ليسوا عبيدك ، ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار ، وأمتنع من إنفاذهم إليه ، فغزاه بختنصر وقتله وسبي أهل مصر ، ثم سار في أرض المغرب حتى بلغ أقصى نواحيها .

قال صاحب كتاب تجارب الأمم : وقد حكى أهل التوراة وغيرهم في أمر بختنصر أقوالا مختلفة ، فذكروا منها : أن بختنصر لما حارب بيت المقدس أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسا ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ، فقفوا فيه من التراب ما ملأه . قال : ولما أنصرف إلى بابل آجتماع معه سبائا بيت المقدس من بني إسرائيل وغيرهم ، فاختار منهم سبعين ألف صبي ، فلما فرق الغنائم على جنوده سألوه أن يقسم فيهم الصبيان ، فقسّمهم في الملوك منهم ، فأصاب كل رجل منهم أربعة ، وكان من أولئك العائمة الذين سباهم ، دانيال النبي وحنين ومنشايل ، وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفا من سبط بشر بن يعقوب . ثم غزا بختنصر العرب ، وذلك في زمن معد بن عدنان .

قال : وكانت مدة غلبة بختنصر إلى أن مات أربعين سنة ، ثم قام ابن له يقال له أونمروذ ثم [هلك ، وملك مكانه ابن له يقال له] بلتنصر ، وذلك في زمن بهمن ، فلم يرض بهمن أمره فعزله وملك مكانه كيرش ، وتقدم إليه بهمن أن يرفق ببنى إسرائيل ويمكّتهم من النزول حيث سألوا ، أو الرجوع إلى أرضهم ، وأن يولي

(١) في تاريخ الطبري : « أولمردوخ » .

(٢) التكملة من تاريخ الطبري . وفي نسخة (١) هكذا : « ثم بن بلتنصر » . وفي نسخة (ب) :

« ثم ابن يقال له بلتنصر » .

عليهم من يختارونه ، فاختاروا دانيال فولاه أمرهم . فكانت مدة خراب بيت المقدس سبعين سنة ، وقيل غير ذلك . ولنرجع إلى أخبار الفرس .

ولما أعتزل لهراسف المملك كما ذكرناه ، ملك بعده كي بشتاسف بن كي لهراسف . قال : ولما ملك بنى مدينة فسا ، وهو أول من بسط دواوين الكتاب لا سيما ديوان الرسائل ، وكان له ديوانان أحدهما : ديوان الخراج ، والآخر ديوان النفقات ، فكل ما يرد في ديوان الخراج ، وكل ما يصرف من ديوان النفقات . وكان له كاتب موكل بدار المملكة ، فإن وقع تقصير بأحد في منزلته ، أو حُطَّ من درجته رجع إلى ذلك الكاتب ليبين له حال مرتبته فيجري على رسمه وعادته .

- ١٠ . وفي أيامه ظهر زرادشت [بعد ثلاثين سنة من ملكه فأدعى النبوة ^(٣)] فأراد على قبول دينه فامتنع من ذلك ثم صدقه وقيل دعواه ، وأتاه بكتاب يكتب في جلد أثنتي عشرة ألف بقرة حفرا في الجلود ونقشا بالذهب ، فصير بشتاسف ذلك الكتاب بإصطخر و وكل به الهرا بذة ^(٤) ، ومنع من تعليمه العامة . وبني ببلاد الهند بيوتا للديران ، وتنسك واشتغل بالعبادة ، وهادن كي خراسف بن كي سواسف ابن أخي ^(٥) فراسياب ملك الترك على ضروب من الصلح ، وفي جملة شريطة الصلح ألا يكون

(١) في تاريخ الطبرى : « كي بشتاسف بن كي لهراسف » .

(٢) فسا (بالفتح والقصر) ويقال لها بسا (بالياء) : مدينة بفارس أئزه مدينة بها فيا قيل ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، وهي مدينة واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيراز ، وهي أصح هواء منها .

(٣) التكملة من تاريخ الطبرى (ص ٦٧٦ من القسم الأول طبع أوروبا) .

(٤) الهرا بذة جمع الهريذ (بالكسر) : هم خدام النار . وقيل : حكام الخيوس الذين يصلون بهم . (راجع المعزب ليجواليق ص ٣٥١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٥) في تاريخ الطبرى : « أخي » .

ببلاد خزراسف دابة موقوفة في منزلة الدواب التي تكون على أبواب الملوك ، وغير ذلك مما وقعت عليه المهادنة . فأشار زرادشت على بشتاسف بنقض الهدنة ومفاسدة ملك الترك ، فبلغ ملك الترك ذلك ، ففضض وكتب إليه كتابا غليظا من جملته أن يوجه إليه زرادشت ، وأقسم إن امتنع أن يغزوه حتى يسفك دمه ودماء أهل بيته ؛ فأجابته بشتاسف بجواب أغلظ من كتابه وأذنه بالحرب وأعلمه أنه غير ممسك عنه إن أمسك هو . فسار كل منهما إلى الآخر ، ومع كل واحد منهما إخوته وأهل بيته ، والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، فكانت الدائرة على الترك ، وقتل اسفنديار بن بشتاسف بيدرفش الساحر مبارزة^(١) ، وقُتِلَت التركُ قتلا ذريعا ، وهرب ملكهم خزراسف ورجع بشتاسف إلى بلخ .

١٠ قال : فلما مضت لتلك الحرب سنون سعى رجل يقال فروخ بإسفنديار إلى بشتاسف ونسبه أنه تناول لللك ، وزعم أنه أحقُّ به ، فأفسد بذلك قلب بشتاسف عليه ، وصدق مقالة فروخ ، فأخذ في التدبير على إسفنديار وجعل يرسله إلى حرب بعد حرب ، وهو يظفر وينجح ويرجع بالغنائم ، ثم أمر بتقييده فقيد ، وصيره في الحبس في حصن من حصونه ، وسار بشتاسف إلى جبل يقال له طميسدر لدراسة دينه والتنسك هناك ، وخلف أباه لهراسف في مدينة بلخ ، وقد كبرت سنه وهرم وعجز .

قال : فاتصل هذا الخبر بخزراسف ملك الترك ، فجمع من الجنود ما لا يحصى كثرة ، وتخص من بلاده نحو بلخ حتى [إذا]^(٢) انتهى إلى تخوم ملك فارس قدم أمامه

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصول : « بندرفش » بالنون .

(٢) في تاريخ الطبري : « فرزم » .

(٣) زيادة يقتضها السياق .

(١) جوهرمز أخيه، وكان مرشحاً للملك، في جماعة كثيرة من المقاتلة، وأمرهم أن يُغْدُوا السير حتى يتوسطوا المملكة، ثم يوقعوا بأهلها ويُسْنُوا الغارة على المدن والقرى . ففعل جوهرمز ذلك وسفك الدماء وأستباح الحرم، وسبى ما لا يحصى، وأتبعه خزراسف ملك الترك حتى انتهى إلى مدينة بلخ، فأحرق الدواوين وقتل لهراسف والهرابذة، وهدم بيوت النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسبى آبنتين لبشتاسف وأخذ دَرَفْسَ كَابِيَان، وسار في طلب بشتاسف فتحصن منه في جبل طميدر، فعند ذلك ندم بشتاسف على ما كان منه في حق آبنه إسفنديار، فيقال: إنه وجه من استخرجه من محبسه، وجاءه به، فلما دخل عليه اعتذر منه ووعدته عَقْدَ التاج على رأسه، وأن يفعل معه كما فعل لهراسف به . وقلده أمر عساكره وندبه لحرب ملك الترك . فطابت نفس إسفنديار بكلام أبيه له، وتأهب لوقته، وسار بالجنود صبيحة النهار نحو الترك . فلما قَرَّبَ منهم تبادروا لحربه، فكان ممن خرج إليه منهم جوهرمز واندردمان، فالتقوا والتحمت بينهم الحرب، فانقضَّ إسفنديار على عساكر الترك بنفسه واختلط بهم، وقاتل حتى نلّم فيهم نائمة عظيمة، وفشا في الترك أن إسفنديار قد أطلق من محبسه، وأنه هو الذي يقاتلهم، فانهزموا لا يلبون على شيء . واسترجع إسفنديار من الترك الدَرَفْسَ وعاد إلى أبيه، فاستبشر وأمره باتباع القوم وقتال خزراسف وقتله — إن ظفر به — بجده لهراسف، وقتل جوهرمز واندردمان بمن قُتِلَ من ولده، وأن يهدم حصون الترك ويحرق مدنها ويقتل أهلها بمن قتلوا من أهل بلاده، ويستنقذ من سبوه من بناته . فدخل إسفنديار بلاد الترك ورام ما لم يرمه أحد قبله، واعترض العنقاء ورامها على ما يزعم الفرس، ودخل مدينة الصفرة عنوة، وقتل ملكها وأخوته ومقاتلته، واستباح

(١) كذا في نسخة (١) وتاريخ الطبري . وفي نسخة (ب) « جوهرمز » بالتون .

أمواله وسي ذراريه ونساءه واستنقذ أختيه، وكتب بالفتح الى أبيه . ولم يستقل إسفنديار هذا بالملك .

والذي ملك الفرس بعد بشتاسف أردشير بهمن^(١) بن إسفنديار بن بشتاسف . وتفسير بهمن بالعربية : الحسن النية .

قال : ولما ملك أردشير انبسطت يده وتناول الممالك حتى ملك الأقاليم . وكانت ملوك الأرض تحمل اليه الإتاوة، وأبنتى بالسواد مدينة وهي المعروفة بهمينيا^(٢) وهو أبو دارا الأكبر، وأبو ساسان . قال : وكان بهمن كريما متواضعا . وكانت تخرج كتبه : من أردشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأمركم . ويقال : إنه غزا روميسة الداخلة في ألف ألف مقاتل . ومن المؤرخين من ذهب الى أن بهمن هذا هو الذي جهز بختنصر لغزو العرب وغيرهم . وكانت مدة ملك أردشير [مائة^(٣) و] آئنتي عشرة سنة .

ولما مات ملكت بعده أخته جماز هر ازاد، وهي جماني أم أبنة دارا . قال : وكانت قد حملت منه بدارا الأكبر وسألته أن يعقد التاج للذي في بطنها ويؤثره بالملك، ففعل أردشير ذلك . وكان أبنة ساسان يتصنع للملك ولا يشك أنه يكون هو الملك بعد أبيه . فلما رأى ما فعل أبوه شق ذلك عليه، فليحق بإصطخر وترهد،^(٤) وخرج عن حلية الملوك، وآخذ غنيمته وكان يتولاها بنفسه، فاستشع الناس ذلك

٣٨
١٣

(١) كذا في نسخة (ب) وتاريخ الطبري . وفي نسخة (أ) « أردشير » بالزاي المعجمة .

(٢) همينيا ويقال لها همانية : قرمة كبيرة كالبلدة بين بغداد والنعمانية في وسط البرية ليس بقر بها

شيء من العمارات وهي في ضفة دجلة . (٣) التكلة من تاريخ الطبري .

(٤) كذا في نسخة (ب) وفي نسخة (أ) « جماني » بالخاء المهملة . وفي تاريخ الطبري (ص ٦٨٨

من القسم الأول) : « جماني » بالخاء المعجمة . (٥) استشع الناس ذلك : استيقضوه واستهجنوه .

من فعله وقالوا : صار ساسان راعيا ، ولم تزل جماني قائمة بأمر الملك ، ضابطة له ، وأغزت الروم جيشا [بعد جيش^(١)] وأوتيت ظفرا ، فقمعت الأعداء وشغلتهم عن التطزق الى شيء من بلادها ، ونال رعيته بتديرها رفاهية وأمن الى أن كبر أبناها .

فملك دارا بن أردشير بهمن . قال : ولما كبر حوّل التاج الى رأسه ونزل بابل . وكان ضابطا لملكه ، قاهرا لمن حوله من الملوك ، يؤدون اليه الخراج .
٥ وأبنتى بفارس مدينة وسمها دارا بجرد . ورتب دواب البريد . وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة .

وملك بعده أبنة دارا بن دارا بن أردشير ؛ وكان دارا هذا حقودا جبارا ، فله قومه . وغزاه الإسكندر بن فيلبس اليوناني ، والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل دارا بن دارا . وسند ذكر خبر مقتله في أخبار الإسكندر .
١٠

فهؤلاء ملوك الفرس الأول . ثم تبدد ملك الفرس وأنتثر لقتل دارا بن دارا ، واستقل الإسكندر بالملك . وملك بعده من نذكره من ملوك اليونان ، وتفترق ملك الفرس أربع مائة سنة الى أن عاد الى بني ساسان . وهأنا ذا ذكر خبر ملوك الطوائف ما بين دارا بن دارا وأردشير بن بابك .

١٥ ذكر أخبار ملوك الطوائف

وملوك الطوائف هم الذين ملكوا بلاد فارس ما بين دارا بن دارا وأردشير ابن بابك الذي جمع ملك الفرس بعد تبدده ، ونظمه بعد انتباره . وكان من خبرهم أن الإسكندر لما قتل دارا بن دارا وغلب على بلاد الفرس هم بقتل أكابرهم ، فكتب الى معلمه أرسطاطاليس يستشيريه في ذلك ، فنهاه عن قتلهم وقال : هذا

من الفساد في الأرض ، وإذا قتلتمهم أنبتت أرض بابل امثالهم ؛ وأشار عليه أن يفترق المملكة بين أولاد الملوك ، فإنهم يتنافسون الملك فلا يجتمعون على ملك واحد منهم ، فمضى خالفك واحد كانت مؤنته عليك خفيفة ؛ ففعل ذلك ، وفترق الملك حتى أمكنه أن يتجاوز أرض فارس الى بلاد الهند والصين . فكانت ملوك الطوائف في إقليم بابل لا يدين بعضهم الى بعض .

فكان من ملوكهم الذين ملكهم الإسكندر : أشك بن دارا الأكبر ؛ فقوى أشك هذا وعظّمته الملوك وقدموه على أنفسهم ، وبدأوا به في كتبهم إليه إجلاله ، وبدأ في كتبه اليهم بنفسه ، وسمّوه ملكا ، وأهدوا اليه من غير أن يُطيعوه أو يستعمل أحدا منهم أو يعزله ، وكثرت جموعه وسار الى أنطيوخس ، وكان مقبيا بسواد العراق من قبل الروم ، وتقدم أنطيوخس اليه وألتقيا ببلاد الموصل وأقتلا فقتل أنطيوخس ، وغلب أشك على السواد ، وصار في يده من الموصل الى الرى وأصفهان ، ولذلك عظّمته ملوك الطوائف .

ثم ملك جوذرز بن أشكان . وهو الذي غزا بني إسرائيل المرة الثانية ؛ وذلك بعد قتلهم يحيى بن زكرياء عليهما السلام ، فسلطه الله تعالى عليهم فأكثر فيهم القتل فلم يعد لهم جماعة بعد ذلك ، ورفع الله عنهم النبوة وأنزل بهم الذل .

وكان من سنة الفرس بعد الإسكندر أن يخضعوا لمن ملك بلاد الجبل ، وهم الأشغانية ؛ فأولهم أشك بن أشكان ، ثم سابور بن أشكان ، وفي أيامه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بأرض فلسطين . ثم ملك جوذرز بن أشغانان الأكبر . ثم ملك بيزن الأشغاني . ثم ملك جوذرز الأشغاني . ثم نرسی الأشغاني . ثم هرمنز .

ثم أردوان الأشغاني . ثم كسرى الأشغاني . ثم بلاش الأشغاني . ثم أردوان الأصغر

الأشغاني . ثم اردشير بن بابك . فكانت مدة هؤلاء ، الى أن وثب أردشير بن بابك على الأردوان فقتله ، مائتين وستا وستين سنة .
وفي أيام ملوك الطوائف اصططبت^(١) طسم وجديس . وسنذكر إن شاء الله خبرهم .

ذكر أخبار الملوك الساسانية

- وهم الفرس الأخر . وأول من ملك منهم أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر . وكان من أعظم ملوك الطوائف وملوك الأشغانية ، فوثب بالأردوان وقتله واستولى على الممالك وقاد الملوك الى طاعته رغبة ورهبة . وكتب الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاجتماع اليه : بسم الله ولي الرحمة . من أردشير المستأثر^(٢) دونه بحقه ، المغلوب على ثراث آبائه ، الداعي الى قوام دين الله وسنته ، المستنصر بالله ، الذي وعد المحققين الفلاح^(٢) ، وجعل لهم العواقب ؛ الى من بلغه كتابي هذا من ملوك الطوائف . سلام عليكم بقدر ما تستوجبون بمعرفة الحق ، وإنكار الباطل والجور . ودعاهم الى الطاعة : فمنهم من أقسره بالطاعة ، ومنهم من تربص حتى قدم عليه ، ومنهم من عصاه فكانت عاقبة أمره الى القتل والهلاك ، حتى استوثق له الأمر . فكانت طائفة الأشكانية ممن امتنعت من طاعة أردشير ، فأقسم أنه لا يبقى منهم — إن قدر عليهم — رجلا ولا امرأة . فلما غلب عليهم ما نجا منهم إلا من أخفى اسمه ونسبه . وقد كان أخذ في جملة من أخذ منهم ابنة ملكهم ، وكانت بارعة الجمال ، وافرة العقل . فلما رآها قال لها : أنت من بنات ملوكهم ؟ قالت : بل من خدمهم . فاصطفأها لنفسه ، فحملت منه . فلما علمت بالحمل شهرت نفسها وقالت : أنا ابنة ملكهم .

(١) اصططبت : أبيدت .

(٢) الفلاح (بحركة) : الفوز بما ينبت به وفيه صلاح الحال .

ف عند ذلك أمر شيخا من رجاله الذين يشق بهم يقال له هرجند^(١) [بن سام] بأن يودعها في بطن الأرض إشارة الى قتلها . فقالت : أيها الشيخ ، إنني قد حملت من الملك فلا تُبطل زرعه . فعمل لها سرباً تحت الأرض وجعلها فيه ، ثم عمّد الى مذاكيره فجلبها ووضعها في حُقّ وختم عليه ورجع الى الملك وقال : قد أودعتها بطن الأرض ؛ ودفعت له الحُقّ وقال : إن فيه وديعةً وأحب أن يكون عند الملك الى أن أحتاج اليه ، فاستودعه الملك ؛ وأقامت الجارية في السرب حتى كملت مدة حملها ، فوضعت غلاما فسماه الشيخ : شاه بور ، أى ولد الملك ؛ فسماه الناس سابور . وبق أردشير هذا دهر الأيولده ، فرآه الشيخ في بعض الأيام وقد ظهر عليه الحزن ، وكان خاصا به ، فقال له : ما هذا الحزن سرتك الله أيها الملك وعمرك . فقال : من أجل أنه ليس لى ولد يرث ملكى . فقال له الشيخ : إن لك عندى ولدا طيبا فأدع بالحُقّ . وأمر أردشير بإحضاره فأحضر ، ففضّ ختمه فإذا فيه مذاكيرُ الشيخ وكتاب فيه : إنه لما أمرنى الملك بقتل المرأة الأشكانية التي عاققت من ملك الملوك أردشير لم أر أن أبطل زرع الملك الطيب فأودعتها بطن الأرض كما أمرنى ، وتبرأت اليه من نفسى لئلا يجد عائب الى عيبيها سبيلا ؛ فسرّ أردشير بذلك ، وأمر الشيخ أن يجعل الغلام بين مائة غلام من أشباهه في الهيئة وأقرانه في السن ، ثم يدخلهم عليه ، ففعل ذلك ، فعرفه أردشير من بينهم وقبلته نفسه ، ثم أمرهم أن يلعبوا في حجرة الإيوان بالصواج ، فدخلت الأكرة الإيوان ، فأحجم الغلمان عن دخولهم وأقدم سابور ، فأمر أردشير عند ذلك بعقد التاج له .

(١) كذا في تاريخ الطبرى (ص ٨٢٣ من القسم الأول طبع أوربا) . وفي نسخة أ : « جندنان » .

وفي نسخة ب : « جند » . والتكلمة منه

(٢) كذا في الطبرى ، وفي نسخة (ب) « بترك » ، وفي نسخة (أ) « بترك » .

وكان أردشير من أهل العقل والمعرفة وحسن التدبير، وله وصايا ومكتبات صدرت عنه تدل على حكمة ورجاحة عقل. وقد تقدم إيرادها في الباب الرابع^(١) من القسم الخامس من الفن الثاني في وصايا الملوك. وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة وستة أشهر.

- ثم ملك بعده أبته سابور بن أردشير، والعرب تسميه سابور الجنود. وسابور هذا هو الذي حصر الضيّن^(٢)، وملك حصن الحضّر، وهو من مباني العرب المشهورة. وقد تقدم ذكره في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول، وهو في السفر الأول. فلا حاجة إلى إعادة ذكره.

٤٠
١٣

- وفي أيامه ظهر ماني الزنديق تلميذ قاردون وقال بالاثنين، فرجع سابور إلى مذهب ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة، ثم عاد إلى دين المجوسية وترك المانوية، وهو المسمى عندهم بدين الثنوية. وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة. وقيل إحدى وثلاثين سنة ونصف سنة وثمانية عشر يوما.

- ثم ملك بعده أبته هرمز بن سابور، وهو الذي يدعى هرمز البطل، ويلقب أيضا بالجرى. وبني مدينة رامهرمز بين كور الأهواز. وكانت مدة ملكه سنة وعشرة أشهر.

- ثم ملك بعده بهرام بن هرمز. قال: ولما ملك جاءه ماني الزنديق فعرض عليه مذاهب الثنوية فأجابته إلى ذلك احتيالا منه عليه، إلى أن أحضر له دعواته للمتفرقين في البلاد الذين يدعون الناس إلى مذاهب الثنوية. فلما أحضرهم إليه قتلهم وقتل ماني وساخه.

٢٠ (١) في الأصل « الباب الثالث » وما أثبتناه هو ما ورد في (ج ٦ ص ١٦ من هذه الطبعة).
(٢) هو الضيّن بن معاوية بن العبيد من قبيلة قضاة ويلقب بالساطرون.
(٣) راجع (ج ١ ص ٣٨١ من هذه الطبعة).

وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزنادقة الذين أضيفت اليهم الزندقة . وذلك أن
الفرس كان لهم كتاب يسمونه السناء ، وكان له شرح يسمى الزند . فكان من أتاها
بزيادة على ما في كتابهم يسمونه زنديا . فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من
الفرس فعربته وقالت زنديق . فالثنوية هم الزنادقة ، فألحق هذا الاسم بسائر من
اعتقد القَدَمَ وأبى حدوث العالم وأنكر البعث .

والذي أتى الفرس بهذا الكتاب زرادشت في زمن الفرس الأول . وقد قدمنا
ذكره في أخبار بشتاسف . وهذا زرادشت هو الذي تزعم المجوس أنه نبيها الذي
أرسل إليها . وكان زرادشت خادماً شعيماً فدعا شعياً عليه فبرص . وكان صاحب
نيرجات^(١) وسحر . وكان يحزُرُ^(٢) بعض الكوائن قبل أن تقع مما كان قد سمعه من شعياً
وقت خدمته له ، وآدعى النبوة في المجوس وعمل لهم الكتاب الذي قدمنا ذكره ،
وزعم أنه أنزل عليه من السماء ، وجعل كلامه فيه يدور على نيف وسبعين حرفاً ،
فلم يقدر أحد منهم على قراءته فأختصره لهم وسمى مختصره الزند .

فلما قام ماني بدين الثنوية سمته المجوس "زندين" وسموا أصحابه الزنادقة لأنه
زاد في شرعهم الذي شرعه لهم زرادشت ، فقتل بهرام هذا مانياً وصلبه على باب^(٣)
من أبواب مدينة من مدنه بالعراق ؛ فيُدعى ذلك الباب إلى آخر وقت باب ماني .
وكانت مدة ملك بهرام ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر .

ثم ملك بعده أبه بهرام بن بهرام . قال : ولما ملك أقبل في أول ملكه على
اللهو والصيد والثروة ، وترك ملكه لا يفكر فيه ولا في رعيته ؛ فخربت البلاد وتقصت

(١) النيرجات : جمع نيرج . والنيرج : أخذ كالسحر وليس بسحر ، إنما هو تشبيه وتلبيس .
(٢) حزر الشئ : قدره بالحدس . (٣) في تاريخ الطبري (ص ٨٣٤ من القسم الأول
طبع أوروبا) : « فأمر بقتله وسلخ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب جنديسابور يدعى باب
الماني » . (٤) في تاريخ الطبري : « ثلاث سنين » .

- بيوت الأموال . فلمسا كان في بعض الأحيان ركب الى بعض متنزحاته وصيده
 بخنه الليل وهو يسير نحو المدائن ، وكانت ليلة قراء . فدعا بالموبذ لأمر خطر بياله ،
 والموبذ عند المجوس كالتقسيس عند النصارى ، بفعل يحادثه فتوسطا في مسيرهم
 بين خرابات كانت من أمهات الضياع نفرت في ملكه ، وإذا بوم يصيح وآخر
 يجاوبه ، فقال الملك : أترى أحدا من الناس أعطى فهم ما يقول هذا الطائر؟
 فقال الموبذ : أنا أيها الملك ممن خصه الله تعالى بذلك . قال : فما يقول هذا
 الطائر، وما يقول الآخر؟ فقال الموبذ : هذا بوم ذكر يخاطب بومة أنثى ويقول :
 متعيني من نفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله تعالى . فأجابته البومة :
 إن الذي دعوتني اليه هو الحظ الأكبر ، والنصيب الأوفر، إلا أني أشرت عليك
 شرائط . فقال : وما هي؟ فقالت : أن تقطعني من خرابات أمهات الديار عشرين
 قرية مما تحربت في أيام هذا الملك السعيد . فقال له الملك : فما الذي قال الذكر؟
 قال الموبذ : كان من قوله لها : إن دامت أيام هذا الملك السعيد أقطعك منها ألف
 قرية ، فما تصنعين بها؟ قالت : في اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الولد ، فنقطع كل
 واحد من الأولاد ضيعة . فقال الذكر : هذا سهل ما حياي الملك .
- ١٥ فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذ تميل في نفسه وفكر فيما خوطب به ،
 فنزل من ساعته وخلا بالموبذ وقال له : ما هذا الكلام الذي خاطبتني به؟ فقد حركت
 مني ما كان ساكنا . فقال : صادفت من الملك وقت سعد بالعباد والبلاد ، فجعلت
 الكلام مثلا وموقفا على لسان الطائر عند سؤال الملك إياي . فقال له الملك :
 أيها الناصح للملك ، [المنبه^(١) على] ما أغفله من أمور ملكه ، وأضاعه من أمور بلاده
 ورعيته ، اكشف لي عن هذا الغرض ما المراد منه . فقال له : أيها الملك ! إن الملك

٤١
١٣

(١) التكلفة من مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٢١ طبع بلاق) .

لا يتم إلا بالشرعية والقيام لله بطاعته ، ولا قوام للشرعية إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قيام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل للمال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل ، والعدل هو الميزان المنصوب بين البرية ، نصبه الرب وجعل له قياً وهو الملك .

قال : أما ما وصفت فحق ، فأين لي عما إليه تقصد ، وأوضح لي في البيان .
 قال : نعم أيها الملك ! عمدت إلى الضياع فأقطعها الخدم وأهل البطالة فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع ، وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك ، ووقع الحيف على الرعية وعمار الضياع فأنجلوا عن ضياعهم ، وقلت الأموال ، وهاكت الجند والرعية ، وطمع في ملك فارس من طمع فيه من الملوك والأئم ، لعلمهم بانقطاع المواد التي بها تستقيم دعائم الملك . فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثة أيام ، وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين ، فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية وردت إلى أربابها ، وحملوا على رسومهم السالفة ، وأخذوا بالعمارة ، وقوى من ضعف منهم ، وعمرت البلاد ، وكثرت الأموال ، وقويت الجند ، وانتظم ملكه حتى كانت أيامه تدعى بالأعياد ، لما عم الناس من الخصب ، وشملهم من العدل . وكان ملكه سبع عشرة سنة .

ثم ملك أبه بهرام بن بهرام البطل ، وكان يدعى سكان شاه ، وهو الذي يقال له شاهنشاه . فكان ملكه أربعين سنة وأربعة أشهر .

ثم ملك بعده أخوه نرسی بن بهرام الثاني فكان ملكه تسع سنين . وقيل سبع سنين وخمسة أشهر .

(١) شاهنشاه : معناه ملك الملوك . (٢) في تاريخ الطبري : « أربع سنين » .

ثم ملك بعده آبنه هر مرز بن نرسی . قال : وكان فظا إلا أنه كان يرفق بالرعية ،
وكان حسن السيرة فيهم . وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر .

ثم ملك بعده آبنه سابور بن هر مرز ، وهو الملقب بذي الأكتاف . وكان
هر مرز قد تركه حملا في بطن أمه ، فعقدوا التساج على بطنها ، وقام الوزراء بتدبير
الأمر مدة حملها ، وفي مدة رضاع سابور وطفولته وصغره حتى كبر ، فكتب إليه
الناس الكتب من الآفاق وأجابهم ، ووجه البريد إلى الآفاق والأطراف ، ورتب
الوزراء والكتّاب وقز العمال .

قال : وكان قد شاع في الممالك أن ملك الفرس صغير السن ، وأنه يتدبر
برأى وزرائه ، ولا يدري ما يراد منه ، ولا ما يكون من الأمر ، فطمع في مملكة
الفرس الترك والروم والعرب . وكانت أدنى بلاد الأعداء إلى الفرس بلاد
العرب . وكانت العرب من أحوج الأمم إلى تناول شيء من المعاش لسوء
حالهم وشظف عيشتهم ، فانبسطت أيديهم في البلاد وغلّبوا أهلها عليها وآتسعت
حالهم وكثرت مواشيهم ، وأفسدوا في بلاد فارس ، ومكثوا كذلك حيناً ، وقد أمنوا
جانب الفرس وأطمأنوا من قتالهم لقلّة هيبتهم . وكان الذي غلب على سواد العراق
من العرب جمرّة العرب ولد إيااد بن نزار . وكان يقال لها طبق لإطباقها على البلاد ،
وملكها يومئذ الحارث بن الأغصر الإيادي . قال : ولما ترعرع سابور جعل
الوزراء يعرضون عليه أمر الجنود الذين في الثغور ، وأن الأخبار وردت عليهم أن
أكثرهم قد أخل ، وعظّموا عليه الأمر وهولوه ، فقال لهم : لا يهولنكم ذلك ، فالخطب
فيه غير جسيم ، والحيلة في ذلك يسيرة . وأمر الكتّاب أن يكتبوا إلى أولئك الجنود
أنه قد انتهى إلى طول مكثكم في النواحي التي أتم فيها ، وعظّم عنائكم وذئبكم عن
إخوانكم وأوليائكم ، فمن أحب منكم الانصراف إلى أهله فليصرف ما دوناه في ذلك ،

ومن أحب أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عرفنا له ذلك ، وتقدم الى من
اختار الانصراف منهم بلزوم أهله وبلاده الى وقت الحاجة إليه . فلما سمع الوزراء
قوله ورأيه استحسونه وقالوا : لو كان هذا قد أطال تجربة الأمور وسياسة الجنود
مازاد على ماسمعهنا . ثم نتابعت آراؤه في تقويم أصحابه ووقع أعدائه ، حتى إذا تمت
له ستُّ عشرة سنة جمع أساورته وأمرهم بالاستعداد لقتال العرب . وكانت إياد
تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق . وكان في جيش سابور رجل منهم يقال له لقيط ،
فكتب الى إياد شعرا يندرهم وهو :

سلامٌ في الصحيفة من لقيط
الى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث آتيكم دليفاً^(٢)
فلا يحبسكم سوقُ النقاد
أناكم منهم سبعون ألفاً^(٣)
يزجون الكائب كالجراد

(١) هو لقيط بن بكر ، شاعر جاهلي قديم مقل ، كما ورد في كتاب الأغاني (ج ٢٠ ص ٢٣ طبع بلاق) .
وفي المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكتابهم للأمدى (ص ١٧٥ طبع مصر) وكتاب الاشتقاق لابن دريد
(ص ١٠٤ طبع أوروبا) : « لقيط بن معبد الإيادي » . وفي كتاب « منتهى الطلب من أشعار العرب »
لمحمد بن المبارك المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدارالكتب المصرية تحت رقم ٥٣ أدب ش خمس ورقات
(من ص ٣٥٠ - ٣٥٩) كتب في أولها : « ديوان شعر لقيط بن يعمر الإيادي » ، وتشتمل هذه
الورقات على الأبيات المذكورة هنا وقصيدته العينية المشهورة التي مطلعها :

يادار عمسرة من محتلها الجرعاً هاجت لي الهمم والأحزان والوجعاً

(٢) كذا في شرح القاموس مادة « دلف » والمؤلف والمختلف . وفي الأصول : « بأتيكم دلافاً »
وهو تحريف . وورد هذا البيت في الأغاني ومنتهى الطلب هكذا :

بأن الليث كسرى قد أناكم فلا يشغلكم سوقُ النقاد

وقوله : « آتيكم دليفاً » يريد : يمشي مشى المقرد . والنقاد : الغنم .

(٣) في المؤلف والمختلف ومنتهى الطلب :

* أناكم منهم سبعون ألفاً *

- فلم يعبثوا بكبابه ، وسراياهم تكرر نحو العراق وتغير على السواد . فلما تجهز القوم نحوهم ظفروهم سابور فعمهم بالقتل ، وما أفلت منهم إلا نفرٌ لحقوا بأرض وبار^(١) ، وخلع سابور أكثاف كثير منهم ، فذلك سُمي ذا الأكتاف . وكان سابور في مسيره أتى البحرين وفيها بنو تميم فهربوا ، وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مرة وعمره ثلثمائة سنة ، وكان يُعَلَّقُ في عمود البيت في قفَّة ، فأرادوا حمله فأبى عليهم إلا أن يتركوه في ديارهم وقال لهم : أنا هالك اليوم أو غدا فتركوه . فلما صبحت خيل سابور الديار لقوها خالية ، فلما سمع عمرو صهيل الخيل جعل يصيح بصوت ضعيف ، فحمل إلى سابور ، فلما نظر إلى دلائل الحرَم ومرور الأيام عليه قال له : من أنت أيها الغاني ؟ قال : أنا عمرو بن تميم بن مرة ، قد بلغت من الكبر ما ترى ، وقد هرب الناس منك لإمراك في القتل ، فأثرت الفناء على يدك ليبقى من بقي من قومي ، ولعل الله يُجرى على يدك فرَجهم ، وأنا سائلك عن أمر إن أذنت فيه ؛ فقال سابور : قُلْ تَسْمَعُ ؛ فقال : ما الذي حملك على قتل رعيتك من رجال العرب ؟ فقال سابور : أقتلهم لما ارتكبوا في بلادى وأهل مملكتي ؛ فقال عمرو : فعلوا ذلك ولست بقيم عليهم ؛ فلما ملكت وقفوا عما كانوا عليه من الفساد هيبة لك ؛ قال سابور : وأقتلهم لأننا نجد في مخزون علمنا وما سالف من أبناء أوائلنا أن العرب ستُدال علينا . فقال عمرو : هذا أمر تظنه أم تحقِّقه ؟ قال : بل أتحقِّقه ولا بد أن يكون ؛ فقال عمرو : فليَم تَسِيءُ إليها ؛ والله لئن تَسِيءَ عليها وتُحسِن إليها ليكافئون قومك عند إدالة الدول إليهم بإحسانك ، وإن أنت طاليت بك المدة كافئوك عند مصير الأمر إليهم إن كان حقاً ، وإن كان باطلاً فليَم تتعجل الإثم وتَسْفِك دماء رعيتك ؟ فقال

(١) في مروج الذهب لسعودي (ج ١ ص ١٢٢) «أرض الروم» ، و «بار» على وزن قطام وحذام : أرض واقعة ما بين الشحر إلى تخوم صنعاء . (انظر معجم البلدان لياقوت) .

سابور : الأمر صحيح والحق ما قلت ، ولقد صدقت في القول ونصحت .
فنادى منادى سابور بأمان الناس ورَفَع السيف . ويقال : إن عمرا بقي بعد هذا
الوقت ثمانين سنة .

ثم سار سابور إلى أرض الروم ففتح المدن وقتل خلائق من الروم وقال لمن
معه : إني أريد أن أدخل بلاد الروم متنكرا لأتعرّف أحوالهم وسيرهم ومسالك^(١)
بلادهم ، فإذا بلغت من ذلك حاجتي انصرفت إلى بلدي فسرت إليهم بالجنود ،
فخدّروه التغرير بنفسه فلم يقبل قولهم . وسار متنكرا إلى أرض القسطنطينية فصادف
وليمة لقيصر اجتمع فيها الخاص والعام ، فدخل في جملتهم وجلس على بعض
موائدهم ، وقد كان قيصر أمر مصورا أتى عسكر سابور فصوره وجاء إلى قيصر
بالصورة ، فأمر بها فصوّرت على آنية الشراب من الذهب والفضة ، وأتى
بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس ، فنظر بعض الخدم إلى الصورة
التي على الكأس ، وسابور مقابل له ، فانطبعت مثالا لصورة سابور ، فقام إلى
الملك فأخبره ، فثبث بين يدي الملك ، فسأله عن خبره فقال : أنا من أساورة
سابور وهربت منه لأمر خفته منه . فلم يقبل ذلك منه ، وقُدّم إلى السيف فأقر^(٢)
بنفسه ، فجعل في جلد بقرة ، وسار قيصر في جنود حتى توسط العراق ، فافتتح
المدن ، وشن الغارات ، وعقر النخل ، وانهى إلى مدينة نيسابور ، وقد تحصن بها
وجوه فارس ، فقتل عليها وحضر عيدا للنصارى فأغفل الموكلون بسابور أمره ،
وأخذ منهم الشراب ، وكان بالقرب من سابور أسارى من الفرس ، فراطنهم بالفارسية
أن يحلّ بعضهم بعضا ، وأمرهم أن يصبوا عليه زقاق الزيت ففعلوا ، فلان عليه

(١) كذا في كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣٢٤ طبع أوربا) . وفي الأصل : « نمالك » .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٢٤ طبع بلاغ) . وفي الأصل : « إليه » .

(٣) الزقاق : جمع زق (بالكسر) ، والزق جلد يجز ولا يذف يستعمل للشراب وغيره .

الجلد وتخلص ، وأتى المدينة فراطنهم فرفعوه بالحبال ، ففتح خزائن السلاح وخرج على الروم فكبس جيشهم عند ضرب النواقيس ، فانهزم الروم ، وأتى بقيصر أسيرا ، فأبقى عليه وضم إليه من أسر من أصحابه ، وأخذهم بغرس الزيتون بالعراق بدلا من النخل التي عقروها ؛ ولم يكن الزيتون بالعراق قبل ذلك . وفي فعل سابور ودخوله الى أرض الروم يقول بعض شعراء الفرس :

وكان سابور صفا في أرومته * اختير منها فاضحي خير مختار
إذ كان بالروم جاسوسا يجول بها * حوم المنية من ذى كيد مكار^(١)
فاستأسروه ، وكانت كبة عجبا * وزلة سبقت من غير عثار
وأصبح الملك الرومي مغتربا * أرض العراق على هول وأخطار
فراطن الفرس بالأبواب فاقتروا * كما تجاوب أسد الغاب بالغار^(٢)
بغذ بالسيف أصل الروم فامتحنوا * لله درك من طلاب أوتار
إذ يغرسون من الزيتون ماعضدوا * من النخيل وما حفوا بمششار

وسابور هذا هو الذي بنى الإيوان المعروف بإيوان كسرى ، وبنى السوس^(٣) والكرج ونيسابور . قال صاحب كتاب تجارب الأمم : وبنى بالسواد مدينة^(٤) نرجس سابور ، وبنى الأنبار . قال : وبنى مدائن أخر بالسند وسجستان ، ونقل^(٥)

(١) كذا في مروج الذهب . وفي الأصل : « جبل البرية » . (٢) كذا في مروج الذهب . وفي الأصل : « الغار » . (٣) السوس : مدينة قديمة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي ولها بساتين وورد في معجم البلدان لياقوت أن أزل من بني كور السوس وحفر أمرها رديش بن نهجن . (٤) الكرج : وتسمى قديما إبيريا ، وهي بين جبال القبيج من الشمال وأرمينية وأران من الجنوب ؛ وأشهر مدنها : تخلص وباكو . واسم الكرج مشتق من نهر الكر الذي يجري هناك ؛ وهي إقليم القوقاز الآن . (٥) نيسابور : حاضرة خراسان ، واسمها أيضا « نساور » وكانت قاعدة الدولة الظاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ) . (٦) الأنبار : هي « فيروز سابور » مدينة بالعراق بينها وبين بغداد ١٠ فراسخ على نهر الفرات قرب منحرج نهر عيسى . واختلف المؤرخون فيمن بناها ، فقيل هو سابور بن هرمز (ذو الأكتاف) كما أورده المؤلف هنا . وقال ابن الأثير : بنيت الحيرة والأنبار أيام بختنصر . وفتحت هذه المدينة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢ من الهجرة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه .

٤٤
١٣ طيبيا من الهند وأسكنه السوس ، فوِثَ طِبَّه أهلُ السوس . وهلك سابور بعد
أثنتين وسبعين سنة من ملكه .

ثم ملك بعده أردشير بن هرم وهو أخو سابور بن هرم هذا . قال :
ولما ملك ظهر منه شر كثير وقتل من العطاء وذوى الرياسة خلقا كثيرا ، فاجتمع
الناس على خلعته فخلعوه بعد أن ملك أربع سنين .

ثم ملكوا عليهم بعده سابور بن سابور . قال : ولما ملك استبشرت الرعية
برجوع ملك أبيه إليه ، فأحسن السيرة ورفق بالرعية . وكانت له حروب كثيرة
مع إياد بن نزار وغيرها [من العرب ^(١)] ، وفيه يقول شاعر إيادى :

على رغم سابور بن سابور أصبحت * قباب إياد حولها الخيل والنعم

وكان ملكه خمس سنين وأربعة أشهر ، وسقط عليه فسطاط كان ضرب عليه فمات .

١٠ وملك بعده أخوه بهرام بن سابور ذى الأكتاف ، وهو الملقب كُرمان شاه ؛
لأن سابور كان ولّاه كُرمان . قال : وكان حسن السيرة ، جميل السياسة ، محمود
الأثر ، محببا للرعية . وكان ملكه عشر سنين . وقيل إحدى عشرة سنة وخمسة
أشهر وثمانية عشر يوما .

١٥ وملك بعده ابنه يزيد جرد بن بهرام المعروف بالأثيم . قال : وكان فظا غليظا ،
ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشد عيوبه وضعفه ما آتاه الله من ذكاء ذهن وحسن
أدب في غير موضعهما ؛ وذلك أنه كان كثير الروية في المضار من الأمور ، واستعمل
الذى أوتيته في الدهاء والحيل ، واستخف بكل علم كان عند الناس ، وأحتقر آدابهم ،
وتعاضم عليهم واستطال بما عنده . وكان مُعجبا بنفسه سيء الخلق ، حتى بلغ من
شدته وحدته أنه كان يستعظم صغار الزلات ، ولا يرضى في عقوبتها إلا بما لا يُستطاع .

(١) الزيادة من مروج الذهب .

- وكان لا يقدر أحد من بطانته - وإن كان لطيف المنزلة منه - أن يشفع عنده لمن
أَبْتَلِيَّ بِهِ وَإِنْ كَانَ ذَنْبُ الْمُبْتَلَى بِهِ يَسِيرًا، وَلَمْ يَكُنْ يَأْتُمُّ أَحَدًا عَلَى شَيْءٍ أَلْبَتَّةً، وَلَا يَكْفَى
عَلَى حَسَنِ الْبَلَاءِ . وَكَانَ يَعْتَدُّ بِالْحَسِيْسِ مِنَ الْمَعْرُوفِ إِذَا أَوْلَاهُ وَيَسْتَجِزِلُ ذَلِكَ ،
فَإِنْ جَسَرَ عَلَى كَلَامِهِ أَحَدٌ فِي أَمْرٍ قَالَ لَهُ : مَا قَدَرُ جَعَّالَتِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي كَلَّمْتَنَا
فِيهِ ، وَمَا الَّذِي بُدِّلَ لَكَ بِسَبَبِهِ ؟ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . فَلَمَّا اشْتَدَّتْ بَلِيَّةُ النَّاسِ بِهِ ،
وَكَثُرَتْ إِهَانَتُهُ لِلْعِظَاءِ ، وَأَكْثَرَ مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ ، وَاسْتَعْمَلَ الضَّعْفَاءَ فِي الْأَعْمَالِ
الشَّاقَّةِ ، وَحَمَلَهُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ ، تَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُنْقِذَهُمْ
مِنْهُ . فَزَعَمَ الْفَرَسُ أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ مُطْلَعًا مِنْ قَصْرِهِ إِذْ رَأَى فَرَسًا عَاثِرًا لَمْ يَرْمَثْهُ
قَطُّ فِي الْخَيْلِ مِنْ حَسَنِ الصُّورَةِ وَتَمَامِ الْخَلْقَةِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِهِ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ
مِنْ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ يَزْدَجِرْدُ أَنْ يُسْرَجَ وَيُلْجَمَ وَيُدْخَلَ عَلَيْهِ بِهِ ، فَخَاوَلَ السُّوَّاسُ وَأَصْحَابُ
الْمَرَائِبِ أَنْ يُلْجَمُوهُ أَوْ يُسْرَجُوهُ فَعَجِزُوا عَنْ ذَلِكَ ، وَلَا مَكْتَنَهُمُ الْفَرَسُ مِنْ نَفْسِهِ ،
فَخَرَجَ يَزْدَجِرْدُ بِنَفْسِهِ إِلَى الْفَرَسِ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَأَسْرَجَهُ وَأَلْجَمَهُ وَلَبَّيْهُ وَهُوَ لَمْ يَتَحَرَّكَ ، فَلَمَّا
اسْتَدَارَ وَرَفَعَ ذَنْبَهُ لِيُنْفِرَهُ رَمَحَهُ الْفَرَسُ عَلَى فَوَّادِهِ رَمْحَةً فَهَلَكَ مِنْهَا لِسَاعَتِهِ ، ثُمَّ لَمْ يُعَايِنِ
الْفَرَسُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَكْثَرَتِ الْفُرْسُ فِي حَدِيثِهِ فَظَنُّوا الظَّنَّونَ . وَكَانَ أَحْسَنَهُمْ مَذْهَبًا
وَأَمْتَلَهُمْ طَرِيقَةً مَنْ قَالَ : إِنَّمَا اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَعَاءَنَا . فَكَانَ مَلِكًا إِلَى أَنْ
هَلَكَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشْرٍ يَوْمًا . وَقِيلَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً
غَيْرَ شَهْرَيْنِ .

- قال : وكان أبه بهرام جور في حَجْرِ النعمان بن المنذر بن ماء السماء أسلمه أبوه
إليه ليربِّيه بالحيرة لصحة هواثها . وقد تقدّم خبره في ذكر بناء الخورنق والسدير .
(١) أنفره : وضع النفر تحت ذنبه . والنفر (بالتحريك ويسكن) السير الذي يوضع في مؤخر الرجل
وتحت ذنب الدابة . (٢) راجع (ج ١ ص ٣٨٥ من هذه الطبعة) .

فعدل الفرس عنه لسوء أثر يزدجرد فيهم وملكوا عليهم كسرى ، وهو رجل من عترة
ساسنان ، فاستعان بهرام جور بالعرب وأرسل الى الفرس وأعلمهم إنكاره سيرة أبيه ،
ووعدهم بإصلاح مافسد ، وأنه إن مضى للملكة سنة ولم يف لهم بما بذل تبرأ من
المُلك طائعا ، فمال اليه قوم وبقيت طائفة مع كسرى ، فتراضوا أن يوضع تاج الملك
بين أسدين مُشْبِلَيْنِ فمن تناوله فهو الملك . وكان بهرام جور شجاعا بطالا ، فلما وقف
هو وكسرى الى جانب الأسدين هابهما كسرى ، فوثب بهرام جور فإذا هو على ظهر
الأسد وعصر جنيبه بفخذيده ، فلما تمكن منه قبض على أذنيه ، ولم يزل يضرب رأس
الأسد برأس الآخر حتى قتلهما . فكان كسرى أول من هتف به وأذعن له .

٤٥
١٣

فملك بهرام جور بن يزدجرد ، فأحسن السيرة ، وجلس سبعة أيام متوالية
لجند والرعية ، يعدهم الخير من نفسه ويحضهم على تقوى الله وطاعته . وكان جلوسه
على سرير الملك وهو ابن عشرين سنة ، فغبر زمانا وهو يحسن السيرة ، ويعمر البلاد ،
ويدر الأرزاق ، ثم آثر اللهو على ذلك وكثرت خلواته بأصحاب الملاهي حتى كثرت
عليه الملازمة من أرباب دولته ، وطمع من حوله من الملوك في استباحة بلاده والغلبة
على ملكه . وكان أول من سبق الى مغالبتة ومكائرتة خاقان ملك الترك ، وغزاه
في مائتي ألف ونحسين ألفا من الأتراك ، فبلغ الفرس إقبال الترك في هذه الجموع
العظيمة فهالهم ذلك ، ودخل على بهرام جور جماعة من عطاء الفرس وأهل الرأي
والتجدة وقالوا : أيها الملك ، قد أرهقك من بائنة عدوك ما يشغلك عما أنت فيه
من اللهو والتلذذ ، فتأهب له لئلا يلحقك منه أمر يلزمك فيه مسبة وعار . وكان بهرام
لثقتة بنفسه ورأيه يجيب القوم بأن يقول : الله ربنا قوى ونحن أولياؤه . ثم يقبل
على ما هو عليه من اللهو والصيد .

(١) البائنة : الداهية .

- قال: ثم أظهر بهرام جور التجهز الى أذربيجان ليتنسك في بيت نارها، ويتوجه منها الى أرمينية ويتصيد في آجامها، وسار في سبعة رهط من عطاء الفرس وأهل البيوتات، وثلاثمائة رجل من رابطته ذوى بأس وشدّة ونجدة، واستخلف أخاه يقال له نرسی على ملكه، فما شك الناس — لما بلغهم ذلك — أنه هرب من خاقان، فتآمر الفرس في مراسلة خاقان والانقياد الى طاعته والإقرار له بالخراج، مخافة منه أن يستبيح بلادهم، فاتصل هذا الخبر بخاقان فاطمأن وترك التحفظ والاستعداد وآثر المسالمة. وتعزف بهرام خبر خاقان وحال جنده وما هم عليه من الطمأنينة والفتور وعدم الاستعداد، فسار بمن معه وبيت خاقان وقتله بيده. فلما علم الأتراك أن ملكهم خاقان قد قتل انهزموا لا يلوون على شيء وخلفوا أتقالم وأموالم. فأكثر بهرام فيهم القتل وأمعن في طلبهم، وحاز غنائم لم يسمع بمثالها، وسبى من ذريتهم كثيرا. وكان مما غنمه تاج خاقان وإكليله، وغلب على بلاد الترك وانصرف بالظفر والغنائم، وكتب الى أهل مملكته يعامهم بما حصل له من الظفر بخاقان وجموعه بمن كان معه من أولئك القوم الذين استصحبهم معه.

- وكان بهرام يتكلم بلغات كثيرة، منها اللغة العربية. ومما حُفِظَ من شعره يوم ظفّره بخاقان:

أقول له لما فضضت جموعه * كأنك لم تسمع بصولات بهرام
وأنى حامى مُلك فارس كلّها * وما خير مُلك لا يكون له حامى
ومن شعره أيضا:

- لقد علم الأنام بكل أرض * بأنهم قد آضخوا الى عبيدا
ملكك ملوكهم وقهرت منهم * عزيزهم المسودّ والمسودا

فتلك أسودهم تبغني حذارى * وترهب من مخافتى الورودا
 وكنت إذا تشاوس ملك أرض * عبأت له الكائب والجنودا
 فيعطيني المقادة أو أوافي * به يشكو السلاسل والقيودا

قال : ولما قتل خاقان بعث بهرام جور أحد قواده إلى ما وراء النهر فغزاهم
 وأقزوا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية . قال : وأسقط بهرام جور عن رعيته إثر
 هذا الظفر نحراج ثلاث سنين ، وترك ما كان قد بقى من الحراج ولم يُستخرج من
 قسط تلك السنة ، وكان سبعين ألف ألف درهم ، وقسم في الفقراء مالا عظيما
 وفي أهل البيوتات والأحساب عشرين ألف ألف درهم ، وتَحَلَّ بيت النار
 بأذر بيجان جميع م غنمه من الترك من اليواقيت والخواهر والتاج والإكليل .
 ويقال إن بهرام دخل إلى أرض الهند متنكرا فكث حيناً لا يُعرف حتى بلغه أن
 فيلا قد هاج وقطع السبل وأهلك الناس ، فسألهم أن يدلوه عليه ، فرفع أمره إلى الملك
 فأرسل معه رسولا ، فلما انتهى إليه أوفى الرسول على شجرة لينظر ما يصنع بهرام مع الفيل ،
 فصرخ بالفيل فخرج إليه ، بفعل يرميه ويثبَّت النَّشَاب بين عينيه ، ثم دنا وأخذ بمشفره
 وجذبه جذبة نحر منها الفيل ، ثم أحتر رأسه وأقبل به إلى الملك خبأه وأحسن إليه .

ثم إن ملكا من أعداء ذلك الملك أقبل لغزوه بخزع ذلك الملك من كثرة
 جنود الملك الذي أتى نحوه ، فقال له بهرام : لا يهولئك أيها الملك أمره ؛
 فركب بهرام وقال لأساورة الهند : احموا ظهري ، وانظروا إلى عملي ، وكانوا لا يُحْسِنُونَ
 الرمي ، وأكثرهم رجالة ، فحمل عليهم حملة هدم بها ، ثم جعل يضرب الرجل فيقطعه

(١) في مروج الذهب لسعودي « تقي » ، والإفعا : أن يلقى ألبته بالأرض . ينصب ساقبه

ويضع يديه على الأرض . (٢) تشاوس إليه ، نظر إليه بمؤخر العين تكبرا .

(٣) أوفى : أشرف عليها .

نصفين ، ويأتي الفيـل فيضرب مشفره ويكبه ويأخذ من عليه فيقتله ، ويأخذ
 الفارس فيذبجه على قَرَبوس سرجه ، ويتناول الرجلين فيضرب أحدهما بالآخر فيموتان
 جميعا ، ويرى فلا تقع له نُشابة إلا في رَجُلٍ ، فولوا أمامه منهزمين ، وحمل الذين
 كانوا يُحرسون ظهره عليهم فأكثروا القتل فيهم ، فزوجه ملك الهند بنته ونَحَلَه
 الدَّيْلَ^(١) ومُكران وما يليهما من أرض السند وأشهد له بذلك ، وأنصرف بهرام جور
 إلى مملكته وضم ذلك إلى بلاده وحمل خراجها إليه ، ثم أغزى بهرام جور أخاه
 نرسي إلى بلاد الروم في أربعين ألفا فدخل القسطنطينية وهادن ملك الروم على
 إتاةة يحملها إلى أخيه . ثم مضى بهرام جور إلى أرض السودان على طريق اليمن
 فأوقع بهم وعاد إلى مملكته وهلك بعد ذلك في ماء . وذلك أنه توجه إلى الصيد
 فشد على عَيْرٍ وأمعن في طلبه ، فارتطم في ماء في سبخة فغرق فيه ، فسارت أمه إلى
 ذلك الموضع بمال عظيم ونزلت بالقرب منه ، وأمرت بإنفاق تلك الأموال على
 من يخرجها ، فنقلوا طينا عظيما وحماة كثيرة حتى صار من ذلك آكاما عظاما ولم
 يقدروا على [استنقاذ^(٢)] جثته . وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة .

وحكى عنه في صغره ما يدل على نباهته ، وجودة فكرته وجميل رأيه . فمن
 ذلك أنه قال للنعمان بن المنذر لما بلغ عمره خمس سنين : أحضر لي مؤدبين ليعلموني
 الكتابة والفقـه والرحمى والفروسية . فقال له المنذر : إنك بعد صغير السن ، ولم يأن
 لك ذلك بعد . فقال له بهرام : أما تعلم أيها الرجل أنى من ولد الملوك ، وأن الملك

(١) الديبل (بفتح الدال المشددة وسكون الياء التحتية وضم الباء الموحدة) : بلد صغير شديد الحر
 على شط ماء السند ، وهي من أكبر فرضه وأشهرها ، وبها سمم كثير ، ويجلب إليها التمر من البصرة ، ويجلب
 منها المتاع الديبلى . ومكران (بضم الميم وسكون الكاف) : بلدة من بلاد كرمان ، وهي ناحية واسعة عريضة ،
 والغالب عليها المقارز والقحط والضيق ١ هـ ملخصا من كتاب تقويم البلدان لأبى الفداء ، طبع باريس .
 (٢) الزيادة عن كتاب غرر ملوك الفرس وسيرهم للنعالي (ص ٦٨ هـ طبع أوربا) .

صائر إلى ، وأولى ما كُلف به الملوك وطلبوه صالح العلم ؛ لأنه زين لهم وركن ، وبه يعرفون . أما تعلم أن كل ما يُتقدم في طلبه ، ينال في وقته ، وما لم يُتقدم فيه و يُطلب في وقته ، يُنال في غير وقته ، وما يُفترط فيه وفي طلبه يفوت ولا يُنال ؟ عَجَل على بما سألتك . فبعث المنذر من ساعته إلى باب الملك من أتاه برهط من المعلمين الفقهاء والرماة ، وجمع له حكماء الروم وفارس وغيرهم ، وألزمهم إياه ، ووقت أوقاتا لكل منهم ؛ فتعلم بهرام من كل عِلْم أحسنه ، وسمع الحكمة ووعى ما سمع منها ، وثقف كل ما علم بأيسر شيء ، وبلغ أربع عشرة سنة ، وقد فاق معلميه ، وحفظ للثمان حق التربية ، فملكه على العرب لما صار الملك إليه .

ولما هلك بهرام جور ملك بعده آبنه يزدجرد بن بهرام جور ؛ فسار بسيرة أبيه ؛ ولم يزل قامعا لعدوه ، كثير الرفق برعيته . وكان له آبنان أحدهما يسعى هرمز ، والآخر فيروز . ودام ملك يزدجرد تسع عشرة سنة ، وقيل ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما ثم هلك .

٤٧
١٣

فتغلب على الملك بعده ابنه هرمز بن يزدجرد . ولما ملك هرمز هرب منه فيروز وخلق ببلاد الهياطلة^(١) ، وأخبر ملكها بقصته وقصة أخيه هرمز ، وذكر أنه أحق منه بالملك ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل به أخاه ، فأبى عليه ملك الهياطلة وقال : سأعلم خبره ثم أمرك بعد ذلك بما تفعل . وكشف ملك الهياطلة عن خبر هرمز وتعترف أحواله فبلغه أنه غشوم ظلوم ؛ فقال عند ذلك : إن الجور لا يرضاه الله تعالى ، ولا يصلح عليه الملك ، ولا تقوم به سياسته ؛ وأمد فيروز بالعساكر ودفع له الطالقان^(٢) ؛ فأقبل فيروز من عنده بجيش طخارستان وطوائف خراسان ، فظفر بأخيه فخسه .

(١) الهياطلة : الصغد ، وهم بين بخارى وسمرقند .

(٢) طالقان : بلدة بخراسان بين مرو الروز وبلغ بينها وبين مرو الروز ثلاث مراحل وهي أكبر

مدينة بطخارستان . عن (معجم البلدان لياقوت) .

وملك فيروز بن يزدجرد . ولما ملك أظهر العدل وحسن السيرة ، وكان يتدين إلا أنه كان مشغوما على رعيته ، فقيحط الناس في زمانه سبع سنين ، فأحسن فيها الى الناس ، وقسم ما في بيوت الأموال . ويقال : إن الأنهار غارت في مدة القحط ، وكذلك القنى والعيون ، وحلت الأشجار والغياض ، وهلكت الوحوش والطير ، وجاعت الدواب حتى كادت لا تطيق الحموله ، وعم أهل البلاد الجهد والمجاعة ،
 ٥ فيبلغ من حسن سياسة فيروز لهذا الأمر أن كتب الى جميع الرعية : أنه لاخراج عليكم ولا جزية ولا سنخرة ، وأنه قد ملكهم أنفسهم ، وأمرهم بالسعى فيما يقوتهم ويصلحهم ، وكتب بإخراج ما في المطامير من الأطعمة وقسمها في الناس ، وترك الاستئثار عنهم وتساوى بهم ، وأخبر أهل الغنى والشرف ، بكل مدينة وقرية ،
 ١٠ أنه إن بلغه أن إنسانا مات جوعا عاقب أهل تلك المدينة أو الجهة التي يموت بها ، ويُنكَل بهم أشد النكال . فقيل إنه لم يهلك في هذا القحط والمجاعة من رعيته إلا رجل واحد من رُستاق .^(١)

قال : ثم أغاثه الله فأمطرت السماء ، وجرت الأنهار ونبتت العيون ، وصلحت الأشجار ، وسمنت المواشى ، فاستوثق له الملك ، وأخذ في غزو أعدائه وقهرهم . وبني مدنا إحداها بين جرجان [و باب صول^(٢)] وأخرى بناحية آذر بيجان .
 ١٥ ثم سار بمجنوده نحو خراسان لقصده حرب أخشنوار ملك الهياطلة لأشياء كانت في نفسه ، ولأن الهياطلة كانوا يأتون الذكران ويركبون الفواحش فسار اليهم ؛ فلما

(١) رستاق (بضم الراء) : مدينة بفارس من ناحية كرمان .

(٢) النكلة من الطبرى (ص ٨٧٤ من القسم الأول) .

(٣) كذا في تاريخ الطبرى وكتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣٢٧) . وفي الأصل «أخشنوار» .

بلغ أخشنوار ملك الهياطلة خبره خافه وأشدت رعبه منه ، وعلم أنه لا طاقة له به ، وأن جيشه يضعف عن مقابلة الجيوش التي أقبل بها فيروز بخار في أمره ؛ فتقدم إليه رجل كبير السن من أهل بلاده وقال : أنا أفدى الملك وأهل مملكته بنفسى ، فليأمر الملك بقطع يدي ورجلي ويؤثر في جسدي آثار العقوبة بضرب السياط ، ويُلقني في الطريق التي يمر فيروز بها ، ويُحسِن إلى ولدي وعيالي الذين أخلفهم ؛ ففعل به ذلك وأمر بإلقائه في الطريق . فلما مر به فيروز أنكر حاله ، فأخبره أن أخشنوار فعل به ذلك ؛ لأنه أشار عليه بالانقياد إلى طاعة فيروز والإقرار بعبوديته ، وأن يحمل إليه من الأموال والتحف ما يُرضيه ؛ ففرق له الملك فيروز ورجمه وأمر بحمله معه ، فنهاه أكابر قومه عن تقريبه فلم يرجع إليهم ، ثم قال له ذلك الأقطع كالتنصُّح^(١) له : أنا أدل الملك على طريق مختصر تدخل منه في مفازة إلى بلاد أخشنوار ، فتصادف غرته ؛ وسأله أن يشتفى له منه . فاعتز فيروز بذلك ؛ وأخذ الأقطع بفيروز ومن معه وعدل بهم عن الطريق الجادة وشرع يقطع بهم مفازة بعد مفازة . فلما شكوا العطش مناهم بقرب الماء وقطع المفازة . ولم يزل يتقدم بهم حتى بلغ بهم موضعا علم أنهم لا يقدرون فيه على التقدم ولا الرجوع ، فتبين لهم أمره ، فعندها سقط في أيدي القوم وقالوا لفيروز : ألم تنهك عن هذا الرجل فلم تنته؟ فهلك أكثر أصحابه من العطش ، ومضى على وجهه بمن نجا معه ؛ فوافى أخشنوار وقومه ؛ وهو ومن نجا معه على أسوأ حال ، وقد أجهدهم العطش ، فدعوا أخشنوار إلى الصالح على أن يُخلى سبيلهم وينصرفوا إلى بلادهم ، وعاهدوه على ألا يفزؤهم أبدا ، فرضى أخشنوار بذلك وحصل اتفاقهما على أن يجعل بينهما حدا لا يتجاوزه واحد منهما ، ووضع عند الحد حجر ، وحلقه أخشنوار أنه لا يتجاوز ذلك الحجر ،

(١) المتنصح : الذي ينشبه بالنصحاء .

خلف له وأخذ عليه العهود والمواثيق وأطلقه أخشنوار ، فعاد فيروز إلى بلاده .

- فلما سار إلى مملكته داخلته الحمية وحملته الأنفة على محاربة أخشنوار والغدر به ،
 فنهاه أهل مملكته عن ذلك وقبحوا عليه نقض العهود والمواثيق ، فلم يرجع إلى أقوالهم
 وأبى إلا غزوه . وسار بجيوشه حتى أتى الحد الذي بينهما والمجر الذي حلف أنه
 لا يتجاوز به إلى بلاد الهياطلة ، فأمر فيروز بالمجر أن يصمد فيه خمسون فيلا وثلثمائة
 رجل ، بغيره أمامه وأمر العسكر ألا يتجاوز ذلك المجر ولا يتقدم القبيلة ، وزعم أنه
 يكون قد وفى بيمينه ولم يتجاوز ما عاهد عليه . فلما بلغ أخشنوار ذلك أرسل إليه
 يقول : إن الله عز وجل لا يُخادع ولا يُماكر ، ونهاه عن الغدر وقبحه عليه ، وهو
 لا يكثر بقوله ، وأحجم أخشنوار عن محاربة فيروز وكرهها ، ثم أعمل الفكرة وأخذ
 يفكر في وجوه المكاييد والمكر والخداع ، فحفر حول عسكره خندقاً عرضه عشرة
 أذرع ، وعمقه عشرون ذراعاً ، وغطاه بخشب ضعيف وألقى عليه التراب ، ثم ارتحل
 بمن معه ومضى غير بعيد ، فبلغ فيروز رحيل أخشنوار فيجده من معسكره ، فما شك
 أنه انهزم منه ، فركب في طلبه وأعد السير يجنوده — وكان مسلحهم على الخندق —
 فلما مروا عليه تردى فيروز وعامة جنوده فيه فهلكوا عن آخرهم وعطف عليهم
 أخشنوار وأحتوى على كل شيء كان في معسكر فيروز ، وأسر موبدآن موبدآن
 وجماعة من نساء فيروز ممن دخت ابنة فيروز ، فكان هذا عاقبة مكره . وكان
 ملكه سبعا وعشرين سنة .

- ولما هلك تنازع الملك بعده أبناء قباذ وبلاش ، فملك بلاش بن فيروز
 ابن يزدجرد . وكان حسن السيرة حريصاً على العارة ، وبلغ من حسن نظره أنه كان
 لا يبلغه أن يتناحر وجلا عنه أهله إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك

البيت على تركهم لإعاش أهله وسد فاقتهم حتى لا يضطرون إلى الجلاء عن
أوطانهم . ثم هلك بعد أربع سنين .

وملك بعده أخوه قباد بن فيروز . قال : وكان قباد لما ملك أخوه بلاش
سار إلى خاقان يستنصره على أخيه ويذكر أنه أحق منه بالملك ؛ فمطّله بذلك
أربع سنين ثم جهزه بجيش ، فلما عاد وبلغ نيسابور بلغه وفاة أخيه بلاش . وكان
قباد في مسيره إلى خاقان مرّ على نيسابور متكرراً وتزوج بها بأبنة رجل من الأساورة
وواقعها ، فحملت منه بأنوشروان وتركها بنيسابور ، فلما عاد في هذا الوقت سأل
عن الجارية فأتي بها وأبنة منها أنوشروان ، فتبرك بهما وفرح بابنه ، ثم عاد إلى بلاد
فارس وبني مدينة أرجان وحلوان وعدة مدن أخر .

قول : وكان لقباد خال يقال له سوخرا وقيل فيه : ساخورا ، وكان يُخلف فيروز
والد قباد على مدينة الملك بالمداين ، فجمع جموعاً كثيرة من الفرس وقصد أخشنوار
ملك الهياطلة وحاربه وأنتقم منه وأستنقذ جميع من كان أسره من الفرس ومن
سباه من نساء فيروز ، وأكثر ما كان قد احتوى عليه أخشنوار من خزائن فيروز ؛
فعمّط قدره عند الفرس ، وحسّن فيهم أمره ، وكبرت منزلته عند بلاش وقباد إلى
أن لم يبق بينه وبين الملك إلا مرتبة واحدة ، وتولى سياسة الأمر بحنكة وتجربة ؛
ومال إليه الناس وأطاعوه ، وأستخفوا بقباد ولم يعابوا بأمره ، وهان عندهم فما
حملت نفسه هذه الإهانة والذلّ ، فأخذ في التديير على ساخورا وكتب إلى سابور
الرازي ، وهو الذي يقال له اللبيب ، وهو أصهبذ البلاد ، في القدوم عليه بين قبله
من الجند ، فقدم بهم سابور نخطبه قباد في أمر خاله ، فوافقه سابور عليه ، فأمره

(١) كذا في نسخة ١ وتاريخ الطبري . وفي نسخة ب « سوخرا وقيل فيه ساخورا »
بالجيم المعجمة .

قباد بالتلطف في هذا الأمر وكتابه ، وإعمال الحيلة وحسن التدبير فيه ، فغدا
سابور على قباد فوجد خاله ساخورا عنده ، فتقدم سابور إليه وهو آمن ، فألقى
وهقاً في عنقه وأجسذبه وأوثقه بالحديد ثم أودعه السجن ، وقتله قباد وخافته
الفرس بعده .

- وفي أيام قباد ظهر مزدق - ويقال فيه : مَزْدَك ، وتفسيره : حديد الملك ؛
وإليه تضاف المزدقية ، ويقال لهم العدلية - وقال : إن الله تعالى إنما جعل الأرزاق
في الأرض مبسوطة ليقسمها عباده بينهم بالسوية ، ولكن الناس يظلمون ؛ واستأثر
بعضهم على بعض ، فانضم إليه جماعة وقالوا : نحن نقسم بين الناس بالسوية ونزد
على الفقراء حقوقهم من الأغنياء ، ومن عنده فضل من المال والقوت والنساء
والمناج وغير ذلك فليس هولاء أولى به من غيره ؛ فاقترص السفلة ذلك واغتنموه
وأتبعوا مَزْدَك وأصحابه ، فقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره
فيغلبونه على ما فيها من ماله ونسائه ولا يستطيع أن يردم عنه ولا يدافعهم . ورأى
الملك قباد رأى مزدك وأصحابه وتابعهم فازداد قوة ، فلم يلبث الناس إلا قليلا حتى
صار الأب لا يعرف ولده ، ولا الولد يعرف والده ، ولا يملك أحد شيئا ، وصيرت
العدلية قباد في مكان لا يصل إليه غيرهم ، فاجتمعت الفرس على خلع قباد من
الملك ففعلوا ذلك .

وملكوا عليهم عند ذلك جاماسف بن فيروز . وهو أخو قباد . وقيل :
إن المزدكية هم الذين أجلسوه . قال : ولما ملك جاماسف قبض على أخيه قباد
وحبسه فاحتالت أخت قباد في خلاصه . وذلك أنها أتت إلى الحبس الذي هو

٢٠ (١) الوحق (بجريك المساء وتسكينها) : الحبل في طرفيه أنشطة يطرح في عنق الدابة والإنسان

فيه وحاولت الدخول الى أخيها ، ففتمها الموكلُّ به من الدخول اليه ، وطِمَع أنه يَفْضَحُهَا ، وأعلمها أنه لا يَمَكَّنُهَا من العبور إليه إلا إن وافقته على قصده ، فأطمعته في نفسها وقالت : إني لا أخالفك في شيء مما تهواه مني ، فمكَّنَهَا من الدخول الى السجن والاجتماع بأخيها قباد ، فدخلت اليه وأقامت عنده أياما ، ثم لفته في بساط أمرت بعض الغلمان أن يحمله فحمله على عاتقه ، فلما مر الغلام بالموكلِّ بالحبس سأله عن حمله فاضطرب الغلام فلحقته وقالت : إنه فراشٌ كنت أفرشه تحتي وعَرَكَت فيه ؛ وأنها خرجت لتتطهر وتعود ، فصَدَّقَهَا ولم يَمَسَّ البساط ولم يَدُنْ منه استقدارا له على مذهبه في ذلك ، فمضى الغلام به وخرجت أخته في أثره ، وهرب قباد فلحق بأرض الهياطلة يستمد ملكها ليمده بجيش يحارب من خالفه ، ويقال :

١٠ إن زواجه بأم كسرى أنو شروان كان في هذه السفرة لا في تلك ، وأنه تزوجها بأبرشهر ، وهي ابنة رجل من عظمائها ، وأنه رجع به وبأمه عند عودته من بلاد الهياطلة . قال : وسار قباد الى ملك الهياطلة فأقام عنده عدة سنين ، ثم عاد الى بلاده بأمداده ، فغلب على أخيه ونزعه من الملك بعد أن ملك ست سنين .

ثم عاد قباد الى الملك ثانيا ، ولما عاد الى الملك وجد ابن ساخورا قد وثب في جماعة من أصحابه على مَزْدَك فقتله ، فسُجِّيَ به الى قباد فقتله بمزدك . قال :

١٥ ثم غزا الروم وافتتح آمد ، ثم أدبر ملكه لسوء عقيدته . وهلك قباد إثر ذلك .

٥٠
١٣ وكان سبب هلاكه أن الحارث بن عمرو الكندي قتل النعمان بن المنذر ابن أمرئ القيس ، ومَلَّكَ العَرَبَ وما كان ملكه النعمان ، فبعث قباد بن فيروز

(١) عركت المرأة : حاضت .

(٢) كذا في تاريخ الطبري ومعجم البلدان لياقوت وذكر أن شهر بالفارسية هو البلد ، وأبر : الغيم ، وحا أراهم أرادوا إلا خصبه . وأبرشهر هي نيسابور . وفي الأصل : « أبرشهر » .

٢٠

- الى الحارث بن عمرو يقول : إنه كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهداً، واني أحب لقاءك ، وخرج للقاءه في عدد وعدة، وجاءه الحارث والتقىا بمكان ، فأمر قباد بطبق من تمر فترع نواه وبتطبق آخر على حالته ، فوضعا بين أيديهما ، وجعل المتزوع بين يدي قباد ، والذي هو بنواه بين يدي الحارث ، فجعل الحارث يأكل التمر ويلقى النوى ، وقباد يأكل التمر ولا يحتاج الى إلقاء شيء . فقال للحارث : مالك لا تأكل كما آكل؟ فقال الحارث : إنما يأكل النوى إيلنا وغنمتنا ، وعلم أن قباد يهزأ به . ثم أفترقا على الصالح على ألا يجاوز الحارث وأصحابه الفرات ، إلا أن الحارث استضعف قباد وطمع فيه ، فأمر أصحابه أن يعبروا الفرات ويفيروا على قري السواد ففعلوا ذلك ، فجاء الصريح الى قباد وهو بالمدائن ، فكتب الى الحارث بن عمرو أن لصوصا من العرب قد أغاروا على السواد ، وأنه يحب لقاءه فليقبله ، فقال قباد كالعاتب له : قد صنعت صنيعا ما صنعه أحد قبلك ، فطمع الحارث فيه من لين كلامه وقال : ما علمتُ بذلك ولا شعرتُ به ، واني لا أستطيع ضبط لصوص العرب ، وما كل العرب تحت طاعتي ، ولا أتمكن منهم إلا بالمال والجنود . فقال له قباد : فما الذي تريد ؟ قال : أريد أن تعطيني من السواد ما أتخذ به سلاحا ، فأمر له بما يلي جانب العرب من أسنفل الفرات ، وهو ستة طساسيج ؛ فعند ذلك زاد طمع العرب فيه ، وأرسل الحارث بن عمرو الى تبع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيج ، فأجمع الجنود وأقبل فإنه ليس دون ملكهم شيء ، لأن الملك عليهم لا يأكل اللحم ولا يستحل هراقة الدماء ، وله دين يمنعه من ضبط الملك ، فبادر إليه بجندك وعدتك ، وأطمعه في الفرس . فجمع تبع جنوده وسار حتى نزل الحيرة ، وقرب من الفرات ، فأذاه البق ، فأمر الحارث بن عمرو أن يُشق له نهر الحيرة فتزل عليه ، ووجه ابن أخته

شَمِيرًا ذَا الْجَنَاحِ إِلَى قُبَاذِ فِقَاتِلِهِ فَهَزَمَهُ شَمْرُ حَتَّى لَحِقَ بِالرَّيِّ ، ثُمَّ أَدْرَكَهَا بِهَا
فَقَتَّلَهَا .

وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنَهُ كَسْرَى أَنْوَشْرَوَانَ بْنَ قُبَاذِ بْنِ فَيْرُوزَ . وَلَمَّا مَلَكَ اسْتَقْبَلَ
الْأَمْرَ بِبِحْدٍ وَسِيَاسَةٍ وَحِزْمٍ . وَكَانَ جَيِّدَ الرَّأْيِ ، كَثِيرَ النَّظَرِ ، صَائِبَ التَّدْبِيرِ ، طَوِيلَ
الْفِكْرِ ؛ بَخْتَدَ سِيرَةَ أَرْدَشِيرِ وَعَمِلَ بِهَا ، وَنَظَرَ فِي عَهْدِهِ وَأَخَذَ نَفْسَهُ بِهِ ، وَأَدَبَ رَعِيَّتَهُ
وَبَطَانَتَهُ ، وَبَحَثَ عَنِ سِيَاسَاتِ الْأُمَمِ فَاسْتَصْلَحَ لِنَفْسِهِ مِنْهَا مَا رَضِيَهِ ، وَنَظَرَ فِي تَدَابِيرِ
أَسْلَافِهِ الْمُسْتَحْسِنَةِ فَاقْتَدَى بِهَا . وَكَانَ أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِهِ أَنْ أَبْطَلَ مِلَّةَ زَرَادَشْتِ الثَّانِيِ
الَّذِي كَانَ مِنْ أَهْلِ قَسَا ، وَأَبْطَلَ مِلَّةَ الْمَزْدَكِيَّةِ وَقَتَلَ عَلَى ذَلِكَ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَسَفَكَ
مِنَ الدَّمَاءِ بِسَبَبِ إِبْطَالِ هَذَيْنِ الْمَذْهَبَيْنِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، وَقَتَلَ قَوْمًا مِنَ الْمَانَوِيَّةِ ،
وَقَبَّلَ مِلَّةَ الْحُجُوسِيَّةِ الْقَدِيمَةَ ، وَكَتَبَ فِي ذَلِكَ كِتَابًا بَلِيغَةً إِلَى أَصْحَابِ الْوِلَايَاتِ
وَالْأَصْهَبِيِّينَ ، وَقَوَى مُلْكَ الْفَرَسِ بَعْدَ ضَعْفِهِ بِإِدَامَةِ النَّظَرِ وَهَجْرِ الْمَلَاذِ وَتَرْكِ اللَّهْوِ ،
وَقَوَى جُنُودَهُ بِالْأَسَاحَةِ وَالْأَمْتَعَةِ وَالْكَرَاعِ^(١) ، وَعَمَّرَ الْبِلَادَ وَحَفِظَ الْأَمْوَالَ وَثَمَرَهَا ،
وَسَدَّ النُّغُورَ وَأَسْتَعَادَ كَثِيرًا مِنَ الْأَطْرَافِ الَّتِي غَلَبَ عَلَيْهَا الْأُمَمُ .

قال : وأما تدييره في أمر المزدكية وإبطال ما فعلوه فإنه ضرب أعناق
رؤسائهم ، وقسم أموالهم في أهل الحاجة ، وقتل جماعة كثيرة ممن عارف من الذين
كانوا يدخلون على الناس في بيوتهم ، ويشاركونهم في أموالهم وأهاليهم ، ورد
الأموال إلى أربابها . وأمر بكل مولود آخُتِلِفَ فيه أن يلحق بمن هو في سيمائه ،
وأمر بكل امرأة غلب عليها أن يؤخذ الغالب عليها حتى يغرّم لها مهر مثلها ، ثم تُخَيَّرُ
المرأة بين الإقامة عنده وبين تزويج غيره ؛ إلا أن يكون لها زوج أول فترّد إليه .
وأمر بكل من أضرّ برجل في ماله أو ظلمه أن يؤخذ منه الحق ، ويعاقب الظالم

(١) الكراع (بالضم) : اسم يجمع الخيل والسلاح .

بعد ذلك بقدر جرمه . وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قيمهم فكتبوا له
فأنكح بناتهم للأكفاء وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح بينهم من بيوتات
الأشراف وأغنيائهم . وأمرهم بملازمة بابه ليستعين بهم فى أعماله ، وخير نساء والده
أن يقمن مع نسائه فيواسين ويصيرن فى الأحرار، ويتغى لهن الأكفاء من البعول،
ثم أمر بكرى الأنهار وحفر القنى . وأمر بإعادة كل جسر قطع ، أو قنطرة خربت
أن ترد إلى أحسن ما كانت عليه ، وتخير الحكام والعمال وأمرهم أن يسيروا بسيرة
أردشير ووصاياها .

فلما انتظمت له هذه الأمور وأستوثق له الملك ووثق بجنده سار نحو أنطاكية
فافتتحها ، وأمر أن تصور له المدينة على هيئتها وذرعها وطرقها وعدة منازلها ،
وأن تُبنى له مدينة على صفتها إلى جانب المدائن ، فبُنيت المدينة المعروفة بالرومية ،
ثم نقل أهل أنطاكية إليها . فلما دخلوا باب المدينة مضى كل أهل بيت إلى ما يشبه
منازلهم التي كانوا فيها بأنطاكية . وفتح مدينة هرقل ثم الإسكندرية ، ثم أخذ نحو
الجزر ، ثم إلى الهياطلة فقتل ملكهم بفيروز ، وصاهر خاقان ملك الترك ، وتجاوز
بلخ وأنزل جنوده قرغانة ، وبنى باب الأبواب . وقد ذكرناه فى المباني القديمة .^(١)

ولما بنى هذا السور هابته الملوك وراسلته وهاذنته ، فورد عليه رسول ملك
الروم بهدايا فنظر إلى إيوانه فرأى فى ميزانه اعوجاجا ، فقال : ما هذا الاعوجاج؟
نقيل له : إن عجوزا لها منزل فى جانب هذا الاعوجاج فأرادها الملك على بيعه
وأرغبها فى الثمن فأبت ، فلم يُكرهها وبقى الاعوجاج على ما ترى . فقال الرومى : هذا
الاعوجاج أحسن من هذا الاستواء . وكتب إليه ملك الصين : من نقفور ملك^(٢)

(١) راجع (ج ١ ص ٣٧٩ من هذه الطبعة) .

(٢) كذا فى الأصل : وفى مروج الذهب (ج ١ ص ١٢٨ طبع بلاق) : « بعبور » .

الصين ، صاحب قصر الدرّ والجوهر ، الذي يخرج من قصره نهران يسقيان العود والكافور ، والذي توجد رائحته على فرسخين ، والذي يخدمه بنات ألف ملك ، والذي في مربطه ألف فيل أبيض ، الى أخيه كسرى أنوشروان . وأهدى إليه هدايا عظيمة . وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق ، وصاحب قصر الذهب ، وأبواب الياقوت والدرّ ، الى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس ، صاحب التاج والراية . وأهدى إليه هدايا ، منها ألف من العود يذوب على النار كالشمع ، ويحتم عليه كما يحتم على الشمع . وجام من الياقوت الأحمر فتحته شبر مملوء ذرا ، وعشرة أمان كافور كالفسق ، وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها خديها ، وكان بين أجفانها لمعان البرق مع إلتقان شكلها ، مقرونة الحاجبين ، لها صفائر تجرها ، وفراس من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشى . وكان كتابه في لحا الشجر المعروف بالكاذى مكتوبا بالذهب . وكتب إليه ملك التبت : من ملك التبت ومشارك الأرض المتاخمة للصين والهند ، الى أخيه كسرى المحمود السيرة والقدر ، ملك المملكة المتوسطة في الأقاليم السبعة ، أنوشروان . وأهدى إليه أنواعا مما عجل من عجائب أرض تبت ، منها مائة جوشن ومائة ترس تبيية مذهبة ، وأربعة آلاف من المسك من نوافج غزلانية . وأستغاث به ابن ذى يزن يستصرخه على الحبشة فبعث معه قائدا من قواده . وسنورد ذلك إن شاء الله في خبر سيف بن ذى يزن .

(١) المني : لغة في المنا الذي يوزن به وهو رطلان . وجمعهما أمان ، وأمانا .

(٢) اللحاء : ما على العصا من قشرها ، يمد ويقصر . والكاذى : نوع من النبات عجيب ، لحاؤه

أرق من الورق الصيني تنكأب فيه ملوك الصين والهند . وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين . (راجع

مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٢٨ طبع بلاق) .

- ولما استتب له الأمر ووظف الوظائف على الترك والخزر والهند والروم وغيرهم ، نظر في الخراج وأبواب المال . وكانت رسوم الناس جارية على الثلث من البقاع ، ومن بعضها الربع والخمس والسدس على حسب العمارة . وكان قباز أبوه قد مسح الأرض وهلك قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة ، فجمع أنوشروان أهل الرأي فاتفقوا على أن جعلوا على كل جريب من الحنطة والشعير درهما ، وعلى الجريب من الكرم ثمانية دراهم ، وعلى الرطاب تسعة دراهم ، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهما ، وعلى كل ست نخلات دقل^(١) مثل ذلك ، وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك ، ولم يضعوا إلا على نخل في حديقة ، أو مجتمع غير شاذ ، وتركوا فيما سوى ذلك من الغلات السبع ، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعطاء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ، ومن كان في خدمة الملك ، وصيروها على طبقات : اثني عشر درهما ، وثمانية دراهم ، وستة دراهم ، وأربعة دراهم ، على قدر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يلزموا الجزية من كان أتى له من السنين دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا هذه الوضاع إلى كسرى فرضها وأمر بإمضاها وجباية مبلغها في ثلاثة أنجم في كل سنة ، وسمها ابراسيار . ومعنى ذلك الأمر المتراضى به .
- ١٥ وكان أنوشروان — لما أراد أن يضع هذه الوضاع — أمر بإتمام المساحة التي بدأ بها قباز ، وأحصى النخل والزيتون وغير ذلك ، والجماجم ، ثم أمر الكتاب فأخرجوا جملة ذلك غير تفصيله ، وأذن للناس إذنا عاقما ، وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليهم الجمل المستخرجة من أصناف الغلات وعدد النخل والزيتون والجماجم ، فقرأ ذلك عليهم . ثم قال كسرى : إنا قد رأينا أن نضع على ما أحصى من جربان^(٢)
- ٢٠ (١) نخلات دقل : الدقل (بالتحريك) أردا التمر .
(٢) جربان : جمع جريب ، والجريب ثلاثة آلاف ومائة ذراع . وقيل : عشرة آلاف ذراع .

هذه المساحة وضائع ، ونأمر بإنجامها في السنة ثلاثة أنجم ، ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من الثغور أو طرف من الأطراف فتق^(١) أو ما نكرهه وأحتجنا الى تداركه أو حسمه بذلنا الأموال التي عندنا ولم نحتاج الى استئناف جبايتها ، فما الذي ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟ فلم يُشر عليه أحد منهم بمشورة ، ولا نطق بكلمة . فكرر كسرى عليهم القول ثلاثا ، فقام رجل من عرضهم وقال : أتضع أيها الملك — عمرك الله — خالدا من هذا على الفاني ؟ من كرم يموت ، وزرع يهيج ، ونهر يغيض ، وعين أو قناة ينقطع ماؤها . فقال له كسرى : يا ذا الكلفة المشثوم ، من أي طبقات الناس أنت ؟ فقال : من الكتاب . فقال كسرى : اضربوه بالدوى حتى يموت ، فضربه الكتاب خاصة تبرؤا منهم الى كسرى من رأيه ، وما صدر من مقاله حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون بما أزمنا أيها الملك به من خراج . ثم اجتمعت الآراء على وضع ما ذكرناه من الوضائع ، فاستقرت على ذلك الى أن جاء الإسلام ، وبها أخذ عمر رضى الله عنه لما فتحت بلاد فارس .

ذكر قطعة من سير كسرى أنو شروان وسياسته

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم : إنه قرأ فيما كتبه أنو شروان من سيرة نفسه في كتاب عمله في سيرته وما ساس به مملكته : قال كسرى : كنت يوما جالسا بالدسكرة وأنا سائر الى همذان لنصيف هناك ، وقد أعد الطعام للرسل الذين بالباب من قبيل خاقان والهياطلة والصين وقيصر ونقفور ، ودخل رجل من الأساورة مختطرا سيفه حتى وصل الى الستر في ثلاثة أماكن ، وأراد الدخول حيث نحن والوثوب علينا ، فأشار على بعض خدمي

(١) فتق بين القوم : شق عصاهم فرجعت الحرب بينهم . (المعجم الوسيط) ١٩٥ (١)

أن أخرج إليه بسيفي ، فعلمت أنه إن كان إنما هو رجل واحد فسوف يحال بيننا وبينه ، وإن كانوا جماعة فإن سيفي لا يغني شيئاً ، فلم أخف ولم أتجرك من مكاني ، وأخذته بعض الحرس فإذا هو رجل رازيٌّ من حشمتنا وخاصتنا ، فلم يشكوا أن علي رأيه كثيراً من الناس ، فسألوني ألا أجلس ولا أحضر للشرب حتى يستبين الأمر ، فلم أجبهم إلى ذلك لئلا ترى الرسل مني جُبناً ، فخرجت لِشْرِبِي^(١) ، فلما فرغنا هدّدت الرازيَّ بالعقوبة وقطع اليمين ، وسألته أن يصدّقني عن الذي حمّله علي ذلك ، وأنه إن صدّقني لم تنله عقوبة بعد ذلك ؛ فذكر أن قوما وضعوا من قبل أنفسهم كتباً وكلاماً ، وذكروا أنه من عند الله ، أشاروا عليه بذلك وأخبروه أني إن قتلتهم وإن قتلتني أدخل الجنة . فلما فحّصت عن ذلك وجدته حقاً ، فأمرت بتخلية الرازيّ وبرد ما أخذ منه ، وتقدّمت بضرب رقاب أولئك الذين أشاروا عليه حتى لم أَدع منهم أحداً .

٥٣
١٣

وقال أنوشروان : إني لما أحضرت القوم الذين اختلفوا في الدين وجمعتهم للنظر فيما يقولونه ، بلغ من جرأتهم وخبيثهم وقوة شياطينهم أن لم يبالوا بالقتل والموت في إظهار دينهم الخبيث ، حتى إني سألت أفضلهم رجلاً على رؤوس الناس عن استحلاله قتلي ، فقال : نعم ، استحلّ قتلك وقتل من لا يطاوعنا على ديننا ! فلم أمر بقتله حتى إذا حضر وقت الغداء أمرت أن يُحبس الغداء وأرسلت إليه بطرف الطعام ، وأمرت الرسول أن يبلغه عني أن بقائي له أنفع مما ذكر ، فأجاب الرسول إن ذلك حق ، ولكن سألتني الملك أن أصدّقه عن ذات نفسي ولا أكنمه شيئاً مما أدين به ، وإنما أدين بما أخذته من مؤدبي .

٢٠ (١) الشرب (فتح الشين المشددة) هنا : الجماعة يشربون الخمر .

قال أنوشروان: لما غدر بي قيصر وغزوته فذلَّ وطلب الصلح وأنفذ إلى بéal وأفرج بالخراج والفدية، تصدقت على مساكين الروم وضعفائهم وضعفاء مزارعيهم مما بعث به قيصر بعشرة آلاف دينار، وذلك فيما وطئته من أرض الروم دون غيرها.

وقال: لما أمرت بتصفح أمر الرعية بنفسى ورفع البلاء والظلم عنهم، وما ينوبهم من ثقل الخراج؛ فإن فيه مع الأجر تزيين [أهل] المملكة وغناهم وقدرة الولى على أن يستخرج منهم إن هو أحتاج الى ذلك—وقد كان فى آبائنا من يرى أن وضع الخراج عنهم السنة والسنتين والتخفيف أحيانا مما يقوهم على عمارة أرضهم— جمعت العمال ومن يؤذى الخراج فرأيت من تخليطهم ما لم أر له حيلة إلا التعديل والمقاطعة على بلدة بلدة، وكورة كورة، ورستاق رستاق، وقرية قرية، ورجل رجل؛ فاستعملت عليهم أهل الثقة والأمانة فى نفسى، وجعلت فى كل بلد مع كل عامل أمناء يحفظون عليه، ووليت قاضى القضاة بكل كورة النظر فى أهل كورته، وأمرت أهل الخراج أن يرفعوا ما يحتاجون الى رفعه إلينا الى القاضى الذى وليته أمر كورهم حتى لا يقدر العامل أن يزيد شيئا، وأن يؤدوا الخراج بمشهد من القاضى، وأن تعطى به البراءة، وأن يرفع خراج من هلك منهم، ولا يزداد الخراج ممن لم يدرك من الأحداث، وأن يرفع القاضى وكاتب الكورة وكاتب أهل الكورة وكاتب أهل البلد والعمال محاسبتهم الى ديواننا وقت الكتب بذلك.

وقال: رفع إلينا مؤبدان مؤبد أن قوما ستماهم من أهل الشرف، بعضهم بالباب كان شاهدا وبعضهم ببسلاد آخر، دينهم مخالف لما روينا عن نبيينا وعلمائنا، وأنهم يتكلمون بدينهم سرا ويدعون اليه الناس، وأن ذلك مفسدة للكل، وحيث

(١) زيادة يقتضيا السياق قوله: رفع مؤبدان مؤبدان. (مخالفين) (٥)

- لا تقوم الرعية [إلا] على هوى واحد، فيحترمون جميعا ما يحترم الملك، ويستحلون ما يستحل الملك في دينه؛ فإن ذلك إذا اجتمع للملك قوى يجنده لأجل الموافقة بينهم وبين الملك، فأستظهر على قتال الأعداء؛ فأحضرت أولئك المختلفين في الأهواء، وأمرت أن يخاصموا حتى يقفوا على الحق ويقضوا به، وأمرت أن يقصوا عن مدينتي وعن بلادى ومملكتي، ويتبع كل من هو على هواهم فيفعل به ذلك .
- وقال : إن الترك الذين في ناحية الشمال كتبوا إلينا بما أصابهم من الحاجة ، وأنهم لا يجدون بدا — إن لم نعطيهم شيئا — من أن يغزونا، وسألوا خصالا إحداها أن نتخذهم في جندنا ، ونجربهم عليهم ما يعيشون به ، وأن نعطيهم من أرض الكرج وبلنجر وتلك الناحية ما يعيشون به ، فرأيت أن أسير في ذلك الطريق الى باب صول ، وأحببت أن يعرف من قبلنا من الملوك هناك نشاطنا للأسفار وقوتنا عليها متى هممنا ، وأن يروا ما رأوا من هيبة الملوك وكثرة الجنود وتسام العدة وكمال السلاح ما يقوون به على أعدائهم ، ويعرفون به قوة من خلفهم إن هم احتاجوا اليه ، وأحببنا بمسيرنا أن تجربهم لهم على أيدينا الجوائز والحمائل ، والقرب من المجلس واللطف في الكلام ليزيدهم ذلك مودة لنا ورغبة فينا ، وحرصا على قتال أعدائنا ، وأحببت أيضا التعهد لحصونهم ، وأن أسأل أهل الخراج عن أمرهم في مسيرنا .
- فسرت في طريق همذان وأذربيجان . فلما بلغت الى باب الصول ومدينة فيروز خسرو يمتت تلك المدائن العتيقة ، وتلك الحدود ، وأمرت ببناء حصون أخر . فلما بلغ
- (١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق والى همذان أقرب . (٣) بلنجر : وراء مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب ، فتحها عبد الرحمن بن ربيعة وقال البلاذري : سلان بن ربيعة الباهلي .
- (٤) صول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهو الدربند .
- (٥) الحملان (بالضم) : ما يجعل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

خاقان الخزر نزولنا هناك تخوف أن نغزوه، فكتب أنه لم يزل - منذ ملكت - يجب موادعتي، وأنه يرى الدخول في طاعتي؛ ورأى بعض قواده - لما شاهد حاله - تركه وأتانا في ألفين من أصحابه؛ فقبلناه وأنزلناه في تلك الناحية، وأجريت عليه وعلى أصحابه الرزق، وأمرت لهم بحصن هناك، وأمرت بمصلي لأهل ديننا، وجعلت فيه موبدًا وقوما نسًاكا، وأمرتهم أن يعلموا من دخل من الترك في طاعتنا ما في طاعة الولاية من المنفعة العاجلة في الدنيا، والثواب الآجل في الأخرى، وأن يحثوهم على المودة والصحبة والعدل والنصيحة ومجاهدة العدو، وأن يعلموا أحداهم رأينا ومذهبنا، وأقت لهم في تلك التخوم الأسواق، وأصلحت طرقهم وقومت السكك، ونظرنا فيما اجتمع لنا هناك من الخيل والرجال فإذا هو بحيث لو كان بوسط فارس لكان منزلنا بها فاضلا.

وقال: فلما أتى ملكنا ثمان وعشرون سنة جددت النظر في أمر المملكة والعدل على الرعية، والنظر في أمرهم، وإحصاء مظلّمهم، وإنصافهم. وأمرت موبدًا كل نغر ومدينة وبلد وجنّد بإنهاء ذلك إلى. وأمرت بعرض الجند، من كان منهم بالباب بمشهد مني، ومن غاب في الثغور والأطراف بمشهد من القائد وبادوستان والقاضي وأمين من قبلنا. وأمرت بجمع أهل كور الخراج في كل ناحية من مملكتي إلى مصرها مع القائد وقاضي البلاد والكاظم والأمين. وسرحت من

(١) في الأصل: «الصحة» والسياق يقتضي ما أئتمناه.

(٢) في الأصل: «طرورهم» وهو تحريف، والسياق يقتضي ما أئتمناه.

(٣) كذا في الأصول. ولعلها «باداستان» وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين باد (بالاء الفارسية) ومعناها الكورة وتحذف الألف، يريد حاكم الجهة (راجع القاموس الفارسي الانجليزي لاستنباس ومقدمة قاموس الأمانة والبقاع للرحوم علي بهجت بك).

(٤) كذا في الأصول.

قَبَلِي مَنْ عَرَفْتُ صَحْبَتَهُ وَأَمَانَتَهُ وَتُسْكَنَهُ وَعِلْمَهُ ، وَمَنْ جَرَّبْتُ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى كُلِّ مِصْرٍ
وَمَدِينَةٍ حَيْثُ أَوْلَيْتُكَ الْعَمَالَ وَالْعِلْمَانَ وَأَهْلُ الْأَرْضِ لِيَجْمَعُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ
أَرْضِيهِمْ وَبَيْنَ وَضِيْعِهِمْ وَشَرِيْفِهِمْ ، وَأَنْ يُرْفَعَ الْأَمْرُ كُلُّهُ عَلَى حَقِّهِ وَصِدْقِهِ ، فَمَا نَفَّذَ
لَهُمْ فِيهِ أَمْرًا أَوْ صَحَّ فِيهِ الْقَضَاءُ فَرَضِي بِهِ أَهْلُهُ فَرَعُوا مِنْهُ هُنَاكَ ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ

٥ رفعوه إلى .

وَبَلَغَ اهْتِمَامِي بِتَفْقِيدِ ذَلِكَ مَا لَوْلَا الَّذِي أُدَارِي مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالتَّغَوُّرِ لِبَاشَرْتِ
أَمْرَ الْخِرَاجِ وَالرَّعِيَةِ بِنَفْسِي قَرْيَةً قَرْيَةً حَتَّى أَنْعَهَدَهَا وَأَكَلَمُ رَجُلًا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
مَمْلَكَتِي ؛ غَيْرَ أَنِّي تَخَوَّفْتُ أَنْ يَضِيْعَ بِذَلِكَ السَّبَبِ أَمْرٌ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، الْأَمْرُ
الَّذِي لَا يُغْنِي فِيهِ أَحَدٌ غِنَايَ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِحْكَامِهِ غَيْرِي ، وَلَا يَكْفِيْنِيهِ كَافٍ ،

١٠ مع الذي في الشخوص إلى قريية قريية من المثنوية على الرعية من جندنا ، ومن

لَا نَجِدُ بَدَأَ مِنْ إِخْرَاجِهِ مَعْنَا . وَكَرَهْنَا أَيْضًا إِشْخَاصَهُمْ إِلَيْنَا مَعَ تَخَوُّفِنَا أَنْ يَشْتَغَلَ
أَهْلُ الْخِرَاجِ عَنْ عِمَارَةِ أَرْضِيهِمْ ، أَوْ يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مِثْلُونَةٍ
فِي تَكْلِيفِ السَّيْرِ إِلَى بَابِنَا ، وَقَدْ ضَيَعَ قُرَاهُ وَأَنْهَارُهُ وَمَا لَا يَجِدُ بَدَأَ مِنْ تَعَاهُدِهِ فِي السَّنَةِ
كُلِّهَا فِي أَوْقَاتِ الْعِمَارَةِ ، فَفَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ وَوَكَّلْنَا مُوْبَدَانَ^(١) مُوْبَدًا بِذَلِكَ ، وَكَتَبْنَا بِهِ

١٥ الكُتُبَ وَسَرَّحْنَا مَنْ وَثَقْنَا بِهِ ، وَرَجَوْنَا أَنْ يَجْرِيَ مَجْرَانًا وَأَشْخَصْنَا وَقَدَدْنَا ذَلِكَ .

قَالَ : وَلَمَّا أَمِنَ اللَّهُ جَمِيعَ أَهْلِ مَمْلَكَتِنَا مِنَ الْأَعْدَاءِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا نَحْوُ أَلْفِي
رَجُلٍ مِنَ الدَّيْلَمِ الَّذِينَ عَسَّرَ افْتِتَاحُ حَصُونِهِمْ لَصُعُوبَةَ الْجِبَالِ عَلَيْهِمْ ، لَمْ نَجِدْ شَيْئًا
أَنْفَعُ لِمَمْلَكَتِنَا مِنْ أَنْ نَفْحَصَ عَنِ الرَّعِيَةِ ، وَأَوْلَيْتُكَ الْأَمْنَاءَ الَّذِينَ وَصَيْنَاهُمْ بِإِنْصَافٍ
أَهْلُ الْخِرَاجِ . وَكَانَ بَلِغْنَا أَنْ أَوْلَيْتُكَ الْأَمْنَاءَ لَمْ يَبَالِغُوا عَلَى قَدْرِ رَأْيِنَا فِي ذَلِكَ ،

٢٠ (١) موبدان موبد : قاضي القضاة في دولة الفرس قبل الإسلام . وقد بقيت وظيفة الموبد (القاضي)

إلى أواخر الدولة العباسية ، للقيام بأمر المحوس الذين دخلوا في الذمة .

فأمرت بالكتِّبِ الى قاضي كورة كورة أن يجمع أهل الكورة بغير علم عاملهم وأولى أمرهم فيسألهم عن مظلهم وما استُخرج منهم ، ويفحص عن ذلك بمجهود رأيه ويبلغ فيه ، ويكتب حال رجل من رجل منهم ويحتم عليه بخاتمه وخاتم الرضا من أهل تلك الكورة ، ويبحث به الى ويسرح ممن يجتمع رأى أهل الكورة عليه بالرضا نفرا ، وإن أحبوا أن يكون فيمن يُشخصُ بعضُ سفلتهم أيضا فعل ذلك .

فلما حضروا جلست للناس وأذنت لهم بمشهد من عطاء أرضنا وملوكهم وقضاتهم وأحرارهم وأشرفهم ، ونظرت في تلك الكتب والمظالم ، فأية مظلمة كانت من العمال ومن وكلائنا ، أو من وكلاء أولادنا ونسائنا وأهل بيتنا حططناها عنهم بغير بينة ؛ لعلمنا بضعف أهل الخراج منهم ، وظلم أهل القوة من السلطان لهم ، وأية مظلمة كانت لبعضهم من بعض ووضحت لنا ، أمرت بإنصافهم قبل البراح ، وما أشكل وأوجب الفحص عنه شهود البلد وقاضيا سرحت معه أميننا من الكتاب ، وأميننا من فقهاء ديننا وأميننا ممن وثقنا به من خدمنا وحاشيتنا ، فأحكمت ذلك لإحكاما وثيقا . ولم يجعل الله لذوى قرابتنا ورحمنا وخدمنا وحاشيتنا منزلة عندنا دون الحق والعدل ؛ فإن من شأن قرابة الملك وحاشيته أن يستطيلوا بعزته وقوته ، فإذا أهمل السلطان أمرهم هلك من جاوره إلا أن يكون فيهم متأذب بأدب ملكه ، محافظ على دينه ، شفيق على رعيته ، وأولئك قليل ؛ فدعانا الذي أطلعنا عليه من ظلم أولئك إلا نطلب البينة عليهم فيما ادعى قبلهم . ولم نزل نرد المظالم ، ولم نرد أيضا ظلم أحد ممن كان عزيزا بنا ، منيعا بمكانه ومنزلته عندنا ، فإن الحق واسع للضعفاء والأقوياء والفقراء والأغنياء ؛ ولكلما أشكلت الأمور في ذلك علينا كان الحمل على خواصنا وخدمنا أحب اليانا من أن نحمل على ضعفاء الناس ومساكينهم ، وأهل الفاقة والحاجة منهم . وعلمنا أن أولئك الضعفاء لا يقدر على ظلم من حولنا . وعلمنا مع ذلك

- أن الذين أعدينا عليهم من خاصتنا يرجعون من نعمتنا وكرامتنا الى ما لا يرجع اليه أولئك . ولعمري إن خواصنا الينا، وآثر خدمتنا في أنفسنا الذين يحفظون سيرتنا في الرعية، ويرحمون أهل الفاقة والمسكنة وينصفونهم؛ فإنه قد ظلمنا من ظلمهم، وجار علينا من جار عليهم، وأراد تعطيل ذمتنا التي هي حرزهم ومجاهم .
- قال : ثم كتبت الينا على رأس سبع وثلاثين سنة من ملكنا، أربعة أصناف من الترك من ناحية الخزر، ولكل صنف منهم ملك، يذكرون مادخل عليهم من الحاجة، وما لهم من الحظ في عبوديتنا، وسألوا أن نأذن لهم في القدوم بأصحابهم لخدمتنا، والعمل لما نأمرهم به، والألتقيد عليهم ما سلف منهم قبل ملكنا، وأن نترهم منزلة سائر عبيدنا، فإننا سنرى في كل ما نأمرهم به من قتال وغيره كأفضل ما نرى من أهل نصيحتنا، فرأيت في قبولى إياهم عدة منافع، منها : جلدتهم وبأسهم، ومنها : أنى تحوَّفت أن تحملهم الحاجة على إتيان قيصر أو بعض الملوك فيقوَّوا بهم علينا، وقد كان فيما سلف يستأجر منهم قيصر لقتال ملوك ناحيتنا بأعلى الأجرة . وكان لهم في ذلك القتال بعض الشوكة بسبب أولئك الأتراك؛ لأن الترك ليس عندهم لذة للحياة، فهو الذي يجرهم مع شقاء معاشهم على الموت؛ فكتبت اليهم أنا نقبل من دخل في طاعتنا، ولا نخجل على أحد بما عندنا، وكتبت الى مرزبان الباب أمره بأن يدخلهم أولا أولا، فكتب الى إنه قد أتاه منهم نحو من ألفا بنسائهم وأولادهم وعبائهم . ولما بلغنى ذلك أحببت أن أقر بهم الى يعرفوا إحسانى إليهم، وأعظمتهم ليطمئنوا الى قوادنا، حتى إذا أردنا تسريحهم مع بعض قوادنا كان كل واحد بصاحبه وانقا، فشخصنا الى أذربيجان، فلما نزلتها أذنت
- (١) أعدينا عليهم : ظلمناهم .
- (٢) المرزبان : الرئيس من القربى .

لهم في القدوم، وأتاني عند ذلك طرائف من هدايا قيصر، وأتاني رسول خاقان الأكبر، ورسول صاحب الروم، ورسول صاحب خوارزم، ورسول ملك الهند، والداور، وكابل شاه، وصاحب سرنديب^(١)، وصاحب كله^(٢)، وكثير من الرسل، وتسعة وعشرون ملكا في يوم واحد، وانتهيت الى أولئك الأتراك الثلاثة والخمسين ألفا فأمرت أن يُصَفُّوا هناك وركبت لذلك، فكان يومئذ من أصحابي ومن قدم عليّ ومن دخل في طاعتي وعبوديتي من لم يسعهم مَرَجٌ كان طولُه عشرة فراسخ، فخدمت الله كثيرا وأمرت أن يُصَفَّ أولئك الأتراك في أهل بيوتاتهم على سبع مراتب، ورأست عليهم منهم، وأقطعتهم وكسوت أصحابهم، وأجريت عليهم الأرزاق، وأمرت لهم بالمياه والأرضين، وأسكنت بعضهم مع قائد لي باللان^(٥)، وقسمتهم في كل ما احتجنا اليه من الثغور، وضممتهم الى المرزبان، فلم أزل أرى من مناصحتهم واجتهادهم فيما نوجههم له ما يسرنا في جميع البلدان والثغور وغيرها.

(١) الداور : وأهل تلك الناحية يسمونها زمنداور، ومعناه أرض الداور، وهي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رنج وبست والثغور. قال الاصطخري : الداور : اسم إقليم خصيب، وهو ثغر الثغور من ناحية سجستان. ومدينة الداور، تل، ودرغور، وهما على نهر هند مند (راجع معجم البلدان لياقوت).

(٢) كابل وملكها يقال له الشاه : ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وخرقة، وقيل : هي من ثغور طخارستان. ولها من المدن : واذان، وخواش، وخشك، وخبر، وبها العود والتاجيل والزعفران والأهليلج لأنها مناحة للهند (راجع معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبي الفدا).

(٣) سرنديب : هي جزيرة سيلان الآن.

(٤) كله : فرسة بالهند وهي في منتصف الطريق بين عمان والصين، يسكنها المسلمون والهند والفرس، وبها معادن للرصاص ومناجم الخيزران وشجر الكافور (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا ومعجم البلدان لياقوت).

(٥) اللان : بلاد واسعة في طرف أرمنية قرب باب الأبواب مجاورون للخرقة، والعامّة يغلطون فيهم فيقولون علان، وهم نصارى تجلب منهم عبيد أجلاذ. (راجع معجم البلدان لياقوت).

- قال : وكتب الى خاقان الأكبر يعتذر الى من بعض غدراته ويسأل المراجعة والتجاوز ، وذكر في كتابه ورسالته أن الذي حمله على عداوتي وغز وأرضي من لم ينظر له ، وناشدني الله أن أتجاوز عنه ، وتوثق لي بما أطمئن اليه . وذكر أن قيصر قد أرسل اليه وزعم أنه يستأذني في قبول رسله ، وأنه لا يعمل في قبول رسل أحد إلا بما أمره ، ولا يجاوز أمرى ، ولا يرغب في الأموال ولا في المودات لأحد إلا برضائي ، وكان دسيس^(١) لي في الترك يكاتبني بندم خاقان وندم أصحابه على غدره وعداوته إياي ، فأجبتهم : إني لعمرى ما أبالي إن طبيعة نفسك وغريزتك غدرت بنا أم أطعت غيرك في ذلك ، وما ذنبك في طاعة من أطعت في ذلك إلا كذبتك فيما فعلته برأى نفسك ، وإني قد استحققت أشد العقوبة . وكتبت أني لا أظن شيئاً من الوثيقة تفي لكم إلا وقد كنت ضيعته ، ولا أظن شيئاً وثقت لنا به من قبل اليوم ثم غدرتم ، فكيف نظمتن اليك ونثق بقولك ؟ ولسنا نأمنك على مثل ما فعلت من الغدر ونقض العهد والكذب في اليمين . وذكرت أن رسل قيصر عندك ، ووقفنا على استئذناك إيانا فيهم ، وإني لست أنهاك عن مودة أحد . وكرهت أن يرى أني أتخوف مصادفته وأهاب ذلك منه . وأحببت أن أعلمه أني لا أبالي بشيء مما جرى بينهما . ثم سرحت لمرمة المدائن والحصون التي بخراسان وجمع الأطمعة والأعلاف إليها ما يحتاج اليه الجند ، وأمرت أن يكونوا على استعداد وحذر ، ولا يكون من غفلتهم ما كان في المرة الأولى وهم على حال الصلح .

- قال : وكان شكركم لله تعالى لما وهب لي وأعطاني متصلاً بنعمه الأول التي وهبها لي في أول خلقه إياي ، فإنما الشكر والنعم عدلاً كقفتي الميزان أيهما ربح بصاحبه احتاج الأخف الى أن يزداد فيه حتى يعادل صاحبه ، فإذا كانت النعم

(١) الدسيس : من تدسه ليأتيك بالأخبار (الخاصوس) .

كثيرة والشكر قليلا انقطع الجمل وهلك ظهر الحامل ، وإذا كان ذلك مستويا
استمّر الحامل . وكثيرُ النعم يحتاج صاحبها الى كثير الشكر ، وكثيرُ الشكر يجلب كثير
النعم . ولما وجدت الشكر بعضه بالقول ، وبعضه بالعمل ، ونظرت في أحب
الأعمال الى الله وجدته الشيء الذي أقام به السموات والأرض ، وأرسي به الجبال ،
وأجرى به الأنهار وبرأ به البرية . وذلك الحق والعدل فلزمتها . ورأيت ثمرة الحق
والعدل عمارة البلدان التي بها معايش الناس والدواب والطيور وسكان الأرض .
ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجراء أهل العماره ، ووجدت أهل العماره
أجراء المقاتلة ، فإنهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم
عنهم ، ومجاهدتهم من ورائهم ، فحق على أهل العماره أن يوفوهم أجورهم ؛ فإن
عمارتهم تم بهم ، وإن أبطأوا عليهم بذلك أو هتوهم فقوى عدوهم ؛ فرأيت من
الحق على أهل الخراج ألا يكون لهم من عمارتهم إلا ما أقام معايشهم ، وعمروا
به بلدانهم ، ورأيت ألا أجتاحهم وأستفرغ ذات أيديهم للخزائن والمقاتلة ، فإني
إذا فعلت ذلك ظلمت المقاتلة مع ظلم أهل الخراج ؛ وذلك أنه إذا فسد العامر
فسد المعمور ، وكذلك أهل الأرض والأرض ، فإنه إذا لم يكن لأهل الخراج
ما يعيشهم ويعمرون به بلادهم هلكت المقاتلة الذين قوتهم بعمارة الأرض ؛ فلا عمارة
للأرض إلا بفضل ما في يد أهل الخراج ؛ فمن الإحسان الى المقاتلة والإكرام لهم
أن أرفق بأهل الخراج وأعمر بلادهم ، وأدع لهم فضلا في معايشهم ؛ فأهل الأرض
وذوو الخراج أيدي المقاتلة والجنود وقوتهم ، والمقاتلة أيضا أيدي أهل الخراج وقوتهم .
ولقد ميزت ذلك بجهدي وطاقتي ، وفكرت فيه فما رأيت أن أفضل هؤلاء
على هؤلاء إذ وجدتهما كاليدين المتعاونتين والرجلين المترادفتين .

(١) في الأصل : قصد ، والسياق يقتضى ما أبتناه .

ولعمري ما أعفى أهل الخراج من الظلم من أضر بالمقاتلة، ولا كَفَّ الظلم عن المقاتلة مَنْ تعدى على أهل الخراج . ولولا سفهاء الأساورة لأبقوا على أهل الخراج والبلاد إبقاء الرجل على ضيعته التي منها معيشته وحياته وقوته، ولولا جهال أهل الخراج لكفوا عن أنفسهم بعض ما يحتاجون إليه من المعاش إيثارا للمقاتلة على أنفسهم .

- قال : ولما فرغنا من إصلاح العامة والخاصة بهذين الركنين من أهل الخراج والمقاتلة كان ذلك ثمرة العدل والحق الذي دبر الله العظيم خلائقه به ، وشكرت الله على نعمته والمقاتلة في أداء حقه على مواهبه ، وأحكمتنا أمر المقاتلة وأهل الخراج بسط العدل ، وأقبلنا بعد ذلك على السير والسُنن ، ثم بدأنا بالأعظم فالأعظم من أمورنا ، والأكبر فالأكبر عابدا على جندنا ورعيتنا ، ونظرنا في سير آبائنا من لدن باستاسف الى مُلك قبائنا أقرب آبائنا . ثم لم تترك إصلاحا في شيء من ذلك إلا أخذناه ، ولا فسادا إلا أعرضنا عنه ، ولم يدعنا حب الآباء إلى قبول ما لا خير فيه من السنن ، ولما آثرنا حب الله وشكره وطاعته .

- ولما فرغنا من النظر في سير آبائنا وبدأنا بهم ، وكانوا أحق بذلك ، فلم ندع حقا إلا آثرناه ، ووجدنا الحق أقرب القرابة . نظرنا في سير أهل الروم والهند فاصطفينا محمودها ، وجعلنا عيار ذلك عقولنا ، وميزانه بأحلامنا ، فأخذنا من جميع ذلك ما زين سلطاننا ، وجعلناه سنة وعادة ، ولم تنازعنا أنفسنا إلى ما تميل به أهواؤنا ، وأعلمناهم ذلك وأخبرناهم به ، وكتبنا إليهم بما كرهنا لهم من السير ونهيناهم عنه وتقدمنا إليهم فيه ؛ غير أننا لم نُكرِه أحدا على غير دينه ومثته ، ولم نُحسدهم ما قبلنا ، ولا منع ذلك أنقباض بعلم ما عندهم ، فإن الإقرار بمعرفة الحق

(١) عيار : العيار والمعيار ما جعل نظاما للشيء يقاس به ويسوى . (١)

والعلم والاتباع له من أعظم ما تزينت به الملوك . ومن أعظم المضرة على الملوك
الأنفة من العلم والحمة من طلبه ، ولا يكون عالما من لا يتعلم .
ولما استقصيت ما عند هاتين الأمتين من حكمة التدبير والسياسة ، ووصلت
بين مكارم أسلافى ، وما أحدثته بالرأى ، وأخذت به نفسى ، وقبلته عن الملوك الذين
لم يكونوا منا ، وثبت على الأمر الذى نلت به الظفر والحير ، ورفضت سائر الأئمة
لأنى لم أجد عندهم رأيا ولا عقولا ولا أحلاما ، ووجدتهم أصحاب بئى وحسد
وكلب وحرص وشح وسوء تدبير وجهالة ولؤم عهد وقلة مكافأة . وهذه أمور
لا تصالح عليها ولاية ، ولا نتم لها نعمة .

قال ابن مسكويه : وقرأت مع هذه السير فى آخر هذا الكتاب الذى كتبه
أنوشروان فى سيرة نفسه أن أنوشروان لما فرغ من أمور المملكة وهذبها جمع
إليه الأساورة مع القواد والعظماء والمرازبة والنساک والموابذة وأمانل الناس معهم
فخطبهم فقال :

ذكر خطبة أنوشروان

قال : أيها الناس ، أحضرونى فهمكم ، وأرعونى أسماكم ، وناصحونى أنفسكم ،
فانى لم أزل واضعا سيني على عنق منى وليت عليكم غرضا للسيوف والأسنة ،
وكل ذلك للدافعة عنكم ، والإبقاء عليكم ، وإصلاح بلادكم مرة بأقصى الشرق ، وتارة
فى آخر المغرب ، وأخرى فى نهاية الجنوب ، ومثلها فى جانب الشمال ، ونقلت الذين
اتهمتم إلى غير بلادهم ، ووضعتم الوضائع فى بلدان الترك ، وأقتت بيوت النيران
بقسطنطينية ، ولم أزل أصعد جبلا شامحا وأنزل عنه ، وأطأ حزونه بعسد سهوله ،
وأصبر على الخمصة^(١) والخفاة ، وأكابد البرد والحر ، وأركب هول البحر وخطر المفازة ؛

(١) الخمصة : خلا البطن جوعا .

- إرادة هذا الأمر الذي قد آتمه الله لكم : من الإثخان في الأعداء ، والتمكن في البلاد ،
 والسعة في المعاش ، ودرك العز ، وبلوغ ما نلتم ؛ فقد أصبحتم بحمد الله ونعمته على
 الشرف الأعلى من النعمة ، والفضل الأكبر من الكرامة والأمن ، وقد هزم الله
 أعداءكم وقتلهم ؛ فهم بين مقتول هالك ، وحي مطيع لكم سامع ؛ وقد بقي لكم عدو
 عددهم قليل ، وبأسهم شديد ، وشوكتهم عظيمة ؛ وهؤلاء الذين بقوا أخوف عندي
 عليكم ، وأحرى أن يهزموكم ويغلبوكم من الذين غلبتموهم من أعدائكم ، وأصحاب
 السيوف والرماح والخيول ؛ وإن أتم أيها الناس غلبتم عدوكم هذا الباقي ، غلبتكم
 لعدوكم الذين قاتلم وحاصرتهم ، فقد تم الظفر والنصر ، وتمت فيكم القوة ، وتمت بكم
 العز ، وتمت عليكم النعمة ، وتمت لكم الفضل ، وتمت لكم الاجتماع والألفة والصحة
 والسلامة ؛ وإن أتم قصرتم وهتم ، وظفر هذا العدو بكم فأين الظفر الذي كان
 منكم ، فاطلبوا أن تقتلوا من هذا العدو الباقي مثل ما قاتلم من ذلك العدو الماضي ؛
 وليكن جدكم في هذا واجتهادكم واحتشادكم أكبر وأجل وأحزم وأعزم وأصح وأشد ،
 فإن أحق الأعداء بالاستعداد له أعظمهم ميكة ، وأشدهم شوكة ، وليس الذي كنتم
 تخافون من عدوكم الذي قاتلم بقريب من هؤلاء الذين أمركم بقتالهم الآن ؛ فاطلبوه
 وصلوا ظفرا بظفر ، ونصرا بنصر ، وقوة بقوة ، وتأبيدا بتأبيد ، وعزما بعزم
 وعزم ، وجهادا بجهاد ؛ فإن بذلك اجتماع إصلاحكم ، وتمام النعمة عليكم ، والزيادة
 في الكرامة من الله لكم ، والفوز برضوانه في الآخرة .
- ثم اعلموا أن عدوكم من الترك والروم والهند وسائر الأمم لم يكونوا ليبلغوا منكم
 — إن ظهوروا عليكم وغلبوكم — مثل الذي يبلغ هذا العدو منكم إن غلبكم وظهر
 عليكم ؛ فإن بأس هذا العدو أشد ، وكيدته أكبر ، وأمره أخوف من ذلك العدو .

يا أيها الناس ، إني قد نصبت^(١) لكم كما رأيتم ، ولقيت ما قد علمتم بالسيف والرمح
 والمفاوز والبحار والسهولة والجبال ، أقارع عدوؤا عدوؤا ، وأكالب جنودا جنودا ،
 واكابد ملكا ملكا ، لم أتضرع إليكم هذا التضرع في قتال أولئك الجنود والملوك ،
 ولم أسألكم هذه المسألة في طلب الجند منكم ، والاجتهاد والاحتفال والاحتشاد ،
 وإنما فعلت هذا لعظم خطره ، وشدة شوكته ، ومحافة صولته بكم . وإن أنا أيها
 ٥ الناس لم أغلب هذا العدو وأنفه عنكم ، فقد أبقيت فيكم أكبر الأعداء ، ونفيت
 عنكم أضعفها ، فأعينوني على نفي هذا العدو المخوف عليكم ، القريب الدار منكم ،
 فأنيشدكم الله أيها الناس لما أعتموتوا عليه حتى أنفيسه عنكم ، وأخرجه من بين
 أظهركم فيتم بلائي عندكم ، وبلاء الله فيكم عندي ، وتمّ النعمة على وعليكم ، والكرامة
 من الله لي ولكم ، ويتم هذا العز والنصر ، وهذا الشرف والتمكين ، وهذه الثروة
 ١٠ والمستزلة .

يا أيها الناس ، إني تفكرت بعد فراغي من كتابي هذا ، وما وصفت من نعمة
 الله علينا في الأمر الذي لما غلب دارا الملوك والأمم وقهرها ، واستولى على بلادها ،
 ولما تحكّم أمر هذا العدو ، هلك وهلكت جنوده بعد السلامة والظفر والنصر
 ١٥ والغلبة ؛ وذلك أنه لم يرض بالأمر الذي تمّ له به الملك ، واشتد به السلطان ،
 وقوى به على الأعداء ، وتمت عليه به النعمة ، وفاضت عليه من وجوه الدنيا كلّها
 الكرامة ، حتى أحتال له بوجوه النيمة والبقى ؛ فدعا البقى الحسد فتقوى به وتمكّن ،
 ودعا الحسد بغض أهل الفقر لأهل الغنى ، وأهل الخمول لأهل الشرف ؛ ثم أتاهم
 الإسكندر وهم على ذلك من تفرّق الأهواء ، واختلاف الأمور ، وظهور البغضاء

(١) نصبت : يقال نصب الرجل (بكسر الصاد) نصبا بفتحها : أعبأ وتعب .

(٢) في الأصول : فدعا البقى والحسد ، ولعل هذه الوار مقحمة من الناصح .

وقوة العداوة فيما بينهم والفساد منهم . ثم ارتفع ذلك إلى أن قتله صاحب حرسه وأمينه على دمه ، للذي شمل قلوب العامة من الشر والضعينة ، ونبت فيها من العداوة والفرقة ، وكفى الإسكندر مؤنة نفسه ؛ وقد اتعظت بذلك اليوم وذكرته .
 يأبى الناس ، فلا أسمعن في هذه النعمة تفرقا ولا بغيا ولا حسدا ظاهرا ،
 ولا وشاية ولا سعاية ، فإن الله قد طهر من ذلك أخلاقنا ومُلْكنا ، وأكرم عنه ولايتنا ،
 وما نلت ما نلت بنعمة ربنا وحمده بشيء من الأمور الخبيثة التي نفتها العلماء ،
 وعافتها الحكماء ؛ ولكن نلت هذه الرتبة بالصحة والسلامة ، والحب للرعية ، والوفاء
 والعدل والاستقامة والتؤدة . وإنما تركنا أن نأخذ عن هذه الأمم التي سميناها ، أعنى
 من الترك والبربر والزيج والجبال وغيرهم ، مثل ما أخذنا عن الهند والروم لظهور
 هذه الأخلاق فيهم وغلبتها عليهم . ولا تصلح أمة قط وملكها على ظهور هذه
 الأخلاق التي هي أعدى أعدائكم .

يأبى الناس ، إن فيما بسط الله علينا بالسلامة والعافية والاستصلاح غنى لنا
 عما نطلب بهذه الأخلاق الرديئة المشثومة ؛ فأكفوني في ذلك أنفسكم ، فإن قهر
 هذه الأعداء أحب إلى وخير لكم من قهر أعدائكم من الترك والروم . فأما أنا أيها
 الناس فقد طببت نفسي بترك هذه الأمور ومحققها وقمعها ونفيها عنكم .
 يأبى الناس ، إنى قد أحببت أن أنفى عدوكم الظاهر والباطن ؛ فأما الظاهر
 منهما فإنما بحمد الله ونعمته قد نسيناه وأعاننا الله عليه وحصد لنا شوكته ، وأحسنتم
 فيه وأجلمتم وآسيتم وأجهدتم ، فأفعلوا في هذا العدو كما فعلتم في ذلك العدو ، وأعملوا
 فيه كالذي عملتم في ذلك ، وأحفظوا عني ما أوصيكم به فإني شفيق عليكم ناصح لكم .
 أيها الناس ، من أحيأ هذه الأمور فينا فقد أفسد بلاه عندنا بقتاله من كان
 يقاتلنا من أعدائنا ، فإن هذه أكثر مضرة ، وأشد شوكة ، وأعظم بلية ، وأضر تبعه .

وأعلموا أن خيركم يأيها الناس من جمع إلى بلائه السالف عندنا المعونة لنا على نفسه في هذا الغابر . وأعلموا أن من غلبه هذا غلبه ذلك ، ومن غلب هذا فقد قهر ذلك ؛ وذلك أن بالسلامة والألفة والمودة والاجتماع والتناصح منكم يكون العز والقدرة والسلطان ، ومع التحاسد والبغى والتميمة والسب يكون ذهاب العز ، وانقطاع القوة وهلاك الدنيا والآخرة ؛ فعليكم بما أمرناكم به ، وأحذروا ما نهيناكم عنه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . عليكم بمواساة أهل الفاقة ، وضيافة السابلة ، وأكرموا جوار من جاوركم ، وأحسنوا صحبة من دخل فيكم من الأمم ، فإنهم في ذمتي ، ولا تجبهوهم ولا تظلموهم ، ولا تسلطوا عليهم ، ولا تخرجوهم ، فإن الإخراج يدعو إلى المعصية ، ولكن اصبروا لهم على بعض الأذى ، واحفظوا أمانتكم وعهدكم ، واحفظوا ما عهدت إليكم من هذه الأخلاق ، فلا تصلحوا إلا معها ، وبالله تعالى ثقنا في الأمور كلها . ثم هلك أنوشروان بعد ثمان وأربعين سنة من ملكه .



ثم ملك بعده أبنيه هرمز بن كسرى أنوشروان . وأمه قاقم بنته خاقان ملك الترك . وقيل : بل ابنة ملك من ملوك الخزر . قال : وكان كثير الأدب ، حسن السياسة ، جميل النية ، وافر الإحسان إلى الضعفاء والمساكين .

وكان من سيرته المرتضاة أنه يُجرى الخير والعدل على الرعية ، ويشدد على العطاء المتسلطين على الضعفاء . وبلغ من عدله أنه كان يسير إلى المياه ليصيف هناك ، فأمر فنودي في مسيره أن يتحاشى مواضع الحروث ، ولا يسير فيها الراكب لئلا يضرها بأحد ، ووكل بتعهد ما يجري في عسكره ، ومعاقبة من تعدى أمره وتغير به لصاحب

(١) السابلة هنا : المارون على الطريق المسلوك .

الحرث عوضا عما أفسده له . وكان آبنه كسرى أبرويز في عسكره فغار مراكب
من مراكبه ووقع في حرث كان على الطريق ، فأفسد ما مرّ عليه ، فأخذ ودفع إلى
الرجل الموكل من جهة هرمز بمعاينة من أفسد هو أو دوابه شيئا من الحرث ، فلم
يجسر الرجل الموكل من جهة هرمز أن ينقذ أمر هرمز في آبنه أبرويز ، فرفع
الأمر إلى هرمز فأمره أن يجرد أذنيه ، ويبتز ذنبه ، ويفترم كسرى أبرويز
لصاحب الحرث ، فخرج الرجل لإنفاذ الأمر ، فسدس له كسرى رهطا من العطاء
يسألونه التثبيت في الأمر ، فكلموه فلم يجب إلى ذلك ، فسألوه تأخير إنفاذ الأمر
في المراكب حتى يكلموا هرمز ، ففعل ، ولقى أولئك الرهط هرمزا وأعلموه أن
ذلك المركب الذي غار إنما غار زعارة^(١) ، وأنه أخذ لوقته ، وسألوه أن يأمر بالكف
عن جده وبتره ، لما في ذلك من سوء الطيرة فلم يجيبهم إلى ما سألوه ، وأمر
بالمركب بجدعت أذناه وبتز ذنبه ، وغرم كسرى كما يغرم غيره من الجند ثم ارتحل .

قال : وركب ذات يوم في أوان إيناع الكرم يريد ساباط المدائن ، وكان مُمّته على
بساتين وكروم ، فنظر بعض الأساورة إلى كرم فرأى حصرما ، فأصاب منه عنقايد
ودفعها إلى غلامه وقال : اذهب بها إلى المتزلة وأطبخها بلحم وأصنع منها مرققة
فإنها نافعة في هذا الإبان ، فاتاه حافظ ذلك الكرم فلزمه وصاح به ، فبلغ إشفاق
الأسوار من عقوبة هرمز أن دفع إلى حافظ الكرم منطقة محلاة بالذهب كانت
في وسطه ، وسأله أن يأخذها عوضا عما أخذه من الحصرم ، ولا يرفع الأمر
إلى الملك .

(١) زعارة : شراسة وسوء خلق .

(٢) ساباط المدائن : مدينة في جانب دجلة الغربي (راجع تقويم البلدان لأبي الفداء) .

فهذه كانت سيرته في العدل ، وهذا كان خوف جنده وأساورته منه . وكان مظفراً منصوراً ، وكان أدبياً داهياً ، إلا أنه كان مُقْصِياً للأشراف وأهل البيوتات والعلماء . وقيل : إنه قتل ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل منهم ، ولم يكن له رأى إلا في تألف السفلة وأسقاط الناس وأستصلاحهم . وحبس خلقاً كثيراً من العظماء ، وحط مراتب جماعة كبيرة ، وقصر بالأساورة ففسدت عليه نيات أكبر جنده وعظماء مملكته ، فكان عاقبة سوء هذا التدبير أن خرج عليه جماعة من الملوك منهم شابه [شاه ^(١)] ملك الترك في ثلثمائة ألف مقاتل ، وسار إلى بادغيس ^(٢) ، وذلك بعد مضي إحدى عشرة سنة من ملكه ، وخرج عليه ملك الروم في ثمانين ألف مقاتل ، وخرج عليه ملك الخزر حتى سار إلى باب الأبواب ، وخرج عليه من العرب خلق كثير ، فتزلوا في شاطئ الفرات وشتوا الغارات على أهل السواد ، فاجتراً عليه أعداؤه وغزوا بلاده .

فأما شابه [شاه ^(١)] ملك الترك فإنه أرسل إلى هرمز وإلى عظماء مملكته من الفرس يؤذنههم بإقباله في جيوشه زُصراً زُصراً ، وأعلمهم أنه يريد غزو الروم ، ويسلك إليهم من بلادهم ، وأمرهم أن يعقدوا له قناطر على كل نهر يمر عليه في بلادهم من الأنهار التي لا قناطر عليها ، وكذلك في الأودية ، وأن يسهلوا له الطرق والمسالك وقال : فإنني قد أجمعت على المسير إلى بلاد الروم من بلادكم ، فاستنظع هرمز ما ورد عليه من ذلك ، وجمع أكبر مملكته وعرض ذلك عليهم ، وشاورهم فيما يفعله ، فاجتمعت الآراء على قصد ملك الترك وجره ، فندب إليه رجلاً من أهل الرأى والنجدة يقال له بهرام جُوبين ، فاختر بهرام من العسكر اثني عشر ألفاً

(١) التذكرة من غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للنعالي (ص ٦٤٢) .

(٢) بادغيس : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرور الروذ .

من الكهول دون الشباب، وسار بهم حتى انتهى إلى هراة وبادغيس، ولم يشعر شابه
 [شاه^(٢)] ملك الترك بهرام حتى وافاه ونزل بالقرب من معسكره، فكانت بينهما حروب
 كثيرة آخرها أن بهرام جوبين قتل شابه برمية رماه [بها^(٣)] فاستباح عسكره، وأقام
 بهرام موضعه، فوافاه برمودة^(٤) بن شابه وكان يعدل بأبيه، فحاربه فهزمه بهرام
 جوبين وحصره في بعض الحصون، ثم ألح عليه حتى استسلم له، فوجهه أسيرا
 إلى هرمز، وغنم كنوزا عظيمة، فيقال إنه حمل إلى هرمز من الأموال والجواهر
 والأواني وسائر الأمتعة وقرماتى ألف وخمسين ألف بعير في مدة تلك الأيام،
 فشكره هرمز على ذلك، وأمره أن يتقدم بمن معه إلى بلاد الترك فلم يره بهرام صوابا،
 ثم خاف سطوة هرمز.

- وَحِكِي لَهُ أَنْ الْمَلِكَ يَسْتَقِلُّ مَا حَمَلَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَائِمِ فِي جَنْبِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا،
 وَأَنَّهُ يَقُولُ فِي مَجَالِسِهِ قَدْ تَرَفَّهَ بِهِرَامٌ وَاسْتَطَابَ الدَّعَاةُ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْجُنْدَ نَخَافُوا مِثْلَ
 خَوْفِهِ . فَيَقَالُ إِنَّ بِهِرَامَ جَمَعَ ذَاتَ يَوْمٍ وَجُوهَ عَسْكَرِهِ وَأَجْلَسَهُمْ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ثُمَّ خَرَجَ
 عَلَيْهِمْ فِي زِيَةِ النِّسَاءِ وَبِيَدِهِ مِغْزَلٌ وَقَطَنَ حَتَّى جَلَسَ فِي مَوْضِعِهِ، وَحَمَلَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْ أَوْلِيائِكَ الْقَوْمِ مِغْزَلَ وَقَطَنَ وَوَضَعَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَأَمْتَعَضُوا مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرُوهُ
 وَقَالُوا : مَا هَذَا الزِّيُّ ! فَقَالَ بِهِرَامُ : إِنَّ كِتَابَ الْمَلِكِ وَرَدَ عَلَيَّ بِذَلِكَ وَلَا بَدَّ مِنْ
 امْتِثَالِ أَمْرِهِ إِنْ كُنْتُمْ طَائِعِينَ لَهُ ، فَأَظْهَرُوا أَنْفَهُ وَحَمِيَّةَ وَأَجْمَعُوا كُلَّهُمْ عَلَى خَلْعِ

(١) هراة : مدينة عظيمة مشهورة بخراسان حربيها التتر، وكانت فتحت في أيام عثمان رضي الله عنه.

(٢) شاه : تسمية لبلدان لأبي القداء . (راجع تفويم البلدان لأبي القداء) .

(٣) التكملة من غرر أخبار ملوك القرس وسيرهم للتعالي (ص ٦٤٢) .

(٤) زيادة يقتضيا السياق .

(٥) كذا في تاريخ الطبري (ص ٩٩٣ من القسم الأول طبعة أوربا) . وفي تاريخ ابن الأثير

(ج ١ ص ٣٤٢ طبعة أوربا) : « برمودة بن شابه » وفي الأصول : « برمودة » .

هرمز ، فخلعوه وأظهروا أن ابنه كسرى أبرويز أصلح لملك منه ، وساعدهم على ذلك خلق كثير ممن كان بحضرة هرمز .

ولما اتصل ذلك بهرمز أنفذ جيشا كثيفا مع بعض قواده لمحاربة بهرام جوين ، فأشفق أبرويز من الحديث وخاف سطوة أبيه بهرام ، فهرب إلى أذربيجان ، فاجتمع إليه هناك عدة من المرازبة ومن الأصهبذيين ، فأعطوه بيعتهم ولم يظهر أبرويز شيئا ، وأقام بمكانه إلى أن بلغه قتل القائد الذي كان قد بعثه هرمز لمحاربة بهرام جوين ، وهو أذبيحشيش ، وهزيمة الجيش الذي كان معه واضطراب أمر هرمز أبيه ، وكتبت أخت أذبيحشيش إلى كسرى أبرويز تخبره بضعف أبيه هرمز ، وأعلمته أن العطاء والوجوه قد أجمعوا على خلعه ، وأن بهرام جوين إن سبقه إلى المدائن احتوى على الملك . قال : ولم يلبث العطاء أن وثبت على هرمز وفيهم بندويه وبسطام خالا أبرويز وخلعوه وسملوا عينيه ، وتركوه تحزجا من قتله . فكان ملكه إلى أن خلع وسمل اثنتي عشرة سنة .

٦١
١٣

✦ ✦

ثم ملك بعده ابنه كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان . قال :
ولما ملك بادر بن معه إلى المدائن وسبق إليها بهرام جوين وتزوج وجمع إليه الوجوه والأشراف ، وجلس على السرير ومناهم ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، فاستبشر الناس به ودعوا له وأجابوه ودخلوا تحت طاعته . فلما كان في اليوم الثاني أتى إلى أبيه فسجد له ، وأعتذر وقال : إنك تعلم أيها الملك إنني بريء مما جناه إليك هؤلاء القوم الذين فعلوا بك ما فعلوا ، وإنما هربت خوفا منك وإشفاقا على نفسي ، فصدقه هرمز وقال : يا بني ! إن لي إليك حاجتين فأسعفني بهما ، إحداهما : أن

(١) في تاريخ الطبري (ص ٢١٦٩ من القسم الأول طبعة أوربا) في كلامه على السقاطية بكسر :
« ابنا خال كسرى بندويه وپترويه ابنا بسطام » .

تنتقم لي ممن عاون على خلعي وسمل عيني ولا تأخذك بهم رافة ، والأخرى تؤنسني كل يوم بثلاثة نفر ممن لهم أصالة رأي ، وتأذن لهم بالدخول إلي ؛ فتواضع له أبرويز وقال : عمرك الله أيها الملك ، إن المارق بهرام قد أطلنا^(١) ومعه أهل الشجاعة والنجدة ، ولسنا نقدر أن نمد يدا إلى من أتى إليك ما أتى ؛ فإنهم وجوه أصحابك ؛ ولكن إن أمكنني الله من المنافق فأنا خليفتك وطوع أمرك .

قال : وأما بهرام جويين فإنه ورد إلى النهروان ، فخرج كسرى أبرويز إليه وواقفه بها وجعل النهر بينه وبينه ، ودار بينهما كلام كثير . كل ذلك في استصلاح بهرام ورجوعه إلى الطاعة ، وهو لا يجيب إلى ذلك ولا يرد إلا ما يسوء أبرويز حتى ينس منه وأجمع على حربه والتقوا واقتلوا . وكان بينهما أخبار كثيرة وأحاديث طويلة آخرها أن أبرويز ضعف عنه بعد أن قتل بيده ثلاثة نفر من الأتراك ، وكانوا من أشدهم وأعظمهم شجاعة ووسامة ، وكانوا قد التزموا لبهرام بقتل أبرويز ، وضمن لهم بهرام على ذلك أموالا عظيمة .

قال : ثم رأى أبرويز من أصحابه فتورا فسار إلى أبيه وشاوره فرأى المسير إلى الروم ، وأحرز نساءه وشخص في عدة يسيرة فيهم بندوية وبسطام وكردى أخو بهرام ؛ لأنه كان معاديا لأخيه ، شديد الطاعة والنصيحة لأبرويز . فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام ، وأشفقوا أن يرد هرمز إلى الملك ، ويكتب ملك الروم عن هرمز في ردهم فيتلفوا ؛ فذكروا ذلك لأبرويز واستأذنوه في إتلاف هرمز فلم يجز جوابا ، فانصرف بندوية وبسطام وطائفة معهما إلى هرمز فختقوه ثم رجعوا إلى كسرى فقالوا : سر على خير طالع ، وأيمن طائر ؛ فختقوا دوابهم وساروا إلى القرأت فقطعوه ، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له : نخرشيدان

(١) أطلنا : أشرف علينا .

وساروا الى بعض الديارات التي في أطراف العارة ، فلما أوطنوه للراحة لحقهم خيل بهرام جويين ، فلما نذروا بهم أتبه بندويه أبرويز من نومه وقال له : احتل لنفسك فإن القوم قد طلبوك . فقال كسرى : ما عندى حيلة . فقال بندويه : إني سأحتال لك بأن أبذل نفسي دونك ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : تدفع لى ثوبك وزينتك لأعلو الدير وتجو أنت ومن معك من وراء الدير ، فإن القوم إذا وصلوا ورأوا هبتك على اشتغلوا بى عن غيرى ، وطاولتهم حتى تفوتهم ، ففعل ذلك . وخرج أبرويز ومن معه ، ثم وافت خيل بهرام الدير وعليهم قائد لهم يقال له بهرام ابن سیاوش فاطلع عليهم بندويه من فوق الدير وعليه زينة أبرويز وثيابه ، وأوهمهم أنه هو ، وسأله أن يُنظره الى غد ليصير فى يده سليما ويسير به الى بهرام جويين ، فأمسك عنه وحفظ الدير ليلة كاملة بالحرس . فلما أصبح اطلع عليه فى بزته وحليته وقال : إن على وعلى أصحابى بقية شغل من استعداد وصلوات وعبادات فأمهلنا . ولم يزل يدافعه حتى مضى عامة النهار وأمعن أبرويز ، وعلم بندويه أنه قد فاتهم ، ففتح الباب حينئذ وأعلم بهرام سیاوش بأمره ، فانصرف به الى بهرام جويين فخبسه .

وأما بهرام جويين فإنه دخل المسدائن وجلس على سرير الملك ، وجمع العظماء فخطبهم وذم أبرويز ودار بينهم كلام ، فكان كلهم منصرفا عنه إلا أن بهرام تتوج وانقاد له الناس خوفا ، ثم إن بهرام بن سیاوش واطأ بندويه على الفتك بهرام جويين ، فظهر بهرام على ذلك ، فقتل سیاوش وأفلت بندويه ولحق بأذربيجان ، وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية فكتب ملك الروم منها ، وراسله بجميع من كان معه وسأله نصرته ، فأجابته الى ذلك وزوجه ابنته مريم وحملها إليه ، وأمدته بثيادوس أخيه ومعه ستون ألفا من المقاتلة ، عليهم رجل يقال له سرجس ، يتولى تدبير

(١) فى تاريخ الطبرى (ص ٩٩٨ من القسم الأول طبع أوربا) : « أطلوك » .

- أمرهم، ورجل آخر من أبطال الروم، كان يعدّ بينهم بألف رجل، وسأله ترك الأتاوة التي كان أبوه ومن قبله من ملوك الفرس يستأدونها من ملوك الروم إذا هو ملك، فأجابته إلى ذلك، وفرح بالجيش الذي أمده به ملك الروم، واغتنب بهم وأراحهم خمسة أيام، ثم عرضهم وعرف عليهم العرفاء وسار بهم حتى نزل من أذربيجان في صحراء تدعى الدنق^(١) فوافاه هناك بندوقيه ورجل من أصهبندي الناحية يقال له موسيل في أربعين ألف مقاتل، فانضموا إليه، ووافاه الناس بالخيول من أصهبان وفارس، وانهى إلى بهرام جويين مكانه بصحراء الدنق، فشخص نحوه من المدائن، فغرت بينهما حروب شديدة قتل فيها الكبي الرومي بضربة ضربه بها بعض الفرس على رأسه فقد رأسه وبدنه، وعاد فرسه بنصف بدنه الباقي إلى المعركة.
- ١٠ فلما رآه أبرويز استضحك، فعظم ذلك على الروم وعاتبوا أبرويز وقالوا له: هذا جزاؤنا منك! يقتل كميناً وواحد عصره في طاعتك وبين يديك ونضحك ونصرتك وأنت تضحك لقتله! فاعتذر بأن قال: إني والله ما ضحكتم لما تكهون. ولقد شقّ عليّ أن فقدتُ مثله أكثر مما شقّ عليكم، ولكني رأيتمكم تستصغرون شأن جويين وتكفرون هربي منه، فذكرت ذلك من قولكم الآن وعلمت أنكم برؤيتكم هذه الضربة تعذرونني وتعلمون يقيناً أن هربي إنما كان من أمثال هؤلاء القوم الذين هذا مبلغ نكايتهم في الأبطال. ويقال إن أبرويز حارب بهرام منفرداً عن العسكر بأربعة عشر رجلاً منهم كردى أخو جويين وبندوقيه وبسطام حرباً شديداً وصل فيها بعضهم إلى بعض، وآخر الأمر أن أبرويز استظهر استظهاراً يئس منه بهرام جويين، وعلم

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٠٠٠ من القسم الأول طبع أوروبا) وفي الأصل وردت هكذا «الرق» بأهمال الحرف الذي قبل القاف. وثبه مصحح الطبري بالهامش بأنها وردت في بعض النسخ هكذا: «الرق، الريق، الدنق، الرنق».

٢٠ هكذا: «الرق، الريق، الدنق، الرنق».

أنه لا حيلة له فيه ولا قدرة عليه ، فأنحاز عنه نحو خراسان ، ثم سار إلى الترك ، وسار أبرويز إلى المدائن بعد أن فرق في الجنود من الروم أموالا عظيمة وصرفهم إلى ملك الروم .

قال : ولبت بهرام جوين في الترك مكروما عند الملك حتى احتال عليه كسرى أبرويز بتوجيهه رجلا يقال له هرمز إلى الترك بجوهر نفيس وغيره من الهدايا إلى امرأة ملك الترك حتى دسّت لبهرام من قتله ؛ فاعتمّ خاقان لموته وأرسل إلى أخته كردية وأمراة يعلمهما بلوغ الحوادث ببهرام ، وسأل كردية أخت بهرام أن يتزوجها وفارق أمراة خاتون بهذا السبب ، فأجابته كردية جوابا ليئا ، ثم ضمت إليها من كان مع أخيها بهرام من المقاتلة ، وخرجت بهم من بلاد الترك إلى حدود مملكة فارس ، فأتبعها ملك الترك أخاه نظراً في آثي عشر ألف فارس . فيقال إن كردية قاتلت وقتلت نظرا بيسدها ، ومضت لوجهها حتى بلغت حدود أرض فارس ، وكتبت إلى أخيها كردى فأخذ لها أمانا من أبرويز ، فلما قدمت عليه اغتبط بها وتزوج بها أبرويز .

قال : ولم يزل أبرويز يلاطف ملك الروم الذي نصره وأمدّه ويهاديه إلى أن وثبت الروم عليه في شيء أنكره منه فقتلوه وملكوا غيره ، فبلغ ذلك أبرويز فآلم له وأوى إلى أبرويز ابن الملك المقتول ، فتوجه أبرويز وملكه على الروم ، ووجه معه جنودا كثيفة مع شهباز فدوخ بهم البلاد . وملك صاحب كسرى بيت المقدس وأخذ خشبة الصلب وبعث بها إلى كسرى ، وذلك في أربع وعشرين سنة من ملكه ، ثم احتسوى على مصر والاسكندرية وبلاد النوبة ، وبعث مفاتيح ثغر الإسكندرية إلى كسرى في سنة ثمان وعشرين من ملكه ، وقصد قسطنطينية فأناخ

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « بطرا » .

على ضفة الخليج الذي هو بالقرب منها وخيم هنالك ، فأمره كسرى نخرترب بلاد
الروم غضبا على أهلها لما انتهكوا من ملكهم وانتقاما له ، ومع ذلك لم يخضعوا
لأبن ملكهم المقتول ولا منحوه الطاعة ، ولا مال إليه واحد منهم ؛ غير أنهم قتلوا
الملك الذي ملكوه عليهم بعد أبيه المسمى قوقا لما ظهر لهم من بخوره وسوء تدبيره ؛
وملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل . فلما رأى هرقل عظم ما فيه أهل بلاد الروم
من تخريب جنود فارس بلادهم ، وقتلهم مقاتلتهم ، وسبيهم ذراريتهم ، واستباحتهم
أموالهم تضرع إلى الله وأكثر الدعاء وابتهل . فيقال إنه رأى في منامه رجلا ضخما
الجلته رفيع المجلس قد دخل عليه ، فدخل عليهما داخل فالتقى ذلك الرجل عن مجلسه
وقال لهرقل : إني قد أسلمت في يدك ، فلم يقصص رؤياه تلك في يقظته على أحد
حتى توالى عليه أمثالها ، فرأى في بعض لياليه كأن رجلا دخل عليهما وبسده
سلسلة طويلة فالتقاها في عنق صاحبه ، أعنى صاحب المجلس الرفيع ، ثم دفعه إليه
وقال له : ها قد دفعت اليك كسرى برقبته .

فلما نتابعت هذه الأحلام قصها على عظماء الروم وذوى العلم منهم ، فأشاروا
عليه أن يغزوه ، فأستعد هرقل وأستخلف ابنه على مدينة قسطنطينية ، وأخذ عن
الطريق الذي فيه شهر ياز صاحب كسرى وعدل إلى غيرها ، وسار حتى أوغل في بلاد
أرمينية ونزل نصيبين سنة ، وكان صاحب ذلك الثغر من قبل كسرى استدعى
لموجدة كانت من كسرى عليه . وأما شهر ياز فقد كانت كتب كسرى ترد عليه
في الجثوم على الموضع الذي هو به وترك البراج ، ثم بلغه أن هرقل قد أقام بجنوده

(١) في تاريخ الطبرى (ص ١٠٢ من القسم الأول) : « شهر ياز » وأشار مصححه بالهامش

٢٠ إلى أنه ورد في بعض المراجع : « شهر ياز » و « شهر ياز » .

بنصيبين ، فوجه كسرى لمحاربة هرقل رجلا من قواده يقال له : راهزار^(١) في آثني عشر ألف رجل من الأنجاد ، وأمره أن يقيم بيننوى - وهي الموصل - على شاطئ دجلة ويمنع الروم أن يجزوها . وكان كسرى بلغه خبر هرقل ، وهو يومذاك بدسكرة^(٢) الملك ، فنغذ الجيش لمنعه من جواز دجلة ، فعسكروا حيث أمرهم كسرى ، فقطع هرقل دجلة من موضع آخر الى الناحية التي فيها جنود فارس ، فأذكى راهزار العيون عليه ، فأخبروه أن هرقل في سبعين ألف مقاتل ، فأيقن راهزار ومن معه من الجند أنهم عاجزون عن مناهضته ، فكتب إلى كسرى غير مرة أن هرقل قد دهمه بما لا طاقة له به ولا قبل من الجنود الكثيرة . كل ذلك يجيبه كسرى بأنه إن عجز عن الروم فلن يعجز عن استقبالهم ، وبثدي دماء الفرس في طاعته .

فلما تابعت على راهزار أجوبة كسرى بذلك عبا جنده وناهض الروم بهم ، فقتلت الروم راهزار وستة آلاف رجل من الفرس ، وانهمز بقيتهم وهربوا على وجوههم لابلون على شيء ، وبلغ كسرى ذلك فأنحاز من دسكرة الملك الى المدائن ، وتحصن بها لعجزه عن محاربة هرقل ، وسار هرقل بجيوش الروم حتى كان قريبا من المدائن ، فاستعد كسرى لقتاله ، فلما بلغه ذلك أنصرف الى أرض الروم ، وكتب كسرى الى قواد الجنود الذين انهزموا يأمرهم أن يدلوه على كل رجل انهزم منهم ، ومن قُتل في تلك الحرب ، ولم يربط مركزه ، وأمر يعقوبتهم بحسب ما استوجبوا ، فأحوجهم بهذا الكتاب الى الخلاف عليه ، وطلب الحيل لنجاة أنفسهم منه ، وكتب الى شهر ياز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله في ذلك ويصف ما نال هرقل منه ومن بلاده .

(١) كذا في تاريخ الطبري ، وكتب مصححه بهامشه : « راهزاذ » ، وفي الأصل : « زاهراد » .

(٢) الدسكرة : بناء شبه قصر حوله بيوت يكون لذلك (المعرب نحو اليق) .

وقد حكي أن كسرى عرف أن له امرأة في فارس لا تلد إلا الملوك والأبطال فدعاها وقال : إنني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك فأشيرى عليّ أيهم أستعمل ، فوصفت له أولادها فقالت : هذا فرخان أتخذ من سينان ؛ وهذا شهر ياز^(١) أحكم من كذا ، وهذا فلان أروغ من كذا ؛ فأستعمل شهر ياز ؛ فسار إلى الروم فظهر عليهم وهزمهم ونحرب مدائنهم .

فلما ظهرت فارس على الروم جلس في بعض الأيام فرخان يشرب ؛ فقال فرخان لأصحابه : لقد رأيت أتي جالس على سرير كسرى ، فبلغت كلمته كسرى ، فكتب إلى شهر ياز : إذا أتاك كتابي هذا فأبعث إلى برأس فرخان ، فكتب إليه : أيها الملك ، إنك لن تجد مثل فرخان ، وإن له نكاية في العدو وصيتا فلا تفعل ، فكتب إليه : إن في رجال فارس خلفا منه ، فعجل إلى برأسه ، فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه ، وبعث بريدا إلى أهل فارس : إنني قد زعت عنكم شهر ياز وأستعملت فرخان ، فأتقاد له شهر ياز وقال : سمعا وطاعة ، ونزل عن سريره وجلس عليه فرخان ، ثم دفع البريد صحيفة صغيرة إلى فرخان كان كسرى قد أعطاها له وقال له : إذا أتقاد شهر ياز إلى طاعة فرخان فأعط فرخان هذه الصحيفة ، فلما قرأها فرخان قال : عليّ بشهر ياز ! فأتي به فقدم ليضرب عنقه فقال : لا تعجل عليّ حتى أكتب وصيتي ، ثم دعا بسقط وأخرج منه ثلاث صحائف ، وهي التي كان كسرى أمر شهر ياز فيها بقتل فرخان وقال له : كل هذه راجعت كسرى فيها عنك ، وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد ؟ فردّ الملك إلى أخيه^(٢) وأعتذر

(١) في تاريخ الطبري (ص ١٠٠٧ من القسم الأول طبع أوربا) : « شهر ياز » وقد ورد فيه

هذا الخبر .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « علي » .

منه ، فكتب شهر ياز الى هرقل ملك الروم : إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ، ولا تبلغها الصحف ، فألفني ولا تأتيني إلا في خمسين روميا ، فإني أيضا ألقاك في خمسين فارسيا ، فأقبل هرقل في خمسمائة [ألف] رومي ، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق ، وخاف أن يكون قد مكر به ، فآتته عيونه أنه ليس مع شهر ياز إلا خمسين رجلا .

قال : ثم ألقيا وقد بسط لهما في قبة من الديباج ضربت لهما ، فأجتمعا ومع كل واحد منهما سكين ، ودعوا ترجمانا يترجم لكل منهما عن قول الآخر ، فقال شهر ياز لهرقل : إن الذين حربوا مدينتك وبلغوا منك وبلغوا منك ما بلغوا أنا وأخي بسجاعتنا وكيدنا ، وإن كسرى حسدنا وأراد قتل أخي وكتب إلي بقتله فأبيت ، ثم أمر أخي أن يقتلني وقد خلعناه جميعا ونحن تقائله معك . قال : قد أصبتما ووقفتما ، ثم أشار أحدهما الى صاحبه : إن السر إنما يكون بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا ، قال الآخر : نعم ، فقاما جميعا الى الترجمان بسكينيهما فقتلاه ، واتفقا على قتال كسرى أبرويز .

ومما اتفق في أيامه من الحوادث يوم ذى قار ، وسنذكره . إن شاء الله تعالى .
في أيام العرب ووقائعها ، ولم نذكر في هذا الموضع يوم ذى قار على سبيل الإيراد له بل على سبيل التنبيه عليه .

ذكر حيلة لأبرويز على ملك الروم

قال : كان أبرويز وجه رجلا من جلة أصحابه في جيش جرار الى بلاد الروم ، فنكأ فيهم ، وبلغ منهم ، وفتح الشام ، وبلغ الدرب في آثار الروم ، فعظم أمره حتى خافه

(١) التكلة من تاريخ الطبري .

(٢) الجلة (بالكسر) : العظام السادة ذور الأخطار .

(٣) نكأ في العدو : قتل فيهم وجرح وأخذ .

- أبرويز، فكانت به بكائين ، يأمره في أحدهما أن يستخلف على جيشه من يثق به ، ويُقبل إليه ، ويأمره في الكتاب الآخر أن يُقيم بمكانه ، وأنه لما تدبر أمره ، وأجال الرأي لم ير مَنْ يُسَدُّ مَسَدَهُ ، ولم يأمن الخلل إن غاب عن موضعه ، وأرسل بالكائين رسولا من ثقاته وقال له : أعطه الكتاب الأَوَّل بالأمر بالقدوم ، فإن أجاب الى ذلك فهو ما أردت ، وإن كره وتناقل عن الطاعة فأسكت عليه أياما وأعلمه أن الكتاب الثاني ورد عليك وأوصله اليه ليقيم بموضعه . فخرج رسول كسرى حتى أتى صاحب الجيش ببلاد الشام فأوصل اليه الكتاب ، فلما قرأه قال : إما أن يكون كسرى قد تغير لي وكره موضعي ، أو يكون قد أختلط عقله بصرف مثلي وأنا في نحر العدو ، فدعا أصحابه وقرأ عليهم الكتاب فأنكروه . فلما كان بعد ثلاثة أيام أوصل اليه الكتاب الثاني بالمقام وأوهمه أن رسولا ورد به . فلما قرأه قال : هذا تخليط ولم يقع منه موقعا ، ودس الى ملك الروم من باطنه في إيقاع الصلح بينهما على أن يُخلى الطريق لملك الروم حتى يدخل الى بلاد العراق على غيرة من كسرى ، وعلى أن لملك الروم ما يغلب عليه من دون العراق ، وللفارسي ما وراء ذلك من بلاد فارس ، فأجابه ملك الروم الى ذلك وتحنى الفارسي عنه في ناحية من الجزيرة ، وأخذ أفواه الطريق ، فلم يعلم كسرى حتى ورد خبر ملك الروم من ناحية قرقيسيا ، وكسرى على غير استعداد ، وجنوده متفرقون في أعماله . فلما أتاه الخبر وثب عن سريره وقال : هذا وقت حيلة ومكيدة ، لا وقت شدة ، وجعل ينكث الأرض مليا ، ثم دعا برق فكتب فيه كتابا صغيرا بخط دقيق الى صاحبه بالجزيرة يقول فيه : قد علمت ما كنت أمرتُك به من مواصلة صاحب الروم وأطاعهم في نفسك ، وتخليصة الطريق حتى إذا توجب بلادنا أخذته من أمامه ، وأخذته ومن ندبناه معك من خلفه فيكون في ذلك

٦٥
١٣

(١) قرقيسيا : مدينة بالجزيرة مصب نهر الحابور بالفرات .

بواره، وقد تمّ في هذا الوقت مادبرناه، وميعادك في الإيقاع به يوم كذا وكذا، ثم دعا راهبا في دَيْرِ بجوار مدينته وقال له: أيّ جارٍ كنتُ لك، قال: أفضل جارٍ، فقال: قد بدتُ لنا اليك حاجة، فقال الراهب: الملك أجلّ من أن يكون له إلى حاجة، ولكن عندي بذل نفسي، فما الذي يأمر به الملك؟ قال كسرى: تحمل لي كتابا إلى فلان صاحبي، قال نعم، قال كسرى: ستمت بأصحابك النصراري فأخفه، فلما ولى عنه الراهب قال له كسرى: أعلمت ما في الكتاب؟ قال لا، قال: فلا تجمله حتى تعلم ما فيه. فلما قرأه أدخله في جيبه ثم مضى. فلما صار في عسكر الروم ونظر إلى الصُلبان والقسيسين وصبيحهم بالتقديس والصلوات أحترق قلب الراهب وأشفق عليهم وقال في نفسه: أنا شرّ الناس إن حملتُ بيدي حتف النصرانية، وهلاك هؤلاء الخلق؛ فصاح الراهب: أنا لم يُحملني الملك كسرى رسالة ولا معي كتاب، فأخذوه فوجدوا الكتاب معه، وقد كان كسرى أيضا وجه رسولا قبل ذلك وأمره أن يمز بعسكر الروم كأنه رسولٌ إلى كسرى من صاحبه الذي وافق ملك الروم ومعه كتابٌ فيه: إن الملك كان قد أمرني بمقاربة ملك الروم، وأن أخذه وأخلى له الطريق، فياخذه الملك من أمامه وأخذه أنا من خلفه، وقد فعلتُ ذلك، فرأى الملك في إعلامي وقت خروجه إليه. فأخذ ملك الروم الرسول وقرأ الكتاب وقال: قد عجبت من أن يكون هذا الفارسيّ معي على كسرى، ووافاه كسرى أبروز فيمن أمكنه من جنده، فوجد ملك الروم قد ولى هاربا فأتبعه يقتل ويأسر من أدرك، وبلغ صاحب كسرى هزيمة الروم فأحب أن يُحلب نفسه ويستتر ذنبه. فلما فاتته مادبر نخرج خلف ملك الروم يقتل فيهم ويأسر، فلم يسلم منهم إلا القليل.

ذكر سبب هلاك أرويز وقتله

قال : وكان سبب ذلك تجبره واحتقاره للعلماء وعتوه ، وذلك أنه استخف بما لا يستخف به الملك الحازم ، وكان قد جمع من المال ما لم يجمعه أحد من الملوك ، وبلغت خيله الى قسطنطينية وأفريقية ، وكانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلا فيل واحد ، ونمسون ألف دابة ، ومن الجواهر والأواني والآلات ما يليق بذلك ، وأمر أن يُحصى ما جِي من بلاده وسائر أبواب المال سنة ثمانى عشرة من ملكه ، فرفع إليه أن الذى جِي في تلك السنة من الخراج وسائر الأبواب كان ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر أن يُحوَّل إلى بيت مال بُني بمدينة طيسفون من ضرب فيروز بن يزيد جرد وقباد بن فيروز اثنتى عشرة ألف بدرة من أنواع الجواهر وغير ذلك .

قال : فعتا وتجبر وأستهان بالناس والأحرار ، وبلغ من جرائه أنه رأى رجلا كان على حرس باب الخاصة ، يقال له : زاذان فروخ ، فأمره أن يقتل كل مقيد في سجن من سجنونه ، فأحصوا من بالسجون من المقيدين فبلغوا ستة وثلاثين ألفا ، فلم يقدر زاذان فروخ على قتلهم ، وتوقف عن إمضاء أمر كسرى وأعد عِلا له فيما أمره به فيهم ، فكان هذا أحد الأسباب التي كسب بها كسرى عداوة أهل مملكته مع وجود احتقاره إياهم ، واستخفافه بهم ، وأطراحه لعظماهم . ومن ذلك أنه سلط عابجا ، يقال له : فرخان زاد ، على الخراج فاستخرج بقاياهم منهم بعنف وعذاب . ومن ذلك أنه أجمع على قتل الفل الذين أنصرفوا إليه من

(١) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة كسرى التي فيها الإيوان ، بينها وبين بغداد ثلاثة

فراخ . وفي الأصل : « بطيسون » وتاريخ الطبرى : « طيسون » .

(٢) الفل (بالفتح) : الجماعة .

قَبِلَ هِرَقْلٌ ، فَأَكَّدَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابُ بَعْضَهُ ، وَأَسْتَطَالَ النَّاسُ مَدَّتَهُ ، فَكَانَ نَتِيجَةَ ذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعِظَاءِ أَنْصَرَفُوا إِلَى عَقْرِ بَابِلَ ^(١) ، وَفِيهِ شِيرِي بْنُ أَبَرْوِيزَ مَعَ إِخْوَتِهِ ، وَقَدْ كَانَ كَسْرَى أَبَرْوِيزَ وَكُلِّبَهُمْ مُؤَدِّبِينَ وَأَسَاوِرَةَ ، يُحَوَّلُونَ بَيْنَهُمْ وَيَبِينُ مِنْ يَجْتَمِعُ بِهِمْ مِنَ النَّاسِ ، وَيَمْتَعُونَهِمْ مِنَ الْبِرَاحِ ، فَأَخَذَهُ الْعِظَاءُ وَأَقْبَلُوا بِهِ إِلَى مَدِينَةِ بَهْرَسِيرَ ^(٢) وَدَخَلُوهَا لَيْلًا ، نَخَلَى عَمَّنْ كَانَ فِي سِجُونِهَا وَأَخْرَجَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفَلَّ الَّذِينَ كَانُوا غَلَبُوا وَفَزُوا مِنْ هِرَقْلٍ وَأَمْرَ كَسْرَى بِقَتْلِهِمْ ، فَتَادُوا : قُبَادُ شَاهَنْشَاهُ ، وَصَارُوا كُلَّهُمْ عِنْدَ الصَّبَاحِ إِلَى رَجَبَةِ كَسْرَى ، فَهَرَبَ الْحَرَسُ ، وَأَنْحَازَ كَسْرَى بِنَفْسِهِ إِلَى بَاغٍ لَهُ ^(٤) بِالْقُرْبِ مِنْ قَصْرِهِ ، يَعْرِفُ بِبَاغِ الْهِنْدُوَانِ ، فَأَرَا مَرْعُوبًا ، فَأَخَذَ وَحُسِبَ بِمَكَانٍ غَيْرِ دَارِ الْمَمْلُوكَةِ ، فِي دَارِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ : مَارَا سَقَنْدُ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ بَعْدَ حَدِيثِ طَوِيلٍ وَمُرَاسِلَاتٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ شِيرِيٍّ بِمَوَاطَاةِ الْعِظَاءِ ، بَعْدَ تَقْرِيعِ عَظِيمٍ ، وَتَوْبِيخِ كَثِيرٍ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَمِنْ سَوْءِ تَدْبِيرِهِ ، وَقُبْحِ فِعَالِهِ ، وَهُوَ يَجْبِيهِمْ بِأَجْوَبَةٍ إِقْنَاعِيَّةٍ ، وَلَهُ مَرَاسِلَاتٌ وَوَصَايَا كَتَبَهَا إِلَى ابْنِهِ مِنَ السِّجْنِ ، قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . وَكَانَ هَلَاكُهُ بَعْدَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . وَبِمَضَى آتِنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ مُلْكِهِ ، كَانَتْ هِجْرَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) عقر بابل : موضع قرب كربلاء من الكوفة .

(٢) هكذا يسميه العرب في كتبهم ، والفرس يسمونه : « شيرويه » .

(٣) بهر سير : من فواحي سواد بندا قرب المدائن . وقيل : هي إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن .

(٤) ورد في هامش نسخة ب حاشية نصها : « الباغ : البستان » .

(٥) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « باغ المتدوان » .

قال : ولما قُيِّضَ على كِسْرَى خَلْفَ فِي بَيْتِ الْمَسَالِ مِنَ الْوَرِقِ أَرْبَعًا أَلْفَ
بَدْرَةَ سِوَى الْكَنْوُزِ وَالذَّخَائِرِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْآلَاتِ .
وَكَانَ وَزِيرُهُ وَالْقَائِمُ بِتَدْوِيرِ دَوْلَتِهِ بُزْرَجِمِهْرَ الْحَكِيمَ . وَلِبُزْرَجِمِهْرَ هَذَا قَضَايَا
وَحِكْمٌ وَمَوَاعِظٌ فِي أَيْدِي النَّاسِ . وَيُقَالُ : إِنَّ بُزْرَجِمِهْرَ هَذَا إِنَّمَا كَانَ وَزِيرًا لِكِسْرَى
أَنُو شِرْوَانَ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ . وَذَلِكَ أَنَّ بُزْرَجِمِهْرَ تَرَكَ الْمَجُوسِيَّةَ وَرَجَعَ إِلَى دِينِ
عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَانَ بِهِ ، فَقَتَلَهُ كِسْرَى لَذَلِكَ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ وَجِدَ
فِي مِثْقَلِهِ لَمَّا قُتِلَ كِتَابٌ فِيهِ : إِذَا كَانَ الْقَسْدُ حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ
الْقَدْرُ فِي النَّاسِ طَبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ نَازِلًا فَالطَّمَأِينَةُ إِلَى
الدُّنْيَا حَقٌّ .

- ١٠ قالوا : ولما بلغ بُزْرَجِمِهْرَ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً دَخَلَ عَلَى كِسْرَى ،
وَقَدْ جَلَسَتْ الْوُزَرَاءُ عَلَى كُرْسِيِّهَا وَالْمَرَاذِبُ فِي مَجَالِمِهَا ، فَوَقَفَ وَحِيًّا الْمَلِكُ بِتَحِيَّةِ
الْمَلُوكِ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَأْمُونِ نِعْمَهُ ، الْمَرْهُوبِ نِقْمَهُ ، الدَّالِّ عَلَيْهِ ، بِالرَّغْبَةِ
إِلَيْهِ ، الْمُؤَيَّدِ الْمُلْكَ ، بِسَعُودِهِ فِي الْفُلْكِ ، حَتَّى رَفَعَ شَأْنَهُ ، وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ ، وَأَنَارَ
بِهِ الْبِلَادَ ، وَأَنَعَشَ بِهِ الْعِبَادَ ، وَقَسَمَ بِهِ فِي التَّقْدِيرِ ، وَجَوَّهَ التَّدْوِيرَ ، فَرَعَى رِعْيَتَهُ
بِفَضْلِ نِعْمَتِهِ ، وَحَمَّاهَا الْمَوْبِلَاتِ ، وَأَوْرَدَهَا الْمُعْشِبَاتِ ، وَذَادَ عَنْهَا الْأَكَالِينَ ،
وَأَلْفَهَا بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ ، إِنْعَامًا مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَتَثْبِيثًا لِمَا فِي يَدَيْهِ . وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَبَارِكَ
لَهُ فِيمَا آتَاهُ ، وَيُخَيِّرَ لَهُ فِيمَا أَسْتَرْعَاهُ ، وَيَرْفَعَ قَدْرَهُ فِي السَّمَاءِ ، وَيَسِيرَ ذِكْرَهُ عَلَى وَجْهِ
السَّمَاءِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ بَيْنَهُمَا مَنَاوِي ، وَلَا يُوجَدَ لَهُ مَسَاوِي . وَأَسْتَوْهَبُ اللَّهَ لَهُ

(١) الورق : الدراهم المضروبة من الفضة .
(٢) المرآبة : رؤساء القروس .
(٣) الأصل : « ودادها » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

حياة لا يتنقص فيها ، وقدرة لا يجيد أحدٌ عنها ، ومأكلا لا يؤس فيه ، وعافية تُديم له البقاء ، وتكثر له النماء ، وعزاً يؤمنه من انقلاب رعيته ، أو هجوم بليته ، فإنه مؤتي الخير ، ودافع الشر .

فلما سمعه كسرى أمر فحشي فنه بنفيس الجواهر ، ولم تمنعه حداثة سنه أن أستوزره ، وقلده خيره وشره ؛ فكان أول داخل ، وآخر خارج . وكان أبوه حامل القدر ، وضيع الحال ، سفيه المنطق ، اسمه البختكان .

قال : ولما قبض على أبرويز ملك بعده ابنه : قباذ بن أبرويز ويعرف قباذ بشيرويه . وقباذ هذا هو القابض على أبيه والقاتل له ، وقتل سبعة عشر أخاه ، وقيل ثمانية عشر ، ذوى آداب وشجاعة ؛ فكان عاقبة ذلك أن الله عز وجل ابتلاه بالأسقام ، فانتقض عليه بدنه ، ولم يلد بشئ من ملاذ الدنيا ، وجرع بعد قتل إخوته جرعا شديدا ؛ وكان يبكي حتى يرمى التاج عن رأسه ، وعاش ما عاش مهموما حزينا مدنفا . وفي أيامه فشا الطاعون فأهلك أكثر الفرس . وكان ملكه ثمانية أشهر ، وقيل أكثر من ذلك .

وملك بعد وفاته ابنه أردشير بن شيرويه وهو ابن سبع سنين ولم يوجد من بيت الملك غيره .

قال : ولما ملكته الفرس عليها حضنه رجل يقال له : مهأذر جشنس ، فأحسن سياسة الملك . وكان شهر براز المقيم بشغر الروم في جنده ضمهم إليه كسرى أبرويز

(١) كذا في تاريخ الطبري ، وفي الأصول : « مهادر حشيس » . بالميم ، وفي موضع آخر : « بهادر حشيس » . بالباء .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وهو ماه إسفندار . وفي الأصل : « شهريران » .

وأبنة شيرويه ، وكانا يكتبان اليه ويستشيرانه في الأمر الذي يهمهما ويعملان
 برأيه . فلما مات شيرويه وملكت الفرس عليها أبنة أردشير - مع حداثة سنه - لم
 يشاوره عظماء الفرس في ذلك ، فعظم عليه أفرادهم عنه ، وجعل ذلك ذنباً لهم ،
 وبسط يده وطمع في الملك ، وأستهان بعظماء الفرس ، ودعا الناس لنفسه ، وأقبل
 بجنده نحو المدائن ، فعمد مهاذر جشنس الى مدينة طيسبون ، فخصنها وحول أردشير
 ومن بقي من نسل الملوك ونسائهم والأموال والخزائن والكراع^(١) وغير ذلك إليها ؛
 فورد شهر براز الى مدينة طيسبون وحاصرها ونصب عليها المجانيق ، فعجز عنها
 لحصاتها ، فأخذ في أعمال المكاييد والحيل ، فلم يزل يتلطف برجل يقال له : نيوخسرو
 ويراسله هو وغيره ، حتى فتحوا له باب المدينة فدخلها ، وقتل جماعة من الرؤساء
 وأستصفي أموالهم وقتل أردشير بن شيرويه . وكان ملكه سنة ونصفاً ، وقيل :
 إنما ملك نصف سنة ، وقيل : خمسة أشهر .

وملك بعده شهر براز ، وقيل فيه : شهر يار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة .
 قال : ولما جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من شدة ذلك عليه
 أنه لم يقدر على إتيان الخلاء ؛ فدعا بالطست ، فوضع أمام ذلك السرير ، ومد أمامه
 ما يستتر به ، وبقي يتبرز في ذلك الطست .

قال : ثم أمتعص رجلاً يقال له : فسفروخ^(٢) [بن ماخرشيدان] وأخوان له من
 قتل شهر براز أردشيرين شيرويه وغلبته على الملك ، فتحالفوا على قتله . وكان
 من السنة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سماطين عليهم الدروع والبيض ،

(١) الكراع (بالضم) : يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « اسفروج » .

(٣) التسمية من تاريخ الطبري .

وبأيديهم السيوف والتّراس^(١) والرّماح؛ فإذا حازاهم الملك وضع كلّ واحد منهم رأسه على قريوس سرجه، ثم يضع جبهته عليه كهيئة السجود.

قال: وأتفق ركوب شهر برّاز في بعض الأيام فوقف فسفرّوخ وأخواه وهم بالقرب من بعضهم بعضاً، فلمّا حازاهم شهر برّاز طعنه فسفرّوخ، ثم طعنه أخواه فسقط عن دابته، فشدوا رجله بحبل وجرّوه إقبالا وإدبارا ساعة، وساعدهم العظاء^(٢) على ذلك، وقتلوا جماعة ممن كان قد ساعد شهر برّاز على قتل أردشير. فكان ملكه أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً.

وملكت بعده بوران بنت كسرى أبرويز ويقال لها: بوران دخت.

قال: فأحسنّت السيرة وبسطت العدل، وأمرت بتم القناطر والجسور، وإعادة ما تشعث من العمارات، ووضعت بقايا الخراج، وكتبت إلى الناس عاقبة كتباً تعلمهم ما هي عليه من الإحسان، وأنها ترجو أن يرهم الله من الرفاهية والاستقامة بمكانها، ومن العدل وحفظ الثغور ما يعلمون أنه ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد، ولا بياسهم كسّباح العساكر، ولا بمكائدهم ينال الظفر وتطفأ النواثر، ولكن ذلك بالله عز وجل، وحسن النية وأستقامة التدبير. وأمرت بالمناصحة وحسن الطاعة، وردت خشبة الصليب على ملك الروم. وكان ملكها سنة وأربعة أشهر.

ثم ملك رجل يقال له: جشّسئده وهو ابن عم أبروير، وكان ملكه أقل من شهر، وقيل: إن الذي يزدرجد بن كسرى وهو طفل.

(١) التّراس (بالكسر): جمع ترس، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه.

(٢) في تاريخ الطبري (ص ١٠٦٣ من القسم الأول طبع أوروبا): « وساعدهم على قتله رجل من العظاء يقال له: زاذان فرّوخ بن شهر داران، ورجل يقال له ماهايي، كان مؤدّب الأساورة، وكثير من العظاء... الخ ».

ثم ملكت بعده آزر مِيدُخْت بنت كسرى أبرويز، وكانت من أجمل نساء
 دهرها، وكان عظيم فارس يومئذ فرخ هُرْمَنْزُ أَصْبَهَنْدِ خراسان؛ فأرسل إليها يسألها
 أن تزوجه نفسها، فأرسلت إليه: التزويج للملكة غير جائز، وقد علمت أن أريك
 فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك متى؛ فصرت إلى ليلة كذا وكذا، ففعل وركب إليها
 في تلك الليلة، وتقدمت إلى صاحب حرسها أن يرصده في الليلة التي تواعدا للالتقاء
 فيها، فإذا رآه يقتله، فرصده صاحب الحرس؛ فلما جاء قتله وجر برجله وطرحه
 في رجة دار الملك.

فلما أصبح الناس ورأوه علموا أنه لم يُقتل إلا لأمر عظيم، ثم أمرت بتغيب
 جثته فُيِّبَتْ. وكان رُسْتَمُ بن فرخ هُرْمَنْزُ هذا—وهو رُسْتَمُ صاحب القادسية—
 عظيم البأس، قويًا في نفسه، فلما بلغه ما صنع بأبيه أقبل في جند عظيم حتى نزل
 المدائن؛ فقبض على آزر مِيدُخْت وسمل عينيها وقتلها بعد ذلك. فكانت مدة ملكها
 ستة أشهر.

واختلف فيمن ملك بعد آزر مِيدُخْت، فقبل رجل من عقب أردشير بن بابك
 كان ينزل الأهواز يقال له: كِسْرَى [بن] مِهْرَجُشْنَسْ، فلبس التاج وقتل بعد
 أيام. ويقال: بل كان رجل يسكن ميسان يقال له فيروز، فملكوه كرها. وكان
 ضخم الرأس، فلما توج قال: ما أضيق هذا التاج! فطير العلماء من آفتاح الأمر
 بالضيق وقتلوه. ثم أتى رجل من أولاد كسرى كان قد لجأ إلى موضع من الغرب
 بالقرب من نصيبين، يقال له: «حصن الحجارة» حين قتل شيرويه بن كسرى أبرويز
 إخوته، وهو فرخ زاباذ خسرو بن كسرى أبرويز، فآتقاده الناس له طوعًا زمانًا

(١) كذا في تاريخ الطبري. وفي الأصول: «كسرى بهرحشيش».
 (٢) كذا في تاريخ الطبري وغيره أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي (ص ٧٣٧ طبع أورزغابا).
 وفي الأصول: «فرخ باذ».

يسيرا ثم استعضوا عليه وخالفوه . وكان مُلكه ستة أشهر . وكان أهل اصطخر قد ظفروا بيزدجرد بن شهريار بن أبرويز باصطخر، وكان قد هرب إليها حين قتل شيرويه إخوته . فلما بلغ عظماء أهل اصطخر أن من بالمدائن خالفوا الملك فرُخ زاد خُسرُو أتوا بيزدجرد بيت نار أردشير، فتوجوه هناك وملكوه، وكان حدنا، ثم أقبلوا به الى المدائن وقتلوا فرُخ زاد خُسرُو بجبل احتالوها عليه .

وملك بيزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشيران بن بهرام بن بيزدجرد بن سابور بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك؛ فملك وكان العظماء والوزراء يدبرون الملك لحدائثة سنه، وهو آخر الملوك الساسانية وعليه انقرضت دولتهم، فلم تبق لهم قائمة، وتردد الى بلاد خراسان والى بلاد الترك، وعاد فقتل بمرو من بلاد خراسان في سنة إحدى وثلاثين من الهجرة لسبع سنين خلت من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وكانت مدة ملك بيزدجرد منذ ملك وإلى أن قتل عشرين سنة، إلا أن فيها مدة لا يعد فيها مع الملوك؛ لأنه كان مشردا طريدا على ما نذكر أخباره مفصلة، وكيف فتحت بلاده ومُدنه بلدا بلدا، ومدينة مدينة في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما .

فعدت ملوك الفرس الأولى والساسانية على هذا المساق الذى ذكرناه آثنان وخمسون ملكا منهم ثلاث نسوة . فالفرس الأول عشرون ملكا منهم امرأة واحدة . والملوك الساسانية آثنان وثلاثون ملكا فيهم امرأتان . وذكر بعض المؤرخين أن ملوك الفرس ستون ملكا، وأن مدة ملكهم أربعة آلاف سنة وسبعون سنة وشهورا . والله أعلم .

ذكر أخبار ملوك اليونان وأنسائهم

قد تنازع الناس في اليونانيين، فذهبت طائفة منهم أنهم ينتمون إلى الروم ويضافون إلى ولد إسحاق؛ وقالت طائفة: إن يونان هو ابن يافث بن نوح. وقال آخرون: إنه يافث بن الأصغر. وذهب قوم إلى أنهم من ولد أوراش بن مازان ابن سام بن نوح. وذهب آخرون إلى أنهم من قبيل متقدم في الزمن الأول.

وقال المسعودي: وقد ذكر أن يونان أخو قحطان، وأنه من ولد عابر بن شالخ، وأن أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب، وأنه خرج من أرض اليمن. وكان يونان جباراً عظيماً، وسياً جسيماً. وكان جزل الرأي، كبير الهمة، عظيم القدر. وهكذا ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي في نسب يونان أنه أخ لقحطان، ورد عليه أبو العباس [عبد الله بن محمد] الناشي في قصيدته حيث قال:

أبا يوسف إني نظرت فلم أجد على الفحص رأياً صح منك ولا عقداً
وصرت حكيماً عند قوم إذا أمرؤ بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عهداً
أتقيرن الحاداً بدين محمد لقد جئت شيئاً يا أخا كندة إذا
وتخلط قحطاناً بيونان ضلةً لعمري لقد باعدت بينهما جداً

قيل: ولما كثر ولد يونان خرج يطلب موضعاً يسكنه، فأتى إلى موضع من الغرب، فأقام به هو ومن معه من ولده، وكثر نسله إلى أن أدركه الموت، فجعل

(١) في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٣٧ طبع بلاق): «أوراش بن باوران».

(٢) هذه عبارة المسعودي في مروج الذهب (ج ١ ص ١٣٧ طبع بلاق) وعبارة الأصل: «وإن

أمره كان في الانفصال عن ديار أخيه قحطان وأنه... الخ».

(٣) التلمذة من السعدي.

وصيته إلى الأكبر من ولده وأسمه جريبوش ، وأوصاه بأولاده وتسله ، ومات
وبقى أبنته على مكانه ، وكثر نسلهم فغلبوا على بلاد الغرب من الفريجية والنوكبرد
والصقالبة وغيرهم .

وذكر بطليموس في كتابه : أن أول ملك ملك من ملوك اليونانيين فيلبس
وتفسيره محب الفرس ، وقيل اسمه نفيليس ، وقيل فيلفوس . وكانت مدة ملكه
سبع سنين .

ثم ملك بعده أبنة الإسكندر ذو القرنين وليس هو صاحب الحضرة
الله عنه . والإسكندر هذا هو الذي قتل دارا بن دارا ملك الفرس ، وثرعقد مملكة
فارس ، وقسّر ملوك الطوائف فيما ذكرناه .

وكان سبب قتله لدارا أن سائر الملوك كانت تؤدى الإتاوة إلى ملوك الفرس
منذ دوق يُختصر البلاد ، وذلك لهم الملوك على ما ذكرناه آنفاً في أخبار الفرس ،
ولا حاجة إلى إعادته .

قالوا : وكان فيلبس أبو الإسكندر قد صالح دارا على إتاوة يؤديها إليه في كل
سنة . فلما ولي الإسكندر وظهر أمره ، وكان بعيد الهمة ، فأمتنع أن يؤدى إلى دارا
الخراج الذى كان يحمله أبوه إليه ، فأخط دارا ذلك ، فكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه
بتركه حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج وقال في كتابه : إنما دعاك إلى حبس ذلك
الصبا والجهل ، وبعث إليه بصولجان وكرة وبقيز من السمسم . يُعلمه بذلك أنه

إنما ينبغي لك أن تلعب مع الصبيان بالصولجان ولا تتقلد الملك ولا تلبث به ،
ويُعلمه أنه إن لم يقتصر على ما أمره به وتعاطى الملك بعد أن أمره بأعتزاله بعث
إليه بمن يأتيه به في وثاق . وأن عتده جنوده الذين يبعث بهم إليه كعتده حب السمسم
الذى بعث به إليه .

فكتب إليه الإسكندر في جواب ذلك : أنه قد فهم ما كتب به ، ونظر الى ما أرسله إليه من الصوبلجان والكزة وتبين به لإلقاء الملقى الكزة الى الصوبلجان وإحرازه إياها ، وأنه شبه الأرض بالكزة ، وتفاعل بملكه إياها وأحتوائه عليها ، وأنه يجترأ ملك دارا الى ملكه ، وبلاده الى حيزه ؛ وأنه نظر الى السمسم الذي بعث به كمنظرة الى الصوبلجان والكزة لدممه ، وبعده عن المرارة والحرافة ، وبعث الى دارا مع كتابه بصرّة من تحردل ، وأعلمه في الجواب أن ما بعث به إليه قليل ، غير أن ذلك مثل الذي بعث به في القوة والحرافة والمرارة ، وأن جنوده فيما وصف به منه .

فلما وصل الى دارا جواب كتاب الإسكندر ، جمع جنده وتأهب لحربه وسار نحو بلاده ، وتأهب الإسكندر أيضا للقائه وسار نحو دارا ، فألتقيا جميعا بأرض الجزيرة وأقتتلا سنة ، وقد كان دارا مله قومه وأحبوا الراحة منه ، فلحق كثير من وجوه الفرس بالإسكندر وأطلعوه على عورة دارا وقوّوه عليه ، ثم وثب على دارا حاجباه فقتلاه وتقرّبا رأسه إلى الإسكندر ، فلما أتوه بها أمر بقتلهما وقال : هذا جزاء من تجرأ على ملكه .

وقد ذكر أنه سبق إليه أسير عذر به صاحب شُرطته ، فقال له الإسكندر : بما أجترأ عليك صاحب شُرطتك ؟ قال : بتركي تربيته وقت إساءته ، وإعطائي إياه وقت الإحسان باليسير من فعله نهاية رغبته ، فقال الإسكندر : نعم العون على إصلاح القلوب الموعرة الترغيب بالأموال ، وأصلح منه الترهيب وقت الحاجة ، ثم أمر الإسكندر بقتله .

(١) الحرافة : طعم يحرق اللسان والفم .
(٢) المراد بأرض الجزيرة : بلاد الجزيرة الحالية التي عاصمتها بغداد . وقد سميت الوقعة التي ألتحم فيها الجيشان (سنة ٣٣١ ق م) وقعة إربل لقرب ميدان الحرب من تلك المدينة (راجع تاريخ اليونان للإحوم محمود فهمي ص ٢٤٣ طبع مصر) .

وقد قيل : إنه لما هزمه الإسكندر فتر جريحا فخرج في طلبه في ستة آلاف حتى أدركه ، ثم لم يلبث دارا أن هلك ، فأظهر الإسكندر عليه الحزن ودقنه في مقابر الملوك .

وقيل : إن الإسكندر كان قد نادى ألا يُقتل دارا وأن يُوسر . فلما علم الإسكندر بما تم على دارا سار حتى وقف عنده [فرآه يحسود بنفسه] فنزل [الإسكندر] عن دابته وجلس عند رأسه ، وأخبره أنه ما أمر بقتله ، وأن الذي أصابه لم يكن عن رأيه . وقال : سئى ما بدا لك فإني أسعفك به ، فقال له دارا : لى اليك حاجتان : إحداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين قتلانى وسمأهما له ، والأخرى أن تترجج أبنتى روشنك ، فأجابته الى ذلك ، وأمر بصلب الرجلين اللذين فتكا بدارا . ويقال : إن الرجلين اللذين قتلاه إنما فعلا ذلك عن رأى الإسكندر ، وأنه كان شرط لهما شرطا على قتله ، فلما طعناه دفع اليهما ما كان شرطه لهما ثم قال : قد وقَّيت لكما بالشرط ولم تكونا شرطتما لأنفسكما وأنا قاتلكما لا محالة ، فإنه ليس ينبغي لقتلة الملك أن يُستبقوا إلا بذمة لا تُخفَّر ، فقتلتهما وصلبهما .

(١) المعروف في كتب التاريخ أنه بعد انتصار الاسكندر واحتلاله مدينة بابل قرر الاسكندر متابعة الزحف جهة الشمال للقبض على دارا والقضاء على دولته ، فخرج دارا من قلب مملكته طريدا شريدا هائما على وجهه طالبا النجاة بنفسه والاسكندر لم يغمض عينيا ولم يهدأ بالامادام لم يقبض عليه . ذلك لعله بأنه قادر على المقاومة إما في الشمال من حضبة إيران ، وإما فيما وراء جبال باراميساذس في سهول التركستان الفسيحة لأن سكان تلك الأقاليم الواقعة بين بحر قزوين وبحيرة آرال وبين نهري سيحون وجيحون يعترفون للملك الفرس بالسيادة عليهم .

وينا الإسكندر يقتضى أثره ، ويتبع خطاه اذ علم بأن المرزبان فسوس قبض عليه وقتله بالقرب من هيكاتمبل لحزن لذلك حزنا شديدا ، واحتفل بتشييع جنازته احتفالا مهيبا ، وتدع القاتل حتى أدركه فيما بين النهريين وسله الى آل دارا فقتلوه شرقتة . (راجع تاريخ اليونان ص ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٢) التكملة من تاريخ الطبرى (ص ٦٩٦ من القسم الأول طبع أوروبا) .

ويقال : إن الإسكندر في الأيام التي نازل فيها دارا كان يسير إليه بنفسه على أنه رسولٌ فيتوسط العسكر ويعرف كثيرا مما يحتاج إليه ، فكان دارا يستحسن سمته ، ويحسن صلته ومجازاته ، ثم آتمه ، وأحسن الإسكندر بذلك فما عاد إليه بعدها .

ذكر شىء من مكاييد الإسكندر وحيله في حروبه

- من ذلك أنه لما ألتقى بدارا يوم الحرب أمر مناديه فنادى : يا معشر الفرس ، قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات ، فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل عن العسكر وله منا الوفاء بما ضمنناه ، فآتمت الفرس بعضها بعضا ، وكان ذلك أول اضطراب حدث فيهم .

- ومن ذلك أنه لما شخّص عن فارس الى أرض الهند تلقاه ملكها قور في جمع عظيم من الهنود ومعه ألف فيل عليها المقاتلة بالسلاح وفي خراطيمها السيوف والعمد ، فلم تقف لها دواب الإسكندر وفزت فكانت الهزيمة عليه ، فلما بلغ الإسكندر مأمنه أمر بأخذ قبلة من نحاس مجوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألفتها ، ثم أمر فليئت نفضا وكبريتا ، وألبسها الدروع وجرت على العجل ، وعادود حرب الهند ، وجعل بين كل تماثيل جماعة من أصحابه . فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النيران في أجواف تلك التماثيل وأنكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند ، فخرجت

٧٠
١٣

(١) كذا ورد في هذا الكتاب (ج ١٤ ص ٣٢١ من هذه الطبعة) ومروج الذهب للسعودي

(ج ١ ص ٣٩ طبع بلاق) . وورد في هذا الموضع في نسخة (١) باسم : « ذر » . وفي نسخة (ب)

باسم : « فوز » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للتعالي (ص ٤١٦ طبع باريس سنة ١٩٠٠) :

« فوز » .

(٢) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « فنقدم بصنعة تماثيل مجوفة من النحاس والحديد تحكى

صور الرجال » .

النيران من نخراطيم التماثيل فوأت القبيلة مُدْبِرَة ورجعت على أصحابها ، فكانت الدائرة على الهند وقتل ملكهم قور .

ومما يُحْكِي عنه أنه نزل على مدينة حصينة فتحصن فيها أهلها ، فعترف خبرها فقيل له : إن فيها من الميرة ما يكفيهم زمنا طويلا ، وإن بها من العيون والأنهار ما لا يقدر على قطعه ، فارتحل عنها ودس جماعة من التجار متكرّين ، فدخلوها وأمدهم بالأموال الكثيرة ، وأمرهم أن يتناوعوا الأقوات ويغالوا في آثانها ، ففعلوا ذلك حتى حازوا أكثر ما فيها . فلما علم الإسكندر بذلك كتب اليهم يأمرهم بإحراق ما حصلوه من الأقوات وأن يهربوا ، ففعلوا كما أمرهم ، وعاد إلى المدينة وحاصرها وزحف عليها فأعطوه الطاعة وملك المدينة . وكان إذا أراد أن يحاصر مدينة شرد من حولها من أهل القرى وتهتددهم بالسبي فليجأوا إلى المدينة ويعتصموا بها ، فلا يزال كذلك حتى يعلم أنه قد دخلها أضعاف أهلها وأسرعوا في الميرة فيحاصروهم حينئذ فيفتح المدينة .

ومما يُحْكِي عنه أنه كتب إلى معلمه أرسطاطاليس^(١) ، وكان الإسكندر يشاوره في كثير من أموره ، ويقتدى بأرائه ، ويعمل بما يشير به عليه ولا يعدل عنه . وأرسطاطاليس هذا هو تلميذ أفلاطون ، وأفلاطون صاحب الفراسة تلميذ سقراط .

(١) هو أعظم الحكماء الأقدمين ورأس الفلاسفة المعروفين بالمشائين لأنه كان من عاداته إلقاء الدروس على تلاميذه في بستان وهو يمشى ، ومن هنا سمي مشاء ، وسمي أتباعه بالمشائين . ويعرف بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، وقد اختاره فيليب أستاذا لابنه الإسكندر وأرسل إليه خطابا يقول فيه : « إنني لأهني نفسي بولادة أبني بمقدار ما أهنتها بولادته في أيامك » . وكان الإسكندر في السنة الثالثة عشرة من عمره . فعلمه وهذبه . وكان له منزلة ونفوذ عند فيليب وأبنته وأقام على ذلك سنين عديدة (راجع تاريخ اليونان لمرحوم محمود فهمي) .

ويُحكى عن أفلاطون أنه كان يصوّر له صورة إنسان لم يره قط ولا عرفه فيقول :
صاحب هذه الصورة من أخلاقه كذا ، ومن هيئته كذا ، فيكون الرجل كما أخبر
عنه ، فيقال : إنه صوّر له صورة نفسه ، فلما عاينها قال : هذا رجل محبّ في الزنا
فقيّل له : إنها صورتك ، فقال : نعم أنا كذلك ، ولولا أنى أملك نفسى لفعلت
وإنى لمحّب فيه .

نرجع إلى أخبار الإسكندر فيما كتب به الى أرسطاطاليس وما أجابه به قالوا : إنه
كتب اليه يخبره أن في عسكره من الروم جماعة من خاصته لا يأمنهم على نفسه لما يرى من
بُعدِهِمِهم في شجاعتهم وكثرة آلتهم ، وأنه لا يرى لهم عقولا تفي بتلك الفضائل التي تمنعهم
من الإقدام والجُرأة عليه ، وأنه يكره الإقدام عليهم بالقتل بمجرد الظّنة مع وجوب
الحُرمة .

فكتب إليه أرسطاطاليس : قد فهمتُ كتابك ، وما وصفت به أصحابك .
أما ما ذكرت من بُعدِهِمِهم فإنّ الوفاء من بُعد الهمة . وأما ما ذكرت من شجاعتهم
ونقص عقولهم عنها ، فمن كانت هذه حاله فرّفه في معيشته وأخصّصه بحسّان
النساء ، فإنّ رفاهية العيش تُوهن العزم ، وتوجب السلامة ، وتباعد من ركوب
الخطر والغرر ، وليكن خُلُقك حسنا تخلص اليك النيات ، ولا تتناول من لذيق
العيش ما لا يمكن أوساط إخوانك مثله ، فليس ينبغي مع الاستئثار محبة ، ولا مع
المواساة بغضة . وأعلم أنّ المملوك إذا اشتري لم يسأل عن مال مولاه ، وإنما يسأل
عن خلقه .

(١) الفرر (محرّكة) : التعريض للهلكة .

وكتب إليه الإسكندر يُعلمه أنه شاهد بإيران شهر رجلا ذوى أصالة في الرأي ،
وجمال في الوجوه ، ولهم مع ذلك صرامة وشجاعة ، وأنه رأى لهم هيئات وخلقا
لو كان عرف حقيقتها لما غزاهم ، وأنه إنما ملكهم بحسن الاتفاق والبيعت ،
وأنه لا يأمن إذا ظعن عنهم وثوبهم ولا تسكن نفسه إلا بيوارهم .

فكتب إليه أرسطاطليس : فهمت كتابك في رجال فارس ، فأما قتلهم فهو
من الفساد في الأرض ، ولو قتلتمهم لأثبتت أرض فارس أمثالهم ، لأن إقليم بابل
يولد أمثال هؤلاء الرجال من أهل العقل ، والسداد في الرأي ، والاعتدال
في التركيب ، فصاروا أعداءك وأعداء عقبك بالطبع ، لأنك تكون قد وترت القوم
وكثرت الأحقاد على أرض الروم منهم ومن بعدهم ، وإخراجك إليهم في عسكريك
مخاطرة بنفسك وأصحابك ، ولكني أشير عليك برأى هو أبلغ لك في كل ما تريد من
القتل وغيره ، وهو أن تستدعي أولاد الملوك منهم ومن يستصلح للملك ويترشح له ،
فتقلدهم البلدان وتوليهم الولايات ليصير كل واحد منهم ملكا برأسه ، فتتفرق
كلتهم ، ويجتمعوا على الطاعة لك ، ولا يؤدي بعضهم إلى بعض طاعة ، ولا يتفقوا
على أمر واحد ، ولا تجتمع كلتهم . ففعل الإسكندر ذلك ، فتم أمره وأمكنه أن
يتجاوز أرض فارس إلى أرض الهند حتى قتل ملكها مبارزة بعد حروب عظيمة .
ثم صار إلى أرض الصين وطاف مما يلي القطب الشمالي ورجع إلى العراق فمات
في طريقه بشهرزور ، ويقال : بل في قرية من قرى بابل . وكان عمره ستا وثلاثين

٧١
١٣

(١) إيران شهر : هي بلاد العراق وفارس والجزبال ونخاسان يجمعها كلها هذا الاسم (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) شهر زور : بلدة بين الموصل وبين همدان ، بناها زور بن الضحاك قبيل شهر زور ، ومعناه مدينة الضحاك (تقويم البلدان لأبي الفدا) .

سنة . وفي بعض النسخ ثلاثا وثلاثين سنة . وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وشهورا .
وقيل : سبعة عشر سنة . وقَتَلَ دارًا في السنة الثالثة من مُلكه .

قال : وبني الإسكندر أمتى عشرة مدينة وسمّاها كلّها الإسكندرية منها : مدينة
جى بأصهان ، وثلاث مُدن بخراسان وهي : هَرَاة ^(٢) ومرو ^(٣) وسمرقند . وبني بارض ^(٤)
بابل مدينة لروشنك . وبني بارض يونان سبع مُدن .

ومن عجيب ما قيل في نسب الإسكندر : أنه من ولد دارا الأكبر ، وأنه
أخو دارا الأصغر ، وذلك أن دارا الأكبر بن أردشير تزوج بنت ملك الزنج هَلّاي ،
فلما حملت منه استجبت رِيحها ، فأمر أن تحتمل لذلك ، فكانت تغتسل بماء السندروس ^(٥)
فأذهب ذلك كثيرا من دفرها ، ثم عافها وردّها [إلى أهلها] ^(٦) وقد علقت منه
بالإسكندر فقيل له الإسكندروس . هذا ما نقله عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم ^(٧)

(١) جى (بالفتح ثم التشديد) : اسم مدينة ناحية أصهان القديم ، وهي الآن كالخراب مفردة ،
وتسمى الآن عند العجم : شهرمتان وعند المحدثين المدينة . وفيها مشهد الراشد بن المسترشد معروف بزار ،
وهي على شاطئ نهر زندرود (راجع معجم البلدان لياقوت) وورد في تاريخ الطبري (ص ٧٠٢ من
القسم الأول طبع أوربا) أنها بنيت على مثال الجنة .

(٢) هرة : كانت مدينة عظيمة مشهورة بخراسان غربها التستر ، فتحت في زمان عثمان رضي الله
عنه . (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا) .

(٣) هي مرو الشاهجان ، ومعناه روح الملك . وهي مدينة عظيمة مشهورة بالقواكه . وبينها وبين
كل واحد من نيسابور ، وهرة ، وبلخ وبخارا ، مسيرة اثني عشر يوما (راجع تقويم البلدان) .
(٤) هي روشنك بنت دارا .

(٥) في شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٥ طبع أوربا) : «حملت اليه» .

(٦) السندروس : صمغ أصفر يشبه الكهربا . في قوته إلا أنه أرنخ منه وفيه شيء من مرارة ، وله
عدة فوائد شرحها ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٣٨) .

(٧) الدفر (بسكون الفاء وفتحها) : بحيث الرائحة .

(٨) التكلّة من شرح قصيدة ابن عبدون .

بكامة الزهر وصدفة الدر، قال : وأختلف في مدته فذكر الخوارزمي في تاريخه
أنه [كان] قبل الهجرة بتسمائة سنة ، وثلاث وثلاثين سنة . وذكر أبو محمد
ابن قتيبة في كتاب المعارف : أن بينه وبين الهجرة أربعين سنة . والله أعلم
بالصواب .

ذكر شيء من أخبار الإسكندر

وما آتفق له مع ملكي الهند والصين

فأما خبره مع ملك الهند قال عبد الملك بن عبدون : إن الإسكندر لما دوح
البلاد وقهر الملوك سار نحو الهند وقتل ملكها الأعظم فوراً صاحب مدينة المانكير.^(٤)
فلما دانت له ملوك الهند بلغه أن بأقصى ديارها ملكاً من ملوكها ذا حكمة وسياسة
وإنصاف لرعيته ، وأنه ليس في بلاد الهند من فلاسفتهم وحكائمهم مثله يقال له

(١) ويسمى هذا الكتاب أيضاً : « كامة الزهر وفريدة الدهر » ويسمى أيضاً : « شرح البسامة
بأطواق الحمامة » وهو شرح للعلامة أبي مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدر بن الحضرمي السبتي من
أدباء النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، على القصيدة الرائية المسماة بالبسامة بأطواق الحمامة
المنسوبة للوزير أبي محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري ، وزير بني مسleme ، المعروفين ببني الأفلس
بالأندلس ، المتوفى سنة ٥٢٠ هـ التي رثى بها ملوك بني الأفلس ، وذكر فيها من أباده الحدتان من
ملوك كل زمان ، وضمنها حكماً ومواعظ وأخلاقاً أدبية . وأول القصيدة :

الدهر يجمع بعد العين بالأنثى
فما البكاء على الأشباح والصور

وقد طبع هذا الكتاب بمدينة لندن سنة ١٨٤٦ م وعنى بتصحيحه المسيو ريتورت ديزي . ويعرف
بشرح قصيدة ابن عبدون .

(٢) التكملة من شرح قصيدة ابن عبدون .

(٣) في كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٢٨ طبع أوروبا) ما نصه : « وكان بين الإسكندروس وبين
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نحو من تسعمائة سنة » وهو يخالف ما ذكره المؤلف .

(٤) هذه المدينة يقال لها بالهر باسم ملك من ملوك الهند يقال له بالهر وكان يقيم فيها (راجع معجم
البلدان لياقوت ج ٣ ص ٤٤٤ طبع أوروبا) .

كند كان، وأنه قاهر لنفسه مانع [لها] من الشهوة الغضبية، فكتب إليه الإسكندر كتابا يقول فيه: أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائما فلا تقعد، وإن كنت ماشيا فلا تلتفت حتى تدخل في طاعتي، وإلا مزقتُ مُلكك وألحقكُ بمن مضى من ملوك الهند من قبلك.

- ٥ فلما ورد عليه الكتاب أجاب بأحسن جواب، وخاطبه بملك الملوك، وأعلمه أنه قد اجتمع عنده أشياء لم تجتمع عند غيره مثلها: فمن ذلك آبنة له لم تطلع الشمس على أحسن منها؛ وفيلسوفٌ يخبرك بمرادك قبل أن تسأله لحدّة مزاجه وحسن قريحته، وأعداله في نيته، وآتساعه في علمه؛ وطبيبٌ لا يُخشي عليه معه داء ولا شيء من العوارض إلا ما يطرا من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية، وحلّ العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسي، وإذا كانت بنية الإنسان وهيكله قد نُصبا في هذا العالم غرضا للآفات والخوف والبلايا؛ وقدح إذا ملأته شرب منه عسكري بجمعه ولا ينقص منه شيء، وإني منفذ جميع ذلك إلى الملك وصائر إليه.

- ١٥ فلما قرأ الإسكندر كتابه قال: كون هذه الأشياء عندي ونجاة هذا الحكيم من صوّلتني أحب إليّ من ألا تكون عندي ويهلك. فأنفذ إليه الإسكندر جماعة من الحكماء اليونانيين والروم في عدّة من الرجال وتقدم اليهم أنه إن كان قد صدق فيما كتب به إليّ فأحملوا ذلك إلى عندي وأتركوه في موضعه، وإن تبينتم الأمر على خلاف ذلك، وأنه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به فقد نرج عن حدّ الحكمة فأشخصوه إليّ. فلما انتهوا إلى مملكة الملك نرج اليهم وتلقاهم بأحسن لقاء، وأترطهم بأحسن منزل. فلما كان في اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكاء دون من كان معهم من المقاتلة. فقال بعضهم لبعض: إن صدقنا في الأول صدقنا فيما بعد ذلك مما ذكر.

(١) التكلة من شرح قصيدة ابن عبدون.

فلما أخذت الحكماء مراتبها وأستقرت بها مجالسها أقبل عليهم مباحثا في أصول العلوم الفلسفية وفروعها ، وعلى كم فن يحتوي العلم الفلسفي في أصوله ، وإلى كم يتفرع .

قال عبد الملك بن عبد الله بن عبدون - رحمه الله - : وقد ذكر أن العلم الفلسفي ينقسم على أربعة أنواع : أحدها الرياضيات ، والثاني المنطقيات ، والثالث الطبيعيات ، والرابع الإلهيات . قال :

فأما الرياضيات فأربعة أنواع : الواحد علم الحساب ، والثاني علم الهندسة ، والأصل فيه النقطة ، وهي فيه كالواحد في علم الحساب ، والثالث علم النجوم ، والرابع علم الموسيقى ، وهو علم تأليف الألحان .

وأما العلوم المنطقيات فخمسة أنواع : الواحد معرفة صناعة الشعر ، وأنواع البديع كالتكافؤ والتفريع والحشو والتبعية والتسميط والترصيع والالتفاتة والإشارة والمقابلة والأستعارة والتبليغ والتلويح والتصدير والتوشيح والتجنيس والتضاد والترديد والأستطراد والتقسيم والتسميم والإحالة والتتميم . والثاني معرفة صناعة الخطابة . والثالث صناعة الحدل . والرابع صناعة البرهان . والخامس صناعة المغالطين في المناظرة والحدل .

وأما العلوم الطبيعيات فسبعة أنواع : الواحد علم المبادئ الجسمانية ، وهي خمسة أشياء : الهَيُولَى والصورة والزمان والمكان والحركة . والثاني علم السماء والأرض ، وهو معرفة ماهية جواهر الأفلاك والكواكب وكيفية تركيبها وعلة دورانها ، وهل تقبل الكون والفساد كما تقبل الأركان الأربعة التي دون فلك القمر أولا ، وما علة حركات الكواكب وأختلافها في السرعة والإبطاء ، وما علة سكنون الأرض في وسط الفلك في المركز ، وهل خارج العالم جسم آخر أم لا . وهل

في الكون والفساد موضع فارغ لا شيء فيه، وما شا كل هذه المباحث . والثالث علم الكون والفساد وهو علم معرفة جواهر الأركان [الأربعة ^(١)] التي هي النار والهواء والماء والأرض . والرابع علم حدوث الجواهر بتغيرات الهواء وتأثيرات الكواكب بحركاتها ومطرح شعاعاتها على الأركان الأربعة وأنفعالاتها بعضها ببعض بقدره الله تعالى . والخامس علم المعادن التي تنعقد من البخارات المختنقة في بطن الأرض والعصارات المتحللة من الهواء . والسادس علم النبات على اختلاف أنواعه في هيأته وأشكاله واختلاف صموغه وطعومه وخواصه وروائحها ومنافعها ومضارها . السابع علم الحيوان ، وهو معرفة كل جسم يقتضى ويحس ويعيش ويتحرك على اختلاف أنواعه ، وما شا كل ذلك مما ينسب الى علم الطبيعيات كعلم الطب والبيطرة وسياسة الدواب والسيبوع والطيور والحمرث والنسل وعلم الصنائع أجمع داخل في علم الطبيعيات .

وأما العلوم الإلهيات فخمسة أنواع ؛ أولها : معرفة البارئ سبحانه وتعالى بجميع صفاته ، وأنه أول كل شيء وآخر كل شيء ، والخالق لكل شيء ، والعالم بكل شيء ، وأنه ليس كمثل شيء . والثاني علم الروحانيات من الجواهر البسيطة العقلية ، وهي الصورة المجردة من الهيوالى المستعملة للأجسام المطهرة ، ومعرفة ارتباط بعضها ببعض ، وقبض بعضها عن بعض ، وهي أفلاك روحانية تحيط بأفلاك جسمانية . والثالث علم النفوس والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية من لذن الفلك المحيط الى منتهى مركز الأرض . والرابع علم السياسة وهي خمسة أنواع ؛ أولها : السياسة النبوية ، والسياسة الملوكية ، والسياسة العاقية والسياسة الخاصة والسياسة الذاتية . فأما السياسة النبوية فالله تبارك وتعالى يختص بها من يشاء من

٧٣

١٣

(١) التكملة من شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٨ طبع أوربا).

عباده ويهدى لأتباعهم من يشاء لا معقّب لحكمه ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .
وأما السياسة المملوكية فهي حفظ الشريعة على الأمة وإحياء السنة والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر . وأما السياسة العاقبة فهي الرياضات على الجماعات كرياضة
الأمرء على البلدان وقادة الجيوش وترتيب أحوالهم على ما يجب وينبغي من الأمور
وإتقان التدبير . وأما السياسة الخاصة فهي معرفة كل إنسان بنفسه ، وتديره
أمر غلمانه وأولاده ، ومن يليهم من أتباعه وقضاء حقوق الإخوان . وأما السياسة
الذاتية فهي أن يتفقد الإنسان أفعاله وأحواله وأخلاقه وشهوته فيزقيها بزمام عقله ،
وغضبه فيرده وما شا كل ذلك . والخامس من العلوم الإلهيات علم المعاد وكيفية
آبعاث الأرواح وقيام الأجساد وحشرها للحساب يوم الدين ، ومعرفة حقيقة جزاء
المحسين وعقاب المسيئين .

نرجع إلى خبر الملك الهندي مع أصحاب الإسكندر ، قال : ولما تكلم مع الحكماء
اليونانيين في العلوم الفلسفية وطال الخطب في مناظرتهم أخرج الجارية إليهم ، فلما
ظهرت لأبصارهم لم يقع طرف كل واحد منهم على عضو من أعضائها فتعدى
ببصره إلى غير ذلك العضو اشتغالا بحسنه عما سواه حتى خاف القوم على عقولهم ،
ثم رجعوا إلى أنفسهم وقهروا سلطان هواهم ، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد
به وصر فهم ، وبعث بالفيلسوف والطبيب والجارية والتدح [معهم]^(١) .

فلما وردوا على الإسكندر أمر بإتزال الفيلسوف والطبيب ، ونظر إلى الجارية
فغار عند مشاهدتها ، فأمر قيمة الجوارى بالقيام عليها ، ثم صرف همته إلى الفيلسوف
والطبيب وإلى علم ما عندهما ، وقص عليه الحكماء ما جرى لهم مع الملك الهندي من

(١) التكملة من شرح قصيدة ابن عبدون (ص ٢٠) .

المباحث في العلوم الفلسفية ، فأعجبه ذلك وتأقل أغراض القوم ومقاصدهم ، وأقبل ينظر في مطاردة الهند يعالها في معلولاتها ، وما يصفه اليونانيون أيضا من عالها في معلولاتها على حسب ما قدمت من أوضاعها ، ثم أراد محنة الفيلسوف على حسب ما خبر عنه ، فأجال فكره فيما يختبره به ، فدعا بقَدَحٍ فِلاَه سَمْنَا ولم يجعل للزيادة عليه موضعا ، ودفعه لرسول وقال : احمل هذا إلى الفيلسوف ولا تكلمه بشيء ، فلما دفعه إليه دعا الفيلسوف بألف إبرة ففرزها في السمن وصرفه إليه ، فأمر الإسكندر بضرب تلك الإبر كُرَّةً متساوية الأجزاء وردّها إليه ، فأمر الفيلسوف بسطحها وجلاتها حتى صارت جسما تردّ صورة مقابلها لصفتها وردّها إلى الإسكندر ، فدعا بطست وجعل تلك المرآة فيه وصب عليها الماء حتى غمرها وردّها إليه ، فأخذها الفيلسوف وعمل منها طَرَجَهارة طافية على الماء وصرفها إليه ، ففلاها الإسكندر ترابا وردّها إليه ،^(١) فلما نظر الفيلسوف إلى التراب تغير لونه وبكى ثم ردّها إلى الإسكندر ولم يضع فيها شيئا .

فلما كان في اليوم الثاني جلس الإسكندر جلوسا خاصا ودعا بالفيلسوف ، ولم يكن رآه قبل ذلك اليوم ، فلما أقبل نظر الإسكندر [من الفيلسوف] إلى رجل طويل الجسم رَحِبَ الجبين معتدل البنية فقال في نفسه : هذه بنية تضاد الحكمة ، فإذا اجتمع له حُسن الصورة والفهم كان أوحد زمانه ، فأدار الفيلسوف إصبعه حول وجهه ثم وضعه على أرنبة أنفه وأسرع نحو الإسكندر وحيّاه بتحية الملك ، فأشار إليه بالجلوس وقال : لم أدرت إصبعك حول وجهك ووضعها على أرنبة

(١) طرجهارة ويقال لها : طنجهارة من كلمة تركهار الفارسية : نوع من الصفحات أو الصحون

يقطع عليها اللبن المتجمد (راجع قاموس دوزي) .

(٢) التكلمة من شرح قصيدة آبن عبدون (ص ٢١) .

أنفك؟ قال : علمتُ أنك تقول في نفسك، إذا نظرت إلى حُسن صورتي وإتقان
بُنيتي قلما تجتمع هذه الحُلقة مع الحكمة، وإذا كان على هذا كان صاحبها أوحداً
زمانه، فأريتك مصداقاً لما سَنَحَ لك أنه كما ليس لك في الوجه إلا أنفٌ واحدٌ
فكذلك ليس في ديار الهند على هذه الصفة أحدٌ غيري .

٧٤

١٣

فقال الإسكندر : حَسَنٌ ما آتيتَ به ! فما بالك حين بعثتُ اليك بالقدح السمن
غرزتَ فيه الإبر ورددته؟ قال الفيلسوف : علمتُ أنك تقول إن قلبي قد امتلأ
علما فليس لأحد فيه مستراد، فأعلمتُك أن علمي سيزيد فيه كما زادت هذه الإبر
في هذا السمن . قال : فما بالك حين عمَلتُ لك الإبر كُرَّةً صنعتَ منها مرآةً صقيلةً
وصرفتها إلى؟ قال الفيلسوف : علمتُ أنك تقول إن قلبي قد قسا من سَفَكِ الدماء
وأشتغل بهذا العالم فلا يقبل العلم ولا يرغب فيه، فأخبرتُك أني سأعمل الحيلة في ذلك،
كما جعلتُ من الكُرَّةِ مرآةً مُوريةً للأجسام . قال : فما بالك حين جعلتها لك
في الطست وصببتُ عليها الماء جعلتها طُرْجَهارةً طافيةً على الماء؟ قال الفيلسوف :
علمتُ أنك تقول إن الأيام قد قُصرت والأجل قريب، ولا يُدرك العلم الكثير
في المهل القليل، فأخبرتُك أني سأعمل الحيلة فيه في غير مدة طويلة، كما جعلتُ
هذه المرآة الراسبة طافيةً في أسرع وقت . قال : فما بالك حين ملأتُ ذلك الإناء
ترايا رددته إلى ولم تُحدث فيه شيئا؟ قال : علمتُ أنك تقول : ثم الموت، وأنه لا بد
منه، فأخبرتُك أن لا حيلة في ذلك . قال الإسكندر : قد أجبتي على مُرادى
في جميع ذلك ولأحسن إلى الهند من أجلك، وأمر له بجوائز كثيرة . فقال له
الفيلسوف : لو أجهتُ المال لَمَّا كُنْتُ عالما، ولستُ أُدخِلُ على علمي
ما يضاذه، فإن القنية تُوجب الخدمة، وقد ملكتُ أيها الملك الرحيم بسيفك أجسام
رعيتك فأملك قلوبهم بإحسانك فهو خزانة سلطانك، وأحذر العامة فإنها إذا قَدَّرت

٥

١٠

١٥

٢٠

أن تقول قَدَرْتُ أن تفعل فأحترز من أن تقول تأمن أن تفعل ، فالملك السعيد من ملك الرعية بالرغبة والرغبة ، وأشبه الأشياء من أفعال الناس بأفعال بارئهم الإحسان ، نفيته الإسكندر في المقام معه ، أو الأنصراف إلى بلاده ، فاختر الرجوع إلى موضعه .

وأما القدح فله ماء ثم أورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيئا ، فيقال

- ٥ إنه كان معمولا من خواص الهند الروحانية مما تدعيه الهند ، ويقال إنه كان لآدم أبي البشر عليه السلام ، مبارك له فيه حين كان بأرض سمرنديب ، فوُرت عنه إلى أن انتهى إلى هذا الملك الهندي .

وأما الطيب فإنه كان له معه منظرات دلت على ثبوت قدمه في علمه ، وأنه

كما وصف صاحبه أو كاد . هذا خبره مع ملك الهند .

١٠

+

وأما خبره مع ملك الصين ، قال أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه

في كتابه المترجم بتجارب الأمم : وفي الرواية الصحيحة أن الإسكندر لما انتهى إلى بلاد الصين أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال : هذا رسول ملك الصين بالباب يستأذن في الدخول عليك ، قال : أدخله ، فأدخله فوقف بين يدي الإسكندر

- ١٥ وسلم ثم قال : إن رأى الملك أن يستخيلني فعل ، فأمر الإسكندر من بحضورته أن ينصرفوا ، فانصرفوا كلهم عنه وبقى حاجبه فقال : إن الذي جئت له لا يحتمل

أن يسمعه غيرك ، فأمر الإسكندر أن يُقنَّش ففتش ، فلم يجد معه سلاحا ، فوضع بين يديه سيفا مسلولا وقال له : قف مكانك وقُل ما شئت ، وأخرج الحاجب ومن كان قد بقي عنده ، فلما خلا المجلس قال له : أنا ملك الصين لا رسوله ،

- ٢٠ جئت لأسالك عما تريد ، فإن كان مما يمكن عمله ولو على أصعب الوجوه عملته

وأغنيك عن الحرب ، فقال له الإسكندر : وما الذي آمنك مني ؟ قال : علمي بأنك عاقلٌ حكيمٌ ، ولم تك بيننا عداوةً ولا مطالبةً بدخُلٍ^(١) ، وأنت تعلم أنك إن قتلتنى لم يكن ذلك سبباً لتسليم أهل الصين إليك مُلْكهم ، ولم يمنعهم فتلى من أن ينصبوا لأنفسهم ملكاً غيرى ثم تنسب [أنت] إلى غير الجميل وضد الحزم . فأطرق الإسكندر وعلم أنه رجلٌ عاقلٌ ، ثم قال له : إن الذي أريد منك ارتفاع مملكتك^(٢) لثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاع مملكتك لكل سنة . قال : هل غير هذا ؟ قال لا ، قال : قد أجبته ، ولكن سألني كيف تكون حالك ، قال : كيف تكون ؟ قال : أكون أول قتيلٍ محارب ، وأول أكيلةٍ مفترس . قال : فإن قنعتُ منك بارتفاع سنتين . قال : أكون أصلح قليلاً وأفسح مدة . قال : فإن قنعتُ بارتفاع سنة . قال : يكون في ذلك بقاءٌ ملكي ، وذهابٌ لجميع لذتي . قال : فإن قنعتُ منك بثلاث الأرتفاع كيف تكون حالك ؟ قال : يكون السدس للفقراء ومصالح العباد ، ويكون الباقي لجيشي ولسائر أسباب الملك . قال الإسكندر : قد آقتصرتُ منك على هذا ، فشكره وأنصرف .

٧٥
١٣

فلما طلعت الشمس أقبل جيش الصين وقد طبق الأرض وأحاط بجيش الإسكندر حتى خافوا الهلاك ، وتواثب أصحابه فركبوا الخيل وأستعدوا للحرب بعد

(١) الذحل : النار . (٢) التكلة عن كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٧) .

(٣) عبارة كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٧ — ٤٣٨) « إن الذي أريد منك

ارتفاع مملكتك في خمس سنين فقال : هل تريد شيئاً غير ذلك ؟ قال : لا ؛ قال : قد أجبته إليه ؛

قال : فكيف تكون حالك حينئذ ؟ قال أكون قتيل أول محارب ، وأكبل أول مفترس ؛ قال : فإن قنعت

منك بارتفاع ثلاث سنين كيف تكون حالك ؟ قال : تكون أصلح من ذلك وأفسح ؛ قال : فإن قنعت

منك بارتفاع سنة واحدة ؛ قال : يكون ذلك سداداً لأمر ملكي ، وذهاباً لجميع لذاتي ... الخ » .

(٤) في كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « لحاشيتي » .

٥

١٠

١٥

٢٠

الأمن والطمانينة إلى السلم . فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين وهو راكب وعليه التاج ، فلما تراءى الجمعان نظر الإسكندر إلى ملك الصين فظن أنه حضر للحرب ، فصاح به : أغدرت ؟ فترجل ملك الصين وقال : لا والله ، قال : فأذن متى فدنا منه ، فقال له الإسكندر : ما هذا الجيش الكثير ؟ فقال : إني أردت أن أريك أنني لم أطعك من قلة وضعف ، ولكنني رأيت العالم العلوي مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو أقوى منك وأكثر عددا ، ومن حارب العالم العلوي غلب ، فأردت طاعته بطاعتك ، والتذلل له بالتذلل لك ، فقال الإسكندر له : ليس مئلك من يسأم الذل ، ولا من يؤدي الجزية ، فما رأيت بنى وبين الملوك من يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك . فقال ملك الصين : ولست تخسر [إذا]^(١) ثم أنصرف عنه الإسكندر . فبعث إليه ملك الصين بضعف ما قتر معه وأنصرف عن الصين .^(٢)

كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر

قال : لما توفي الإسكندر جعل في تابوت من الذهب ، واجتمع الحكماء فتقدم الأول فقال : قد كان الإسكندر يخبأ الذهب ، وقد أصبح الآن يخبؤه الذهب . وتقدم الثاني إليه والناس يبكون ويجزعون فقال : حركنا بسكونه . وتقدم

(١) التكة من كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وغيرهم (ص ٤٣٩) .

(٢) ورد في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٩) الأشياء التي بعث بها ملك الصين إلى

الإسكندر وهي : « ألف حريرة وألف فسرند وألف ديباجة وألف من فضة ومن كل من جلود السمور

والفلك والفاقم والسنباب وانز ألف جلدة وألف مثقال عنبرا وألف نايضة مسكا وألف رطل عودا

وألف طاس ذهبا وفضة ومائة سيف هندية محلاة بالذهب والجوهر ومائة سرج ومائة لجام صينية مذهبة

ومائة درع سابعة والتزم الضريبة كل سنة فأخذها الإسكندر كلها وارتحل بها » .

(٣) هو ديوجانس الفيلسوف . (٤) هو أفلاطون الفيلسوف .

(١) الثالث اليه فقال : قد كان يعظنا في حياته ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس . وتقدم
 اليه الرابع فقال : قد جاب الأرضين وسلكتها ، ثم حصل منها في أربعة قوائم .
 ووقف عليه الخامس فقال : انظروا إلى حلم النائم كيف آتقضى ، وإلى ظل الغمام
 كيف أنجلي . ووقف عليه السادس فقال : قد أمات هذا الميت كثيرا من الناس
 لثلا يموت ، وقد مات الآن . ووقف عليه السابع فقال : مالك لا تقل عضوا من
 أعضائك ، وقد كنت تستقل بملك العباد . وقال الثامن : مالك لا ترغب بنفسك
 عن المكان الضيق ، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد . وقال التاسع : كان
 لا يقدر عنده على الكلام ، واليوم لا يقدر عنده على الصمت . وقال العاشر :
 قد كان غالبا فصار مغلوبا ، وآكلا فصار مأكولا . وقال الحادي عشر : ما كان
 أقبح إفراطك في التجبر أمس مع شدة خضوعك اليوم ! . وقالت بنت دارا :
 ما كنت أحسب أن غالب أبي يغلب . وقال رئيس الطبّاحين : قد نضدت
 النضائد ، وألقيت الوسائد ، ونصبت الموائد ، ولست أرى عميد القوم .
 قال : ولما مات الإسكندر عرض المسلك على ابنه من بعده فاباه وأختار
 العبادة والنسك .

١٥ فملك بعد الإسكندر على اليونانيين بطليموس ، وهذه التسمية لكل من ملك
 اليونان ككسرى للأكاسرة من الفرس ، وقيصصر للروم ، وخابان للترك ، وطرخان
 للجزر ، والتجاشي للخبشة .

قال : وكان بطليموس هذا شابا مدبرا حكيما عالما . وكان ملكه أربعين سنة ،
 وقيل عشرين سنة ، وقيل إنه أول من آقتنى البزاة وضرأها ولعب بها .

٢٠ (١) هو سقراط الحكيم . (٢) هو بطليموس الفيلسوف . (٣) هو بليناس الفيلسوف .
 (٤) هو ديمقراطيس الفيلسوف . (٥) هو طويقا الفيلسوف .

- ثم ملك بعده بطليموس الثاني ، وهو الذي يقال له : محب الأخ ، وأسمه هيقولوس ، وكان ملكه ستاً وعشرين سنة .
- ثم ملك بعده بطليموس محب الأب ، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة .
- ثم ملك بعده بطليموس ، وهو صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي . فكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .
- ثم ملك بعده بطليموس محب الأثم . فكان ملكه خمساً وثلاثين سنة .
- ثم ملك بعده بطليموس الصائغ . فكان ملكه سبعاً وعشرين سنة .
- ثم ملك بعده بطليموس الإسكندراني . فكان ملكه اثنتي عشرة سنة .
- ثم ملك بعده بطليموس الحديدي . فكانت مدة ملكه ثمانين سنة .
- ١٠ ثم ملك بعده بطليموس الجوال . فكان ملكه أيضاً ثمانين سنة ، وقيل أقل من ذلك .
- ثم ملك بعده بطليموس الحرب . فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .
- ثم ملكت بعده أبنته قلوبطرة ، وكانت حكيمة متفلسفة معظمة للحكام ، ولها كتب مصتفة في الطب والزينة وغير ذلك ، مترجمة بأسمها ومنسوبة إليها ، وكان زوجها بطليموس ويسمى أنطونيوس مشاركاً لها في ملك مقدونية وهي مصر .
- ١٥ فلما أراد الله تعالى ذهاب ملك اليونانيين أيديهم ملك رومية وهو أغسطس ، فسار إليها ، وكان له مع الملكة قلوبطرة وزوجها حروب كثيرة ، فقتل زوج قلوبطرة ، فأراد ملك الروم أن يترجها لعلمه بحكمتها ولتعلّم منها ، فراسلها فعلمت مراده منها ، فطلبت حياة تكون بالحجاز ومصر والشام ، وهي نوع من الحيات تراعى الإنسان حتى إذا نظرت الى عضو من أعضائه فقزت أذرعاً نحوه فلم تخطئ ذلك العضو بعينه .
- ٢٠

حتى تشغل عليه سما فيموت لوقته ولا يعلم ما خبره ، فيتوهم الناس أنه مات بجأه
 حتف أنفه . فأحتملت لها . فلما كان في اليوم الذي علمت فيه أن أغسطس يدخل
 في قصرها أمرت بأنواع الرياحين والزهور أن تبسط في مجلسها وأمام سريرها ،
 وجلست على سرير ملكها والتاج على رأسها وفترقت حشمها وقربت يدها من الإناء
 الذي فيه تلك الحية فضربت بها فماتت لوقتها ، وأنسابت الحية في تلك الرياحين ودخل
 أغسطس حتى انتهى إلى المجلس ، فنظر إليها جالسة وهو يظن أنها باقية ، فدنا منها
 فتبين له أنها قد ماتت ، فنظر إلى تلك الرياحين فقفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها
 وقد خف ، فبطل شقه الذي ضربته من جهته ، ولو لا أن سمها كان قد نقص المات ،
 فمجب من قتلها لنفسها وما كادته به من إلقاء الحية . وكانت قلوبطرة هذه آخر
 من ملك من اليونانيين . والله أعلم .

ذكر أخبار ملوك السريان

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب :
 ذكر ذوو العناية بأخبار ملوك العالم أن أول الملوك بعد الطوفان ملوك اليونان ، قال :
 وقد تنوزع فيهم وفي النبط ، فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النبط ، ومنهم
 من رأى أنهم إخوة لولد ماس بن نبيط ، ومنهم من رأى غير ذلك على حسب تباين
 الناس في الأجيال الماضية والقرون الحالية .

قال : فكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوشان ، وهو أول من وضع
 التاج على رأسه في تاريخ السريانيين . قال : وأنقاد له ملوك الأرض ، فكان
 ملكه ست عشرة سنة باغيا في الأرض ، ومفسدا في البلاد ، وسقاكا للدماء .

(١) راجع (ج ١ ص ١٠٠ طبع بلاق) .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي . وفي الأصول : « لودمانين » وهو تحريف .

(١) ثم ملك بعده يريز، وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة .
 ثم ملك بعده سماسير بن أبو با . فكان ملكه تسع سنين .
 ثم ملك بعده أهريمون نخط الخطط ، وكور الكور ، وجد في أمره ، وأتقن
 ملكه ، وعمر أرضه . فلما استقامت له الأحوال وانتظم ملكه بلغ بعض ملوك
 الهند وهو رُتبيل ، وهو أسم لمن يملك هذه الجهة من الهند ، ما القوم عليه من
 القوة ، وما بلادهم عليه من العارة ، وأنهم يحاولون الممالك ، وقد كان هذا الملك
 الهندي غلب على من حوله من ممالك الهند وأقادت إلى أحكامه ، وذلك أن ملكه
 كان مما يلي بلاد الهند والسند ، فسار نحو بلاد بست وغزني ونغر وبلاد الداور
 على النهر المعروف بالهندمند ، وهو نهر ببلاد سجستان ويعرف بنهر بست تجري
 فيه السفن منها إلى سجستان .

٧٧
١٣

قال : وكان بين ملك الهند وملك السريانيين حروب كثيرة نحواً من سنة
 ثم أجلت الحرب عن قتل السرياني وأحتوى الهندي على الصقع وملكه ، فكان
 ملك أهريمون عشر سنين .

- (١) في مروج الذهب للسعودي : « برندس » .
 (٢) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة بين سجستان وغزني وهرارة ، وهي من البلاد
 الحارة المزاج ، وهي كبيرة ، ويقال لاحتياها اليوم كرم سير ، معناه النواحي الحارة المزاج ، وهي كثيرة
 الأنهار والبساتين . وفي نسخة أ « قسط » . وفي نسخة ب « بسط » وهما محرفتان .
 (٣) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان ، وهي الحد
 بين خراسان والهند . وفي نسخة أ « غزبين » . وفي نسخة ب « غزبين » وهما محرفتان .
 (٤) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة ببلاد السند ، بينها وبين غزني ستة أيام ، تعد
 في أعمال السند . وفي الأصول « نغين » وهو تحريف .
 (٥) بلاد الداور : هي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رنج وبست والنور . وأهل
 تلك الناحية يسمونها زمنداور ، ومعناه أرض الداور .

قال : وبقى ذلك الصقع بيد الملك الهندي حتى سار إلى بعض الملوك فأتى عليه وملك العراق ورد السريانيين .
 فملكوا عليهم تسنوا بن سماسير . فكان ملكه إلى أن هلك ثمانى سنين .
 ثم ملك بعده أهريمون . فكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة .
 ثم ملك بعده آبنه هوريا فزاد فى العمارة وأحسن للرعايا وغرس الأشجار .
 فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .
 ثم ملك بعده ماروت وأستولى على الملك . فكان ملكه خمس عشرة سنة .
 وقيل أكثر من ذلك .

ثم ملك بعده أزور وسلاحس ، ويقال إنهما كانا أخوين . قال : فأحسننا السيرة ، وتعاضدا على تدير الملك . ويقال : إن أحد هذين الملكين كان جالسا ذات يوم فى أعلا قصره فنظر إلى طائر قد فرخ هناك ، وهو يصيح ويضرب بجناحه ، فنظر إلى حية تنساب إلى الوكر لتأكل الفراخ التى للطائر ، فدعا بقوس وسهم ورمى الحية فقتلها ، وسلمت الفراخ ، وغاب الطائر وعاد إلى الملك بعد هنيهة وفى متقاره حبة وفى مخاليبه حبتان ، وطار حتى وازى الملك ، وألقى الحب بين يديه فتناوله الملك وقال : ما ألقى هذا الطائر هذا الحب إلا لأمر قصد به مكافأتنا على ما فعلناه من خلاص فراخه ، ولم يعرف ما هو ذلك الحب ، وأستدعى الحكماء وأراهم فما عرفوه ، فقال له حكيم : ينبغى أن يزرع هذا الحب ببطن الأرض لينظر ما يكون منه ، فأحضر الأكرة وأمرهم بزرعه فزرعوه ، والملك

(١) كذا فى الأصول . وفى مروج الذهب لسعودى (ج ١ ص ١٠٢ طبع بلاق) : «سبر» .

(٢) كذا فى نسخة أ وفى نسخة ب «ماروب» بالباء الموحدة . وفى مروج الذهب : «مارث» .

(٣) كذا فى نسخة أ وفى نسخة ب «خلحاس» وفى مروج الذهب «خلجاس» .

يراعيه حتى طلع وأزهر وحصرم وأعنب ، وهم لا يقرُّونه خشية أن يكون مُتلفاً ، فأمر الملك أن يُعصر ماؤه ويُدع الآنية وأُخرج الحب منه وترك بعضه على حاله . فلما صار في الآنية غلا وقذف بالزبد وفاحت له روائح عِيقَة ، فقال الملك :

على - بشيخ كبير ، فأُتي به ، فسقاه من هذا العصير . فلما شرب منه ثلاثا صال وتكلم وصدق بيديه وحرك رأسه ووقع برجليه على الأرض ، فظهر عليه الطرب

والفرح وتعنى . فقال الملك : هذا شرابٌ مذهبٌ للعقل ، وأخلق به أن يكون

قتالا ، ألا ترونّ إلى هذا الشيخ كيف عاد الى حال الصبا وقوة الشباب ، ثم أمر

الملك بالشيخ فرقد ، فسكن ونام . فقال الملك : هلك ، ثم أفاق الشيخ وطلب

الزيادة من الشراب وقال : لقد شربته فكشف عني الهموم والغموم ، وأزال عني

الأحزان . فقال الملك : هذا أشرفُ شراب الرجل ، فأكثر من غرس الكروم ،

وأختص به دون غيره من الناس ، وأستعمله بقية أيامه ، ثم نما بعد ذلك وكثر

في أيدي الناس . وهذا آخر ما أورده المسعودي من أخبار السريان .

ذكر أخبار الملوك الكلوانيين

وهم ملوك النبط ملوك بابل

قال المسعودي ، ذهب جماعة من أهل البحث والعناية بأخبار ملوك العالم

أنهم ملوك العالم الذين مهدوا الأرض بالعمارة ، وأن الفرس الأول إنما أخذوا الملك

من هؤلاء كأخذ الروم الملك من اليونان .

فكان أول من ملك منهم مُنروذ الجبار . فكان مُلكه نحواً من ستين سنة . وقد

قدمنا أخبار مُنروذ في قصة إبراهيم عليه السلام .

(١) راجع مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤) (٢) في مروج الذهب : «ذكر» .

(٣) راجع (ج ١٣ ص ٩٦ - ١٠٠ ، ١١٣ - ١١٤ من هذه الطبعة) .

٧٨
١٣

قال : وروى هذا هو الذي احتفر أنهارا بالعراق آخذة من الفرات ، فيقال : إن من ذلك نهر كوثي على طريق الكوفة ، وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد .

ثم ملك بعده أبولس ، وكان عظيم البطش جبّارا في الأرض . وكان مُلكه نحواً من سبعين سنة .

ثم ملك بعده فيزمنوس . وكان باغيا في الأرض ، ملك نحواً من مائة سنة .

ثم ملك بعده سوسوس . فكان مُلكه نحواً من تسعين سنة .

ثم ملك بعده كورس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة .

ثم ملك بعده اذفرنجوا . فكان ملكه نحواً من عشر سنين .

ثم ملك بعده سيهزم . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، وقيل أكثر .

ثم ملك بعده قوسيس . فكان ملكه نحواً من سبعين سنة .

ثم ملك بعده أنبوش . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده إيلاروس . فكان ملكه نحواً من خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده الجلوس . وكان مُلكه نحواً من أربعين سنة .

(١) نهر كوثي : هو أوّل نهر يخرج بالعراق من الفرات ، وسمى بكوثي من بني أرتخشند بن ساسان ابن نوح عليه السلام ، وهو الذي كراه فنسب إليه ، وهو جد إبراهيم عليه السلام أبو أمه بونا بنت كزيبا (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) قصر ابن هبيرة : ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، بناه بالقرب من جسر سور المساولي بالعراق من قبل مروان بن محمد . فلما ملك السفاح نزل وأستم تسقيف مقاصير فيه وزاد في بنيانه وسماه الهاشمية وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هبيرة على العادة الأولى (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٣) في مروج الذهب : « أنمر » .

(٤) كذا في نسخة أخرى نسخة ب « أنبوس » . وفي مروج الذهب : « أنبوس » .

١٥

٢٠

ثم ملك بعده أونوبس^(١) . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده بعنكلوس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين شهراً .

ثم ملك بعده سفرين^(٢) . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، وقيل أقل .

ثم ملك بعده مارنوس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده رسطاليم^(٣) . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة .

ثم ملك بعده أسطوس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة .

ثم ملك بعده تاولوس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة .

ثم ملك بعده العداس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده أطيروس . فكان ملكه نحواً من ستين سنة .

ثم ملك بعده ساوساس . فكان ملكه نحواً من عشرين سنة .

ثم ملك بعده فارينوس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة ، وقيل خمساً

وأربعين سنة .

ثم ملك بعده أدرموس . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة . وغزاه ملك

من ملوك فارس في عقر داره .

ثم ملك بعده مسروس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة .

ثم ملك بعده أفروس . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة .

ثم ملك بعده طااطوس . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة .

(١) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « أومويس » وفي مروج الذهب : « أومونوس » .

(٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « سفرمن » . وفي مروج الذهب : « سفروس » .

(٣) في مروج الذهب : « رسطالين » . وقد ورد فيه أيضاً خلاف في بعض أسماء الملوك الذين

ذكروا هنا فاكثفينا بما ورد في الأصول عوضاً عن التنبيه في كل أم .

١٥

١٦

٢٠

٨٧

٧١

ثم ملك بعده لاوسيس . فكان ملكه نحووا من خمسين سنة ، وقيل خمسا وأربعين سنة .

ثم ملك بعده قريطوس . فكان ملكه نحووا من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده قروطاوس . فكان ملكه نحووا من عشرين سنة .

ثم ملك بعده قراقريس . فكان ملكه نحووا من خمسين سنة ، وقيل أثنين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده بوليس قنطروس . فكان ملكه نحووا من عشرين سنة .

ثم ملك بعده قولاقسما . [فكان ملكه^(١) نحووا من ستين سنة .

ثم ملك بعده هيقلس . فكان ملكه نحووا من ثلاثين سنة ، وقيل خمسين سنة .

وكانت له حروب مع ملوك الصقالية .

ثم ملك بعده سموجد . فكان ملكه نحووا من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده مردوج . فكان ملكه نحووا من أربعين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده سنحاريب . فكان ملكه نحووا من ثلاثين سنة ، وهو الذي آتاني

بيت المقدس .

ثم ملك بعده منوشا . فكان ملكه نحووا من ثلاثين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده بختنصر الجبار . فكان ملكه نحووا من أربعين سنة ، وقد تقدم

أن بختنصر لم يكن ملكا وإنما كان مَرزُباناً للملوك الفُرس الأول ، إلا أن يكون هذا

غير ذلك . والله أعلم .

ثم ملك بعده بيطسقر . فكانت مدة ملكه نحووا من ستين سنة ، وقيل أقل

من ذلك .

(١) زيادة يقتضيا السياق مراعاة لما ورد قبله وجاء بعده .

(٢) راجع (ج ١٤ ص ١٥٣ من هذه الطبعة) .

ثم ملك بعده دارنوس . فكان ملكه إحدى وثلاثين سنة ، وقيل أكثر من ذلك .

ثم ملك بعده كشرخوش [فكان ملكه] عشرين سنة .

ثم ملك بعده قرطياسة تسعة أشهر .

ثم ملك بعده فيجسمنه . فكان ملكه إحدى وأربعين سنة .

ثم ملك بعده أبرست . فكان ملكه ثلاثا وستين سنة .

ثم ملك بعده شعيا . فكان ملكه ثلاثين سنة^(١) ، وقيل تسعة أشهر .

ثم ملك بعده داريوس . فكان ملكه عشرين سنة ، وقيل تسع عشرة سنة .

ثم بعده أنطيجست . فكان ملكه تسعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده اليسع . فكان ملكه خمس عشرة سنة ، وقيل عشرين سنة .

قال المسعودي : فهؤلاء الملوك الذين أتينا على أسمائهم ، وذكرنا مدة ملكهم ،

هم الذين شيّدوا البيّان ، ومدنوا المدن ، وكوّروا الكور ، وحفروا الأنهار ، وغرسوا

الأشجار ، وأستنبطوا المياه ، وأثاروا الأرض ، وأستخرجوا المعادن من الحديد

والنحاس والرصاص وغير ذلك ، وطبعوا السيوف ، وأتخذوا عدّة الحرب ، ونصبوا

قوانين الحروب ، ورتّبوا الميمنة والميسرة والأجنحة ، وجعلوا ذلك مثالا

لأجزاء أعضاء الإنسان ، ورتّبوا الأعلام ؛ فجعلوا أعلام القلب على صورة الفيلة

والنسور وما عظم من أجناس الحيوان ؛ وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة

السباع ؛ وجعلوا في الأجنحة أمثال ما لطف منها كالنمر والذئب ؛ وجعلوا في الطلائع

كصور الحيات وما خفى فعله من هوامّ الأرض ؛ وتغلغل القوم في هذه المعاني .

قال : والذي ذكرناه من أخبارهم هو المشهور . والله تعالى أعلم .

(١) في مروج الذهب : « ستة وقيل تسعة أشهر » ولعل كلمة ثلاثين مقحمة من الناسخ .

ذكر أخبار ملوك الروم وأنسابهم

قال المسعودي^(١): قد تنازع الناس في الروم ولأى علة سُموا بهذا الاسم، فقيل لإضافتهم لمدينة رومية وأسمها بالرومية روماس، فعُرب هذا الاسم فسمى من كان بها روما، والروم لا يسمون أنفسهم في لغتهم إلا رومس^(٢). ومنهم من رأى أن هذا الاسم اسم الأب الأول، وهو روم بن شماخين بن هوبان بن علفا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. ومنهم من رأى أنهم سُموا بأسم جدهم رومس ابن لبطي بن نوفل بن رومي بن الأصغر بن النفر بن العيص، وقيل غير ذلك. وقد ذكرنا في الأنساب شيئا من ذلك.

قال المسعودي: وغلبت الروم على ملك اليونانيين، فكان أول من ملك منهم طوخاس وهو جانيوس الأصغر بن روم بن شماخين، فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة.

وقيل إن أول من ملك من ملوك الروم قيصر، واسمه غالوس أوليوس. فكان ملكه ثمان عشرة سنة.

وقيل أول من ملك منهم بعد ملوك اليونانيين برومية بوليس. فكان ملكه سبع سنين ونصفا. قال: ورومية بنيت قبل الروم بأربعمائة سنة.

ثم ملك بعده ابنه أغسطس قيصر. وكان ملكه ستا وخمسين سنة، وهو أول من تسمى بقيصر، وإنما سُمي بذلك لأن أمه ماتت وهي حامل به فشق بطنها عنه، ومعنى قيصر بقر، وكان يفتخر بأن النساء لم تلده، وحقيقة هذه اللفظة بالهجمية

(١) راجع مروج الذهب (ج ١ ص ١٤٨ طبع بولاق).

(٢) في مروج الذهب: «رويس».

- جَيْشَر ، قيل إنَّما سُمِّيَ جيشرَ لأنه ولد بشعر يبلغ عينيه ، وأسم الشعر بالعجمية حساريه وقيل جساريه ، فعرب فقيل قَيْصَر ، وهو صاحب قُلُوبَطْرَةَ ملكة اليونان على ما ذكرناه . وأحتوى هذا الملك على مقدونية وهي مصر والإسكندرية ، وحاز ما فيهما من الخزائن ، وكانت له حروب كثيرة ، وكان يعبد الأوثان . وبني بأرض الروم مُدْنا تنسب إليه ، وكوْر كُوراً . فمن مُدْنة قَيْسارية . ولأنتين وأربعين سنة خلت من مُلكه ولد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ، وعاش هذا الملك بقية عمره وقد بطل شقّه لما نُفِئت عليه الحية على ما قدمناه في أخبار قُلُوبَطْرَةَ .
- ثم ملك بعده طياريس . فكان مُلكه آثنتين وعشرين سنة . قال : ولثلاث سنين بقيت من ملكه رُفِعَ المسيح عليه السلام . قال : ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت وأقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع مائتي سنة .
- وثمانيا وأربعين سنة لا نظام لهم ولا ملك يجمعهم .
- ثم ملكوا عليهم طباريس عابس بمدينة رومية . فكانت مُدَّة ملكه أربع سنين . ثم ملك بعده فلورس برومية . فكان ملكه أربع عشرة سنة ، وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى وآتباع المسيح عليه السلام ، فقتل منهم خلقا كثيرا ، وكانت الروم تعبد التماثيل .
- ولما هلك هذا الملك ملك بعده نيرون . قال : وأستقام مُلكه ورغب في عبادة التماثيل والأصنام ، وكان ملكه أربع عشرة سنة وشهورا .
- ثم ملك بعده ططس واسبابوس مشتركين في المُلك . فكان ملكهما ثلاث عشرة سنة ، ولسنة من ملكهما سارا الى الشام ، فكانت لها حروب عظيمة مع بني إسرائيل قتل فيها من بني إسرائيل ثلثمائة ألف وخرّبوا بيت المقدس وأزالوا رسمه ، وكان يعبدان الأصنام .

قال المسعودي : وذكر في بعض التواريخ أن الله تعالى عاقب الروم من ذلك اليوم الذي حُرّبوا فيه بيت المقدس أن يُسبى منهم في كل يوم سبباً فلا يوم إلا والسبي واقعٌ فيهم قل ذلك أو أكثر .

ثم ملك بعدهما ذو مطيانس . فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة .
 ثم ملك بعده تبرنوس . فكانت مدة ملكه سنة واحدة .
 ثم ملك من بعده طومانوس . فكانت مدة ملكه تسع عشرة سنة .
 ثم ملك بعده أذربالس . فكانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة ، وحرب سائر ما بقي بالشام لبني إسرائيل .
 ثم ملك بعده أبطونيس . فكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة . قال : وبني بيت المقدس وسماه إيلياء .

ثم ملك بعده قرمودس . فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة .
 ثم ملك بعده سيريرس . فكانت مدة ملكه ثمان عشرة سنة .
 ثم ملك بعده ولده أنطويس . فكانت مدة ملكه تسع سنين .
 ثم ملك بعده أنطويس الثاني . فكانت مدة ملكه أربع سنين ، وفي آخر ملكه مات جالينوس الطبيب .

ثم ملك بعده الإسكندر مامياس ، وتفسير مامياس العاجز . فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده عردياس . فكانت مدة ملكه ست سنين .
 ثم ملك بعده دقيوس وقيل فيه دقيوس . فكانت مدة ملكه ستين سنة .
 قال : فأمعن في قتل النصراني ، ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف .

ذكر خبر أصحاب الكهف

قال الشيخ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسين الأنطاقي في كتاب
 المبتدأ يرفعه الى وهب بن منبه : إن أصحاب الكهف كانوا فتية من الروم ، وهم
 الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
 إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ الآيات التي في سورة الكهف . قال :
 وكان في إيمانهم عبرة وتفكر منهم في عظم الله وجلاله ومملكه وسلطانه وأصناف
 خلقه ، لم يأتهم بذلك وحى ولم يقرءوا كتابا ، ولم يدركوا زمان نبوة ، وكانوا في زمن
 فترة قبل أن يبعث الله عز وجل عيسى بن مريم عليه السلام ، وهذا القول
 مخالف لما ذكرناه آنفا ، فإن المساق الذي قدمناه من أخبار ملوك الروم يقتضى
 أن بين رفع عيسى عليه السلام وبين ملك دقيوس ما يزيد على مائتي سنة . والله
 عز وجل أعلم .

قال : وكانوا شبانا متقاربين في السن قلما يتفاوتون ، وكانوا من فصيلة واحدة
 يجمعهم النسب ، وكانوا في حسب عظيم من أحساب الروم ، من ولد عظامتهم وملوكهم
 وأشرفهم ، وكان للروم فيهم هوى وصبا شديدة ، وكان ملك الروم الأول
 في آباء أولئك الفتية وينقل في فصيلتهم التي كانوا منها أكثر من أربعمائة عام حتى
 انقرضت تلك الفصيلة وزال الملك عنهم . فكان أولئك الفتية عقب أولئك الملوك
 وبقيتهم ، وكان الروم يمتنون ملكهم ويمدون اليهم أعناقهم لما قد بلغهم ما كان
 الناس فيه في زمن أسلافهم من الخفض والدعة والعافية والبسط والأمن والسعة ،
 فكانوا يؤملونهم ويرجونهم ، وكانت ملوك الروم قد جفؤهم وحرموهم وأقصوهم
 وأضرؤوا بهم مخافة منهم على ملكهم لما يعلمون من رأى الروم فيهم ، وكانوا مع
 (١) سورة الكهف آية ١٣ وما بعدها .

ذلك يكفون عنهم أذاهم ، ويعرفون أنهم مَفزَعُ الروم إن اختلفوا ومَعَوَّلهم عليهم ، فلم تزل تلك حالهم فيما بينهم وبين ملوكهم وقومهم حتى أراد الله تعالى بهم ما أراد من هُدَاهم والإيمان الذي توره الله في قلوبهم .

٨١
١٣

قال قائلٌ منهم : إني قد رأيتُ رأيا وقع في قلبي وأمرًا ثبت فيه ، فلستُ أبصرُ غيره ، وليس يُجْرِجُه من قلبي شيء ، اسمعوا أعرضُ عليكم ، إني فكَّرتُ في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم والسحاب والمطر ، والأحياء والأموات ، والنبات ، والصحار والبيجار ، والبقاء والفناء ، والشدة والرخاء ، وتقلب الدنيا بأهلها ، والأطباق التي تنصرف عليها الخلق طبقًا بعد طبق ، وقوما عن قوم : من مَوْتٍ وحياة ، ونقص وزيادة ، وخفيض ورفيع ، وغنى وفقير ، وطولٍ وعمرٍ ونقصٍ آخر ، وموتٍ صغيرٍ وهرمٍ كبيرٍ ، وأشباه ذلك كثيرة ، وهي أكثر من أن تُعدَّ وتوصَف أو تحصى ، فلما نظرتُ فيها وأعملتُ الرأي والنظر أجمع رأيتُ على أن لها خالقا بديعا أبدعها ، وربا يملكها ويدبرها ، ويخلقها ويرزقها ، ويغنيها ويفقرها ، ويرفعها ويخفضها ، ويحييها ويميتها ويغنيها ، تتقلب في قبضته وتعيش برزقه ، فلما تمَّ لي الرأي نظرتُ في عظمة هذا الرب الذي أبدع هذا الخلق وضبطه ، ودبره وأحكم أمره ، فإذا قدرته تأتي من وراء ذلك كله ، ليس من هذا الخلق شيء يفوتها ولا يخرج منها ، وإذا هي محيطَةٌ بكل شيء ومن وراء كل شيء ، ثم نظرتُ في عظمة الرب هل أصسفها كما وصفتها القدرة ، وهل أعلم كُنْهها ؟ فنحيرتُ فيها ، وعجز عنها الحلم والعلم ، وحسرتُ عنها العقل والنظر ، وما بقي مما لم أذكره لكم معرفة القلب ولا نصيفه إلا أنه قد أُلهم بمعرفته وأسرَّها أكثر وأعظم وأعجب مما وصفتُ وشرحتُ لكم ، فإذا تقولون ، وماذا تعرفون ، وماذا تفعلون ؟

٥

١٠

١٥

٢٠

- قالوا : قد قُلتَ قولاً عظيماً ووصفتَ أمراً عجيباً ، وما نحسبُك إلا قد أصبتَ فيه الرأى والنظرَ ، وقد صدقناك وتابعتناك ورأينا رأيك وواقعَ قلوبنا منه ومن معرفته مثل الذى عرفتَ وواقعَ قلبك ، وإن كنا لنرى مثل الذى رأيتَ من أعاجيب هذا الخلقِ وعظمة هذا الخالقِ ، وإن كان ليكثرُ أن يخطفُ على قلوبنا منه مثل ما خطرَ على قلبك ، ولكننا لم نشرحَ منه ما شرحتَ ولم نصفَ منه ما وصفتَ ، ولم نعملَ الرأى والنظرَ فى معرفته مثل ما عملتَ وعرفتَ ، ولكن الله أراد هُداك وتفضيلك وإكرامك بما سبقتَ إليه من هذا القول وهذا العلم وهذه المعرفة ، ولكن حدثنا عما نسألك عنه ، وإنما نظرنا فيه بعد ما سمعنا قولك ؛ هل ينبغي لهذا الرب الذى وصفته بما وصفته من العظمة أن يكون له شريكٌ فى ملكه ، أو حاجةٌ إلى شئٍ من خلقه ، أو هل يغلبه شئٌ يستعين عليه بغيره ؟
- قال لهم : لو كان له شريكٌ فى شئٍ من أمره لضبطَ ما ضبطَ ، ولو كانت به حاجةٌ إلى أحدٍ من خلقه لكان مثلهم ، ولو كان يستعين على شئٍ يغلبه بغيره إذا ما بلغتْ قدرته ما بلغتْ ، ولا أحاطتْ بما أحاطتْ به ، ولا وسعَ ما آتسعَ له من أمر خلقه ، وتدير ما خلقَ ورزقَ وأماتَ وأحيا .
- قالوا له : صدقتَ وعرفنا ما تقول وثبتتَ فى قلوبنا ، ولكن حدثنا ما بال خلقه يشركون به وهم يعرفونه حقَّ معرفته . قال : لأنه خلقَ فيهم الأهواءَ وطبعَ فيهم الشهواتَ ، وجبلهم على الضعف ، وثبتت معهم الشيطان ، فمن قبل هذا عدلوا به وهم يعرفون أن الذين يدعون من دونه لا يُحيونهم ولا يُميتونهم ، ولا يخلقونهم ولا يرزقونهم ، ولا يضرُّونهم ولا ينفعونهم ، إذا ممتهم الضرُّ فإياه يدعون وإليه يجأرون ؛ فعند ذلك اجتمع رأيهم على أن يأووا إلى الكهف ، وأن يعترفوا قومهم

وما يعبدون من دون الله، فعندنا قالوا: ﴿ رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ قال: فلما آعرتلوهم وما يعبدون من دون الله آووا إلى الكهف رجاء أن ينشر لهم ربهم من رحمة ويهيئ لهم من أمرهم مرفقا. قال: وأرادوا أن يكونوا في عزلة من قومهم وشركهم حتى يفرق لهم رأيهم، فآلى الله عليهم السبات.

قال: وهم من مدينة من مدائن الروم يقال لها أفسوس، ومالك الروم يومئذ دقيوس، ويقال - والله أعلم - إن عدتهم سبعة، كان عبد الله بن عباس يسميهم بأسمائهم ويقول: ما يعلمهم إلا قليل وأنا من أولئك القليل، منهم مرطالوس، ونونوس، ودانيوس، وسراقيون، واسطاطالوس، ومكساميس، وتمليخا، وهو الذي بعثه يورقهم إلى المدينة ليرتاد لهم. وهذا قول ابن عباس، قال: وكانوا قوما يطلبون الصيد لِمَا سَمَّهم من الضر والحاجة ليس لهم كبير معيشة غيره، فقالوا قولهم هذا ونظروا ما نظروا، وهم يومئذ في الجبل الذي فيه كهفهم يطلبون الصيد ومعهم كلابهم وبزائهم وقسيهم وتبئهم. فلما أجمع رأيهم أن يأووا إلى الكهف لياتمروا فيه، هل يقيمون مع قومهم على شركهم، أم يفارقونهم فيتجمعون ناحية من الأرض يحلون فيها ويوحدون فيها ربهم. فبينما هم على ذلك آلى الله عليهم السبات وأخفى على جميع خلقه مكانهم، وصرف عنهم الأبصار والعقول، فليس يبصرهم أحد ولا يقطن بمكانهم، فلبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، حتى آقرضت الأمة التي كانوا فيها والمالك الذي كان عليهم، وظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وآمن به الناس وآتبعوا ملته ورفع الله إليه وذهب زمانه وزمان أهل ملته وهم في كهفهم.

(١) أفسوس: مدينة في جزيرة باسمها في البحر الأبيض على مقربة من ساحل آسيا الصغرى.

قال : وقد كان عيسى بن مريم عليه السلام قبل أن يرفعه الله يتحدث عنهم وعن إيمانهم وبصيرتهم ، وكيف تفكروا في عظمة إلههم ، وكيف ألقى الله عليهم السُّبَاتَ في كهفهم ، وكيف أخفى مكانهم عن الناس ، ولا ينبغي لأحد أن يهتدى إليهم ولا يعرف مكانهم ، وكان يخبر أن الله سيرد إليهم أرواحهم ويدل على كهفهم ليكونوا عبرة لمن خلفهم إن أراد أن يعتبر بهم .

قال : فردد الله إليهم أرواحهم بعد أن لبثوا في كهفهم العدة التي ذكرها الله عز وجل في القرآن ولزمهم كلهم ، فليث سينهم كلها ، كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَهُمْ بِأَسْطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . والوصيد : فناء الكهف الذي فيه موضع الباب ، وكان الكلب من كلاب صيدهم ولم يطعم ولم يشرب ليجعله الله آية من آياتهم .

- قال : فلما رد الله عليهم أرواحهم ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدْنَا ﴾ وهم حينئذ يظنون أن قومهم أحياء ، وأنهم على ما يعهدون من حالهم وشركهم وعُتُوِّ ملكهم ، فأنطلق رجل منهم يقال له تليخا ، وكان أشدهم وأنجدهم ، فتوجه حتى إذا خالط رِبَضَ المدينة أنكره وأنكر ما وجد به من الناس والدواب والبنيان وغير ذلك ، ووجد الناس على حال لم يكن يعهدا وسُنَّةٍ لم يكن يعرفها ، ووجدهم يتناعون بورق لا يشبه الورق الذي معه ، فتحير وأنكر وأقبل وأدبر ، وأبطأ على أصحابه حتى خافوا عليه ، وظنوا أنه فُظن به وقدر عليه . فلما طال عليه ذلك دخل المدينة من ناحية أخرى من نواحيها خفية فوجد حال أهل المدينة على حال أهل الرِبَضِ في كل شيء ، فلما شك وأرتاب والتبس عليه رأيه عمد إلى مشيخة من أهل المدينة توسم فيه الخير ليتجسس ويسمع قولهم ، فوجد معهم الإنجيل يقرءونه ، فسمع ما فيه من توحيد الله وعظمته وعذابه وسُنَّته وشرائعه وحلاله وحرامه ، فعرف ذلك وأذعن إليه وأنصت يسمع حتى إذا

فَرَعُوا مِنْ قِرَاءَتِهِمْ سَأَلَهُمْ عَنْ كِتَابِهِمْ فَقَالُوا : هَذَا كِتَابُ اللَّهِ الْإِنْجِيلِ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ
عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيَّهُ . قَالَ : وَأَيْنَ عِيسَى ؟ قَالُوا : قَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْهِ . قَالَ : وَكَمْ لَبِثَ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . قَالَ : وَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَتَيْتُمُوهُ وَأَدْرَكْتُمْ زَمَانَهُ ؟ قَالُوا : لَا ، كَانَ قَبْلَ أَنْ نُؤَلَّدَ ، وَوَجَدْنَا كِتَابَهُ فِي أَيْدِي
آبَائِنَا . قَالَ : أَفَكُلُّ هَذِهِ الْمَدِينَةِ تُؤْمِنُ بِهَذَا النَّبِيِّ وَبِهَذَا الْكِتَابِ وَتَعْمَلُ بِمَا فِيهِ
مِمَّا أَسْمَعُ مِنْ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِلَّا مُسْتَحَقًّا بِذَنْبٍ أَوْ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ .
قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَلِكِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ دَقْيُوسُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَكَمْ لَهُ مِنْذُ
هَلِكٍ ؟ قَالُوا : أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا . قَالَ : فَهَلْ بَقِيَ لَهُ عَقَبٌ ، أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ
مَمْلَكَتِهِ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَلَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ
مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ بِهِ ؟ قَالُوا : نَقْتُلُهُ أَوْ نَخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا .

فَلَمَّا آمَنَهُمْ وَأَطْمَأَنَّنَهُمْ وَرَأَى سَمَّتَ الْإِسْلَامِ وَهَدْيِهِ عَلَيْهِمْ وَفَقَهُ اللَّهُ وَهَدَاهُ
لِمَسْأَلَةِ سَأَلَهُمْ عَنْهَا . قَالَ : أَخْبِرُونِي ، هَلْ كَانَ نَبِيِّكُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخَبِّرُكُمْ عَنْ
سَبْعَةِ رَهْطٍ خَرَجُوا مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ دَقْيُوسَ وَقَوْمِهِ ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ بِأَنْفُسِهِمْ
وَدِينِهِمْ فَرَارًا مِنْ دَقْيُوسَ وَقَوْمِهِ ، وَمَا كَانُوا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَتَّى آوَوْا إِلَى
الْكَهْفِ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ فَاسْتَخْفَوْا فِيهَا . فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ هَذَا أَوْجَسُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
أَنَّهُ مِنْهُمْ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَدْ كَانَ يُخَبِّرُنَا عَنْهُمْ فَلَعَلَّكَ مِنْهُمْ فَلِذَا نَسَكْرُ حَالِكَ كُلَّهُ .
قَالَ : فَهَلْ كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا بَلَّغْتُمْ سَمِّيَ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛
قَالَ : فَسَمَّوْهُمْ لِي بِأَسْمَائِهِمْ ، فَسَمَّوْهُمْ حَتَّى إِذَا ذَكَرُوا أَسْمَهُ تَمْلِيخًا قَالَ : فَأَنَا تَمْلِيخًا
وَأَنَا أَحَدُهُمْ ، نَحَرُّوْا لَهُ سَجْدًا كَمَا صَنَعَ إِخْوَتُهُ يَوْسُفَ بِيَوْسُفَ يَوْمَ دَخَلُوا عَلَيْهِ ؛ وَكَانَتْ
تَحِيَّتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ السُّجُودَ يَوْمئِذٍ ، ثُمَّ أَدَخَلُوهُ مَسْجِدَهُمْ وَعَظَمُوهُ وَوَقَرُوهُ وَارْتَمَوْهُ
وَرَفَعُوهُ وَجَمَعُوا لَهُ أَهْلَ مَدِينَتِهِمْ وَقَرَأَهُمْ وَفَقَّهَهُمْ ، فَتَبَرَّكُوا بِهِ ، وَجَعَلُوا لَهُ عِبَادًا

- عظيما، وأقام أياما بين أظهرهم ثم قال لهم : إن أصحابي الذين يحدثكم عنهم عيسى عليه السلام لا أراهم إلا وقد خافوا على وساء ظنهم وهم يظنون أن دقيوس حتى؛ وأن الزمان زمانه، وأن الدين دينه، فانطلقوا بنا نعلمهم كيف أهلكه الله وقومه وطهر الأرض منهم، وكيف استبدل الله به وبأهل ملته أمة يوحّدونه ويعرفونه ويهدون بالحق وبه يعدلون . فانطلقوا معه حتى آتوا إلى الكهف فوجدوا كلهم باسطة ذراعيه بالوصيد فقالوا حين رأوه : وهذا الكلب أيضا من علاماتكم التي كان يحدثنا عنها عيسى عليه السلام، وقد كان يحدث أن أصحاب الكهف لا ينظر إليهم أحد من خلق الله من يوم يدخلون الكهف إلى أن ينزل عيسى بن مريم عليه السلام إلا رجل واحد منهم، وهو الذي يدلّ عليهم وعلى مكانهم، وأنت هو؛ فدخل على أصحابه فأخبرهم بما رأى وما لقي، ثم كان آخر العهد بهم . قال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝۱۰ ﴾ . قال : فبنوه حول الكهف وجعلوا الكهف في وسطه وكتبوا القصة على حيطانه .
- ١٥ قال وهب : فبلغني — والله أعلم — أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن نزول أنبي عيسى بن مريم عليه السلام علمٌ للساعة ، وإن الله يبشّرهم عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنه يحجّ في سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف لأنهم لم يموتوا ، ثم تقبل ريح صفراء يمانية ، ألين من الحرير ، وريحها ريح المسك فتقبض روح عيسى عليه السلام وأرواح من معه . انتهى خبر أصحاب الكهف ، فلنرجع إلى ما كتأ فيه من أخبار ملوك الروم .
- ٢٠ قال : ثم ملك بعد دقيوس جالش . فكانت مدة ملكه ثلاث سنين . ثم ملك بعده قليطانس . فكانت مدة ملكه عشر سنين ، ثم كانت بعده ملوك الروم المنتصرة .

ذكر أخبار ملوك الروم المنتصرة

وهم ملوك القسطنطينية

قال المسعودي: لما هلك قليطانس ملك بعده قسطنطين برومية، وهو أول من أنتقل من ملوك الروم عن رومية إلى بيزنطياً، وهي القسطنطينية، فبناها هذا الملك وسمّاها بهذا الاسم. قال: وكان خروجه من رومية ودخوله في دين النصرانية لست خلت من ملكه، وذلك أن أمه هيلانا خرجت إلى أرض الشام وبنّت الكنائس وسارت إلى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي تزعم النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليها، فلما ظفرت بها حلتها بالذهب والفضة واتخذت يوم وجودها عيداً، وهو عيد الصليب، لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول. وهي التي أبنت كنيسة حمص على أربعة أركان، وأستخرجت الدفائن بمصر والشام، وصرفت ذلك في بناء الكنائس وتشيد دين النصرانية، فكل كنيسة بالشام ومصر من بناء هذه الملكة هيلانا.

قال: ولسبع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين أجمع ثلثائة وثمانية عشر أسقفاً بمدينة نيقية بأرض الروم فأقاموا دين النصرانية. وهذا الأجماع أول

(١) (راجع ج ١ ص ١٥٢ طبع بلاق).

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٥٢ طبع بلاق)، وفي نسخة أول «فلاي» وهو تحريف.

(٣) قال ابن الهروي: مدينة نيقية من أعمال أصطنبول على البر الشرق وهي المدينة التي أجمع بها آباء الملة المسيحية، وكانوا ثلثائة وثمانية عشر أباً يزعمون أن المسيح عليه السلام كان معهم في هذا الجمع، وهو أول المجمع لهذه الملة وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم وصورهم وصوره كراسيم بهذه المدينة في بيعتها ولهم فيها اعتقاد عظيم، وفي الطريق من هذه المدينة إلى بلاد الروم الشمالية قبر أبي محمد البطال على رأس تل عال في حد تخوم البلاد (راجع معجم البلدان لياقوت في كلامه على نيقية).

الاجتماعات الستة التي تذكرها الروم في كلامهم رتسميها القوانين ، ومعنى هذه الاجتماعات السنودسات واحدها سنودس . فالأول بِنَيْقِيَّةَ وكان الاجتماع فيه على أرنوس ، وهذا اتفاق من سائر أهل دين النصرانية . والسنودس الثاني بقسطنطينية على مقدونس ، وعدة المجتمعين فيه من الأساقفة مائة وخمسون رجلا . والثالث بأفسيس وعدة من آجتمع فيه من الأساقفة مائة رجل . والرابع بخلقدونية وعددهم ستمائة وستون رجلا . والخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا . والسادس كان في [ملكة] المدن ، وعدتهم مائتان وثمانون رجلا .

قال : وكان السبب في دخول قسطنطين في دين النصرانية أنه خرج في بعض حروب أبرجان أو غيرهم من الأمم ، فكانت الحرب بينهم سجالات نحو من سنة ، ثم كانت عليه في بعض الأيام فقتل من أصحابه خلق كثير وخاف البوار فرأى في نومه كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذب وأعلام على رأسها صُلبان من الذهب والفضة والحديد والتحاس وأنواع الجواهر والخشب ، وقيل له : خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر ، فجعل يحارب في النوم فرأى عدوه قد آتزم ، فأستيقظ من نومه ودعا بالرماح ورُكِبَ عليها الصُلبان مثل ما رأى ، ورفعها في عسكره وزحف إلى عدوه فكسره وأخذهم السيف ، فرجع إلى مدينة نيقية وسأل عن تلك الصُلبان وهل يعرفون ذلك في شيء من الآراء والنحل ؟ فقيل له : إن بيت المقدس من أرض الشام يجمع هذا المذهب ، وأخبروه بما فعله من قبله من السلوك من قتل

(١) هكذا في مروج الذهب لسعودي ، وفي نسخة أ ، ب « بخلفورية » .

(٢) التكلفة من مروج الذهب لسعودي .

(٣) هكذا في مروج الذهب . وفي الأصول : « فاري » .

(٤) عذب : جمع عذبة ، وعذبة الرمح نرقعة تشد على رأسه .

النصارى ، فبعث إلى الشام وبيت المقدس وحشر له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا
فأتوه بديقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية ؛ فهذا هو السنودس الأول .

وقيل : إن أمه كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا . وكان

ملكه إلى أن هلك إحدى وثلاثين سنة ، وقيل خمسا وعشرين .

ثم ملك بعده قسطنطين بن قسطنطين . فكانت مدة ملكه أربعا وعشرين سنة .

وأبنتى كائس كثيرة وشيد دين النصرانية .

ثم ملك بعده ابن عمه بوليانس المعروف بالحنيفي ويسمى البرباط . قال :

ولما ملك رجع عن دين النصرانية وغير رسومها وغزا العراق في ملك سابور بن

أردشير فاتاه منهم غريب فذبحه . ولما هلك جزع من كان معه من الملوك

والبطارقة ففرزوا إلى بطريق كان معظما عندهم يقال له يونياس ، وقيل : إنه

كان كاتباً للملك الماضي ، فأبى عليهم إلا أن يرجعوا إلى دين النصرانية ، فأجابوه

إلى ذلك فللك عليهم يونياس المذكور .

قال : ولما ملك كان له مراسلات مع سابور ومهادنة واجتماع ، ثم أنصرف

بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ما أتلف الملك الماضي من أرضه

بأموال حملها إليه وهدايا من أطاف الروم ، وشيد النصرانية وأعاد معالمها ، ومنع

من عبادة الأصنام والتماثيل ، وقتل من كان على عبادتها . فكان ملكه سنة .

(١) كذا في مروج الذهب للسهودي ، وفي نسخة أ « بقرياس » وفي نسخة ب « لقيانس » .

(٢) مهم غرب ، بالإضافة وعلى الوصف : أي لا يدري رايه .

(٣) في مروج الذهب للسهودي : « مريانس » .

ثم ملك بعده أوالس قال : ولما ملك كان على دين النصرانية ثم رجع عنه ،
وهلك في بعض حروبه ، فكان ملكه الى أن هلك أربع عشرة سنة . وقيل :
إن في أيامه استيقظ أهل الكهف .

ثم ملك بعده غراطيانس . فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ، ولسنة من
ملكه كان اجتماع النصرانية ، وهو آخر الاجتماعات ، فأتوا القول في روح القدس ،
وهو السنودس الثاني .

ثم ملك بعده بدرسيس الأكبر ، وتفسير هذا الأسم عطية الله . قال :
ولما ملك قام بدين النصرانية وعظم أمرها وأبنتى الكنائس ، ولم يكن من
أهل بيت المقدس ولا من الروم ، بل كان أصله من الأشبان ، وهم بعض الأئم
السالفة . قال : وقد كانت ممن ملكت الشام ومصر والمغرب والأندلس . وقد
تتازع الناس فيهم ، فذكر الواقدي في كتاب فتوح الأمصار أت بدءهم من أهل
أصهبان ، وأنهم ناقلة من هنالك ، وهذا يُوجب أنهم من قبل ملوك فارس .
قال : وذكر عبدة الله بن خرداذبة نحو ذلك ، وساعدهما على ذلك جماعة من
أهل السير والأخبار .

قال المسعودي : والأشهر من أمرهم أنهم من ولد يافث بن نوح ، وهم
اللدارقة ملوك الأندلس واحد منهم لذريق ، وقد تنوزع في دياناتهم ، فمنهم من رأى
أنهم على دين المجوس ، ومنهم من رأى أنهم على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة
الأصنام . قال : وكان ملك بدرسيس الى أن هلك تسع عشرة سنة .

ثم ملك بعده أوقاديس . فكان ملكه أربع عشرة سنة [وكان] على دين النصرانية .

(١) في مروج الذهب : (ج ١ ص ١٥٥ طبع بلاق) : « عراطفامس » . (٢)

(٢) في مروج الذهب : (أوباديس) . (٣) التكلة من مروج الذهب . (٤)

ثم ملك بعده بدرسيس الأصغر ، وذلك بمدينة أفسس ، وجمع مائتي أسقف وهو الأجماع الثالث من الأسنودسات ، ولعن فيه نسطورس البطريرك ، وإليه تنسب النسطورية من النصارى . وكان ملك هذا الملك الى أن هلك اثنتين وأربعين سنة .

(١) ثم ملك بعده مرقيا قيس وزوجته بلجارية . فكانت ملكة معه . وكان ملكهما سبع سنين ، وفي أيامهما كان خبر اليعاقبة ووقوع الخلاف بينهم في الثالث . قال : وأكثر اليعاقبة من النصارى بالعراق وتكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها إلا اليسير فإنهم ملكية ، والنسوبة والأرمن يعاقبة ، ومطران اليعاقبة بين الموصل وبغداد وتكريت ، وكان لهم بالقرب من رأس عين واحد فمات ، وانتقل مطرانها الى بلاد حلب وقنيسرين والعواصم .

قال المسعودي : وكسى اليعاقبة [رسمه] أن يكون بمدينة أنطاكية ، وكذلك

لم كرمى بمصر . ثم ملكا بعدهما ليون الأصغر بن ليون . فكان ملكه ست عشرة سنة ، وفي أيامه أحرم مسعدة اليعقوبى بطرك الإسكندرية ، وأجتمع له من الأساقفة ستمائة وثلاثون أسقفا . وفي تاريخ الروم أن عدة المجتمعة ستمائة وستون رجلا ، وذلك بخلفدونية ، وهذا الأجماع هو السنودس الرابع عند الملكية . واليعاقبة لا تعتد بهذا السنودس .

(١) في مروج الذهب : (مرقيا نوس) .

(٢) رأس عين : مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديسر ، وبينها وبين

نصيبين خمسة عشر فرسخا ، وقريب من ذلك بينها وبين حران وهي إلى ديسر أقرب بينهما نحو عشرة فراسخ (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٣) التكلة من مروج الذهب للمسعودي .

(٤) كذا في مروج الذهب ، وفي الأصول (أخرج لسفره ...) وهو مخريف .

قال : واليعاقبة أضيفت الى يعقوب البرذعي وبه عُرفت ، وكان من أهل أنطاكية ، وكان يعمل البراذع بها . ثم ملك بعده ابنُّ له على دين الملكية . فكانت مدة مُلكه الى أن هلك سنة .

ثم ملك بعده بير وهو من بلاد الأرمينان ، وكان ملكه سبعَ عشرةَ سنة ، وكان يميل الى رأى اليعاقبة ، وكان له حروب مع خوارج خرجوا عليه في دار مُلكه فظفر بهم .

ثم ملك بعده نسطاس ، وكان يذهب الى مذهب اليعاقبة ، وهو الذى بنى مدينة عمورية ، وأصاب كنوزا ودفائن عظيمة . وكان ملكه تسعا وعشرين سنة . ثم ملك بعده نوسطيانس تسع سنين .

ثم ملك بعده سطيانس . فكان ملكه تسعا وثلاثين سنة ، وبني كنائس كثيرة ، وشيّد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية ، وبني كنيسة الرها ، وهى إحدى عجائب مباني العالم .

قال : وقد كان فى هذه الكنيسة منديل يعظّمه أهل دين النصرانية ، وهو أن اليسوع الناصرى حين أُخرج من ماء المعمودية نُسِف به ، فلم يزل هذا المنديل يتداول الى أن قُتِر على كنيسة الرها ، فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة أعطى هذا المنديل للروم فوَقعت الهدنة عليه ، وفرح الروم به فرحا عظيما .

ولما هلك هذا الملك ملك بعده قوسطيس وهو ابن أخيه ، وكان ملكه الى أن هلك ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده طباريس . فكان ملكه أربع سنين ، وأظهر في مدة ملكه أنواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك .

ثم ملك بعده مورقيس ، وقيل فيه موريقس . فكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وهو الذي نصر كسرى أبرويز على بهرام جوبين على ما قدمناه ، ثم قُتل وأنتصر أبرويز لولده وبعث بجيوش الفرس ، وكانت له حروب ذكرناها .

ثم ملك بعده قرقاس . فكان ملكه الى أن قُتل أيضا ثماني سنين .^(١)
ثم ملك بعده هرقل وكان بطريقا في بعض الجزائر قبل ذلك . قال : ولما ملك عمر بيت المقدس وذلك بعد أن كشف الفرس عن الشام ، وبني الكائس . ولسبع سنين خلت من ملكه كانت هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام

قال المسعودي : وجدت في كتب التواريخ تنازعا في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عصر من كان من ملوك الروم ؛ فمنهم من ذهب الى ما قدمناه ، ومنهم من رأى أن مولده صلى الله عليه وسلم كان في ملك نوسطينوس . وكان ملكه سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده نوسطينوس الثاني ، وكان ملكه عشرين سنة .
ثم ملك بعده هرقل بن نوسطينوس ، وهو الذي ضرب الدنانير والدرهم الهرقانية . وكان ملكه خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده ابنه مورق بن هرقل ، وهو الذي كتب الزيجات في النجوم ، وعليه يعمل أهل الحساب . وفي تواريخ ملوك الروم فيمن سلف وخلف أن الملك

(١) في مرجع الذهب : (قرماس) بالميم .

٨٦
١٣

للروم كان في وقت ظهور الإسلام وخلافة أبي بكر وعمر هِرَقْلُ . وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب تواريخ أهل السَّير . وفي تواريخ أصحاب السَّير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن فوق .

ثم ملك بعده قيصر بن قيصر ، وذلك في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ثم ملك بعده هرقل بن قيصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو الذي حاربه أمراء الإسلام الذين فتحوا الشام على ما ذكره إن شاء الله تعالى في خلافة عمر رضي الله عنه .

ثم ملك بعده مورق بن هرقل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم ملك بعده فوق بن مورق في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيام

معاوية بن أبي سفيان .

ثم ملك بعده فللقط بن مورق بقية أيام معاوية بن أبي سفيان ، وكانت بينهما مراسلات ومهادنات ، وكان ملكه في آخر أيام معاوية وأيام يزيد ابنه ومعاوية ابن يزيد ومروان بن الحكم وصدرًا من أيام ابنه عبد الملك بن مروان .

ثم ملك بعده لاوي بن فللقط في بقية أيام عبد الملك بن مروان .

ثم ملك بعده جيرون بن لاوي في أيام الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك أخيه وعمر بن عبد العزيز ، ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر مسامة بن عبد الملك بن مروان وغزوا المسلمين لهم في البر والبحر ، فملكوا عليهم رجالا من غير

(١) في مروج الذهب : (فللقط) بالقاف .

(٢) في مروج الذهب : (لاون) .

أهل بيت المُلك من أهل مَرَعَش ^(١) يقال له جرجيس ^(٢) . فكان مُلكه تسع عشرة سنة . ولم يزل مُلك الروم في اضطراب الى أن ملك عليهم قسطنطين بن اليون ، وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور .
 ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين ، وكانت أمه أرمى ملكة معه ومشاركة له في المُلك لصغر سنه . وملك في أيام المهدي والهادي .

ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون بن قسطنطين ، وكانت أمه مشاركة له وشملت عيناها بعد موته .

ثم ملك بعده نقفور بن استبراق ، وكان لهذا الملك مراسلات وحروب مع الرشيد ، وغزاه الرشيد فأعطى القنود من نفسه من بعد بني كان منه في بعض مراسلاته ، فأصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الأتقياد ، فكتم الرشيد أمره لعارض علة كان وجدّها بالرقّة ^(٣) ، ثم تجهز وغزاه فنزل على هرقلة ^(٤) ، وذلك في سنة سبعين ومائة ، فحاصرهما سبعة عشر يوماً فأصيب خلق من المسلمين وفينبت الأزواد والعلوفات ، ثم فتحها عنوة . وقيل : إنهم بادروا لها فتحها بطلب الأمان فأمنوا . والأشهر أنه فتحها عنوة .

ثم ملك بعده استبراق بن نقفور بن استبراق . وكان مُلكه في أيام الأمين ، ولم يزل ملكا حتى غلب على المُلك قسطنطين بن فلقط ، وكان مُلكه في خلافة المأمون .

(١) مرعش : بلدة من الشام . (٢) في مروج الذهب : « جرجيس » ما كان قديم

(٣) الرقة : مدينة على الفرات من ديار مضر ، ويقال لها : « الرافقة »

(٤) هرقلة : هي في شرق نهر ينزل من جبل العالايا الى بحر سبوح ، وهي طيبة في قرب البحر ،

وفي شرقها جبل الكهف عند الروم .

ثم ملك بعده توقييل وذلك في خلافة المعتصم ، وهو الذي فتح زبطرة وغزاه
المعتصم بعد فتح عمورية .

ثم ملك بعده ميخائيل بن توقييل ، وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمتصر
والمستعين ، ثم كان بين الروم تنازع في الملك ، فملكوا عليهم توقييل بن ميخائيل
ابن توقييل .

ثم غلب على الملك بسيل الصقالي ولم يكن من أهل بيت الملك . وكان ملكه
في أيام المعتز والمهتدي وبعض أيام المعتمد .

٨٧
١٣

ثم ملك بعده اليون بن بسيل . فكان ملكه بقية أيام المعتمد وصدرا من أيام
المعتضد الى أن هلك .

ثم ملك بعده الإسكندروس فلم تمد الروم أمره فخلعوه .
وملكوا عليهم أخاه لاوي بن اليون بن بسيل الصقالي . فكان ملكه بقية أيام
المعتضد وأيام المكتفي وصدرا من أيام المقتدر .

(١) زبطرة : ضبطها ياقوت بكسر الزاي ، وضبطها صاحب تقويم البلدان بفتحها وفتح الباء وسكون

الطاء . قال ابن حوقل : وأما زبطرة فإنها حصن من أقرب النور الى بلد الروم ، خربها الروم .

وقال صاحب تقويم البلدان : وزبطرة اليوم تراب خالية من الزرع والسكان ولم يبق منها غير رسم

سورها وليس بالكثير ، وهي في أرض مستوية والجبال تحيط بها والشجرة من جميع جهاتها على القرب منها

وهي في الجنوب عن ملطية على نحو مرحلتين ، وهي في جهة الغرب عن حصن منصور على مرحلتين أيضا

وبينها وبين حصن منصور الجبل والدر بند ، ولقد اجترت بها في عام فتحنا ملطية في المحرم سنة خمس عشرة

وسبعمائة وكان في شهر نيسان واصطدنا من أرض زبطرة بين شجر البلوط صيودا كثيرة وهي أرناب

كبار الى الغاية لا يوجد في الشام أرناب تقاربين في القدر . (راجع تقويم البلدان ص ٢٣٤ طبع أوروبا) .

(٢) كذا في الطبري (ص ١٨٥٨ ، ١٨٥٩ من القسم الثالث طبع أوروبا) ومرجع الذهب للسعودي .

وفي الأصول : « الصقلي » .

ثم هلك وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته في الملك
أرمينوس بطريق البحر صاحب حربته . قال : فزوج قسطنطين الصبي بآبنته ،
وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضى والمتقى ، وذلك في سنة اثنين
وثلاثين وثلثمائة .

قال المسعودي : فملوك الروم في هذا الوقت ثلاثة ، فالأكبر منهم والمدير
للاُمور أرمينوس المتغلب على الملك ، ثم قسطنطين بن لاوى بن اليون بن بسيل ،
والثالث ابن لأرمينوس يُحاطب بالملك اسمه اسطفانس وجعل أرمينوس آبنه له آخر
صاحب الكرسي بالقسطنطينية ، وهو البطريك الأكبر الذى يأخذون عنه دينهم ،
وقد كان خصاه قبل ذلك أبوه وقربه الى الكنيسة . وهذا آخر من ذكره المسعودي
من ملوك الروم ولم نجد من ضبط أمرهم بعده على آتساق فنذكره .

قال : فعدة ملوك الروم المنتصرة من قسطنطين بن هلاى الذى أظهر دين
النصرانية بالروم الى هذا الوقت أحد وأربعون ملكا ، ولم يعد [ابن] أرمينوس .
وسنيهم خمسمائة سنة وسبع سنين .

وقال فى ملوك رومية : والذى وجدت فى أكثر كتب التواريخ مما آتفقوا
عليه أن عدة ملوك الروم الذين ملكوا مدينة رومية ، وهم الذين ذكرهم فى كتابه
وذكرناهم نحن فى كتابنا هذا ، تسعة وأربعون ملكا ، وجميع عدد سنى ملكهم ، من أول
من ملكهم على حسب ما ذكرناه من الخلاف فى صدر هذا الفصل إلى قسطنطين
ابن هلاى ، أربعائة سنة وثلاثون سنة وسبعة أشهر وستة أيام . والله أعلم .

(١) التكملة من المسعودي .

(٢) فى المسعودي : (اثان وأربعون) .

ذكر أخبار ملوك الصقالبة والنوكبرد

قال المسعودي: الصقالبة من ولد ماراي بن ياقث بن نوح، وإليه يرجع

سائر أجناس الصقالبة وبه يُلْحَقُونَ في أنسابهم. ومنهم من ينتقاد إلى دين

النصرانية العاقبة، ومنهم من لا كتاب له ولا ينتقاد إلى شريعة. وهم أجناس:

٥. فمنهم جنس كان الملك فيهم قديما في صدر الزمان، وكان ملكهم يدعى ماجك،

وهذا الجنس يدعى لبنانا، وكان يتلو هذا الجنس قديما في صدر الزمان سائر أجناس

الصقالبة وهم اصطبرانة، وملكهم يدعى بصقلاخ. وكنس يقال له نايحين، وملكهم

يدعى عرابة، وهذا الجنس أشجع الصقالية، وكنس يدعى مناي، وملكهم رتيل،

ثم جنس يقال له سيرتين، وهو جنس مهيب عندهم، ثم جنس يقال له مراوة،

ثم جروانيق وصابين وخشانيين ورانجابين.

قال: والجنس الذي يدعى سيرتين يحرقون أنفسهم بالنار، وإذا مات لهم

ملك أو رئيس يحرقونه ويحرقون دوابه، ولهم أفعال كأفعال الهند.

قال: ومن الصقالية جنس أتحق بالخزر والروس. قال: والأول من ملوك

الصقالية ملك الدير، وله مدن واسعة وعمائر كثيرة، وهو يحارب الروم والفرنج

١٥ والنوكبرد وغيرهم من الأمم، والحرب بينهم سجال: ثم يلي هذا الملك من بلاد

الصقالية ملوك الترك. قال: والصقالية أجناس كثيرة، ثم اختلفت الكلمة بين

أجناسهم فزال نظامهم وملك كل جنس منهم عليهم ملكا.

هذا ما أورده المسعودي من أخبار الصقالية. والله أعلم.

(١) في المسعود: (ج ٣ ص ٦٢ طبع أوربا) «ولينا نا».

٢٠ (٢) في المسعودي طبع أوربا: «عزنة».

(٣) في المسعودي: «منابن».

وأما النوكبرد فقال المسعودي فيهم : إنهم أيضا من ولد يافت وبلادهم متصلة ببلاد المغرب ، ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس . وهم ذو بأس شديد ومنعة ، ولهم مدن كثيرة ويجمعهم بلد واحد .

قال : وأسماء ملوكهم في سائر الأعصار أريكس ، والمدينة العظمى من مدنتهم ودار مملكتهم تبت وهي مدينة عظيمة يخترقها نهر عظيم من أعظم الأنهار اسمه سايبط والمدينة على جانبيه .

٨٨

١٣

قال : ومن مدنتهم التي كان المسلمون ببلاد الأندلس قد غلبوهم عليها وسلبوها منهم وسكنوها ثم استعادها النوكبرد بعد ذلك من المسلمين مدينة تارة ومدينة طارينو ومدينة سيرنية ، ولم يذكر من أمرهم خلاف ذلك فنذكره .

١٠

ذكر خبر ملوك الإفرنجية والجلالقة

قال المسعودي : لاخلاف أت الإفرنجية والجلالقة والصقالية والنوكبرد والأسبان والترك والخزر وبرجان واللان وياجوج وماجوج وغير من ذكرنا من سكن بلاد الشمال من ولد يافت بن نوح .

قال : والإفرنجية أشد هؤلاء الأجناس بأسا ، وأمنعهم وأكثرهم عدة ، وأوسعهم ملكا ، وأحسنهم نظاما ، وأتقيادا للوكهم ، وأكثرهم طاعة .

١٥

قال : والجلالقة أشد من الإفرنجية وأعظم منهم نكايه . والرجل الواحد من الجلالقة يقاوم عدة من الإفرنجية . ثم قال : وكلمة الإفرنجية متفقة على ملك واحد

(١) كذا في المسعودي (ج ١ ص ١٩٧ طبع بلاق) ووردت في الأصول هكذا : «بببب» .

(٢) راجع (ج ١ ص ١٩٦ طبع بلاق) . «تتفق» : لولا أنه في الأصل (٢)

٢٠

لا تنازع بينهم في ذلك ، ومدنهم تزيد على مائة وخمسين مدينة غير الكُور .
وكانت أوائل بلادهم قبل ظهور الإسلام في البحر في جزيرة رودس وجزيرة
إقريطش ، ثم ملكوا بلاد الغرب وأستولوا عليها .

قال : وأول ملوك الإفرنجية قلويا وكان مجوسياً فنصرته أمر أنه عرضة .^(١)

ثم ملك بعده آبنه لذريق .

ثم ملك بعده آبنه دفسوت .^(٢)

ثم ملك بعده آبنه قادله .

ثم ملك بعده آبنه يبيق .

ثم ملك بعده قادله . وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة ، وذلك في أيام الحكم

- ١٠ صاحب الأندلس ، وتدافع أولاده بعده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت
الإفرنجية بسببهم .

وسار لذريق بن قادله فملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر ، وهو الذي

أقبل إلى طرطوشة فحاصرها .

ثم ملك بعده قادله بن لذريق تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر .

- ١٥ ثم ملك بعده آبنه لذريق ستة أعوام ، ثم خرج عليه قائد للإفرنجية يسمى يوسنة

فملك الإفرنجية وأقام في الملك ثمانى سنين . وهو الذى صالح المجوس على بلده سبع

سنين بستائة رطل ذهبا وستائة رطل فضة يؤديها صاحب الإفرنجية إليهم .

(١) في المسعودى طبع أوربا : « قلووية » . (١٠٧٦١) . (٢) في المسعودى طبع أوربا : « دفسوت » . (١٠٧٦١) .

(٢) في المسعودى طبع أوربا : « دفسوت » . (١٠٧٦١) .

ثم ولى بعده قاده وأقام في الملك إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر .
 ثم ولى بعده لذريق بن قاده وأستمر في الملك إلى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .
 هذا ما أورده المسعودي من أخبارهم في كتابه المسترجم بمروج الذهب^(١)
 ومعادن الجواهر .
 ثم أتسعت بعد ذلك ممالكهم وأنبسطت أيديهم وأستولوا على أكثر بلاد
 الغرب وغيرها .

ذكر طوائف السودان وشيء من أخبارهم ونسبهم

قال المسعودي : لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان
 نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر . ثم آفترقوا فسارت طائفة منهم ميممين المشرق ،
 وهم النوبة والحبشة والزنج . وسار فريق منهم نحو المغرب ، وهم أنواع كثيرة :
 الزغاوة والكانم ومرنك وكوكو والجمي وغانة وغير ذلك من أنواع الأحابش والدماديم ،
 ثم آفترق الذين يسموا بين المشرق والمغرب ، فصارت الزنج من المكين والمسكو ودبرا
 وغيرهم من أنواع الزنج .

قال : ومن مدنها بربرا وهي مدينة على خليج من البحر الحبشي يسمى الخليج
 البربري ، طوله خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل .

(١) الذي في مروج الذهب للمسعودي يخالف ما هنا في بعض المواضع فراجعته .

(٢) كذا في المسعودي (طبع أوربا) وفيه (طبع بلاق) « الغافو » وفي الأصول « الغافو » .

(٣) كذا في المسعودي (طبع بلاق) وفي الأصول « اكي » .

(٤) كذا بالأصل ، والذي في مروج الذهب (طبع أوربا) « المكبر والاشكر » ، وفيه (طبع بلاق)

« المكين والمسكون وبربرا » .

قال : وليست هذه بربراً هي التي تُنسب إليها البرابرة الذين بالمغرب من أرض إفريقية . قال : وليأس هؤلاء الزنج جلود النمورة ، وهي جلود كبيرة تُحمَل من أرضهم الى بلاد الإسلام . قال : وأقاصى بلاد الزنج بلاد سفالة وأقاصيه بلاد الواق واق ، وهي أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب والخصب ، حارة . وأتخذ بها الزنج دار مملكة وملكوا عليهم ملكاً اسمه « وقليبي » وهي نسبة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار .

قال : ويركب وقليبي وهو ملك من ملوك الزنج في ثلثمائة ألف راكب ، ودوابهم البقر ، وليس في أرضهم خيل ولا بغال ولا إبل ولا يعرفونها ، وإنما يركبون البقر بالسروج والجم ، ويقا تلون عليها وهي تعدو بهم كالحيل .

٨٩

١٣

قال المسعودي : رأيت بالرى نوعاً من هذه البقر تبرك كما تبرك الحمل وتحمّل وتثور بأحمالها ، وتحمّل عليها الميتة من الخيل والإبل وغيرها فتنهض بحملها . والغالب على هذا النوع من البقر حمرة الحدق وسائر البقر تنفر منها . قال : ولا يقع البرد في بلاد الزنج . قال : ومنهم ناس مُحدّدو الأسنان يأكل بعضهم بعضاً . قال : ومساكن الزنج من حدّ الخليج المشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق ، ومقدار مسافة مساكنهم وأتصالها في الطول والعرض سبعمائة فرسخ : بروادية وجبال ورمال .

قال المسعودي : ومعنى تسمية ملك الزنج « وقليبي » أي ابن الرب الكبير ؛ لأنه آخترهم لملكهم والعدل فيهم ، فمضى جاز الملك عليهم في حكمه أو حاد عن الحق قتله وحرّموا عقبة الملك . وزعموا أنه إذا فعل ذلك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذي هو ملك السماء والأرض ، ويسمونه الخالق عز وجل (مكليجو) وتفسيره الرب الكبير .

قال : والزنج أولو فصاحة في ألسنتهم وفيهم خطباء بلغتهم ، يقف الرجل الزاهد منهم فيخطب على الخلق الكثير منهم يرغبهم في القرب من ربهم ويوعظهم على طاعته ، ويذهبهم من عقابه ، ويذكّرهم من سلف من ملوكهم وأسلافهم ، وليس لهم شريعة يرجعون إليها بل رسوم ملوكهم ، وأنواع من السياسات يرجعون إليها ويسوسون بها رعيتهم ، وأكثر أكلهم الموز ، وهو كثير ببلدهم ، وغالب أقاتهم الذرة ونبت يقال له الكلازي يقتلع من الأرض كالكمأة والراسن ، وياكلون العسل واللحم .

قال : ومن هوى منهم شيئا من نبات أو حيوان أو جماد عبده . وجزائرهم لا تحصى كثرة وفيها النارجيل .

وأما النوبة وما قيل فيها فأفترقت فرقتين في شرقي النيل وغربيه . وأناخت على شطيه واتصلت ديارها بديار مصر ، وأنسعت مساكنها على شاطئ النيل مصعدة . ومدينتهم دقله . والفريق الآخر من النوبة يقال له غلوة وينزل مدينة الملك وأسمها سرتة .

وأما البجة وما قيل فيها فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملوكا ، وفي أرضهم معادن الذهب . قال : وأنضاف إلى البجة طائفة من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وتزوجوا من البجة .

وأما الحبشة وما قيل فيها فإن دار ملوكهم كعب ، وهي مدينة عظيمة ، وهي دار مملكة النجاشي . وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة ، ويتصل ملك النجاشي بالبحر الحبشي ، وله ساحل فيه مدينة كبيرة ، وهو مقابل لبلاد اليمن . فمن مدن الحبشة

(١) في المسعودي : « ويشبه هذا الكلازي الفلقاس الذي يكون بالشام ومصر » .

على الساحل : الزَّلَيْعُ والدَّهْلَكُ وناصِع ، وفي هذه المُدُن جماعةٌ من المسلمين إلا أنهم في ذمة الحبشة .

قال : وبين ساحل الحبشة ومدينة غَلافة ، وهي ساحل زبيد من أرض اليمن ، ثلاثة أيام عرض البحر . قال : ومنه عَبَّرت الحبشة الى اليمن حين ملكته في أيام ذى نُوَاس ، وهذا الموضع هو أقل هذا البحر عرضاً .

قال : وهنالك جزائر بين الساحلين منها : جزيرة العقيل فيها ماء يُشرب فيفعل في القسراخ والدكاء فعلاً جميلاً ، وبها جزيرة أسقطرة . وأما غير هؤلاء من الحبشة فمهم من أمعن في المغرب مثل : الزَّغَاوَة والكُوَكُو والقراقرة ومديدة ومريس والمبرس والملائنة والقوماطين ودُوَيْلة والقرمة . قال : ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف وغيرهم ملكٌ يرجعون إليه .

١٠

١١

الباب الرابع

من القسم الرابع من القرن الخامس

في أخبار ملوك العرب ويتصل بهذا الباب خبر سبيل العريم

٩٠
١٣

ذكر أخبار ملوك حطّان

قال المؤرخون : لم يكن للعرب ملك حقيقي ، وإنما كان من ملك خمير في بلاد اليمن سُمي ملكا ، وقد كانوا في بعض الأوقات يخرجون من بلادهم ويسيجون في الأرض حتى بلغوا أقصى المغرب ، وبلغوا من حدود المشرق سمرقند ، وبلغوا باب الأبواب ، ودخلوا بلاد الهند ولم يستقروا في غير بلادهم ، فلا يعد ذلك ملكا ، وإنما هو غارة .

فأول ملوك حطّان عبد شمس ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن حطّان ابن عابر بن شالح بن أرخشيد بن سام بن نوح ، وإنما سُمي سبأ لأنه أول من أدخل بلاد اليمن السبئية . قال عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكلمة الزهر وصدفة الدر : إن عبد شمس هذا ملك أربعمائة سنة وأربعا وثمانين سنة . قال : وقد اختلف في أول من ملك منهم ، فقيل يعرب بن حطّان . قال : وهو أول من نطق بالعربية ، وأول من حياه ولده بتحية الملك : أبيت اللعن ، وأنعم صباحا . والأشهر أن عبد شمس سبأ هو أول ملوكهم . والله أعلم .

ثم ملك بعده ابنه خمير بن سبأ ، قال : وكان أشجع الناس في وقته ، وأفرسهم وأجملهم . وقيل : إنه إنما سُمي خمير لكثرة لباسه الأحمر من الثياب ، وكان يلقب

(١) راجع (ص ٧٧ طبع أوربا) .

بالعربنجج ، وهو أول من وضع تاج الذهب على رأسه من ملوك اليمن . وكان مُلكاً
نحسين سنة ، وذلك في عصر قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

ثم ملك بعده أخوه كهلان بن سبا . فكان مُلكه إلى أن هلك ثلاثمائة سنة .

وآختلف فيمن ملك بعده ، فقيل : ملك بعده أبو مالك بن عسكر بن سبا . فكان

ملكه ثلاثمائة سنة . وقيل ملك بعد كهلان الرائش وهو الحارث بن شداد ، وكان

الحارث أول من غزا منهم ، وأصاب الغنائم ، وأدخلها اليمن ، وبينه وبين حمير

خمسة عشر أباً ، وسُمي الرائش لأنه لما أدخل الغنائم والأموال والسبي بلاد

اليمن فراش الناس [في أيامه] . وفي عصره مات لقمان النسور . قال : وذكر

الرئش هذا نبينا صلى الله عليه وسلم في شعره ، فقال من قصيدته :

ويملك بعدهم رجلٌ عظيمٌ نبيّ لا يُرخص في الحرام
يسعى أحمدًا ياليت أني أعمّر بعد مخرجه بعام

قال : وكان مُلكه مائة وخمسة وعشرين سنة . هكذا نقل عبد الملك بن عبدون

وذكر الخلاف في أبي مالك والرئش على ما ذكرناه . وأما غيره فإنه لم يذكر كهلان

ابن سبا ولا أبا مالك ، بل قال : إن حمير عهد إلى ابن أبيه المطاط بن عمرو بن

حمير . قال : وفي أيامه أنقرض ملك صحار وجاسم أبي دارم وبادوا .

قالوا : ثم ملك بعده ابنه أبرهة ويقال له ذو المنار . قالوا : سُمي بذلك لأنه

أول من أقام المنار في مغازيه على الطريق ، وذلك أنه أوغل في بلاد المغرب

والسودان ، واتخذها ليهتدى بذلك في قفوله . وكان مُلكه مائة وثلاثين سنة ،

(١) كذا في الأصول . وفي شرح قصيدة ابن عبدون الذي ينقل عنه المؤلف « سدر » وفي تاريخ

الطبري (ص ٤٤٠ من القسم الأول طبع أوربا) « ابن أبي سد » .

(٢) النكبة من شرح قصيدة ابن عبدون .

وقيل مائة وثلاثا وثمانين سنة . هكذا ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف أن الذي ملك أبرهة . وقال المسعودي : إن الذي ملك بعد الرأس جبار بن غالب بن زيد ابن كهلان وقال : إن ملكه كان مائة وعشرين سنة . والله أعلم .

ثم ملك بعد أبرهة على ما ذكر ابن حمدون في تذكرته ابنه إفريقيش ، وهو ذوا الأذعار . قال : سُمي بذلك لأنه نخرج نحو بلاد المغرب وأوقع بقوم لهم خلقٌ منكراً فدُسر الناس منهم وفرقوا . قال ابن عبدون : وغزنا إفريقيش بلاد المغرب حتى أتى طنجة ونقل البربر من أرض فلسطين ومصر والساحل إلى مساكنهم ببلاد المغرب . وكان البربر بقية من قتل يوشع بن نون . قال : وإفريقيش هو الذي بنى إفريقية وبه سُميت .

٩١
١٣

ثم ملك بعده ابنه العبد ويلقب ذا الشنتر ، وهي الأصابع في لغة حمير . قال : ونخرج نحو العراق فأحتضر في طريقه . هكذا ذكر ابن حمدون . وقال عبد الملك : إن الذي ملك بعد إفريقيش أخوه العبد بن أبرهة . قال : وهو ذوا الأذعار ، سُمي بذلك لأنه كان فيما ذكر أهل الأخبار غزوا بلاد النساس فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ورجع إلى اليمن من سبيهم يقوم وجوههم في صدورهم فدُسر الناس منهم فسُمي بذى الأذعار . وكان ملكه خمسا وعشرين سنة . وقد قدمنا أن ذوا الأذعار هو إفريقيش . والله أعلم .

ثم ملك بعده الهدهاد بن عمرو بن شرحبيل . هكذا قال ابن حمدون والمسعودي ، إلا أن المسعودي لم يذكر عمرا وقال الهدهاد بن شرحبيل . وسماه ابن قتيبة هداد بن شرحبيل بن عمرو بن الرأس ، وهو أبو بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام . وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وقيل سبعة ، وقيل ستة . وقد قدمنا

١٠

١٥

٢٠

خبر بلقيس وأنها آبنة ذى أشرح ، وأن والدها لم يكن ملكا وإنما كان وزيرا لملك
حمير وهو شراحي الحميري . والله تعالى أعلم .

وَأَخْتَلَفَ فِيْمَن مَلِك بَعْدَ الْهَدَاهِدِ ، قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : تَبَعَ الْأَوَّلُ . وَكَانَ مُلْكُهُ
أَرْبَعًا مِائَةَ سَنَةٍ . وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَلِكٌ بَعْدَ الْهَدَاهِدِ آبِنْتُهُ بَلْقَيْسُ
وَهِيَ صَاحِبَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَكَانَ مُلْكُهَا مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً .
وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى أَخْبَارِهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثم ملك بعدها ياسر بن عمرو بن شرحبيل وهو ناشر النعم ، قالوا : سُمِّيَ بِذَلِكَ
لِإِنْعَامِهِ عَلَى الْعَرَبِ ، وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ ، وَسَارَ غَازِيَا وَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ
حَتَّى بَلَغَ وَادِي الرَّمْلِ وَلَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَهُوَ رَمْلٌ جَارٍ ، وَلَمْ يَجِدْ وَرَاءَ ذَلِكَ
بِحَازَا لِكثْرَةِ الرَّمْلِ وَبَحْرِيَانِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُقِيمٌ إِذْ أَنْكَشَفَ الرَّمْلُ فَأَمَرَ بَعْضَ أَهْلِ
بَيْتِهِ أَنْ يَعْبرُوا هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَعَبَرُوا فَلَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ وَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، فَأَمَرَ بِصَنْمٍ
مِنْ نَحَاسٍ فَنُصِبَ عَلَى صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ عَلَى صُدْرِهِ بِقَلَمِ
الْمَسْنَدِ : هَذَا الصَنْمُ لِنَاشِرِ النَّعْمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ وَلَا يَتَكَلَّفَنَّ أَحَدٌ ذَلِكَ
فِيَعْطَبُ ، وَرَجَعَ مِنْ هُنَاكَ . وَكَانَ مُلْكُهُ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ قَتَيْبَةَ .
وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ : خَمْسًا وَثَلَاثِينَ .

ثم ملك بعده أبو كرب شمير بن إفريقش ، ويسمى يرعش لأرتعاش كان
به . قال : وخرج نحو العراق في زمن بستانساف أحد ملوك الفرس فأعطاه بستانساف
الطاعة ، وسار نحو الصين حتى نزل في طريقه ببلاد الصغد ، فأجتمع أهل تلك

(١) راجع (ج ١٤ ص ١١١ - ١٢٤) من هذه الطبعة .

(٢) المراد بالمسند : الخط الحميري .

الأرض بمدينة سمرقند فأحاط بهم شمر وأفتتحها عنوة وأسرف في القتل ونحرب المدينة
 وهدمها فسميت سمرقند، وعربت بعد ذلك فقالوا: سمرقند . ومعنى سمرقند ،
 أي خربها شمر . وفيه يقول دُعيل بن عليّ يفتخر باليمن من قصيدة :

هموا كتبوا الكتاب بباب مرو^(١) وباب الشاش كانوا كاتينا
 وهم سموا بشمر سمرقنداً وهم غرسوا هناك التبتينا

قال : ولما فرغ من بلاد الصغد سار نحو الصين فأيقن ملكها بالبوار ،
 فأحتال وزيره بأن جدع أنفه وأتى الى شمر ، وهو بمفازة بينها وبين الصين عشر
 مراحل ، ومث إليه بأن ملك الصين فعل به ذلك لأنه نصحه ألا يحارب شمر
 وخالف رايه ، فسأله شمر عن الطريق والماء ، فقال له : بينك وبين الماء ثلاث
 مراحل ، فترود لثلاثة أيام ، فلما قطعها أعوزه الماء وكشف له الرجل أمره فمات
 هو وأصحابه عطشا .

قال ابن قتيبة : وكانت مدة ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة . وقال المسعودي :
 ثلاثا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده ابنه أبو مالك بن شمر ، قال : وتأهب للأخذ بنار أبيه فبلغه أن
 بالمغرب واديا من الزبرجد ، فحمله الشره على طلبه وترك ما عزم عليه فمات في طريقه .
 ثم ملك بعده ابنه تبع الأقرن بن أبي مالك بن شمر . قال : وطلب نار جدته
 وأتى سمرقند فعمرها وجدد بناءها ، ثم أتى الصين وأحرب مدينتها وأبنتى هناك

(١) الشاش : مدينة جليلة من عمل سمرقند ، وهي في أرض سهلة وعامة دورها يجرى فيها الماء ،
 وهي من أنزه بلاد ما وراء النهر . وفي معجم البلدان لياقوت أثناء كلامه على سمرقند روى اليعتبي هكذا :

هموا كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الصين كانوا الكاتينا
 وهم خربوا سمرقنداً بشمر وهم غرسوا هنا التبتينا

مدينة أسكن فيها ثلاثين ألف رجل . قال الحمدوني في كتابه المترجم بالتذكرة :
هم إلى اليوم هناك في زى العرب ، ولهم بأس وشدة - يعني يوم صنف كتابه
وهو في سنة ثلاث وخمسين ونحو ذلك أو نحو ذلك - قال : وفي أوانه كان بوار
طسم وجديس على ما نذكره في وقائع العرب .

٩٢
١٣

قال : وفي أوانه أيضا كان سئل العرم وتفرق سبأ . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه
إن شاء الله تعالى .

قال ابن قتيبة : وكان ملك تبع الأقرن ثلاثا وخمسين سنة . قال المسعودي : إن
ملكه كان مائة وثلاثا وستين سنة . ولم يذكر الملك الذي كان قبله ، ونسبنا هذا
الملك أنه ابن شير .

- ١٠ ثم ملك بعده على مارواه ابن حمدون - وهو إن شاء الله أشبه بالصواب - أسعد
ابن عمرو . قال : وملك والملك متشتت فاستفز قومه فنهضوا معه في ملوك اليمن
حتى قتلهم مديكا مديكا ، وانتظم له ملك اليمن ، فوجه بأبن عم له يقال له القيطون
إلى الحجاز فبغى وظلم فقتله اليهود . ولما بلغ أسعد ذلك غضب وحلف ليقتلن كل
يهودي في الأرض ، وتجهز في مائة ألف حتى ورد يثرب ، فأجتمع الأوس والخزرج
وأخبروه بقصة ابن عمه وبجره وظلمه فعفا عن اليهود وقال : لست أرضى بالظلم
ولو علمت ذلك منه لقتلته ، وأتاه بنو هذيل بن مدركة فرغبوه في الكعبة وما فيها
من الذهب والجوهر ، فقدم مكة لذلك ، فأجتمع إليه أجبأ اليهود وقالوا : إن هذا
البيت العتيق الذي ليس لله عز وجل بيت في الأرض غيره وقد رام إفساده كثير
من الملوك فآبأهم الله . وفي هذه البلدة يكون مولد نبي آخر الزمان اسمه محمد وأحمد
من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهو خاتم الرسل ، وإتما أراد من ذلك على
- ٢٠

ذلك هلاكك ، فضرب أعناق الهدليين وأقام بمكة ستة شهور ينحرف في كل يوم ألف ناقة ، وكسا البيت وعلق عليه بابا من الذهب .

ولما هلك ملك بعده ابن عمه مرثد بن عبد كلال بن تبع الأقرن المعروف بذي الأعواد . قال : وكان ملكه أربعين سنة . ولما هلك ملك بعده أولاده وكانوا أربعة مشتركين في الملك على كل واحد منهم تاج . قال : وخرجوا إلى مكة ليقلعوا الحجر الأسود وابتنوا بيتا بصنعاء يكون حج الناس إليه ؛ فاجتمعت كنانة وقلدوا أمرهم فهر بن مالك وألتقوا فقتل ثلاثة من الملوك وأسر الرابع .

ولما أسره هؤلاء ملكت بعدهم أختهم أبضعة أبنة ذى الأعواد . قال : وكانت فاجرة فقتلها قومها .

ثم ملك بعد أولاد ذى الأعواد ملكي كرب بن عمرو بن سعد بن عمرو ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وتخرج عن سفك الدماء فلم يغز ولم يخرج من اليمن .

ثم ملك بعده تبع أسعد بن ملكي كرب . قال : ولما ملك غزرا بنى معد بهامة في ثلثمائة ألف طالبا لدماء الملوك الأربعة ، واجتمع بنو معد وعقدوا الرئاسة لأمية ابن عوف الكنانى المعروف بالعنسى ، ثم نفست ربيعة أن تكون الرئاسة في مضر فقعدت عنهم ، فضعفت مضر عن تبع وسأله الصلح على أن يؤدوا إليه عقل الملوك الأربعة ، عن كل ملك ألف ناقة . وكذلك كانت دية الملوك في الجاهلية . وديات من قتل معهم من الجنود لكل رجل مائة ناقة ، فقبل تبع ما بذلوه وأنصرف إلى أرضه ووقع الشر بين الحيين : ربيعة ومضر ، فأرسلت ربيعة إلى تبع رسلا فعقد بينهم حلفا وعقدا ، وهو الحلف الباقي بين ربيعة واليمن إلى أن جاء الإسلام . وأقام تبع هذا بأرض الشام ما شاء الله ، ثم سار إلى الهند في البحر وباشرا الحرب بنفسه فبرز

إليه ملك الهند ، وهو ابن فوز الذي قتل الإسكندر أباه فقتله تبع بيده ، وتحصنت اليهود بمدينتهم وحاصروهم تبع شهرا حتى سألوه الأمان فأمنهم وقفل إلى بلاده .

ثم ملك بعده ابنه حسان بن تبع . قال : فعزوا العراق في ثلثمائة ألف وأتى في طريقه مكة ، وقد عادت إليها خراعة عند وفاة فيهر بن مالك ، فأعطاه بنو نزار الطاعة . وروى عنه شعر يخبر فيه ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم :

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ
فَلَوْ مَدَّ عُمَيْرِي إِلَى عُمَيْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَأَبْنَ عَمِّ

قال : ولما ورد العراق وجد الفرس وسلطانهم وإيه وقد مات هرْمُزُ وولدت أمراؤه غلاما ، وهو سابور ذو الأكتاف ، ومريته أحد عطاء الفرس ، فلم يقم بضبط الملك ، فاستقبلوه بالطاعة وأقروا له بالخراج ، فأقام بالعراق حولا وعزم على غزو الصين فساء ذلك حمير وقالوا : نغيب عن أولادنا وعيالنا ولا ندرى ما يحدث بهم ، فمشوا إلى عمرو أخى حسان الملك وبعثوه على قتل أخيه على أن يملكوه عليهم ويعود بهم إلى بلادهم ، وأعطوه اليهود والمواثيق إلا رجلا يقال له ذورعين ، فقال لهم : إنكم إن قتلتم ملككم ظلما خرج الأمر منكم فلم يحفلوا به ، فأقبل بصحيفة مختومة وقال لعمرو بن تبع : لتكن هذه الصحيفة ودبعت لي عندك إلى وقت حاجتي إليها ، وأقبل عمرو ليلا إلى أخيه حسان وهو نائم في فراشه فقتله وأنصرفت حمير إلى بلادها . هكذا نقل ابن حمدون في تذكرته .

وقال أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم في أخبار الفرس : إن ملك الفرس يوم ذلك هو قباذ بن فيروز وهو أبو كسرى أنوشروان ، وإن الملك الذي غزاه من ملوك حمير هو تبع والد حسان ، وكان معه لما غزا

الفرس أبنته حسّان وأبن أخيه شيمر . قال : فسار شيمر حتى نزل الحيرة ووجه ابن أخيه شيمرا ذا الجناح الى قبّاذ فقاتله فهزّمه شيمر حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله .

قال : ثم إن تّبعا أمضى شيمرا ذا الجناح وأبنته حسّان الى الصغد وقال : أيتكما سبق إلى الصين فهو عليها . وكان كلّ واحد منهما في جيش عظيم يقال إنهما ستمائة ألف وأربعون ألفا ، وبعث ابن أخيه — وأسمه يعفر — إلى الروم .

قال : فأما يعفر فإنه سار حتى أتى القسطنطينية ، فأعطوه الطاعة والأناوة ومضى إلى رومية فحاصرها ، ثم أصابهم جوعٌ ووقع فيهم الطاعون فمترقوا ، وعلم الروم بذلك فوثبوا عليهم فلم يُقِلت منهم أحدٌ .

وأما شيمردو الجناح فإنه سار حتى انتهى إلى سمرقند فحاصرها فلم يظفر منها بشيء ، فلما رأى ذلك طاف بالحرس حتى أخذ رجلا من أهلها فأستمال قلبه ثم سأله عن المدينة ومليكها فقال : أما ملكها فأحمق الناس ليس له هم إلا الأكل والشرب والجماع ، ولكن له بنتٌ هي التي تقضى أمر الناس ، فثناه ووعدته حتى طابت نفسه ، ثم بعث معه هدية إليها وقال : أخبرها أني إنما جئتُ من أرض العرب للذي بلغني من عقلها لتتكحني نفسها ، فأصيب منها غلاما يملك العرب والعجم ، وإني لم أجد أتمسُ مالا ، وإنّ معي من المال أربعة آلاف تابوت ذهباً وفضة هاهنا ، وأنا أدفعها إليها وأمضى إلى الصين ، فإن كانت لي الأرض كانت أمرأتى ، وإن هلكت كان المال لها . فلما آتته رسالته إليها قالت : قد أجبته فليبعث بالمال ، فأرسل إليها بأربعة آلاف تابوت ، في كلّ تابوت رجلان ، وكان بسمرقند أربعة أبواب على كلّ باب منها أربعة آلاف رجل . قال : وجعل شيمر العلامة بينه وبينهم أن يضرب لهم بالحلجل ، وتقدم بذلك الى رسله الذين وجههم ، فلما صاروا

بالمدينة ضرب لهم بالجلجل فخرجوا وأخذوا بالأبواب، ونهد شمر^(١) في الناس فدخل
المدينة وقتل أهلها، وأحتوى على ما فيها . ثم سار إلى الصين فلقى الترك فهزمهم،
وآتهى إلى حسّان بن تُبّع بالصين فوجده قد سبقه إليها بثلاث سنين .

قال : وفي بعض الروايات وهي المجتمع عليها : إن حسّان وشمرًا أنصرفا
في الطريق الذي كانا أخذنا فيه حتى قدما على تُبّع بما حازا من الأموال بالصين .
وصنوف الجوهر والطيب والسبي، ثم أنصرفوا جميعا إلى بلادهم ، فكانت وفاة تُبّع
باليمن . وكان ملكه مائة سنة وإحدى وعشرين سنة .

قال : وأما في الرواية الأخرى فإن تُبّع أقام وواطأ أبنته حسّان وآبن أخيه
شمر أن يملكا الصين ويحملا إليه الغنائم ، ونصب بينه وبينهم المنار ، فكان إذا
حدّث حدّث أوقدوا النار، فأتى الخبر في ليلة .

قال : وقد ذكر بعض الرواة أنّ الذي سار في المشرق من التبابعة تُبّع الأخير؛
وهو تُبّع تَبان أسعد أبو كَرَب بن مَلِك بن زَيْد بن عمرو بن ذى الأذعار ، وهو
أبو حسّان . آتهى ما أورده ابن مسكويه من أخبارهم ، فلنرجع إلى مساق
ما قدّمناه مما نقله ابن حمدون .

قال : ثم ملك بعده حسّان بن تُبّع أخوه ، فقتله عمرو بن تُبّع . قال : وأنصرف
بالقوم إلى بلادهم فسلب الله عليه السهر فكان لا ينام ، فجمع الكهنة والقياف
والعزّافين فسألهم عن ذلك فلم يعرفوه ، فقال له رجل منهم : إنه يقال من قتل أخاه
ظلمها سلب الله عليه السهر وحرّم النوم ، فأحال بالذنب على حمير وجعل يقتل من
أشار عليه بقتل أخيه واحداً بعد واحد، ثم أرسل إلى ذى رعين ليُلققه بمن قُتل من

(١) نهد : نهض ونهض .

أصحابه، فقال: أيها الملك إني خالفتُ القوم فيما زينوا لك من قتل أخيك. قال: ومن يعلم ذلك؟ قال: الصحيفة التي أودعتها عندك، فأخرجها فقرأها فإذا فيها:

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ خَلَى مَنْ يَبِيْتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
فَإِنْ تَكْ حِمِيرٌ غَدَرْتُ وَخَانَتْ فَمُعْذَرَةُ الْإِلَهِ لِذِي رُصَيْنٍ

قال: نخلى عمرو وسبيله.

قال: ولما قتل عمرو أشراف قومه وصناديدهم تضعع أمر حُمير ووهي ملكها، فطمع فيه بنوكهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فوثب ربيعة ابن نصر بن الحارث بن عمرو بن عدى بن مرة بن زيد بن مدحج بن كهلان في قومه وجمعهم من أقطار الأرض، وجمع له عمرو بن تبع والتقوا فقتل عمرو بن تبع.

وملك بعده ربيعة بن نصر المقدم ذكره قال: وكان قد رأى رؤيا أزعجته وعبرت له أن الحبشة تملك بلاده، فوجه ابن أخيه جذيمة بن عمرو بن نصر ومعه ابنه عدى بن ربيعة وهو صبي، ووجه معهما حرمه وخزائنه، وكتب لهم إلى سابور ذي الأكتاف، فأسكنهم سابور الجيرة وملكهم ما حولها.

قال: ولما بلغ عدى بن ربيعة الحُلْمُ زوجته جذيمة أخته رقاش فولدت له عمرو بن عدى. وهؤلاء ملوك الجيرة على ما ذكره في أخبارهم.

قال: ولما مات ربيعة بن نصر تجمعت حُمير فأذنت كهلان بحرب أو إعادة الملك فيهم، ودخل بينهم السفراء فسأموا الملك إلى حُمير فملك حُمير عليها أربة ابن الصبَّاح بن طبيعة بن شيبعة الحمدي بن مرثد بن الحسير بن سيف بن مصلح

(١) في تاريخ أبي الفداء (ص ١١٨ طبع أوربا) ومروج الذهب للسعودي (ص ٢١٦ طبع بلاط)

« وكيعة »، وفي مروج الذهب (ج ٣ ص ١٥٥ طبع أوربا) « وليعة » باللام.

ابن عمرو بن مالك بن زيد بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سعد
ابن زُرعة بن ذى المنار .

قال : فملك عليهم ومكث طول أيام سابور ذى الأكتاف ثم مات .

فملك بعده ابن عمه صُهبان بن محوِث . قال : فبعث عماله على أرض العرب ،

وَأَسْتَعْمَلَ عَلَى وَلَدِ سَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ بْنِ خَالِهِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ كِنْدَةَ

ابن عدى بن مرة بن زيد بن مذجج بن كهلان ، وكان الحارث يلقب بأكل المرار ،

وهو جد امرئ القيس الشاعر بن حُجر بن الحارث ، وهو جد الأشعث بن قيس

ابن معديكرب بن جبلة بن عدى بن الحارث المذكور ؛ فقسَّم الحارث مملكته

بين ولده ، وكانوا ثلاثة : فملك أبوه حُجراً على أسد وكنانة ، وملك شُرْحَيْل على قيس

وتميم ، وملك [سامة] ^(١) على ربيعة ، فمكثوا كذلك حيناً حتى مات أبوهم الحارث

فوئبت بنو أسد على حُجر فقتلوه ، ووئبت قيس وتميم على شُرْحَيْل فطردوه ،

فغضب صُهبان وتجهز للسير إلى مضر ، فأستغاث مضر بربيعة وجاءت وفودهم

إليهم وأستنصروهم ، ورئيسهم كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم

ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ، وأجتمعت ربيعة ومضر

والرياسة على الحيين لكليب ؛ فقاتلوا صُهبان وعظماً قومه ، وهو اليوم المشهور

في العرب ، فقتل صُهبان . وفي هذا اليوم يقول عمرو بن كُثُوم :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي حَرَازٍ ^(٢) رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِيْنَا

فَكُنَّا الْإِيْمِيْنَ إِذَا اتَّقَيْنَا وَكَانَ الْإَيْسِرُ يَنْسُوا أَيْبَنَا

(١) التكملة عن النقااض (ص ١٠٧٣ طبع أوربا) .

(٢) حراز (بفتح أوله) : جبل لغنى أحمر وله هضبات حمر ، وفي أصله ماء لغنى يقال له (حرازة)

وهو في ناحية منبج دون أمرة وفوق عاقل على يسار طريق البصرة إلى المدينة (راجع معجم ما استعجم) .

فَأَبَوْا بِالنَّهَابِ وَالسَّبَابِيَا وَأَبْنَا بِالْمَلُوكِ مُصَقِّدِينَ

قال : ولما قُتِلَ صُهَيْبَانُ بْنُ مُحَرَّرٍ مَلِكٌ بَعْدَهُ الصَّبَّاحُ بْنُ أِبْرَهَةَ بْنِ الصَّبَّاحِ .

٩٥
١٣

قال : وَكَانَ نَجْدًا جَلْدًا ، فَسَارَ إِلَى مَعْدَ فِي مِئَةِ أَلْفٍ يَطْلُبُ نَارَ صُهَيْبَانَ . قَالَ :

وَتَجَمَّعَتْ مَعْدَ وَرِئِيسَهُمْ كَلَيْبٌ أَيْضًا ، وَكَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ بِمَوْضِعٍ يُسَمَّى الْكَلَّابَ ، فَانْهَزِمَتِ الْيَمَنُ . وَهَذَا الْيَوْمَانِ مِنْ مَفَاخِرِ زِيَارَةِ عَلِيِّ بْنِ الْيَمَنِ ، وَأَمْتَمَعْتُ مَعْدَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى قُتِلَ كَلَيْبُ بْنُ رَبِيعَةَ .

قال : وَلَمَّا مَاتَ الصَّبَّاحُ مَلِكٌ بَعْدَهُ أَبُو عَمٍّ لَهُ فَاسِقٌ ، وَقِيلَ : إِنَّ الَّذِي مَلِكٌ

نَحْبِيعَةَ ذُو شَنَاتِرَ ، قَالَ : وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَلِكِ ، فَأَغْرَى بِحَبِّ الْأَحْدَاثِ

مِنْ أَبْنَاءِ الْمَلُوكِ ، فَكَانَ يَطْلُبُهُمْ بِمَا يُطَالَبُ بِهِ النِّسْوَانُ ، وَكَانَ لَا يَسْمَعُ بِأَحَدٍ مِنْ

فَتَيَانَ الْعَرَبِ وَأَوْلَادِ الْمَلُوكِ حَسَنَ الصُّورَةِ إِلَّا أَسْتَدْعَاهُ وَطَالَبَهُ بِهَذَا الْفِعْلِ الْقَبِيحِ ،

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمَذْمُومَةِ حَتَّى نَشَأَ غَلَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ مَلُوكِ حِمَيْرَ اسْمُهُ زُرْعَةُ

ابْنِ كَعْبٍ وَيُدْعَى ذَانُوَاسَ ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ ذَوَابْتَانِ تَنُوسَانِ عَلَى عَاتِقِهِ ،

وَكَانَ وَضِيئًا ، فَاسْتَدْعَاهُ لِمِثْلِ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ غَيْرَهُ ، فَبَعَلَ تَحْتَ إِخْمِصِهِ سِكِّينًا ،

فَلَمَّا خَلَا بِهِ الْمَلِكُ وَابْتَهَى ذُو نُوَاسَ فَقَتَلَهُ ثُمَّ حَزَّرَ رَأْسَهُ ، وَكَانَ لَهُ كُوَّةٌ يُشْرِفُ مِنْهَا عَلَى

عَبِيدِهِ إِذَا قَضَى حَاجَتَهُ مِنَ الْعِصَامِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ وَيَضَعُ مِثْلَهَا فِيهِ ، فَلَمَّا

قَتَلَهُ ذُو نُوَاسَ جَعَلَ السُّوَاكَ فِيهِ ، وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي تِلْكَ الْكُوَّةِ الَّتِي كَانَ يُشْرِفُ

مِنْهَا عَلَى عَبِيدِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَى الْعَبِيدِ فَقَالُوا [لَهُ] : ذُو نُوَاسَ ، أَرَطَّبَ أُمَّ يَبَّاسَ ؟ .

فَقَالَ لَهُمْ : سَلْ نِخْمَانَ ، اسْتَرْطَبَانَ ذُو نُوَاسَ . اسْتَرْطَبَانَ لِأَبَاسَ . وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ :

(١) زيادة من السيرة لابن هشام (ص ٢٠ طبع أوربا) .

(٢) وردت هذه العبارة في السيرة لابن هشام بالفاظ فيها تقديم وتأخير .

سلوا الرأس التي في الكؤوة تخبركم وأتركوا ذا نواس ، قال : فأجمعت جحير عليه أمرها وقالوا : ينبغي أن نملكه لأنه أراحنا من هذا الفاسق .

فملك عليهم ذو نواس زُرعة هذا . قال : ولما ملك وأستتب له الأمر فارق

عبادة الأوثان ودخل في دين اليهودية وقتل من كان في بلاد اليمن على دين عيسى

ابن مريم عليه السلام من أمتنع من موافقته ، ثم قصد نجران وبها عبد الله بن الناصر وأصحابه وهم على دين عيسى عليه السلام ، فسألمهم الدخول في اليهودية فأمتنعوا ،

فقتل عبد الله بن الناصر بالسيف وأضرم للباقيين نارا عظيمة فألقاهم فيها ، وهم أصحاب

الأخدود الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ((قَتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ

النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ .

وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)^(١) . قال : ولم ينج منهم إلا نفر قليل .

وكان سبب تهوده أن جحير كان لها بيت نار فيه أصنامهم ، وكان يخرج من

تلك النار عنق يمد مقدار فرسخين ، فحضر عنده قوم من اليهود وقالوا : أيها الملك

إن هذا العنق من النار شيطان ، فطلب منهم تبيان ذلك ، فذمروا التوراة وقرءوها

فترجع ذلك العنق وطفت تلك النار ، فأعظم ذو نواس ذلك ودخل في دين اليهودية .

قالوا : ثم إن أحد الناجين من نجران — ويعرف بدوس بن ذى ثعلبان —^(٢)

قصد قيصر ملك الروم مستنجدا به ، ومُعظما عنده ماجرى على قومه وهم على دينه ،

فاعتذر اليه ببعد دياره وقال : سأكتب لك الى ملك على دينك قريب من ديارك ،

فكتب الى التجاشي ملك الحبشة ، فلما عرض عليه الكتاب وحدته بما جرى على

أهل ملته غضب وحي لأهل دينه ، وندب من جنوده سبعين ألف رجل مع

٢٠ (١) سورة البروج آيات ٤ — ٨

(٢) في السيرة لابن هشام (ص ٢٥ طبع أوربا) « دوس ذو ثعلبان » .

(١) ابن عمه أرياط ، وتقدم إليه بأن يقتل كل من باليمن على دين اليهودية ، فركب أرياط في البحر حتى انتهى الى عدن فأحرق السفن وقال : يامعشر الحبشة ، العدو أمامكم ، والبحر وراءكم ، ولا منجى لكم إلا الصبر حتى تظفروا أو تموتوا كراما . قال : والتقوا وأقتلوا فأنهزمت حيمر بعد حرب عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا . قال : وأقتحم ذو نواس البحر بفرسه وقال : والله الغرق أفضل من أمر السودان ، فغرق . وكان ملكه مائتي سنة وستين سنة ، وهو آخر من ملك اليمن من حطان . بجمع ما ملكوا من السنين ثلاثة آلاف سنة وأثنان وثمانون سنة .

وأستولت الحبشة على ملك اليمن ففرق أرياط الأموال على أشرف الحبشة وحرم الضعفاء ، بجمع أبرهة أحد قواد الحبشة جمعا منهم وخرج على أرياط وحاربه فقتله أبرهة بيده وأستولى أبرهة على ملك اليمن .

٩٦
١٣

ولما بلغ خبرهما النجاشي غضب لقتل أرياط وحالف لأطان أرض أبرهة سهلها وجبلها برجلي ، ولأجرت ناصيته بيدي ، ولأهريق دمته بكفني ، وتجهز للسير الى أرض اليمن ، فبلغ ذلك أبرهة فلابس جرابين من تراب السهل والجبل ، وعمد الى ناصيته بجزها ووضعها في حق ، وأحتجم وجعل دمته في قارورة وختم عليه وعلى الحق الذي فيه ناصيته بالمسك ، وبعث بذلك الى النجاشي وكتب إليه يعتذر مما فعله أرياط وأنه خالف سيرتك في العدل ، وقد بلغني ما حلفت ، وقد بعثت إليك بجرابين من تراب السهل والجبل ، فطأها هنالك برجلك ، وجر ناصيتي بيدك ، وأهريق دمي بكفك ، وبر في يمينك ، ولطف غضبك عني فإنما أنا عبد من عبيدك ، وعامل من

(١) في الأصول : « أرياط » بالباء الموحدة ، وهو تحريف ، وما أثبتناه نقلا عن المسعودي في مروج الذهب (ج ٣ ص ١٥٧ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٢٥ طبع أوربا) .
(٢) كذا في المسعودي وسيرة ابن هشام . وفي الأصول : « لأجن » بالخاء وهو تحريف .

عمالك . فأعجب النجاشي عقل أبرهة وأقره على مكانه ورضى عنه ، فبقى إلى زمان
كسرى أنو شروان وهو صاحب الفيل . وكانت قصته أنه نظر إلى أهل اليمن يتأهبون للحج ، فأخبر
أنهم يخرجون حجاجا إلى مكة فقال : أنا كيفهم تجشم هذا السفر البعيد بيعة أبيها
بصنعاء فيكون حج اليمن إليها ، وأمر ببنائها فبُنيت . وقد تقدم وصفها في الفن
الأول في المباني ، ونصب عند المذبح دُرّة عظيمة تُضئ في الليلة الظلماء كما يُضئ
السراج ، ثم نادى في أهل مملكته بالحج إليها ، فعضب العرب لذلك ، فأنطلق رجُلان
من خثعم فأحدثا في البيت الذي بناه ولطخاه بالعدرة .

وقيل : إن الذي فعل ذلك رجلٌ من كنانة ، فاتهم أبرهة قريشا بذلك ، وكان
حينئذ بصنعاء تجارٌ من قريش فيهم هشام بن المغيرة ، فأحضرهم وسألهم عن
أحدث في بيعته ، فأنكروا أن يكونوا علموا بشيء من ذلك ، فقال أبرهة : ظننت
أنكم فعلتم ذلك غضبا لبيتكم الذي يحج إليه العرب ، فقال هشام بن المغيرة : إن بيتنا
حُرٌّ تجتمع فيه السباع مع الوحوش ، وجوارح الطير مع البعاث ، ولا يعرض منها شيء
لصاحبه ، وإنما ينبغي أن يحج إلى بيعتك هذه من كان على دينك ، فأما من كان على
دين العرب فلا يؤثر على ذلك شيئا . فأقسم أبرهة ليسيرت إلى البيت فيهدمه حجرا
حجرا . فقال له هشام بن المغيرة : إنه قد رام ذلك غير واحد من الملوك فما وصلوا
إليه لأن له ربا يمنعه . فخرج أبرهة في أربعين ألفا وسار بالفيل ، ففضبت لقلعه
همدان وجمعت إليها قبائل من اليمن — وكان ملكهم رجلا من أشراف اليمن يقال
له ذو نفر — فأستقبلوه بخار بوه فهزموهم وظفر بندي نفر ملك همدان ونفيل بن

(١) راجع الجزء الأول (ص ٢٨٢ من هذه الطبعة) . (٢) راجع الجزء الأول (ص ٢٨٢ من هذه الطبعة) .

حبيب سيد خنعم أسيرين فأمر بضرب عنقهما . فقالا : أيها الملك ، استبقنا لندلك
على الطريق فإننا من أدل العرب ، ففعل ذلك . فلما صاروا في مفرق الطريقين :
مكة والطائف ، قال ذو نفر لابن حبيب : كفى بنا عارا أن ننطلق بهذا الأسود
الى بيت الله تعالى فيهدمه ! قال ابن حبيب : هلم بنا لناخذ به طريق الطائف
فيشتغل بثقيف ولعله يرى ما يسوءه ، فلم يشعر أهل الطائف صباحا إلا والحيوش
قد وردت عليهم ، فخرج أبو مسعود الثقفي في نفر منهم ، فأعلم أبرهة أنها ليست
طريقه ، وسار أبرهة حتى أتى مكة وأستاق السوائم ونزل على حد الحرم ، فكان فيما
ساق مائتا ناقة لعبد المطلب بن هاشم ، فركب عبد المطلب فرسه وقصد العسكر
ودخل على أبرهة فأعجبه جماله وأكرمه ونزل عن سريره كان عليه وجلس دونه حتى
لا يرفع عبد المطلب إليه ، ثم قال له : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يرُد عليّ الملك
مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك ، قال له أبرهة : قد كان بلغني شرفك
في العرب وفضلك فأحببتك ، ثم دخلت عليّ فرأيت من جمالك ووسامتك ما زادني
حبا ، فنقصت عندي في سؤالك إني مائتي ناقة وتركت أن تسألني في الرجوع عما
هممتُ به من هدم هذا البيت الذي هو شرفك وعزك ! قال عبد المطلب : أيها
الملك ، إن لهذا البيت ربا سمينعه منك وأنا رب إيلي ، وقد رام هدمه من لا يحصى
من الملوك فرجعوا بين أسير وقتيل ، فرد إبله ، واجتمع الى عبد المطلب أشرف
قومه فقالوا : اجعل له مالا نجعله له ليرجع عما هم به من هدم هذا البيت . قال لهم
عبد المطلب : وما عسى أن نجعل له من المال مع عظم ما هو فيه من الملك والسلطان !
أطمئنوا ، الله أمددكم ، فوالله لا يصل إليه أبدا . ثم أئسد عبد المطلب يقول :

يارب إن المرء يم * منع جاره فأمنع حلالك

(١) كذا في نسخة ١ . وفي نسخة ت « لله أبوك » .

- لا يَغْلِبَنَّ صَالِيَهُمْ * بَغْيًا وَمَا جَمَعُوا مِثْلَكَ
 إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْدٌ * لَمَتْنَا فَأُمْرٌ مَا بَدَلَكَ^(١)
- ثم علا جبل أبي قبيس هو وحكيم بن حزام ونفر من سادات قريش، وهرب
 الناس فلاحقوا برعوس الجبال، وأم أبرهة البيت وقدم أمامه الفيل، وكان أكبر
 فيل رآه الناس كالجبل العظيم، وأسمه بلسان الحبشة مجود؛ فلما انتهى الفيل إلى
 طرف الحرم برك، فكانوا ينخسونه، فإذا أخذوا به يمينا وشمالا هروا، وإذا
 أغموه برك، فلم يزل كذلك بقية يومهم. فلما قارب المساء نظروا إلى طير قد
 أقبلت من نحو البحر لا تُحصي كثرة أصغر من الحمام، فمَجِبُوا من كثرتها ولم يعرفوها
 ولا رأوا على خلقها طيورا، وكان مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجله، وحجر
 في منقاره، على مقدار الحمص، ففرقت على رؤوسهم وأظلت عسكرهم، ثم قذفت
 بالحجارة عليهم، وهبت ريح شديدة فزادت الحجارة صعوبة وقوة، فكان الحجر منها
 إذا وقع على رأس الرجل منهم نَقَذَ حتى يخرج من دُبُرِهِ، فإذا سقط على بطنه خرج
 من ناحية ظهره؛ فكان ما أخبر الله عز وجل عنهم في سورة الفيل: ﴿جَعَلَهُمْ
 كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ^(٢)﴾. وخرج عبد المطلب وأصحابه فملاوا أيديهم من المسال، وأرسل
- ١٥ (١) هذه الآيات الثلاثة وردت هكذا في الأصول، وورد البيتان الأول والثاني منهما في غير الأصول
 باختلاف في بعض الألفاظ؛ إذ ورد البيت الأول في اللسان «مادة حل» وسيرة ابن هشام (ص ٣٥
 طبع أوروبا) هكذا:
- لاهم إن العبيد * منع رحله فامنع حلالك
 وورد البيت الثاني في اللسان (مادة محل) وسيرة ابن هشام هكذا:
- ٢٠ لا يغلبن صليهم * ومخالهم عدوا مخالك
 والحلال (بالكسر): القوم المقيمون المتجاورون؛ يريد بهم هنا سكان الحرم. والمحال (بالكسر)
 هنا: الكيد والقوة.
- (٢) سورة الفيل آية ٥

إلى قريش بغاءوه من الجبال وغموا ما شاءوا ، فعظمت قريش في أعين العرب
وسمّوهم آل الله ، وأزداد عبد المطلب وأصحابه شرفاً . وولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد قدومهم بنحو وخمسين ليلة . وكان ذلك بعد عشرين سنة من ملك
أنوشروان .

وملك اليمن بعد أبرهة ابنه يكسوم .

ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة ، وهو الذي زال ملكه على يد سيف بن ذي يزن
على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر خبر سيف بن ذي يزن

وعود الملك إلى حمير

وذلك أن حمير لما رأته ملك الحبشة قد دام عليهم وتوارثوه فيهم ، اجتمع
ساداتهم إلى سيف بن ذي يزن — وهو من أولاد ذي نوّاس الذي غلب الحبشة على
اليمن في أيام ملكه — وبدلوا له أن يجمعوا له نفقة تقيمهم ليسير إلى بعض الملوك
فيستنجده ففعل ذلك ، وسار حتى وافى القسطنطينية إلى قيصر ملك الروم ، فاستنجده
فقال له قيصر : إن الجيش على ديني ، وما كنت لأعينك عليهم ، وأمر له بعشرة
ألف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : إذا لم تنصرتني فلا حاجة لي إلى مالك .
وأنصرف إلى كسرى وأستنجده ، فقال له كسرى : بعدت بلادك عن بلادنا مع قلة
خيرها ، إنما فيها الشاء والبعير وما لا حاجة لي فيه . فقال له سيف : لا ترهّدن
أيها الملك في بلادى فإنها فرضة العرب ، وأرض التبابعة الذين مآكوا أقطار أقاليم
الأرض ، ودان لهم أهل الشرق والغرب . قال كسرى : ما كنت لأغرر بجندي

- فيا لا ينفعني وأمر له بعشرة آلاف درهم. فلما انتهى إلى باب القصر نثرها في الناس حتى أتى عليها، فبلغ ذلك كسرى فغضب وقال له: ما الذي حملك على استخفافك بصلتي حتى نثرتها في الناس؟ قال: ما أصنع بالمال وتراب أرضي ذهب وفضة! ثم خنقته العبرة، فرق له كسرى ووعد بالانتصار له، فأشار عليه بعض وزرائه فقال: إن في سجونك بشراً كثيراً من أستوجب القتل، فربما يطلقهم، وقوهم بالمال والكراع^(١) والسلاح، ووجههم مع هذا العربي، فإن ظفروا كان ذلك زيادة في ملكك، وإن قتلوا كان ذلك جزاءً عن جرائمهم. فأعجب كسرى هذا الرأي وعمل به وقدم عليهم وهريز بن كاخان، وكان من فرسان العجم وأهل البيوتات، وقد أناف على المائة من السنين، وكانت عدتهم ثلاثة آلاف وستمائة رجل، فركبوا البحر في سبع سفن، وأرسل سيف إلى اليمن ومخالفها، فأتوه من أقاصى اليمن وأدانها حتى صاروا في عشرين ألفاً، وتجهز إليهم مسروق، فلما اتقيا قال وهريز لسيف: أرني ملكهم، فأراه إياه، وهو على فيل وعلى رأسه التاج وفيه ياقوتة حمراء مدلاة على جبينه، فلبث ساعة ثم تحوّل إلى فرس ثم تحوّل إلى بغلة، فقال وهريز: ذل الأسود وباد ملكه، وأنا أرميه فتأمل الرمية، فإن رأيت أصحابه تصدعوا عنه وحاصوا يمينا وشمالا فأعلم أني قتلتهم، وإن لم يتحركوا من منازلهم فلم أصنع شيئا، ورماه، ففلق السهم الياقوتة نصفين وخرج من مؤخر رأس مسروق، وأضطربت الحبشة وماجوا، وحمل عليهم وهريز ومن معه والعرب فولوا منهزمين، ودخلوا صنعاء وقتلوا كل أسود يوجد في اليمن. وكتب وهريز إلى كسرى بالفتح، فكتب
- (١) الكراع: الخيل.
- (٢) حاصوا، حاص عنه: قال وحصل له.

إليه كسرى أن يسأل عن سيف^(١) بن ذى يزن ، فإن كان من أبناء الملوك فأقره على ملكه وأنصرف عنه ، وإن لم يكن من أبنائهم فأضرب عنقه وأقم في الأرض متولياً لهم .

قال : فسلم وهيرز إليه ملكه وخلف من كان معه من العجم بصنعاء وأنصرف إلى كسرى ، وملك سيف^(٢) اليمن لكسرى ، وتداولتها الولاة بعده من قبل كسرى . وكان ملك الحبشة على اليمن اثنتين وسبعين سنة ثم آتت عندهم .

ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان

قال عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكامة الزهر وصدفة الدر^(٣) : ومن أهل اليمن من خرج منها فملك الشام ، وهم آل جفنة وأوطم : الحارث بن عمرو بن عامر ابن حارثة [بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن العوث بن تبت بن مالك] بن زيد^(٣) ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويكنى الحارث بأبي شمير . ثم تداولها منهم سبع وثلاثون ملكاً . ومدة ما ملكوا من السنين ستمائة سنة وست عشرة سنة إلى أن كان آخرهم جبلة بن الأيهم ، وهو الذي تنصر في أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بعد أن كان قد أقبل إلى عمر وأسلم .

(١) كما وردت هذه القصة في الأصول وكتب التاريخ والطبري في إحدى رواياته منسوبة إلى سيف ابن ذى يزن . وفي مروج الذهب والرواية الأخرى في تاريخ الطبري أنها منسوبة إلى معد يكرب بن سيف ابن ذى يزن .

راجع تاريخ الطبري (ص ٩٤٩ - ٩٥٨ من القسم الأول طبع أوربا) ومروج الذهب (ص ١١٢ - ١٧٦ طبع أوربا) .

(٢) راجع هذا الكتاب (ص ٨٧ طبع أوربا) .

(٣) الزيادة من كامة الزهر (ص ١١٢ طبع أوربا) .

ثم إنه كان في الطواف فداس رجل طرف ردايه فلطمه جبلة ، فأتى الرجل
عمر رضي الله عنه فطلب جبلة ليقيده منه فنتصر جبلة ولحق به رقل صاحب
القسطنطينية ، فأقطعه هرقل الأموال والضياع والرباع ، ثم ندم جبلة على ما كان
منه وقال :

- تَنَصَّرْتُ الْأَشْرَافَ مِنْ أَجْلِ لَطْمَةٍ * وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرَرٌ ٥
تَكْتَفِنِي مِنْهَا لِحَاجٍ وَنُحْوَةٌ * فَبِعْتُ لَهَا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعَوْرِ
فِيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَسْلُدْنِي وَلَيْتَنِي * رَجَعْتُ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ عُمَرُ
وَيَا لَيْتَنِي أَرَعَى الْمَخَاضَ بِقَفْرَةٍ * وَكُنْتُ أُسِيرًا فِي رِبْعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
وَيَا لَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ * أَجَالِسُ قَوْمِي ذَاهِبَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
١٠ وَحُكِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَ إِلَى هِرَقْلَ رَسُولًا يَدْعُوهُ
إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ إِلَى الْحِزْبِيَّةِ فَأَجَابَ إِلَى الْحِزْبِيَّةِ ، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّسُولُ الْأَنْصِرَافَ قَالَ
لَهُ هِرَقْلُ : أَلْقَيْتَ ابْنَ عَمِّكَ هَذَا الَّذِي عِنْدَنَا - يَعْنِي جَبْلَةَ - الَّذِي أَنَا نَا رَاغِبَا
فِي دِينِنَا ؟ فَقَالَ : مَا لَقَيْتُهُ . قَالَ أَلْقِهِ ، قَالَ الرَّسُولُ : فَذَهَبْتُ إِلَى بَابِ جَبْلَةَ
فَإِذَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَهَارَةِ وَالْمَجَابِ وَالْبَهْجَةِ وَكَثْرَةِ الْجَمْعِ مِثْلُ مَا عَلَى بَابِ هِرَقْلَ . قَالَ :
١٥ فَتَلَطَّقْتُ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ حَتَّى أَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ فَرَأَيْتُهُ أَصْهَبَ اللَّحْيَةَ ، وَكَانَ
عَهْدِي بِهِ أَسْوَدَ اللَّحْيَةِ وَالرَّائِسِ ، فَأَنْكَرْتُهُ وَإِذَا هُوَ قَدْ ذَرَّ سَحَابَةَ الذَّهَبِ عَلَى لِحْيَتِهِ
حَتَّى صَارَ أَصْهَبَ ، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى سُرِيرٍ مِنْ قَوَارِيرَ ، قَوَائِمُهُ أَرْبَعَةٌ أَسْوَدٌ مِنْ
الذَّهَبِ . قَالَ : فَلَمَّا عَرَفْتَنِي رَفَعَنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ . قَالَ : وَجَعَلَ يَسْأَلُنِي عَنِ
الْمُسْلِمِينَ وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَذَكَرْتُ خَيْرًا وَعَمَّرْتُهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَثُرُوا ،

(١) (١٠٧٨) (١٠٧٨) (١٠٧٨) (١٠٧٨) (١٠٧٨)

ثم آنحدرتُ عن السرير فقال لي : لِمَ تأتي الكرامة التي أكرمناك بها ، قلتُ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . قال : نعم ! صلى الله عليه وسلم ، ولكن نَقَّ قلبك من الدنس ولا تُبالِ على ما قعدت . فلما سمعته يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم طمعتُ فيه فقلتُ له : ويحك يا جبلة ! ألا تُسليمُ وقد عرفت الإسلامَ وفضله ؟ قال : أبعد ما كان مني ؟ قلتُ : نعم . قال : إن كنت تضمن لي أن يزوجني عمرُ أبتَه ويوليني الإمرة بعده رجعتُ إلى الإسلام . قال الرسول : فضمنتُ له الترويج ولم أضمن له الإمرة . قال : ثم أوما إلى خادم كان على رأسه فذهب مُسرعا فإذا خدامٌ قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوضعتُ ونصبتُ موائد الذهب وصحاف الفضة ، وقال لي : كُل . فقبضتُ يدي وقلتُ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة . قال : نعم ! صلى الله عليه وسلم ، ولكن نَقَّ قلبك وكُلْ فيما أحببت . قال : فاكل في الذهب وأكلت في الخلنج^(١) ، ثم جرى بطسات الذهب وأباريق الفضة فغسل يده فيها وغسلت في الصفر^(٢) ، ثم أوما إلى خادم فمز مُسرعا فإذا خدَمٌ معهم كراسي الذهب مُرصعةً بالجواهر ، فوضعتُ عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ، ثم جاءت الجوارى عليهم تيجانُ الذهب مُرصعةً بالجواهر ، فقعَدن عن يمينه وعن شماله على تلك الكراسي ، ثم جاءت جارية كأنها الشمس حُسنا على رأسها تاج ، على ذلك التاج طائرٌ وفي يدها اليمنى جامَةٌ فيها مسكٌ فتيت ، وفي يدها اليسرى جامَةٌ فيها ماء ورد ، فأوماتِ الجارية أو صَفرت بالطائر الذي على تاجها فوقع في جام ماء الورد

(١) الخلنج (فارسي معرب) : شجرتين صفرة وحمرة يكون باطراف الهند والصين ورقة كالطرفاء

وزهره أحمر وأصفر وأبيض . وأصل معناه المنتوع الألوان تتخذ من خشب الأواني .

(٢) الصفر (بالضم) : النحاس الأصفر . (بعضه من قراينة) (٧)

فأضطرب فيه ، ثم أومات إليه أو صَفَرَتْ فوقع في جام المسك فتمترغ فيه ، ثم
أومات فطار حتى نزل على تاج جَبَلَة ، فلم يزل يُرْفَرُ حتى نفص ماعليه في رأسه ،
فضحك جَبَلَة سرورا به ، ثم آتفت الى الجوارى اللواتى عن يمينه وقال لهن : بالله
أضحكننا ، فأندفنن يغنين بحقق عيدانهن ويقلن :

- (١) لله در عصاية نادمتهم * يوماً يحاق في الزمان الأول
يستون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالزحيق السلسل
يعشون حتى ما تهز كلابهم * لا يسألون عن السواد المقيبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول
أولاد جفنة عند قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

- ١٠ قال : فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : أتدرى من يقول هذا ؟ قلت لا ؛
قال : حسان بن ثابت ، ثم أشار الى الجوارى اللواتى عن يساره فقال لهن : بالله
أبيكننا ، فأندفنن يغنين بحقق عيدانهن ويقلن :
لمن الدار أفقرت بمعان * بين أعلى اليرموك فالتحان
ذلك معنى لآل جفنة في الدهر * بر وحق تعاقب الأزمان

- ١٥ (١) جلق (بكسر تين وتشديد اللام) : هو أسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل : بل هي دمشق
نفسها ، وقيل : موضع من قرى دمشق . (٢) البريص : أسم غوطة دمشق .
(٣) بردى : نهر دمشق . (٤) ابن مارية : هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان أميراً عندهم .
(٥) معان (بضم أوله) : حصن كبير من أرض فلسطين على نحسة أيام من دمشق في طريق مكة .
(٦) اليرموك : واد بناحية الشام ، وكانت فيه الواقعة المشهورة التي عرفت بيوم اليرموك في زمن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ، وكان من أعظم فتوح المسلمين . (٧) التحان (بفتح أوله وتشديد ثانيه) : موضع بالشام ، (بشأن) ينح (٧)

قد أراي هناك دهرًا مكيّنًا * عند ذى التاج مقعدى ومكاني^(١)
 قال : فبكي حتى سالت دموعه على لحيته، ثم قال : أتدرى من يقول هذا ؟
 قلت : لا ، قال : حسّان ، ثم أنشد : تنصرت الأشراف الأبيات ثم سألتني عن
 حسّان أحمى هو؟ قلت : نعم ، فأمر له بكسوة ولى بمثلها ، وأمر بمالٍ لحسان ونوق
 موقرة برًا ثم قال : إن وجدته حيًّا فأدفع الهدية إليه ، وإن وجدته ميتًا فأدفعها إلى
 أهله وأنحر النوق على قبره .

قال : فلما أخبرت عمّرب بنجره وما اشترط على وما صمّنت له قال : فهلا صمّنت
 له الأمر فإذا أفاء الله به قضى الله علينا بحكمه ! ثم جهّزنى عمّرب إلى القسطنطينية
 إلى هرقل ثانية وأمرنى أن أضمن له ما اشترط ، فلما دخلت القسطنطينية وجدت
 الناس قد أنصرفوا من جنازته ، فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أم الكتاب .

ذكر أخبار ملوك الخيرة

وهم من آل قحطان

وأولهم مالك بن فهم بن غنم بن دؤس بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك
 ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٢) . وكان قد نخرج من
 اليمن مع عمرو بن عامر حين أحسوا بفسيل العريم ، وقد ذكرنا أن الملك ربيعة
 ابن نصر كان قد بعثهم إلى سابور فأسكنهم الخيرة وملكوها ما حوّلها . والله أعلم .
 قال : وكان ملك الخيرة عشرين سنة .

(١) رواية الديوان (ص ٥٥ طبع أوروبا) :

قد أراي هناك حق مكيّن * عند ذى التاج مجلسى ومكاني

ورواية الأغاني (ج ١٤ ص ٦ طبع بلاق) :

قد أراي هناك حقًا مكيّنًا * عند ذى التاج مقعدى ومكاني

(٢) ورد هذا النسب في تاريخ أبي الفدا (ص ١٢٠ طبع أوروبا) ببعض تغيير بالزيادة والتقصان .

ثم ملك بعده أبنته جَذِيمَةُ وهو الوضاح . قال : وكان يقال له ذلك لبرص كان به ، ويقال أيضا فيه الأبرش ، وكان يترل الأنبار ، وكان لا يُنادِم أحدا من الناس ذهابا بنفسه على الندماء ، وكان ينادِم الفَرَقَدَيْنِ فإذا شَرِبَ قدحا صبَّ [في الأرض] لهذا قدحا ولهذا قدحا . ويقال : إنه أول من عمِلَ المِنْجَنِيْق من الملوِك ، وأول من حُدِيَتْ له النعَال . وأول من وقَد بين يديه الشمع ، وهو الذي قتلته الزبَاء بحيلة .

ثم ملك بعده ابنُ أخته عمرو بن عَدِي بن ربيعة . قالوا : وعمرو هذا هو الذي استهوته الحنّ دهرًا طويلا ثم رجَع ، فبينما مالك وعَقِيل ابنا فارج وقيل - فالح - يقصدان جَذِيمَةَ المَلِك بهدية إذ نزلا على ماء ومعهما قَيْتة يقال لها : أم عمرو ، فتعرض لهما عمرو ، وقد طالت أظفاره وشعره وساءت حالته وهيئته ، فجلس إليهما - وكانا يأكلان - فسد إليهما يده مُستطعا فناولته تلك الجارية طعاما فأكله ، ثم مد يده ثانية فقالت : إن يُعْطَ العبدُ كُرَاعًا يتبع ذراعا ! ثم ناولت صاحبها من شراها وأوكأت سقاءها ، فقال عمرو :

صَدَدْتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرُو * وكان الكَأْسُ تجرأها اليمين
وما شَرُّ الثَلَاثَةِ أُمَّ عَمْرُو * بصاحِبِكِ الذي لا تَصْبِحِينَا^(٤)

(١) في تاريخ أبي الفداء (ص ١٢٠ طبع أوربا) أن الذي ملك بعد مالك بن فهم أخوه عمرو ابن فهم ، ثم ملك بعده جذيمة بن مالك .

(٢) التكلة من عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٧٤ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٣) أوكأت سقاءها : شدت فيه بسير أو خيط ، أي ربطته .

(٤) هذان البيتان من معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة . وبعضهم يروى هذين البيتين لعمرو بن أخت جذيمة الأبرش كما ورد هنا والأغاني (ج ١٤ ص ٧٣ طبع بلاغ) .

فقالوا له : مَنْ أنت ؟ فأنتسب لهما ، ففصرحا به وأقبلا على خاله — وقد كان جعل الجعائل لمن يأتيه به — فلما أتياه به قال جَذِيمة لهما : لكما حُكْمكما . فقالا : مُنادمك . فكانا كما اختارا ، وسار بهما المثل . ويقال : إنهما نادماه أربعين سنة ، فما أعادا عليه حديثا مما حدثاه به مرة أخرى ، بل كانا يحدثانه بحديث جديد لم يسمعه منهما قَبْلُ .

وعمرُو هذا هو الذي أخذ بنار خاله جَذِيمة من الزبَاء وقَتَلها . وذلك أن قَصِير ابن سعد كان من غلمان جَذِيمة قال لعمرُو : اضربْ ظهري وأقطعْ أرنبةً أنفى وأتركني والزبَاء ، فأتى سأحتال لك عليها ، ففعل به ذلك ، ففتر قَصِيرٌ إلى الزبَاء وصار في جملة رجالها وأراها النصيح والأجتهاد في حوائجها ، وأنه غاش لعمرُو ابن عَدِي ؛ وجعل يتجر لها ويذهب لعمرُو في السرِّ فيعطيه الأموال فيأتيها بها ، كأن ذلك من أجهاده وحذقه في التجارة حتى أطمأنت له ؛ فذهب إلى عمرُو وأخذه وأخذ معه ألفي رَجُلٍ وجعلهم في جَوَالق على ألف جبل ، ومعهم دروعهم وسيوفهم وجاء بهم على طريق يقال له الغُوير^(١) ، ولم يكن يسلكه قبل ذلك ، فلما قَرَّب من حصنها تقدم إليها وأعلمها أنه قد أتاها بمال صاميت ، فأشرفت من أعلى قصرها تنظر إلى الجمال ، فرأتهما وكأتهما تتزعزعا رُجُلها من أوحالٍ لثقل ما عليهما ، فقالت : « عسى الغُويرُ أبوساً » . فذهبت مثلاً . ثم قالت :

ما لِمَطَايَا مَشِيهَا وَثِيْدَا * أَجْنَدَلَا يَحْمِلَانِ أُمَّ حَدِيدَا
أُمَّ صَرْفَانًا بَارِدًا شَدِيدَا * أُمَّ الرَّجَالِ جُئِمًا فُعُودَا

(١) الغوير : موضع على الفرات .

(٢) صرفانا باردا : قال في شرح القاموس (مادة صرف) : « الصرفان (بحركة) : الموت عن

آبن الأعرابي ، وقال ابن عباد : هو النحاس ، وفي اللسان : الرصاص القلعي ، وبهما فصر قول الزبَاء : =

وقد كان قَصِيرٌ قال لها قبل ذلك كالناصح : ما ينبغي لمثلك إلا أن يكون له
موضع ليوم ، فإنه لا يدري ما تُحْدِثُهُ الأيام ؛ فأرته سِرْباً في ناحية قَصِيرها قد نفذت
فيه إلى حصن أختها — وكانا على صَفْتِي الفُرَات — قال : فلما دخلت الإبل على
البُوابِ ضجرت لكثرتها ، حتى إذا كان آخرها طَعَن في جِوَالِقِ بَعُودٍ كان في يده ، فقابلت
الطعنة خاصرة الرجل الذي كان في الجِوَالِقِ فحقت فقال البُواب : لشنا لشنا ؛ أى شئ^(١) .
في الجِوَالِقِ ، فثارت الرجال من الجِوَالِقِ بأيديهم السيوف ، فهربت الزبّاء إلى
ذلك السَّرْبِ فإذا هي بقَصِيرٍ عند النفق ومعه عمرو بن عدي ، والسيوف في يده ،
فمضت خاتماً كان في يدها فيه سم ساعة وقالت : « يَيْدِي لا يَيْدِ عمرو » ، وفي ذلك
يقول المْتَبَسِّس :

١٤ وفي طَلَبِ الأوتارِ ما حَزَّ أَنْفَسُهُ * قَصِيرٌ ورَامَ الموتَ بالسيفِ يَهْسُ

== « ما لجمال مشها وثيدا ... » وذكر البيهقي ، متابعا في ذلك ما جاء في اللسان (مادة صرف) مع بعض
تغيير في اللفظ . ثم قال بعد ذلك : « وقبل الصرغان هنا : تمر رزين مثل البرني لأنه صلب المضاع علك ،
والناس يدنونه » .

ولعل تفسير البيهقي بالتمر أنسب ؛ فإن شارح القاموس قال بعد ذلك : قال أبو عبيد : ولم يكن يهدى

١٥ للزبّاء شئ . أحب إليها من التمر الصرغان وأنشد :

ولما أنتها المير قالت أبارد من التمر أم هذا حديد وجندل

وقد ذكر صاحب اللسان قول أبي عبيد والبيت الذي أنشده . وقال الجوهري في الصحاح (مادة

صرف) : والصرغان : الرصاص ، والصرغان أيضا : جنس من التمر قالت الزبّاء : *أبارد*

* ما لجمال مشها وثيدا ... الخ *

٢٠ (١) لذا في شرح فصيحة ابن عبدون (ص ٩٣ طبع ليدن) وفي الأصول : « الملك » .

(٢) كذا في الأصول ، وفي مروج الذهب (ج ١ ص ٢٢٥ طبع بلاط) . « فقال البُواب : بشقا

بشقا بالنطية ، أى في الجِوَالِقِ شر » . وفيه (ج ٣ ص ١٩٧ طبع أوربا) : « فقال البُواب : بشقا

لشقا ، أى شر في الجِوَالِقِ » .

وعمره هذا هو الذي يقال فيه : « شَبَّ عمرو عن الطَّوْقِ » . وكانت مدة ملكه مائة سنة .

ثم ملك بعده ابنه عمرو القيس . فكان ملكه ستين سنة .

ثم ملك بعده ابنه عمرو بن امرئ القيس وهو مُحَرَّقُ العرب . وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ، وكانت أمه مارية التي يضرب المثل بقُرْطِئِها .

١٠١
١٣

ثم ملك بعده النعمان بن المنذر فارس حليلة ، وهو الذي بنى الخورنق وكرَدَس الكراديس . وكان أعور ، ويقال : إنه أشرف في بعض الأيام على ما حوَّل الخورنق فقال : أكل ما أرى إلى نَفَادٍ؟ قيل : نعم . قال : فأى خير في ملك يكون آخره إلى نَفَادٍ ! ثم أنخلع من ملكه ولبس المسُوح وسار في الأرض . وقد ذكره عدى بن زيد فقال :

وَتَفَكَّرَبَ الخَوْرَنْقُ إِذْ أَشَى * رَفَّ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِّيرُ

سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمِي * ملك والبحر مُعْرِضًا وَالسَّيْدِرُ

(١) في الأصل : « الحرب » . وما أثبتناه عن مروج الذهب . وفيه وفي تاريخ أبي الفدا

ص ١٢٢ طبع أوروبا) أن الذي يسمى مُحَرَّقًا هو عمرو القيس بن عمرو بن امرئ القيس ، وإنما سمى مُحَرَّقًا لأنه أتول من عاقب بالنار .

(٢) كذا في الأصل ، وفي مروج الذهب : أن الذي ملك بعده النعمان بن امرئ القيس ، ثم المنذر ابن النعمان بن امرئ القيس ، ثم النعمان بن المنذر .

(٣) كذا في مروج الذهب وشرح قصيدة ابن عبدون ، وفي الأصل : « حمله » .

(٤) الخورنق : قصر بناه سمار على ثلاثة أميال من الحيرة .

(٥) كردس القائدة خيلة : أى جعلها كتيبة كتيبة . والكراديس : سخائب الخيل ، واحدها كردوس .

(٦) في تاريخ أبي الفدا . : أن الذي كان أعور هو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو .

(٧) معرضا : معرض بمعنى متسع ، ومنه أعرض الثوب ، أى اتسع وعرض .

فَارْعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ : فَمَا غَيْبٌ * حَطَّةٌ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ ؟

وكان مُلْكُهُ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً .

ثم ملك الأَسْوَدُ بْنُ النِّعْمَانِ ، فَكَانَ مُلْكُهُ عَشْرِينَ سَنَةً . وَيُقَالُ : إِنَّ الأَسْوَدَ هَذَا هُوَ الَّذِي أَنْتَصَرَ عَلَى غَسَّانَ وَأَسْرَعَ عِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ، وَأَرَادَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ، وَكَانَ لِلأَسْوَدِ ابْنُ عَمِّ يُقَالُ لَهُ : أَبُو أُذَيْنَةَ ، قَدْ قَتَلَ آلَ غَسَّانَ لَهُ أَخًا فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ يُغْرِى بِهِمُ الأَسْوَدَ بْنَ النِّعْمَانِ :

مَا كُلُّ يَوْمٍ يَسَالُ الْمَرْءُ مَا طَلَبَا * وَلَا يُسَوِّغُهُ الْمِقْدَارُ مَا وَهَبَا ^(١)

وَأَحْرَمَ النَّاسَ مِنْ أَنْ فُرْصَةً عَمَّرَصَتْ * لَمْ يَجْعَلِ السَّبَبَ الْمَوْصُولَ مُقْتَضِبَا

وَأَنْصَفُ النَّاسِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ مِنْ * سَقَى الْمُعَادِينَ بِالْكَأْسِ الَّذِي شَرِبَا

وَلَيْسَ يُظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضْرِبُهُمْ * بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مَنْ قَبْلَهُمْ ضَرِبَا

وَالْعَفْوُ إِلَّا عَنِ الأَكْفَاءِ مَكْرُمَةٌ * مَنْ قَالَ غَيْرَ الَّذِي قَدْ قُتِلَتْهُ كَذِبَا

قَتَلْتَ عَمْرًا وَتَسْتَبْقِي زَيْدًا لَقَدْ * رَأَيْتَ رَأْيَا يَجْزُو الْوَيْلَ وَالْحَرَبَا

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الأَفْعَى وَتُرْسِلْهَا * إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا

هُمُ جَرَدُوا السَّيْفَ فَأَجْعَلُهُمْ لَهْ جَزْرًا * وَأَوْقِدُوا النَّارَ فَأَجْعَلُهُمْ لَهَا حَطْبَا ^(٢)

إِنْ تَعَفَّ عَنْهُمْ تَقُولُ النَّاسُ كُلَّهُمْ * لَمْ يَعْفُ حَامِلًا وَلَكِنْ عَفَّوهُ رَهْبَا ^(٣)

وَكَانَ أَحْسَنَ مِنْ ذَا الْعَفْوِ لَوْ هَرَبُوا * لَكِنَّهُمْ أَنْقَوْا مِنْ مِثْلِكَ الْهَرَبَا

هُمُ أَهْلَةُ غَسَّانَ وَمَجْدُهُمْ * عَالٍ فَإِنْ حَالُوا مُلْكًا فَلَا عَجْبَا

وَعَمَّرُوا بِفِدَاءٍ وَأَصْفِينِ لَنَا * خَيْلًا وَابِلًا يَرُوقُ الْعُجْمَ وَالْعَرَبَا

(١) المقدارها : القدر (بالتحريك) .

(٢) جزرا : قطعنا .

(٣) رهبا : خروفا .

أَيُّجَلِيُونَ دَمَا مِنَّا وَتَحْلِبُهُمْ * رِسَالًا لَقَدْ شَرَّفُونَا فِي الْوَرَى حَلِبًا ^(١)
عَلَامَ تَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدْيَةً وَهُمْ * لَا فِضَّةَ قَبِلُوا مِنَّا وَلَا ذَهَبًا
فلما أنشده هذه القصيدة رجع عن رأيه في العفو عنهم وقبول الفداء منهم

وقتلهم . والله أعلم .

ثم ملك بعده المنذر بن الأسود ^(٢) ، وكانت أمه ماء السماء . وكانت مدة ملكه
أربعًا وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده عمرو بن المنذر . فكان ملكه أربعًا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده المنذر بن عمرو بن المنذر . وكان ملكه ستين سنة .

ثم ملك بعده قابوس بن المنذر . فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء .

ثم ملك بعده النعمان بن المنذر ، وهو الذي قيل له : « أبيت اللعن » وهو
آخر من ملك من آلهم . وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة . وها نحن نذكر ما قيل
في سبب ملكه وزواله .

قالوا : وكان عدى بن زيد العبّادي وأبنته زيد بن عدى سبب ولايته
وسبب هلاكه . وذلك أن عدياً وأخويه ، وهما عمّار وعمرو ، كانوا في خدمة
الأكاسرة وطسم من جهتهم قطائع ، وكان قابوس الأكبر عمّ النعمان بعث إلى
كسرى أبرويز بعدى بن زيد وأخويه ليكونوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات

(١) الرسل (بالكسر) : اللبن . والحلب (بالتحريك) : استخراج ما في الضرع من اللبن .

(٢) ذكر أبو الفداء في تاريخه (ص ١٢٦ طبع أوروبا) ما يخالف ذلك فانظره .

(٣) اسمها ماوية بنت عوف بن جشم ، وإنما لقبت ماء السماء لحسنها وجمالها . (راجع تاريخ أبي الفداء .

ص ١٢٦ طبع أوروبا وشرح قصيدة ابن عبدون ص ٩٦ طبع لندن) .

المنذر ترك من الأولاد آتني عشر رجلا ، وهم الأشاهب^(١) ، سموا بذلك لجمالهم ،
وفيهم يقول الأعشى :

وبنو المنذر الأشاهب بالحد * يرة يمشون غدوة كالسيوف^(٢)

- فجعل المنذر أبنه النعمان في حجر عدى بن زيد هذا ، وجعل أبنه الأسود
في حجر رجل يقال له : عدى بن أوس بن مريينا ، وبنو مريينا قوم لهم شرف ،
وهم من نحم ، وترك المنذر بقية بنيه ، وهم عشرة ، يستقل كل واحد منهم
بنفسه ، وجعل المنذر على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي ، فلما مات قابوس طلب
كسرى من يملكه على العرب ، فدعا عدى بن زيد فقال له : من بقي من بني المنذر ،
وما هم ؟ وهل فيه خير ؟ فقال : بقيتهم في ولد هذا الميت ، يعني المنذر ، وهم رجال
نجباء ، فكتب إليهم بالقدوم عليه ، فقدموا فأنزلهم ، على عدى بن زيد ، وكان عدى
يرى موضع النعمان لأنه في حجره ويختاره على بقية إخوته في الباطن ، وهو يظهر لهم
خلاف ذلك ويفضلهم عليه في الظاهر ، ويكرمهم ويخلو بهم ويربهم أنه لا يرجو
النعمان ، كل ذلك ، ليطمئنوا إليه ويرجعوا إلى رأيه ، ثم خلا بكل منهم على أفراده
وقال لهم : إن سألكم الملك : أتكنفوني العرب فقولوا : نكفهم إلا النعمان ، وقال
للنعمان : إن سألك الملك عن إخوتك فقل له : إن عجزت عنهم فأتني عن غيرهم أعجز .

(١) الشبهة في الأصل : بياض يخالطه سواد ، وقيل : البياض الذي يغلب على السواد ، وقد يقال
على مطلق البياض كما قالوا : ستة شهباء : أي بياضا . لكثرة الثلج وعدم النبات . وفي القاموس : « والأشاهب
بنو المنذر لجمالهم » قال شارحه السيد مرتضى : « سموا بذلك لبياض وجوههم » .

(٢) كذا في شعر الأعشى (ص ٢١٢ طبع أوربا) وفي الأصول : « بالسيوف » .

(٣) بنو مريينا : قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد ، وهم الذين ذكروهم أمرؤ القيس في قوله :

فلسوا في يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مريينا .

وليس مريينا بكلمة عربية (انظر تاج العروس واللسان مادة مرئ) .

قال : وكان عدى بن أوس بن مريّنا داهيةً أريباً ، وكان يُوصى الأسود
 ابن المنذر ويقول : قد عرفتُ أنّي لك راجح ، وأنّ طُلبتي اليك ورغبتى أن تخالف
 عدى بن زيد فيما يشير به عليك ، فإنه والله لا ينصح لك أبداً ، فلم ياتفت الأسود
 الى قوله . فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يدخلهم عليه قدمهم رجلا رجلا ،
 وكسرى يرى رجالا قلما رأى مثلهم ، فإذا سألهم هل تكفوني العرب قالوا : تكفيك
 العرب كلّها إلّا النعمان . فلما دخل النعمان عليه رأى رجلا دميماً قصيراً أحمر الشعر
 فكلمه وقال : هل تستطيع أن تكفيني العرب ؟ قال نعم ، قال : فكيف تصنع
 بإخوتك ؟ قال : أيها الملك إن عجزتُ عنهم فإني عن غيرهم أعجز ، فلكه وكساه
 وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم . فلما خرج وملك على العرب قال عدى
 ابن أوس بن مريّنا للأسود بن المنذر : دونك فإنك خالفتَ الرأي .

قال : ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً في بيعة وأرسل الى ابن أوس أن آتني
 مع من أحببت فإن لي حاجة ، فأتاه في أناس فتغدّوا في البيعة ، فقال عدى بن زيد
 لعدى بن أوس : يا عدى إن أحق من عرّف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك ،
 إنّي عرفتُ أنّ صاحبك الأسود كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ،
 فلا تلمني على شيء كنت على مثله ، وأنا أحبّ ألا تتحدّ عليّ شيئاً لو قدرت عليه
 ركبته ، وأحبّ أن تعطيني من نفسك ما أعطيتك من نفسي ، فإن نصيبي من هذا
 الأمر ليس بأوفر من نصيبك . فقام عدى بن زيد الى البيعة وحلف ألا يهجوه
 ولا يبيغيه غائلاً أبداً ، ولا يروى عنه خيراً ، وحلف عدى بن أوس على مثل يمينه
 ألا يزال يهجوه أبداً ويبيغيه الغوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى أتى منزله بالحيرة ،
 وأفترق العديان على وحشة ، فقال عدى بن أوس للأسود : إن لم تظفر أفلأ تعجز
 أن تطلب بشارك من هذا المعدي الذي عمل بك ما عمل ؟ فقد كنت أخبرتك

أن معدداً لاتمام عن مكرها، وأمرتك أن تخالفه فعصيتني . قال : فما تريد؟ قال :
 ألا تأتيك فائدة من مُلكك ولا أرضك إلا عرضتها عليّ، ففعل . وكان عدىُّ بنُ
 أوس كثير المسال، فلم يمتز به يومٌ إلا بعث فيه إلى النعمان هديةً أو مُحفةً . فلما توالى
 ذلك وكثرت هداياه عند النعمان صار من أكرم الناس عليه، وصار لا يقضى في مُلكه
 شيئاً إلا برأى عدى بن أوس . فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن أوس عنده
 تابعوه ولزموه، فكان يقول لمن يثق به من أصحاب النعمان : إذا رأيتموني
 أذكر عدى بن زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما يقول ولكنه لا يُسلم عليه أحد،
 وإنه يقول : إن الملك — يعني النعمان — إنما هو عامله ، وإنه هو الذي
 ولاه ما ولاه .

١٠. فلم يزالوا بهذا وأشباهه حتى أضغنوا النعمان عليه . ثم إنهم كتبوا كتاباً عن عدى
 إلى قهرمان كان له ، ودسوا من أخذ الكتاب وأتى به النعمان فقراه فغضب ، وأرسل
 إلى عدى بن زيد يقول : عزمتُ عليك إلا زرتني فإني قد اشتقتُ إليك ، وكان
 عند كسرى ، فاستأذنه في زيارة النعمان فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه ،
 فجعل يقول الشعر ويستعطفه به ، فكان مما قاله :

١٥. أبلغ النعمان عني مالكا^(٢) * إنه قد طال حبيسي وأنتظاري^(٣)
 لو بغير الماء حلقي شيرق * كنت كالفصان بالماء أعنصاري^(٣)

١٠٥
١٣

(١) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج .

(٢) مالكا : المالك (بفتح اللام وضمها) : الرسالة ، لأنها تؤلك في القم (تلاك) ، قال
 ابن بري : وقد يقال مالكة ، وروى عن محمد بن يزيد أنه قال : مالك جمع مالكة . (انظر اللسان
 مادة ألك) . وقال البغدادي في خزنة الأدب (ج ٣ ص ٥٩٧) : والمالك (سكون الهمزة وضم اللام) :
 الرسالة ، وقال الزجاج : مالك جمع مالكة .
 (٣) اعتصاري : قال الجوهري : الاعتصار : أن يَغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو
 أن يشربه قليلاً قليلاً ليسيقه ، وأشد هذا البيت . وقال البغدادي في الخزنة (ج ٣ ص ٥٩٦) : =

وقال أشعرا كثيرة كانت تبسغ النعمان فندم على حبسه وعلم أنه كيد فيه ، فكان يرسل إليه ويعدده ويمنيه ، فلما طال سجنه وأعياه التضرع إلى النعمان كتب إلى أخيه أبي — وهو عمار — وهو مع كسرى يخبره بحاله ، ويبعثه على السعي في خلاصه ، فدخل أبي على كسرى وكلمه ، فكتب إلى النعمان في أمره وبعث رسولا بكتابيه ، فقال له أبي : إبدأ بعدي وأنظره قبل أن تجتمع بالنعمان ، ورشاه على ذلك ، ففعل الرسول ذلك ودخل إلى الحبس واجتمع بعدي وقال له : ماتحب أن أصنع ؟ قال : أحب ألا تخرج من عندي ، وأعطني كتاب كسرى لأرسله من قبلي . قال : لا أستطيع ذلك . قال : فإنك إن خرجت من عندي قُتلت . فقال : لا بد أن آتي النعمان وأوصله الكتاب من يدي ، فأنطلق إلى النعمان وأوصله الكتاب فقبله وقال : سمعاً وطاعة ، ووصله بأربعة آلاف مثقال^(١) [ذهبا] وجارية^(١) [حسناً] وقال : إذا كان من غد فادخل عليه وأخرجه بنفسك . وكان أعداء عدي أتوا النعمان وأخبروه أن رسول كسرى دخل إلى عدي وأنه إن خرج من الحبس لم يسبق منا أحداً ، ولم تنج أنت ولا غيرك ، فأمرهم النعمان بقتله ، فدخلوا عليه لما خرج الرسول من عنده وعموه حتى مات ، فلما أصبح الرسول دخل السجن فقال له الحرس : إن عدياً قد مات منذ أيام ، فلما نجرؤ أن نخبر النعمان فرقاً منه لعلمنا بكرهيته لذلك ، فوجع الرسول إلى النعمان فقال :

== وتحقيقه أن الاعتصار الأتجا . كما قال أبو القاسم علي بن حمزة البصري فيما كتبه على النبات لأبي حنيفة الدينوري . وساق البغدادي كلام أبي القاسم هذا بنصه ، ثم قال : وقد صار هذا البيت مثلاً للتأذي من يرحى إحسانه . وقد أورد الميداني في مجمع الأمثال المثل : « لو بغير الماء غصت » وقال : إنه يضرب لمن يوثق به ثم يؤتى السواتق من قبله واستشهد بهذا البيت . وفي الأصول : « انتصاري »

وهو تحريف .

(١) النكحة من الأغاني (ج ٢ ص ١٢١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) يريد أنهم غطوا وجهه بشيء حتى اختفى .

إني كنت بدأت به فدخلت عليه وهو سخي . فقال له النعمان : بيعتلك الملك إلى
فدخل إليه قبلي ، كذبت ! ولحكك آرتشيت وتهدده ، ثم استدعاه بعد ذلك وزاده
جائزة وكسوة واستوثق منه وصرفه إلى كسرى . فلما رجع إليه قال له : قدم مات
قبل مقدمي على النعمان .

- قال : ثم ندم النعمان على قتل عدى ندما شديدا وأجترأ أعداء عدى على النعمان
وهاهم ، ثم ركب النعمان في بعض أيامه للصيد فلقي أبنا لعدى بن زيد ، فكلّمه فإذا
هو غلامٌ ظريفٌ ففرّج به النعمان وقربه ووصّله واعتذر إليه ، ثم جهزه إلى كسرى
وكتب إليه : إن عدياً كان ممن أُعين به الملك في نصيحته ورأيه ، فأنقضت مدته
وأنقطع أجله ، ولم يُصّب به أحدٌ أشد من مصيبتى ، وإن الملك لم يكن ليفقد رجلا
من عبيده إلا جعل الله له منه خاتماً ، وقد أدرك له ابنٌ ليس هو دونه ، وقد سرحته
إلى الملك فإن رأى أن يجعله مكان أبيه ويصرف عمه إلى عملي آخر فعلى . فأجابه
كسرى إلى ذلك ورتبه في وظيفة أبيه ، وسأله عن النعمان فأحسن الثناء عليه ، فمكث
سنوات على منزلة أبيه وأعجب به كسرى . وكان لصاحب هذه الرتبة على العرب
وظيفة في كل سنة من الأفراس والمهارة والكفاة والأقيط والأدوم وغير ذلك ، وهو
يلى ما يكتب عن كسرى إلى العرب .

قال : ثم تمسك زَيْدُ بْنُ عَدِيٍّ بن زيد عند كسرى حتى كان يجتمع به في أوقات
خلواته ، فدخل عليه في بعض الأيام فكلّمه فيما دخل بسببه ، ثم جرى ذكر النساء .
وكانت عند الأكامرة صفاتُ امرأة ، ومن رَسَمهم أن يطلبوا للملك من هي متّصفَةٌ

- (١) عبارة الأغاني : « وتوثق منه ألا يخبر كسرى إلا أنه قدم مات قبل أن يقدم عليه » .
(٢) جهزه : أعد له معدّات السفر .
(٣) المهارة : جمع المهر ، والمهراؤل ما يفتح من الخيل والحر الأهلية وغيرها .

بتلك الصفات . وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدي إلى أبو شروان جارية كان
أصابها لما أغار على الحارث الأكبر الغساني ، فكتب إلى أبو شروان بصفة الجارية
فقال : هي معدلة الخلق ، نقيّة اللون والثغر ، بيضاء قراء وطفاء دججاء حوراء عينا
[قنواء] ^(٣) [شمء] ^(٤) [براء] ^(٥) [زجاء أسيلة الخد] ^(٦) ، [شهية المقبل] ^(٧) [جثلة الشعر] ^(٨) ، عظيمة
الهامة ، بعيدة مهوى القرط عطاء ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مشاش ^(٩)
المنكب والعصيد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنان ، لطيفة طي البطن ،
تحيصة الخصر ، غرني الوشاح ، رداح الأقبال ، رابية الكفيل ، مفعمة الساق ، لقاء ^(١٣)
الفخذين . ربا الروادف ، ضخمة الماء كمتين ^(١٤) ، عظيمة الركبة ، مشبعة الخلل ، لطيفة ^(١٥)

- (١) الوطفا : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .
(٢) الدعج : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .
(٣) زيادة من الأغاني (ج ٢ ص ٢٣ طبعة دار الكتب المصرية) ، والقنواء : وصف من القنا
وهو ارتفاع في أعلى الأنف وأحدياب في وسطه وسبوغ في طرفه .
(٤) الشم في الأنف : ارتفاع القصة وحسنها .
(٥) زيادة من الأغاني . والبراء : الجميلة الحسنة الوجه .
(٦) الزجاء : دقيقة الحاجبين في طول . (٧) زيادة من الأغاني .
(٨) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه . (٩) العطاء : الطويلة العنق .
(١٠) المشاش : روس العظام مثل المنكبين والركبتين والمرفقين .
(١١) غرني الوشاح : دقيقة الخصر .
(١٢) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والأقبال (بالفتح) : ما استقبلك من
مشرف والواحد قبل (بالتحريك) .
(١٣) مفعمة الساق : مثلتها .
(١٤) المساكنان : الممتمنان اللتان على روس الوركين ، الواحدة ما كمة .
(١٥) مشبعة الخلل : كناية عن السمن ، وفي اللسان : امرأة شبي الخلل : ملاهى سمن .

الكعب [والقدم، قُطُوف المشي]، مِكَسَالُ الضَّحَى، بَضَّةُ المتجرّد، سَمُوعٌ للسَّيِّدِ،
ليست بِخُنْسَاءَ وَلَا سَفْعَاءَ، رَقِيقَةُ الأنفِ، عَزِيزَةُ النَّسِ، لم تُغَدِّ في بؤسٍ، حَمِيَّةٌ
رَزِينَةٌ، حَلِيمَةٌ رَكِينَةٌ، كَرِيمَةٌ الخِطَالِ، تَقْتَصِرُ بنسبِ أبيها، وبفصيلتها دونِ جَمَاعِ
قبيلتها، قد أَحْكَمَتِهَا التَّجَارِبُ في الأَدَبِ، رَأَيْهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ
الحَاجَةِ، صَسَنَاعُ الكَفَّينِ، قَطِيعَةُ اللِّسَانِ، رَهْوَةُ الصَّوْتِ [سَاكِنَتُهُ]، تَرِينُ البَيْتِ
وَتَسْنِينُ العَدُوِّ إِنْ أَرَدْتَهَا أَشْتَهَتْ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا أَتَهَتْ، مُخْمَلِقُ عَيْنَاهَا، وَتَجَمَّرُ وَجْهَتَاهَا،
وَتَدْبِدْبُ شَفَقَتَاهَا، وَتَبَادِرُكَ الوَشْبَةُ [إِذَا قَمَّتْ، وَلَا تَجْلِسُ إِلَّا بِأَمْرِكَ إِذَا
جَلَسْتَ] . فَقِيلَ لَهَا أَنْوَشِرُونَ وَأَمْرٌ بِإِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي دِيَوَانِهِ، فَكَانَتْ تَتَوَارَتُ

١٠٦
١٣

- (١) زيادة من الأغاني . والقطوف : وصف من القطاف وهو تقارب الخطو .
(٢) المكسال : المرأة التي لا تكاد ترح مجلسها ، وهو مدح لها مثل نؤم الضحى .
(٣) البضة : الناعمة ، يقال : امرأة بضة المتجرّد (بالفتح) أي بضة عند التجرد ، فالمتجرّد على هذا
مصدر . ومن قال : بضة المتجرّد (بالكسر) أراد الجسم .
(٤) الخنساء من الخنس (بالتحريك) وهو تأخر الأنف إلى الرأس وأرتقاعه عن الشفة وليس بطويل
ولا مشرف ، وقيل هو قريب من القطس وهو لصوق القصبة بالوجهة وضخم الأرنبة .
(٥) السفعاء من السفع (بالتحريك) وهو السواد والشحوب . وفي الحديث : « أنا وسفعاء
الخدّين الحاتية على ولدها يوم القيامة كهاتين » ضم أصابعه ، أراد بسفعاء الخدّين أنها بذلت نفسها
وتركت الزينة والزهر حتى شبح لونها وأسودت ، لإقامة على ولدها بعد وفاة زوجها .
(٦) ركينة : ساكنة وقورة . (٧) عبارة الأغاني هنا : « تقتصر على نسب أبيها دون
فصيلتها ، وتسننني بفصيلتها دون جماع قبيلتها » . (٨) في الأغاني : « الأمور » .
(٩) كذا في الأصول بها . التأنيت ، وفي القاموس واللسان : « وأمرأة قطع الكلام بغيرها . إذا
لم تكن سليطة » . (١٠) رهوة الصوت : رقيقته سهلته .
(١١) التكلمة من الأغاني . (١٢) في الأغاني « الول » .
(١٣) في اللسان : والمخملق من الأعين : ما حول مقلتيها بياض لم يخاطله سواد .
(١٤) التكلمة من الأغاني . (١٥) في الأغاني : « دواوينه » .

حتى انتهى الملك إلى كسرى أبرويز بن هرمز . فلما قُرئت هذه الصفة عليه قال له
 زيد بن عدى : أيها الملك ، أنا أخبر بال المنذر ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات
 عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . فقال له كسرى : اكتب فيهن
 إليه . فقال : أيها الملك ، إن شر شيء في العرب وفي النعمان [خاصة] أنهم يتكلمون
 — [زعموا] في أنفسهم — عن العجم ، فأبعثنى إليه وأبعث معي رجلا [من ثقاتك] ^(١)
 يفقه العربية . فبعث معه رجلا جَلدا [فهِمَا] ، فخرج به زيد حتى أتى الحيرة ودخل
 على النعمان ، فلما دخل عليه عظم الرسول أمر كسرى وقال له : إنه قد أحتاج إلى نساء
 لأهله وولده فأراد كرامتك [بصهره] ^(٢) وبعث إليك فيهن . فقال النعمان : وما صفة
 هؤلاء النسوة ؟ قال : هذه صفتهن قد جئناك بها ، وقرأها على زيد بن عدى ، فشق
 ذلك على النعمان وقال لزيد وللرسول : أما في مَهَا السَّواد وعين فارس ما تبلغون به
 حاجتكم ؟ فقال الرسول لزيد : ما المَهَا والعين ؟ قال : البقر . فقال زيد للنعمان : إنما
 أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن ذلك يُسْقُ عليك لَمَّا كَتَبَ إليك ، فأنزلها [يومين
 عنده] ثم كتب إلى كسرى . إن الذي طلب الملك ليس عندي . ثم قال لزيد :
 أعينني عنده . فلما رجعا إلى كسرى قال لزيد : أين ما كنت أخبرتنى به ؟ قال :
 قد كنت أخبرتك بضعتهم بنسائهم على غيرهم ، وإن ذلك من شقائهم ، فسأل هذا
 الرسول عن مقالة النعمان فإني أكره أن أواجه الملك بما قاله ، فقال للرسول :
 وما قال ؟ قال إنه قال : أما في بقرِ السواد [وفارس] ^(٣) ما يكفى الملك حتى يطلب

(١) زيادة من الأغاني .

(٢) زيادة من الأغاني .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « على » . (٤) زيادة من الأغاني .

(٥) زيادة من الأغاني . (٦) زيادة من الأغاني . (٧) زيادة من الأغاني .

(٨) زيادة من الأغاني .

- ما عندنا ! فعرف الغضب في وجه كسرى ثم قال : رَبِّ عَيْدٍ قَدْ قَالَ هَذَا فِصَارِ
 أَمْرِهِ إِلَى التَّبَابِ ، فَبَلَغَ كَلَامُهُ النِّعَانَ ، وَسَكَتَ كَسْرَى عَلَى ذَلِكَ أَشْهَرًا ، وَهُوَ يَسْتَعِدُّ^(١)
 وَيَتَوَقَّعُ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابُ كَسْرَى يَسْتَدْعِيهِ ، فَأَنْطَلَقَ النِّعَانُ حَتَّى أَتَى جِبَالَ طَبِيِّ وَهُوَ^(٢)
 مَتَرَوِّجٌ مِنْهُمْ ، فَأَرَادَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُ فَأَبَوْا ذَلِكَ وَقَالُوا : لَوْلَا صِهْرُكَ لَقَتَلْنَاكَ ، فَإِنَّهُ لَاحَاجَةٌ^(٣)
 لَنَا فِي مُعَادَاةِ كَسْرَى ، فَأَقْبَلَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْعَرَبِ فَلَا يَقْبَلُوهُ ، حَتَّى نَزَلَ بِذِي قَارِ^(٤)
 بَنِي شَيْبَانَ سِرًّا فَلَقِيَ هَانِيَّ بْنَ قَبِيصَةَ [بِنِ هَانِيٍّ] بِنِ مَسْعُودٍ فَأَوْدَعَهُ سِلَاحَهُ وَتَوَجَّهَ^(٥)
 إِلَى كَسْرَى فَلَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَدَى عَلَى قَنْطَرَةٍ سَابَاطَ ، فَقَالَ لَهُ : ائِجُّ أُمَيْمٌ ! فَقَالَ : أَنْتَ^(٦)
 يَا زَيْدٌ فَعَلْتَ هَذَا ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أَفْلَتَ لِأَسْقِيَنَّكَ بِكَأْسِ أَبِيكَ ! فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : ائِضْ
 نَعِيمٌ ، فَقَدْ وَاللَّهِ وَضَعْتُ لَكَ عِنْدَهُ أُخِيَّةً لَا يَقْطَعُهَا الْمُهْرُ الْأَرْنُ . قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَ كَسْرَى^(٧)
 أَنَّهُ بِالْبَابِ أَمَرَ بِهِ فُقَيْدًا وَأَبْعَدَهُ إِلَى خَانَئِينَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِالسَّجِنِ حَتَّى مَاتَ بِالطَّاعُونَ .^(٨)^(٩)

(١) التباب : الهلاك والخسران . (٢) يريد النعان .

(٣) كان عنده منهم فرقة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وزينب بنت أوس بن حارثة كما في الأغاني .

(٤) ذوقار : ماء بكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، وفيه كانت الواقعة المشهورة

بين بكر بن وائل والفرس .

(٥) زيادة من القنائص (ص ٦٣٩ طبع أوروبا) وهنأ في الأغاني (ج ٢ ص ١٢٦ طبع

دارالكتب المصرية) حديث دار بين النعان وبين قبصة بن هاني توجه على أثره النعان لمقابلة كسرى ، فانظره .

(٦) ساباط : موضع بالمداين لكسرى أبرويز .

(٧) الأخية (بتشديد الباء) كابية ، ويقال أخية بخفيف الباء وأخية بالمد والتشديد : عود يعرض

في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة . وقال ابن السكيت : الأخية :

٢٠ أن يدفن طرفا قطعة من الحبل في الأرض وفيها عصية أو حجر ويظهر منه مثل عروة تشد إليها الدابة ، وإنما
 توضع الأخية في مهارة الأرضين لأنها أرفق بالحبل من الأوتاد الناشئة عن الأرض .

(٨) الأرن : الذبيط .

(٩) خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد ، بينها وبين قصر شيرين ستة

فراسخ لمن يريد الجبال ، وبها عين للنفط عظيمة كثيرة الدخل .

قال ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم : والناس يظنون أنه مات بساباط بيت^(١) قاله الأعشى . والصحيح ما قلناه .

وقال ابن عبدون : إن النعمان لما أقبل إلى المدائن صَفَّ له كِسْرَى ثمانية آلاف جارية عليهم المصبغات وجعلهن صَفَّين ، فلما صار النعمان بينهما قُلْنَ له : أَمَا فِينَا لِلْمَلِكِ غَنَى عَنْ بَقَرِ السَّوَادِ ؟ وَأَنَّ كِسْرَى أَمْرٌ بِالنَّعْمَانِ فَحُسَّ بِسَابَاطِ الْمَدَائِنِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرَمَى بَيْنَ أَرْجْلِ الْفِيلَةِ فَوَطَّئَتْهُ حَتَّى مَاتَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ وَذَكَرَ [قَتَلَ] كِسْرَى أَبُو رِيحٍ [لِلنَّعْمَانِ] فَقَالَ :^(٢)

هُوَ الْمُدْخِلُ النَّعْمَانَ يَتَنَا سَمَاءُوهُ * نُحُورُ الْفُيُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرِّدِ^(٣)

ثم ملك بعده إياس بن قبيصة وأتى الله تعالى بالإسلام . فهؤلاء ملوك العرب باليمن والشام والحيرة .

(١) البيت هو :

فذلك وما أنجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محزق

والمحزق : الضيق عليه في حسبه . وروى : « محزق » بتقديم الراء على الزاي . قال في اللسان : « روى ابن جني عن التوزي قال : قلت لأبي زيد الأنصاري : أتم تشدون قول الأعشى « ... حتى مات وهو محزق » وأبو عمرو الشيباني ينشده بتقديم الراء على الزاي فقال : إنها نبطية ، وأم أبي عمرو نبطية فهو أعلم بها منا » .

(٢) راجع شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٣١ طبع أوربا) .

(٣) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وسماها باسم فسميت المدائن بذلك . وكان فتحها في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦ هـ .

(٤) هو من بني عامر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم جاهلي قديم ، وهو من فرسان تميم المعدودين (راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٤٧ طبع أوربا) .

(٥) النكلة من لسان العرب مادة « سردق » .

(٦) في اللسان مادة « مردق » ورد هذا البيت وفيه « صدور الفيول » بدل « نحور » . والبيت المرادق : هو الذي يكون أعلاه وأسفله مشدودا كله .

ذكر خبر سَدِّ مَأْرِبٍ وَسَيْلِ الْعَرَمِ^(١)

قد ذكر الله عز وجل ذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْأَلِهِمْ آيَةً جِتَّانٍ عَنْ مَيْمِنٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُوا لَهُ بِلَدَةٍ طَيِّبَةٍ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ الآية .^(٣) رُوِيَ عَنْ قُرُوءِ بْنِ مُسَيْكٍ عَنْ رَسُولِ

- الله صلى الله عليه وسلم أنه لما أنزل في سبأ ما أنزل قال رجل : يا رسول الله ، وما سبأ ؟ أرض أو امرأة ؟ فقال : « ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجلٌ ولدَ عشرة من العرب فتيا من منهم ستة وتشاءم منهم أربعة ، فأما الذين تشاءموا فلخيم وجذام وغسان وعامله ، وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعرين وخمير وكندة ومدحج وأنمار » فقال رجلٌ : يا رسول الله ، وما أنمار ؟ قال : « الذين منهم خثعم وبجيلة » .
- أخرجه أبو داود في سننه والترمذى في جامعه .

١٠٧
١٣

وكانت أرض مأرب من بلاد اليمن متصلة العارة مسيرة ستة أشهر ، وقيل أزيد من شهرين للراكب المحمّد ، وكانوا يقتتسون النار بعضهم من بعض مسيرة ستة أشهر ؛

(١) السدّ (بالفتح والضم) : الجبل والحاجز وبهما قرئ قوله تعالى : « حتى إذا بلغ بين السدين » .

(٢) « في مسألتهم » قراءة نافع ، وقراءة حفص : « في مسكنهم » .

(٣) الآيات ١٥ و ١٦ من سورة سبأ .

(٤) كذا في تهذيب التهذيب (ج ٧ ص ٢٦٥ طبع الهند) وتفسير القرطبي (ج ١٤ ص ٢٨٢ طبع دار الكتب المصرية) . وهو قُرُوءُ بْنُ مُسَيْكٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَرِيتَ ، ويقال بدل كريت ذؤيب بن مالك بن منبه بن عطيف المرادى ثم العطيبي . له صحبة ، أسلم سنة تسع وسكن الكوفة ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واليه وعنه روى أبو سيرة النخعي وهاتف بن عرة المرادى وطامر الشعبي وسعيد بن أبيض بن جمال وغيرهم . وفي الأصول : « عروة » وهو تحريف .

(٥) الأشعرين : نسبة إلى الأشعر ، وهو أبو قبيلة من اليمن ، وهو أشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وتقول العرب : جاءتك الأشعرين ، بحذف ياء النسب (راجع لسان العرب مادة شعر) . وفي تفسير القرطبي (ج ١٤ ص ٢٨٣ طبع دار الكتب) : « الأشعريون » ببايات ياء النسب .

فكانت المرأة إذا أرادت أن تَجْتَنِي من مَمارها [شَيْثًا] وَضَعَتِ المِخْلَ على رأسها
 وخرجت تمشي بين الأشجار وهي تَغزِل وتعمل ماشاءت ، فلا ترجع إلا وقد أمتلأ
 مِخْلُها مما يتساقط فيه من الثمار .
 واختلِف في ما رَبَّ ، فقيل : إنه اسمُ ملكٍ تلك الأرض فُسِّمَتْ به ، قال الشاعر :
 مِنْ سَبَأٍ الحَاضِرِينَ ما رَبَّ إِذْ * يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا
 وقيل : هو اسمُ لقصر الملك ، وفيه يقول أبو الطَّمَحان :
 أَلَمْ تَرَوْا ما رَبًّا ما كان أَحصَنَهُ * وما حَوَالِيهِ مِنْ سُورٍ وَبُنِيانِ
 قال : وكان أولُ مَنْ خَرَجَ مِنَ البَينِ بسببِ سَيْلِ العَرَمِ عمرو بنُ عامرٍ مُزَيَّقِيًا ،
 وقد ذَكَرناه في الأَنساب ، وإِنَّ سَببَ تَسْمِيَتِهِ مُزَيَّقِيًا أَنه كان يلبس في كلِّ يومٍ
 حُلَّةً وقيل حُلَّتَيْنِ ، وهو الأشهر ، ثم يَمزِّقُهما عَشِيَّةَ نهاره لئلا يلبسهما غيره ، فكان
 هذا دأبه في كلِّ يوم .

(١) التكلة من شرح قصيدة ابن عبدون .

(٢) المِخْلُ . زنبيل يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره .

(٣) هو النابتة الجعدى . وهو أبو ليلى قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب

ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر إسلامي ، وكان أوصف الناس للتخيل .

(٤) سبأ (بفتح الهَمْزة) على أنه ممنسوع من الصرف لأنه اسم قبيلة ، وبهذه الرواية قرأ أبو عمرو

وآبِن كثير . وفي طبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٧ طبع أوربا) : « أخبرنا ابن سلام قال : قلت

ليونس : كيف تقرأ : (وجئتك من سبأ بقبلي يقين) ؟ فقال : قال الجعدى وهو أفصح العرب :

مِنْ سَبَأِ الحَاضِرِينَ ما رَبَّ إِذْ * يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا

وهو على قراءة « أبي عمرو ويونس » . والعَرَمُ (بالكسر) : هو هنا الأحباس تنبت في أوساط الأودية

وهو جمع واحد عرمة . وهذا البيت من قصيدة للجعدى ذكرها ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء »

(ص ١٦٣ طبع أوربا) . (طبعة دار المعارف) : (طبعة دار المعارف) (٢)

(٥) راجع (ج ٢ ص ٣١٤ من هذه الطبعة) ص ٢١٤ من هذه الطبعة (طبعة دار المعارف) (٢)

وكان سببُ خروجه من اليمن وأُطْلَعه على خبر سَيْبِ العَرِمِ قبلَ حدوده دُونَ
غيره من الناس أنه كان له امرأةٌ كَاهِنَةٌ يُقال لها : طُرَيْفَةُ الخَيْرِ ، وكانت قد رَأَتْ
في منامها أن سحابةً غَشِيَتْ أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم أصعقت فأحرقَتْ كلَّ
ما وَقَعَتْ عليه ، فَفَزِعَتْ طُرَيْفَةُ الخَيْرِ لذلك فَرَعًا شديدًا وأنتِ إلى زوجها عمرو بن
عامر وقالت : ما رأيتُ اليومَ أزال عني النوم . فقال لها : ما رأيتِ ؟ قالت : رأيتُ
غَيًّا أرعدَ وأبرقَ طويلًا ثم أصعقَ فما وقع على شيءٍ إلا أحترق . قال : فلما رأى
ما داخلها من الرُّوعِ والفَزَعِ سكنها .

ثم إنَّ عمرًا بعد ذلك دخل حديقةً له ومعه جاريةٌ من بعض جواريه ، فبلغ ذلك
أمراته طُرَيْفَةَ فخرجتُ إليه ومعها وِصِيفٌ لها أسمه سنان ، فلما برزت من بيتها
عَرَضَ لها ثلاثُ مناجدٍ متصباتٍ على أرجلها ، واضعاتُ أيديها على أعينها . قال :
والمناجد : دوابٌ تشبه اليرابيع . فلما نظرت طُرَيْفَةُ إليها قعدت إلى الأرض
وضعت يديها على عينيها وقالت لغلामها : إذا ذهبت هذه المناجد فأخبرني ، فلما
ذهبت أعلمها فأنطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثبت
سُحُفًا من الماء فوقعت في الطريق على ظهرها وجعلت تروم الانقلاب ولا
تستطيع ، وتستعير بيديها وتحمو التراب على بطنها من جنباته وتَقْدِفُ بالبؤل . فلما
رأته طُرَيْفَةُ الخَيْرِ جلست إلى الأرض . فلما عادت السُّحُفُ إلى الماء مَضَتْ
طُرَيْفَةُ حتى دَخَتِ الحديقة على عمرو حين أنتصفَ النهار في ساعةٍ شديدةِ الحرِّ
فإذا الشجر يتكافأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو أستحي منها وأمر الجارية بالتنجي

(١) كذا في شرح نصيدة ابن عبدون (ص ٩٩ طبع أوروبا) وفي الأصل : « سنا » .

(٢) ورد في اللسان (مادة خلد) : « الخلد والخلد : ضرب من الفرة أو هو القارة العبياء وجمعها

مناجد على غير لفظ الواحد ، كما أن واحدة الخاض من الإبل خلفه » . (٢٠٠٠) .

ثم قال لها : ما أتى بك يا طريفة ؟ فكيهنت وقالت : والنور والظلماء ، والأرض
والسما ، إن الشجر لهالك ، وليعودن الماء كما كان في الزمن السالك . قال لها عمرو :
ومن خبرك بهذا ؟ قالت : أخبرني المناجيد بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد الوالد .
قال : فما تقولين ؟ قالت : أقول قول الندمان لهفا ، لقد رأيت سُلحفاة تجرف
التراب جرفا ، وتَقْدِفُ بالبول قذفا ، فدخلت الحديقة فإذا الشجر من غير ريح
يتكافأ . قال عمرو : وما ترين في ذلك ؟ قالت : هي داهية دهياء من أمور جسيمة ،
ومصائب عظيمة . قال : وما هو وبك ؟ قالت : أجل ، إن فيه الويل ، ومالك
فيه من نيل ، وإن الويل فيما يبيء به السيل . فألقى عمرو نفسه على فراشه وقال :
ما هذا يا طريفة ؟ قالت : هو خطب جليل ، وخرى طويل ، وخلف قليل ،
والقليل خير من تركه . قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت : اذهب الى السد
فإن رأيت جردا يكثر يديه في السد الحفر ، ويقلب برجليه مراحل الصخر ، فأعلم أن
الغمر غمر ، وإن [قد] وقع الأمر . قال : وما هذا الذي تذكرين ؟ قالت : وعد
من الله نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نكل . قال : فأنتلق عمرو الى السد فخرسه
فإذ الجرد يقلب برجليه صخرة ما يقبلها نمسون رجلا ، فرجع إليها وهو يقول :
أبصرت أمرا عادني منه ألم * وهاج لي من هوله برح السقم
من جرد كفحل خنزير الأجم * أو كبش صرم من أفويق الغنم
يقلب صخرًا من جلاميد العرم * له محاليب وأنياب قضم
* ما فاتته صخر من الصخر قضم *

١٠٨
١٣

(١) الغمر : الماء الكثير . وفي الأصول : « الغمر غفر » وهو تحريف . وما أبتناه عن شرح قصيدة
ابن عبدون (ص ١٠٠ طبع أوربا) . وفي التعليق على هذه الكلمة بأسفل الصفحة إشارة إلى اختلاف
الروايات فيها فيما بين : الغمر غفر والحفر عفر والغمر غفر . (١)
(٢) زيادة من شرح قصيدة ابن عبدون مائة بيتا شعرا ، (١٣٥) بيتا . (٢)

فَقَالَتْ طَرَبَفَةَ: وَإِنْ مِنْ عَلَامَةٍ مَا ذَكَرْتُ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فَتَأْمُرَ بِزُجَاجَةٍ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنَّ الرِّيحَ تَمَلُّهَا بِتَرَابِ البَطْحَاءِ مِنْ سَهْلِ الوَادِي وَرَمَلِهِ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الجِنَانَ مُظَلَّلَةٌ مَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ. فَأَمَرَ عَمْرُو بِزُجَاجَةٍ فَوَضَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ تَمُكَّ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَمْتَلَأَتْ مِنْ تَرَابِ البَطْحَاءِ. فَقَالَ لَهَا عَمْرُو: مَتَى يَكُونُ هَلَاكُ السِّدِّ؟ فَقَالَتْ: فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَبْعِ سِنِينَ. فَقَالَ: فَمَتَى أَهِيَا يَكُونُ؟ فَقَالَتْ: لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَعَلَّمْتُهُ، وَلَا تَأْتِي عَلَيَّ لَيْلَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّبْعِ سِنِينَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ هَلَاكَنَا فِي غَدَاهَا أَوْ مَسَائِهَا.

- ثم رأى عمرو بعد ذلك في منامه سبيل العريم وقيل له: آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت في سعف النخل وكرهه، فنظر إليها فوجد الحصباء قد ظهرت فيها فعلم أن ذلك واقع، وأن بلادهم ستخرب لا محالة؛ فكنتم ذلك وأخفاه وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب ويخرج منها هو وولده، ثم خشي أن ينكر الناس حاله فصنع وليمة جمع الناس لها وقزر مع أحد أولاده أنه يأمره بأمر في ملائ القوم فيخالفه فإذا لطمه عمرو فيلطمه الآخر، ففعل ذلك. فلما لطمه أبنته— وكان اسمه مالكا— صاح عمرو: وأذلاه! يوم نخر عمرو بيئته صبي وبصيرب وجهه! وحلف ليقتلنه، فسأله القوم ألا يفعل، حلف ألا يقيم بموضع صنيع به فيه هذا، وليبيعن أمواله حتى لا يورث بعده. فقال الناس بعضهم لبعض: اغتبنوا غصبة عمرو واشتروا منه قبل أن يرضى، فابتاع الناس منه جميع ما هو له بأرض مأرب، وفشا بعض حديثه فباع أناس من الأزد، فلما كثر البيع استنكر الناس ذلك فامسكوا عن الشراء، فلما اجتمعت لعمرو أمواله أخبر الناس بشأن سبيل العريم وخرج من اليمن، وخرج
- (١) المراد بالحصباء هنا أشبه بالبثور التي تخرج باليدن وتظهر في الجلد. (٢) الكرب (بحركة): أصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع معها.

لخروجه منها خلق كثير فزلوا أرض عك حتى مات عمرو بن عامر وتفزقوا بعده في البلاد؛ ففهم من صار الى الشام، وهم اولاد جفنة بن عمرو بن عامر، ومنهم من صار الى يثرب، وهم أبناء قبيلة الأوس والخزرج، وأبوها حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر، وصارت أزد الشراة الى أرض الشراة، وأزد عثمان الى عمان، ومالك بن فهم الى العراق .

ثم خرجت بعد عمرو بيسير من أرض اليمن طيء، فنزلت بجبلى طيء : أجا وسلمى ، ونزل ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة، وسُموا خزاعة لأنخراعتهم [من أخواتهم] ، وتمزقوا في البلاد كما أخبر الله تعالى عنهم فقال : (وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزِقٍ) ثم أرسل الله عز وجل السيل على السد فهدمه .

وأختلف في العرم ماهو ؟ فقيل : السد واحده عرمة ، وقيل : هو الجرد . وكان السد فيما يذكر قد بناه لقمان الأكبر بن عاد، وكان صفةه لجماعة السد بالترصاص فرسخا في فرسخ . ويقال : إن الذي بناه كان من ملوك حمير . وقد ذكر ذلك ميمون ابن قيس الأعشى فقال :

وفي ذلك للمؤتسى أسوة * ومأرب عني عليها العرم

رُخام بنته لهم حمير * إذا جاء مسواره لم يسرم

فصاروا أيادي ما يقدر * ن منه على شرب طفل فطم

فاروى الزروع وأعسابها * على سعة ماؤها إذ قسم

(١) زيادة من شرح فريدة ابن عيود .

الباب الخامس

من القسم الرابع من الفن الخامس

- في أيام العرب ووقائعها في الجاهلية ، وأنها لمن مآثرها السنية ، وإذا تأملها المتأمل دلته على مكارم أخلاقهم وكرم نجارهم ، وحققت عنده أنهم ما أجمعوا عن طلب أوتارهم ، وعلم مكافاتهم للأقران ، وسماحتهم بالنفوس والأبدان ، وإقدامهم على الموت ، ومبادرتهم عند الإمكان خشية القوت .

وقيل لبعض الصحابة رضى الله عنهم : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم؟ فقال : نتناشد الشعر ونتحدث بأخبار جاهليتنا .

- وقال بعضهم : وددت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية .
 ١٠ ألا ترى أن عترة الفوارس جاهلي لا دين له ، والحسن بن هاني إسلامي ، فمنع عترة كرمه ما لم يمنع ابن هاني دينه ، فإن عترة يقول :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتى * حتى يوارى جارتى ما واهها

١٠٩
١٣

وقال أبو نؤاس الحسن بن هاني :

كان الشباب مطيبة الجهل * ومحسن الضحكات والهزل

- ١٥ والباعثي والناس قد هجموا^(١) * حتى أبيت خليفة البعل

وسأذكر من وقائعهم ما يقوى الجنان ، ويبعث الجبان .

(١) في ديوانه : « رقدوا » بدل هجموا .

ذکر وقعة طَسَمَ وجَدِيسَ

وطَسَمُ بْنُ لَأُوذِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَدِيسُ بْنُ عَابِرِ بْنِ إِرَمَ
ابْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَمَّ الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ، عَلَى مَا ذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ .
وَكَانَ مَتْرُفًا الْبِيَامَةَ، وَأَسْمُهَا فِي وَقْتِهِمْ جَوْ؛ وَكَانَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمَا رَجُلًا مِنْ طَسَمٍ يُقَالُ لَهُ:
عَمَلِيْقُ، وَكَانَ غَشُومًا ظَلُومًا . وَكَانَ سَبَبَ فَنَائِهِمَا أَنْ عَمَلِيْقًا أُتِيَهِ ذَاتَ يَوْمٍ أَمْرًا
أَسْمُهَا هُرَيْبَةَ بِنْتَ مَازِنَ مَعَ زَوْجٍ لَهَا أَسْمُهُ مَاشُ ، وَكَانَ قَدْ طَلَّقَهَا وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ وَلَدَهُ
مِنْهَا ، فَمَتْرَفًا إِلَيْهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَتْ هُرَيْبَةُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، هَذَا أَبِي حَمَلْتُهُ تَسْعًا ،
وَوَضَعْتُهُ دَفْعًا ، وَأَرْضَعْتُهُ شَفْعًا ، وَلَمْ أَنْلِ مِنْهُ نَفْعًا ، حَتَّى إِذَا تَمَّتْ أَوْصَالُهُ ، وَأَسْتَوَتْ
خِصَالُهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي قَهْرًا وَيَسْلُبْنِيهِ سِرًّا ، وَيَتْرِكُ يَدِي مِنْهُ صِفْرًا » . فَقَالَ
الزَّوْجُ : « قَدْ أَخَذْتَ الْمَهْرَ كَامِلًا ، وَلَمْ أَنْلِ مِنْكَ طَائِلًا ، إِلَّا وَوَلَدًا جَاهِلًا ، فَأَفْعَلُ
مَا كُنْتُ فَاعِلًا » . فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُجْعَلَ الْوَلَدُ فِي غِلْمَانِهِ ، فَقَالَتْ هُرَيْبَةُ :

أَتَيْنَا أَخَا طَسَمٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا * فَأَبْرَمَ حُكْمًا فِي هُرَيْبَةَ ظَالِمًا
لَعَمْرِي لَقَدْ حُكِمْتَ لَا مَتْرَفًا * وَلَا فَيْهَمًا عِنْدَ الْحُكُومَةِ عَالِمًا
نَدِمْتُ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مُتْرَحْرِجٍ * وَأَصْبَحَ زَوْجِي عَائِرَ الرَّأْيِ نَادِمًا

- (١) البيامة: مدينة بالبادية من بلاد العوالي، وبها قد تبي مسيلة الكذاب، وهي بلاد بني حنيفة،
وهي عن البصرة ست عشرة مرحلة، وعن الكوفة مثل ذلك. (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا).
(٢) في الأغاني (ج ١١ ص ١٦٤ طبع دارالكتب المصرية): « قرقس » .
(٣) في الأغاني: « ودنا فضاله » . (٤) في الأغاني: « كرها، ويتركني من بعده ورها » .
(٥) في الأغاني: « إلا وليدا خاملا » .

- (٦) في الصبح المنسبر (ص ٧٥ طبع أوروبا): « حكمت » بفتح الناء على الخطاب. ورواية
الشطر الثاني فيه هكذا: * ولا كنت ممن يبرم الحكم عالما *
ورواية الأغاني هكذا: * ولا كنت فبا تبرم الحكم عالما * .

فلما بلغ عملياً ذلك غَضِبَ وأقسم أنه لا تُهدى عروسٌ في جَدِيسٍ لبعلمها حتى يكون هو الذي يبدأ بها قبل زَوْجها . فلم يزل على ذلك دهرًا حتى أُهديتُ عُفيرةُ^(١) بنت عَفَّارِ الجَدِيسِيَّةِ أخت الأَسودِ بن عَفَّارِ سَيِّدِ جَدِيسٍ إلى بعلمها ، ويقال : إن اسمها الشُّموسُ ، فحُمِلَتْ إلى عَمَلِيْقٍ ، فلما آفترعها وخلق سبيلها خرجت على قومها في دماها شاقَّةً جيها عن قُبُلِها ودُبُرِها وهي تقول :

لا أَحَدٌ أَذَلُّ من جَدِيسٍ * هكذا يُفَعَّلُ بِالْعَرُوسِ
يرضَى بهذا بِالْقَوِي حُرٌّ * أَهْدَى وقد أعطى وَسِيقَ المَهْرِ
لأخذة الموتِ كذا لنفسه * خيرٌ من أن يُفَعَّلَ ذا بَعْرُسِهِ
ثم قالت تحرَّضَ جَدِيسًا على طَسَمِ :

- ١٠ أَيْضَلُحُ ما يُوْتَى إلى فِتْيَاتِكُمْ * وأنتم رجالٌ فيكم عددُ الرَّمْلِ
أَيْضَلُحُ تَمْشِي في الدِّمَاءِ فِتْيَاتِكُمْ * صَبِيحَةَ زَفْتٍ في النِّسَاءِ إلى البَعْلِ
فإن كُتِمُوا لا تَغْضَبُوا عند هذه * فكونوا نساءً لا تَفِيقُ من الكُحْلِ
ودونكم طيبُ العروسِ فإنما * خُلِقْتُمْ لاثوابِ العرائسِ وللغِسلِ
فلو أننا كُنَّا رجالًا وكنتم * نساءً لَكُنَّا لا نُقْتَرُ على الذَّلِّ
١٥ فُقُبْهَا ومُحَقًّا للذي ليس دافعًا * ويختال تَمْشِي بيننا مِشِيَةَ الفَحْلِ
فموتوا كرامًا وأصبروا لعدوكم * لحربٍ تُلْطَى بالضَّرَامِ من الجَزْلِ
ولا تجزَعُوا في الحربِ بأقومٍ إنَّها * تقسوم بأقوامٍ كرامٍ على رِجْلِ

(١) ورد في الأغاني (ج ١١ ص ١٦٥ طبع دار الكتب المصرية) : « عفيرة » مضبوطا بالقلم (فتح العين وكسر الفاء) وصوابه كما ورد في لسان العرب والقاموس وشرحه مادة عفر (ضم العين وفتح الفاء بصيغة التصغير) وهو ما أثبتناه هنا . (٢) كذا في الأصول والصبح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون والكامل لابن الأثير (ج ١ ص ١٥٤ طبع أوروبا) . وفي الأغاني (ج ١١ ص ١٦٨ طبع دار الكتب المصرية) : « عباد » . (٣) كذا في الأصول، وفي الأغاني والصبح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون : « الخلل » .

(١)
 فَأَجْتَمَعَتْ جَدِيدِسُّ فَقَالَ لَهُمُ الْأَسْوَدُ بْنُ عَقَّارٍ، وَكَانَ مُطَاعًا فِيهِمْ: لِنُطِيعُنِي [فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ] أَوْ لَا تَكُنَّ عَلَى سِنِي حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي. قَالُوا: فَإِنَّا نَطِيعُكَ. قَالَ: إِنَّ طَسْمًا لَيْسُوا بِأَعَزَّ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ مُلْكٌ صَاحِبِهِمْ هُوَ الَّذِي يُدْعِنُنَا إِلَيْهِمْ بِالطَّاعَةِ، وَلَوْ آمَنْتُمْ مِنْهُمْ لَكُنْ لَكُمْ النَّصْفُ^(٢). قَالُوا: إِنَّ الْقَوْمَ أَكْثَرُ مِنَّا عَدَدًا وَعُدَدًا. قَالَ: إِنِّي صَانِعٌ طَعَامًا فَأَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَإِذَا جَاءَوكُمْ مَتَفَضِّلِينَ فِي الْحُلَالِ نَهَضْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا. فَقَالَتْ عَفِيرَةُ لِأَخِيهَا: لَا تَفْعَلْ! فَإِنَّ الْغَدْرَ ذَلَّةٌ وَعَارٌ، وَلَكِنْ كَاثِرُوا الْقِسْمَ فِي دِيَارِهِمْ فَتَنظَّفُوا أَوْ تَمُوتُوا كِرَامًا. قَالَ: بَلْ نَمَكُّهُمْ فَتَكُونُ أَمَكَّنَ مِنْهُمْ. ثُمَّ صَنَعَ الْأَسْوَدُ طَعَامًا وَأَمَرَ قَوْمَهُ أَنْ يَخْتَرِطُوا سِيوفَهُمْ ثُمَّ يَدْفِنُوهَا فِي الرَّمْلِ. وَدَعَا عَمَلِيْقًا وَقَوْمَهُ، فَلَمَّا أَتَوْا اسْتَنَارَتْ جَدِيدِسُّ السِّيُوفَ وَشَدُّوا عَلَيْهِمْ فَمَا أَنْلَتْ مِنْهُمْ إِلَّا رِيَّاحُ بْنُ مَرْةٍ، فَفَزَّ إِلَى حَسَّانَ بْنِ تَبَعٍ فَأَسْتَعَاثَ بِهِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا صَنَعَتْهُ جَدِيدِسُّ بِطَسْمٍ فَوَعَدَهُ النُّصْرَةَ، ثُمَّ نَادَى حَسَّانَ فِي خَمِيرٍ بِالْمَسِيرِ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا صَنَعَتْ جَدِيدِسُّ بِطَسْمٍ، فَقَالُوا: وَمَا جَدِيدِسُّ وَطَسْمٌ؟ قَالَ: هُمَا أَخَوَانٌ. قَالُوا: فَمَا لَنَا فِي هَذَا مِنْ أَرْبٍ. قَالَ حَسَّانُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ هَذَا فِيكُمْ أَمَا كَانَ حَسَنًا لِلْمَلِكِ أَنْ يُهَيِّدَ دِمَاءَكُمْ. وَمَا عَلَيْنَا فِي الْحُكْمِ إِلَّا أَنْ تُنْصَفَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ. فَقَالُوا: الْأَمْرُ أَمْرُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ فَمُرْنَا بِمَا أَحْبَبْتَ. فَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ، فَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنَ الْيَمَامَةِ عَلَى ثَلَاثِ لَيَالٍ قَالَ رِيَّاحُ بْنُ مَرْةٍ لِحَسَّانَ بْنِ تَبَعٍ: أَيَّتَ اللَّعْنِ! إِنَّ لِي أَخًا مَتَرُوجَةً فِي جَدِيدِسُّ تَنْظُرُ الرَّابِعَ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ وَأَخَافُ أَنْ تُنْذِرَ قَوْمَهَا، فَأَمَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَنْ يَقْتُلَ شَجْرَةً مِنَ الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهَا أَمَامَهُ، فَأَمَرَهُمْ حَسَّانُ بِذَلِكَ. ثُمَّ سَارُوا، فَنَظَرَتْ أُخْتُ رِيَّاحٍ فَقَالَتْ: يَا جَدِيدِسُّ! لَقَدْ سَارَتْ إِلَيْكُمْ الشَّجَرُ. فَقَالُوا لَهَا:

(١) التكلة من شرح قصيدة ابن عبدون. (٢) النصف (بالتحريك): إعطاء الحق.

(٣) كذا في شرح قصيدة ابن عبدون. وفي الأصل: «بضيع». (٤)

وما ذاك؟ قالت: أرى شجرة، من ورانه بشرًا، وإني لا أرى رجلًا من وراء شجرة ينهش كنفًا أو يحصف نعلًا، فكذبوها وغفلوا عن أخذ أهبة الحرب حتى صبحتهم حير. ففي ذلك تقول زرقاء اليمامة:

- خُدُوا لَهُمْ حُدْرَكُمْ يَا قَوْمَ يَنْفَعُكُمْ * فليس ما قد أراه اليوم يحتقر
إني أرى شجرة من خلفه بشر * فكيف تجتمع الأشجار والبشر
صُفُّوا الطوائف منكم قبل داهية * من الأمور التي يُحشى وتنتظر
إني أرى رجلًا في كفه كنف * أو يحصف النعل خصفًا ليس يعتد
تُورُوا بأجمعكم في وجه أولهم * فإن ذلك منكم - فأعلموا - ظفر
وغروروا كل ماء دوت مزرهم * فليس من دونه تحس ولا ضرر
أو عاجلوا القوم عند الليل إن رقدوا * ولا تخافوا لها حربًا وإن كثروا

فلمَّا كان حسانٌ على مسيرة ليلةً عبًّا جيشه ثم صبحهم فأستباح اليمامة قتلاً وسبيًا، وهرب الأسود حتى نزل بطيء فأجاروه من كل من يطلبه وهم لا يعرفونه، وقبيلته في طيء مذكورة. ثم إن حسانا أمر باليمامة فترع عينها فإذا في داخلها عروق سود، فسألها عن ذلك فقالت: حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الإمد فثبت لي بصرى. وقيل: إنها أول من أكتحل بالإمد؛ فأمر بها فصُلبت على باب جؤ. وقيل: سُمي جؤ باليمامة من ذلك الوقت. وفي ذلك يقول رباح بن مرة لما أخذ بثاره:

- (١) يعتد: تريد أنه لا عذر له في خصفها. وفي شرح قصيدة ابن عبدون: «يعتد» وأشير في الهامش إلى رواية «يعتدر». وفي الصبح المنير (ص ٨٢ طبع أوروبا): «يعتدر» وأشير في الهامش إلى رواية «يعتد».
- (٢) كذا في الصبح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون. وفي الأصول: «دونهم».
- (٣) كذا في الأصول وشرح قصيدة ابن عبدون. وفي الصبح المنير: «لهم».

غَدَرَ الْحَيُّ مِنْ جَدِيسٍ بَطْسَمٌ * آلَ طَسَمٍ كَمَا تُدَايِي تَدِيئِي
 قَدِ أَتَيْنَاهُمْ بِيَوْمٍ كَيَوْمٍ * تُرْكُوا فِيهِ مِثْلَ مَا تَرَكَوْنِي
 لَيْتَ طَسَمًا عَلَى مَنَازِلِهَا تَعُ * لَمْ أُنِّي قَضَيْتُ عَنِّي دُبُونِي
 وقد كثرت الشعراء قصة هذه المرأة وجوّ . فمن ذلك قول الأعشى على
 رواية ابن قتيبة :

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ * أَوْ يَحْصِفُ النَّعْلَ لَهْنِي آيَةً صَنَعًا^(١)
 فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ * دُوَالِ حَسَّانَ يَزْجِي السَّمَّ وَالسَّلْعَا^(٢)
 فَأَسْتَزَلُّوا آلَ جَوٍّ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ * وَهَدَّمُوا رَافِعَ الْبَيْتَانِ فَأَتَضَعَا^(٣)

وروى ابن إسحاق :

كُونِي كَمِثْلِ التِّي إِنْ غَابَ وَاحِدُهَا^(٤) * أَهَدْتُ لَهُ مِنْ بَعِيدِ نَظَرَةٍ جَزَعًا

ثم أتى بالأبيات التي ذكرها ابن قتيبة . وقال المسيّب بن علس :

لَقَدْ نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى الْخُرْعِ نَظْرَةً * إِلَى مِثْلِ مَوْجِ الْمُقْعَمِ الْمُتَلَاطِمِ
 إِلَى خَمِيرٍ إِذْ وَجَّهُوا مِنْ بِلَادِهِمْ * تَضْيِقُ بِهِمْ لَأْيًا فَرُوجَ الْمُخَارِمِ^(٥)

(١) كذا في الصحيح المنير ، تريد أنها تلهفت حين لم تستبهه أي الفعلين فعل . وفي الأصول وشرح قصيدة ابن عبدون : « لهما آية » .

(٢) السلع (بالتحريك) : شجر مرّ وله ثمر مثل عناقيد العنب صفار ، فإذا أينسج أسود فتأكله القرود ولا تأكله الناس ولا السائمة ، وفي الصحيح المنير : « ... يزجي الموت والشرعا » . والشرع (بالكسر) : الأوتار ، واحده شرعة .

(٣) في الأصول وشرح قصيدة ابن عبدون : « فأتسعا » وما أثبتناه عن الصحيح المنير ، وفيه : « شاخص » بدل « رافع » . وفي شرح قصيدة ابن عبدون : « يافع » .

(٤) في الصحيح المنير : « إذ غاب وافدها » .

(٥) المخارم : واحده مخرم (بكسر الزاء) وهو منقطع أنف الجبل .

وفيها يقول التمر بن تَوَّاب :

وفاتَّهِمْ عَنزُ غَدَاةٍ بَلِيَّتْ * من بعد مرأى في القضاء ومسمع

قالت أرى رجلاً يقلب نعلَه * تَقْلِبُ ذِي وَصِلٍ لَهُ وَمَشْع

ورأت مقدمة الخَيْسِ ودونها * رَكَّضَ الحِيَادَ إِلَى الصَّبَاحِ يَتْبَع

ذكر حروب قيس في الجاهلية

يوم مَنَعِجٍ لِعَنِي عَلَى عَبَس

يوم مَنَعِجٍ . هو يوم الرِّدْهَةِ وفيه قُتِلَ شَأْسُ بن زُهَيْرِ بن جَدِيمَةَ بن رَوَاحَةَ العَبْسِيُّ ؛

قتله رِيَّاحُ بن الأَشْلِ العَنَوِيُّ . وذلك أن شَأْسًا أَقْبَلَ من عند النعمان بن المنذر وقد

أَجْرَل حِبَاءَهُ . وكان من حِبَائِهِ قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ ذاتُ هُدْبٍ وطِيبٌ ؛ فورد مَنَعِجًا - وهو

ماء لعني - فأناخ راحلته إلى جانب الرِّدْهَةِ وعليها خباء لرياح بن الأشل ، وجعل

يغسل وأمرأة رِيَّاحٍ تَنْظُرُ إليه ، وهو كالثور الأبيض ، فأترعه رِيَّاحٌ بهم فقتله ،

وضمَّ متاعه ونحر ناقته وأكلها وغيب أثره . وفُقدَ شَأْسُ بن زُهَيْرٍ ، حتى وجدوا

القَطِيفَةَ الحَمْرَاءَ بسوق عكاظ قد باعتمها امرأة رِيَّاحٍ ، فعلموا أن رِيَّاحًا صاحب

نأرهم ، فغزت بنو عَبَسٍ غَنِيًّا قبل أن يطلبوا قودًا أو ديةً ، مع الحُصَيْنِ بن زُهَيْرِ

ابن جَدِيمَةَ والحُصَيْنِ بن أَسِيدِ بن جَدِيمَةَ . فلما بلغ ذلك غَنِيًّا قالوا لريَّاح : انج ، لعننا

(١) منعج (بفتح فسكون فكسر) : واد يأخذ بين حفرة أبي موسى والنباح ويدفع في بطن فليج .

(٢) الردة : (بسكون الدال المهملة) : النقرة في الجبل أو في الصخرة يستنقع فيها الماء .

(٣) في الكامل لابن الأنسيري (ج ١ ص ١١١ طبع أوربا) : «رياح» بالياء الموحدة ، وفي

الأغانى (ج ١١ ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) . «رياح من الأسك» .

(٤) (الهدب بسكون الدال المهملة وضمتها) : أطراف الثوب مما يلي طرته .

نُصالح القوم على شيء [أو نرضيهم بديهة]^(١) . فخرج رياح رديفاً لرجل من بني كلاب ،
وهما يظنان أنهما قد خالفا وجهه القوم ، فمزَّض^(٢) على رؤوسهما فصرَّص^(٣) ، فما راعهما
إلا خيلُ بني عبس ، فقال الكلابي لرياح : انحدر من حانئى وألتمس نَفَقاً في الأرض
فلانى شاغلُ القوم عنك ، فأنحدر رياح من عجز الجمل حتى أتى صِفَةً^(٤) فأحفر تحتها
مثل مكان الأرنب ووج فيه ، ومضى صاحبه ، فسأله فقال : هذه غنيُّ جامعة ،
وقد آستكتمت منهم ، فصدقوه واخلوا سبيله ، فلما وثى رأوا مركب الرجل خلفه
فقالوا : من الذى كان خلفك ؟ فقال : لا كذب ! رياح بن الأشل ، وهو فى أولئك
الصُّعدات . فقال الحُصينان لمن معهما : قد مكنتنا الله من ثأرنا ولا نريد أن يشركنا^(٥)
فيه أحد ، فوقفوا عنهما ، ومضياً بجعلاً يُريغان رياحا بين الصُّعدات ، فقال لهما : هذا
غز الكا الذى تُريغانه ، فأبتدراه فرمى أحدهما بسهم فأقصدته^(٦) ، فطعنه الآخر فأخطاه ،
ومرت به الفرس ، فأستدبره رياحُ بسهم فقتله ثم أتى قومه . ففى ذلك يقول
الكُئيبُ بنُ زَيْدِ الأَسدي ، وكانت له أمان من غني :

أنا ابنُ غنيٍّ والداي كلاهما * لأمينٍ منهم فى التروع وفى الأصل

- (١) النكلة من كتاب الأغاني (ج ١١ ص ٧٩ طبع دار الكتب المصرية) .
(٢) الرديف : الراكب خلف الراكب .
(٣) الصرد : طائر أيقع ضمن الرأس يكون فى الشجر ، نصفه أبيض ونصفه أسود ؛ وهو من سباع
الطير ، ضمن المنقار عظيم البرز ، كانت العرب تطير من صوته .
(٤) كذا فى الأغاني . والضفة : جانب النهر أو الوادى . وفى الأصل : « صعدة » .
(٥) فى الأغاني : « ... فى الأزل من السموات » .
(٦) أقصدته : الإقصاد : أن تضرب الشيء أو ترميه فى موت مكانه ، ويقال : أقصدت الرجل
إذا طعنته أو رميته بسهم فلم تخطئ . مقاتله فهو مقصد « بالبناء للجهول » .

هم أستودعوا زهرا نسيب بن سالم * وهم عدلوا بين الحَصِينِين بالنبل^(١)
وهم قتلوا شآس الملوك ورعموا * أباه زهيراً بالمَدَلَّةِ والشَّكْلِ

يوم النِّقْرَاوَاتِ^(٢)

لبني عامر على بني عبس

٥. فِيهِ قُتِلَ زُهَيْرُ بْنُ جَدِيْمَةَ بْنِ رَوَاحَةَ الْعَبْسِيِّ . وَكَانَتْ هَوَازُنُ تُؤَدِّي إِلَيْهِ إِتَاوَةَ ،
فَأَتَتْهُ عَجُوزٌ رَهَيْشٌ مِنْ بَنِي نَضْرَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بَسْمُنَ فِي نَيْحِي ، وَشَكَتْ سَنِينَ تَتَابَعَتْ^(٣)
عَلَى النَّاسِ ، فَذَاقَهُ فَلَمْ يَرْضَ طَعْمَهُ ، فَدَعَاهَا بِقَوْسٍ فِي يَدِهِ عَطِلٌ فِي صَدْرِهَا ،
فَأَسْتَلَقَتْ عَلَى قَفَاهَا مُنْكَشِفَةً^(٤) ، فَتَسَالَى خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَقَالَ : وَانْتَهَ لِأَجْعَانَ ذِرَاعِي^(٥)
فِي عُنُقِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ أُقْتَلَ . وَكَانَ زُهَيْرٌ مُقَدِّمًا فَتَفَرَّدَ مِنْ قَوْمِهِ بَيْنَهُ وَبَنِي أُخْوَيْهِ
أَسِيدٍ وَزُبَيْجِ بْنِ يَرِيغِ الْغَيْثِ فِي عَشْرَاوَاتٍ لَهُ وَشَوْلٍ ، فَأَتَاهَا الْحَارِثُ [بَنِي عَمْرُو]^(٦)

(١) كذا في الأصول والعقد الفريد (ج ٣ ص ٦١ طبع بلاق) وفي الجزء الثاني من العقد الفريد
المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤١٣ أدب ورقة ٦٨ ورد هذا الشطر هكذا : « هم
استودعوا زهرا نسيب بن سالم » وفي الأغاني : « هم استودعوا هوى شيب بن سالم » .

- (٢) كذا في معجم ما استعجم ، وقد ذكره في رسم « ركة » وأشار إلى قتل زهير بن جذيمة .
١٥ قال : نفري (بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة مقصور على وزن فعلى ، ويمد : موضع في بلاد
غطفان . وكذلك في العقد الفريد المخطوط . وفي الأصول والعقد الفريد المطبوع : « النقرات »
(بالقاف) . وفي الأغاني (ج ١١ ص ٨٤ ، ٨٥ طبع دار الكتب المصرية) : « النقرات » .
وكلاهما محرف . (٣) رهيش : ضيفة أو مهزولة . (٤) النحي : الزق الذي يجعل فيه السم .
(٥) دعها : دفعها بعنف . (٦) قوس عطل : لا وتر فيها .

- (٧) يريد انكشفت عورتها . (٨) تال : حلف . (٩) يريغ : يطلب .
٢٠ (١٠) العشراء من التوق : التي مضى لهما عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليهما هذا الاسم إلى ما بعد
الوضع ، فهي بعد الوضع عشراء أيضا . قال ابن الأثير : قد اتسع في هذا حتى قبل لكل حامل عشراء .
والشول : جمع شائلة ، على غير قياس ، وهي النسافة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر تغف لبها
وأرتفع ضرعها . (١١) زيادة من الأغاني .

١١٢
١٣

أَبْنُ الشَّرِيدِ، وَكَانَتْ تُمَاضِرُ بِنْتَهُ [عَمْرُو بْنُ] الشَّرِيدِ تَحْتَ زُهَيْرٍ، فَلَمَّا عَرَفَ الْحَارِثُ
مَكَانَهُ أَنْذَرَ عَلَيْهِ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَهْطَ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ، فَرَكِبَ مِنْهُمْ سِتَّةً
فَوَارَسَ فِيهِمْ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَصَخْرُ بْنُ الشَّرِيدِ وَحُنْدُجُ بْنُ الْبَكَّاءِ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عُبَادَةَ
أَبْنُ عُقَيْلِ فَارَسَ الْهَزَارَ . وَيُقَالُ لِمَعَاوِيَةَ : الْأَخِيلُ ، وَهُوَ جَدُّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ . فَقَالَ
أَسِيدُ زُهَيْرٍ : أَعَلِمْتَنِي رَاعِيَةً عَنَّمِي أَنهَا رَأَتْ عَلَى رَأْسِ الثَّنِيَّةِ أَشْبَاحًا وَلَا أَحْسَبُهَا
إِلَّا خَيْلَ بَنِي عَامِرٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا بِقَوْمِنَا . فَقَالَ لَهُ زُهَيْرٌ : « كَلُّ أَرْبٍ تَقُورٌ » وَكَانَ
أَشْعَرُ الْقَفَا ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، فَتَحَمَّلَ أَسِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَبَقِيَ زُهَيْرٌ وَأَبْنَاهُ وَرِقَاءُ
وَالْحَارِثُ . وَصَبَّحَتْهُمُ الْفَوَارِسُ فَأَرْمَدَتْ زُهَيْرَ فَرَسَهُ الْقَعَسَاءُ وَلَحِقَهُ خَالِدٌ وَمَعَاوِيَةُ
الْأَخِيلُ ، فَطَعَنَ مَعَاوِيَةُ الْقَعَسَاءَ فَقَلَبَتْ زَهِيرًا ، وَخَزَّ خَالِدٌ فَرَفَعَ الْمُغْفَرَ عَنْ رَأْسِ
زُهَيْرٍ وَقَالَ : يَا عَامِرُ اقْتُلُونَا جَمِيعًا ! وَأَقْبَلَ مَعَاوِيَةُ فَضْرَبَ زُهَيْرًا عَلَى مَقْرُقِ رَأْسِهِ
ضَرْبَةً بَلَغَتْ الدَّمَاعَ ، وَأَقْبَلَ وَرِقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ فَضْرَبَ خَالِدًا وَعَلَيْهِ دَرْعَانُ فَلَمْ تُغْنِ
شَيْئًا ، وَأَجْهَضَ أَبْنَاءُ زُهَيْرِ الْقَوْمِ عَنْ زُهَيْرٍ وَأَحْتَمَلَاهُ وَقَدْ أَثْنَتْهُ الضَّرْبَةُ فَمَنْعُوهُ الْمَاءَ
فَقَالَ : اسْقُونِي وَإِنْ كَانَتْ نَفْسِي فِيهِ ، فَسَقَوْهُ فَمَاتَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَقَالَ
فِي ذَلِكَ وَرِقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كَلِّ خَالِدٍ * فَأَقْبَلْتُ أَسْمَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرٍ^(٤)
فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا * وَيَمْنَهُ مَنَى الْحَدِيدِ الْمُظَاهِرِ

(١) الأرب : كثرة الشعر وطوله . والبعر الأرب ، وهو الذي يكثر شعر حاجبيه ، ينفرد إذا ضربت
الريح شعرات حاجبيه .

(٢) أرمدت : عدت عدو الرمد ، أى النعام .

(٣) أى نحياهم عنه ، ونلناهم عليه .

(٤) العجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها التكلى لعجلتها في بيئتها وذهاها جزاء .

فِيالَيْتَ أَنِي قَبْلَ أَيَّامِ خَالِدٍ * وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي تُمَاضِرُ^(١)
لَعَمْرِي لَقَدْ بَشَّرْتِ بِي إِذْ وَلَدْتِنِي * فَمَاذَا الَّذِي رَدَّتْ عَلَيْكَ الْبَشَائِرُ
وقال خالد بن جعفر في قتله زهيرا :

بَلْ كَيْفَ تَكْفُرُنِي هَوَازُنُ بَعْدَمَا * أَعْتَقْتُهُمْ فَتَوَلَّوْا أَحْرَارًا
وَقَتَلْتِ رَبَّهُمْ زُهَيْرًا بَعْدَمَا * جَدَعَ الْأَنْوْفَ وَأَكْثَرَ الْأَوْتَارَا
وجعلتُ مَهْرَ بَنَاتِهِمْ وَدِيَارِهِمْ * عَقَلُ الْمَلُوكِ هَجَانًا وَبِسْكَارَا^(٢)

يَوْمَ بَطْنِ عَاقِلٍ

لذُبْيَانَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ

فِيهِ قُتِلَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَاقِلٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ
أَخِي النَّعْمَانَ وَمَعَهُ عُرْوَةُ الرَّحَالِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَأَلْتَقَى خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَالْحَارِثُ
أَبْنُ ظَالِمِ بْنِ غَيْطِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ عِنْدَ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، فَبَجَلَ خَالِدُ
يَقُولُ لِلْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ : يَا حَارِ ، أَمَا تَشْكُرُ يَدِي عِنْدَكَ أَنْ قَتَلْتُ عَنْكَ سَيِّدَ قَوْمِكَ
زُهَيْرًا وَتَرَكْتُكَ سَيِّدَهُمْ ؟ فَقَالَ : سَأُجْزِيكَ شُكْرَ ذَلِكَ . فَلَمَّا خَرَجَ الْحَارِثُ قَالَ
الْأَسْوَدُ لَخَالِدٍ : مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَقْتَرِسَ بِهَذَا الْكَلْبِ وَأَنْتَ ضَيْفِي ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا
هُوَ - بَدٌّ مِنْ عَيْدِي ، وَلَوْ وَجَدْتَنِي نَائِمًا مَا أَيْقَظْنِي . وَأَنْصَرَفَ خَالِدُ إِلَى قُبَّتِهِ فَلَامَهُ

(١) هي تماضرت بنت عمرو بن الشريد بن رياح .

(٢) في الأغاني : « أبكارا » .

(٣) بطن عاقل : موضع على طريق حاج البصرة بين رامين وامرة .

(٤) كذا في الأصول والعقد الفريد المخطوط ، وهو موافق لما جاء في الكامل لابن الأثير في إحدى

رواياته ، وفي الرواية الأخرى أن الملك الذي اجتمع عنده خالد بن جعفر والحارث بن ظالم ثم قتل الحارث
خالدا في جواره ثم قتل أبنته بعد ذلك فأخذ يطارد الحارث لقتله أبنته ومن استجار به ، هو النعمان
ابن أمية القيس ملك الحيرة .

عُروَةُ الزحَال، ثم ناما وأُشْرِجَتْ عليهما القُبَّةُ^(١)، وكان مع الحارثِ تَبِيعٌ له من بني مُحَارِبٍ يقال له نِحْرَاشٌ، فلما هدأت العيونُ أخرج الحارثُ ناقته وقال لِنِحْرَاشٍ: كن لي بمكان كذا، فإن طلع كوكبُ الصبحِ ولم أتك فأَنْظُرْ أَحَبَّ البلادِ اليك فأَعْمِدْ لها، ثم أَنْطَاقِ الحارثُ حتى أتى قُبَّةَ خَالِدٍ فَنَهَكَ شَرَجَهَا ثم وَلَحَهَا وقتلها، فنَادَى عُروَةُ عند ذلك: واجوَّارَ الملكِ! فأقبل إليه الناسُ، وسمع الأسودُ اهْتِفَافًا وعنده امرأةٌ من بني عامِرٍ يقال لها: المُتَجَرِّدَةُ، فشَقَّتْ جِيهًا. ففى ذلك يقول عبد الله ابنُ جَعْدَةَ:

شَقَّتْ عَلَيْكَ العَامِرِيَّةُ جِيهًا * أَسْفًا وَمَا تَبِيحِي عَلَيْكَ ضَلَالًا
يا حَارِ لو نَهَيْتَهُ لَوَجَدْتَهُ * لا طَائِشًا رَعِشًا ولا مِعْزَالًا^(٢)
وَأَغْرَوْرَقْتَ عَيْنَايَ لَمَّا أُخْبِرْتُ * بِالطَّعْفَرِيِّ وَأَسْبَلْتَ إِسْبَالًا
فَلنَقْتَلَنَّ بِخَالِدٍ سَرَوَاتِكُمْ * وَلنَجْعَلَنَّ لِلظَّالِمِينَ نَكَالًا^(٣)
فإِذَا رَأَيْتُمْ عَارِضًا مَتَلَلًا * مِنَّا فإِنَّا لَا نُحَاوِلُ مَالًا

يَوْمُ رَحْرَحَانَ

لعامر على تميم

ولمَّا هَرَبَ الحارثُ بنُ ظالمٍ وَتَبَّتْ به البلادُ بَلًا الى مَعْبَدِ بنِ زُرَّارَةَ فأجاره، فقالت بنو تميم لمعبد: مالك أويته هذا المشؤم الأُنكَدُ وأغريت بنا الأسود؟ وخذلوه غير بنى ماوية وبنى عبدالله بن دارم. وبلغ الأحوص بن جعفر بن كلاب مكان الحارث بن ظالم، وأنه عند معبد بن زُرَّارَةَ. ففزا مَعْبَدًا فَالْتَقَوْا بِرَحْرَحَانَ فَأَهْزَمَتْ

(١) أُشْرِجَتْ: جمعت.

(٢) في الكامل لابن الأثير: «الجعفرية».

(٣) الرعش (ككفف): الجبان.

(٤) المغزال: من لا ربح له.

(٥) رحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات.

بنو تميم وأيسر معبد بن زُرارة، أمره عامر والطَّيْلُ أبنا مالك بن جعفر بن كلاب،
فوفد لقيط بن زُرارة عليهما في فدائه فقال لهما : لكما عندي مائتا بعير، فقالا :
أبا تهشل، أنت سيد الناس، وأخوك معبد سيد مضر فلا تقبل فيه إلا دية ملك،
فأبى أن يزيدهم وقال : إن أبانا أوصانا ألا يزيد أحدا في ديتنا على مائتي بعير، وقال :
لا توكلوا العرب أنفسكم ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم، ورحل لقيط عن القوم .

قال : فتمعوا معبدا المساء وضاروه حتى مات هزالا . وقيل : بل أبى معبد أن
يُطعم شيئا أو يُشرب حتى مات هزالا . ففى ذلك يقول عامر بن الطفيل :
قَضَيْنَا الْجَوْنَ عَنْ عَبَسٍ وَكَانَتْ * مَنِيَّةُ مَعْبَدٍ فِينَا هُزَالًا

وقال جرير :

١٠ وِلْيَةَ وَاْدِي رَحْرَحَانَ رَفَعْتُمْ * فِرَارًا وَلَمْ تَلُؤُوا رَفِيقَ النَّعَائِمِ
تَرَكْتُمْ أَبَا الْقَعْقَاعِ فِي الْغُلِّ مَعْبَدًا * وَأَيُّ أَخٍ لَمْ تُسَلِّمُوا لِلْأَدَاهِمِ

وقال أيضا :

وِيْرَحْرَحَانَ غَدَاةَ كُبَلِّ مَعْبَدٍ * نِكِحْتَ فَنَاتِكُمْ بِغَيْرِ مَهْوَرٍ

يَوْمُ شِعْبِ جَبَلَةَ

لعامر وعبس على ذبيان و تميم

١٥

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : يومُ جبلة أعظم أيام العرب ، وذلك أنه لما
أنقضت وقعة رححان جمع لقيط بن زُرارة لبني عامر وأب عليهم . وبين يوم

(١) كذا في النقااض (ص ٢٢٩ طبع أوربا) . وفي الأصل : « فرتم » .

(٢) جبلة : هضبة حمراء مجذ بين الشريف والشرف . والشريف : ماء لبني تميم . والشرف :

٢٠ ماء لبني كلاب . (٣) عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة ، ويوم جبلة هذا ،

ويوم ذي قار . وكانت هذه الأيام كذلك لكثرة من كان فيها من المقاتلين .

رَحْرَحَانُ وَيَوْمَ جَبَلَةَ سَنَةً . وَيَوْمَ جَبَلَةَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَهُوَ عَامُ
 مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَتْ بَنُو عَبْسٍ يَوْمئِذٍ فِي بَنِي عَامِرٍ حُلَفَاءَ
 لَهُمْ ، فَاسْتَعَدَى لَقَيْطُ بْنُ ذُبَيْبَانَ لِعَدَاوَتِهِمْ لِبَنِي عَبْسٍ مِنْ أَجْلِ حَرْبِ دَاخِسَ ،
 فَاجَابَتْهُ غَطَفَانُ كُلُّهَا غَيْرَ بَنِي بَدْرٍ ، وَتَجَمَّعَتْ لَهُمْ تَمِيمٌ كُلُّهَا غَيْرَ بَنِي سَعْدٍ ، وَخَرَجَتْ
 مَعَهُ بَنُو أَسَدٍ لِحَلْفِ كَانٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَطَفَانٍ ، ثُمَّ أَتَى لَقَيْطُ بْنُ الْجَوْنِ الْيَمَنِيَّ (١) وَهُوَ
 مَلِكُ حِمْيَرَ (٢) وَكَانَ يُحِبُّ مَنْ يَهَا مِنَ الْعَرَبِ (٣) فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي قَوْمٍ عَادِينَ قَدْ مَلَأُوا
 الْأَرْضَ نَعْمًا وَشَاءَ (٤) ، فَارْسَلْ مَعِيَ أَبْنِيكَ فَمَا أَصْبَنَا مِنْ مَالٍ وَسَبِيٍّ فَلَهُمَا ، وَمَا أَصْبَنَا مِنْ
 دِيمٍ فَلِي ، فَاجَابَهُ الْجَوْنُ إِلَى ذَلِكَ وَجَعَلَ لَهُ مَوْعِدًا رَأْسَ الْحَوْلِ ، ثُمَّ أَتَى لَقَيْطُ بْنُ النُّعْمَانَ
 ابْنَ الْمُنْذِرِ فَاسْتَنْجَدَهُ وَأَطْمَعَهُ فِي الْغَنَائِمِ ، وَكَانَ لَقَيْطُ بْنُ وَجَيْهَةَ عِنْدَ الْمَلُوكِ ، فَلَمَّا كَانَ
 عَلَى قَرْنِ الْحَوْلِ مِنْ يَوْمِ رَحْرَحَانَ أَقْبَلَتْ الْجِيُوشُ إِلَى لَقَيْطِ ، وَأَقْبَلَ سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ
 الْمُرِّيَّ فِي غَطَفَانَ وَجَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ ، وَأَرْسَلَ الْجَوْنُ أَبْنِيَهُ مَعَاوِيَةَ وَعَمْرًا ، وَأَرْسَلَ
 النُّعْمَانُ أَخَاهُ لِأَقَمَهُ حَسَّانُ بْنُ وَبْرَةَ الْكَلْبِيُّ . فَلَمَّا تَوَافَقُوا خَرَجُوا إِلَى بَنِي عَامِرٍ وَقَدْ
 أَنْذَرُوا بِهِمْ وَتَأَهَّبُوا لَهُمْ ، فَقَالَ الْأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ رَحَى هَوَازِنَ
 لَقَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ : مَا تَرَى ؟ فَإِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يُعْرَضْ لَكَ أَمْرَانِ إِلَّا وَجَدْتَ
 فِي أَحَدِهِمَا الْمَخْرَجَ ! فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ : الرَّأْيُ أَنْ نَرْتَحِلَ بِالْعِيَالِ وَالْأَمْوَالِ حَتَّى

(١) فِي الْأَعْلَى (ج ١١ ص ١٦٠ طبع دار الكتب المصرية) : « بَسِيعٌ وَنَحْمِيسُ سَنَةً » .

وَقِي النَّقَائِضُ (ص ٦٧٦ أورد) « بَسِيعٌ وَنَحْمِيسُ سَنَةً » .

(٢) الْجَوْنُ : هُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَكْلِ الْمُرَادِ الْكَنْدِيُّ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ سَوَادِهِ . وَفِي الْأَصْلِ :

« الْجَوْنُ الْكَلْبِيُّ » .

(٣) حِمْيَرَ : مَدِينَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ .

(٤) التَّكْمَلَةُ مِنَ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ لِأَنَّ عَبْدَ رَبَّهَ (ج ٣ ص ٦٣ طبع بلاق) .

(٥) النَّعْمُ (بِفَتْحَتَيْنِ) : الْإِبِلُ خَاصَّةً .

تَدْخُلُ شَعْبَ جَبَلَةَ فَتَقَاتِلُ الْقَوْمَ [دُونَهَا] ^(١) مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، فَإِنَّهُمْ دَاخِلُونَ عَلَيْكَ الشَّعْبَ ، وَإِنْ لَقِيطًا رَجُلًا فِيهِ طَيْشٌ فَسَيَقْتَحِمُ عَلَيْكَ الْجَبَلَ ، فَارَى أَنْ تَأْمُرَ بِالْإِبِلِ فَلَا تَرَعَى وَلَا تُسْقَى وَتُعَقَّلُ ، ثُمَّ تَجْعَلُ الذَّرَارِي وَرَاءَ ظَهْوَرْنَا وَتَأْمُرُ بِالرَّجَالَةِ فَتَأْخُذُ بِأَذْنَابِ الْإِبِلِ ، فَإِذَا دَخَلُوا عَلَيْنَا الشَّعْبَ حَلَّتْ الرَّجَالَةُ عُقْلَ الْإِبِلِ ثُمَّ لَزِمَتْ أَذْنَابَهَا فَإِنَّهَا تَحْدَرُ عَلَيْهِمْ وَيَخِنُّ إِلَى مَرَايِعِهَا وَيُرْدِيهَا ، وَلَا يَرُدُّ وُجُوهَهَا شَيْءًا ، وَيَخْرُجُ الْفُرْسَانُ فِي أَثَرِ الرَّجَالَةِ الَّذِينَ خَلْفَ الْإِبِلِ فَإِنَّهَا تُحَطِّمُ مَا لَقِيَتْ وَتُقِيلُ عَلَيْهِمُ الْخَيْلَ وَقَدْ حَطَّمُوا مِنْ عَلِيٍّ . فَقَالَ الْأَحْوَصُ : نِعَمَ مَا رَأَيْتَ وَأَخَذَ بَرَأْيَهُ ، وَكَانَ مَعَ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ بَنُو عَبْسٍ ، وَغَنِيٌّ فِي بَنِي كَلَّابٍ ، وَبَاهِلَةٌ فِي بَنِي صَعْبٍ ، وَالْأَبْنَاءُ أَبْنَاءُ صَعَصَعَةَ . وَكَانَ رَهْطُ الْمُعَقَّرِ الْبَارِقِيِّ يَوْمَئِذٍ فِي بَنِي ثُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ ، وَكَانَتْ قِبَائِلُ بَجِيلَةَ كَلَّمَهَا فِيهِمْ

١٠ غير قيس .

قال أبو عبيدة : وأقبل لقيطٌ والملوكُ ومن معهم فوجدوا بني عامرٍ قد دخلوا شِعْبَ جَبَلَةَ فَتَزَلُّوا عَلَى فِيهِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ : خَذُوا عَلَيْهِمْ فَمَمَّ الشَّعْبُ حَتَّى يَعْطِشُوا وَيَجُوعُوا ، فَأَتَوْا حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِمُ الشَّعْبَ ، وَكَانُوا قَدْ عَقَلُوا الْإِبِلَ [وَعَطَّشُوهَا] ^(٢) ثَلَاثَةَ أَنْحَامٍ ، وَذَلِكَ اثْنَا عَشْرَةَ لَيْلَةً لَمْ تُطْعَمَ شَيْئًا ، فَلَمَّا دَنَوْا حَلَّوْا عُقْلَهَا فَأَقْبَلَتْ تَهَيُّوِي ، فَظَنَّ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ هَدَّ عَلَيْهِمْ ، وَالرَّجَالَةَ فِي آثَارِهَا آخِذِينَ بِأَذْنَابِهَا فَدَقَّتْ كَلَّمَا لَقِيَتْ ، فَأَنْهَزَمُوا لَا يَلُؤُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وَقُتِلَ لَقِيطٌ وَأَسْرَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، أَسْرَهُ ذُو الرُّقَيْبَةِ ، وَأَسْرَ سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيَّ أَسْرَهُ عُرْوَةُ الرَّحَالِ ، بَغَزَ نَاصِيَتَهُ وَأَطْلَقَهُ ، وَأَسْرَ عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عُدُسٍ ، أَسْرَهُ قَيْسُ بْنُ الْمُنْتَفِقِ ، بَغَزَ نَاصِيَتَهُ وَخَلَّاهُ طَمَعًا فِي الْمَكَافَأَةِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقُتِلَ مَعَاوِيَةُ بْنُ

١١٤

١٣

٢٠ (١) النكلة من العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٦٣ طبع بلاق) .

(٢) النكلة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٦٤ طبع بلاق) .

الجون ومُنقذ بن طريف الأسدي، ومالك بن ربيعي بن جندل بن نهشل، فقال
جريري ذلك :

كأنك لم تشهد لقيطاً وحاجباً * وعمرو بن عمرو إذ دعوا بال دارم
ويوم الصفا كنتم عبيداً لعامر * وبالحنزن أصبحتم عبيد اللهازم

يعني بالحنزن يوم الوقيط . وقال أيضا في بني دارم :

ويوم الشعب قد تركو لقيطاً * كأن عليه نملة أرجوان
وكبّل حاجب بنمّام حولا * فحسبكم ذا الرقيصة وهو عاني

وقالت دختنوس أخت لقيط ترضي لقيطاً :

فرت بنو أسيد فرأ * ر الطير عن أربابها

عن خير خندف كلها * من كهلها وشبابها

وأتمتها حسلبا إذا * ضمت إلى أحسابها^(١)

يوم الخريبة

وفيه قتل الحارث بن ظالم

قال أبو عبيدة : لما قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر الكلابي أتى صديقا

له من كندة . فالتف عليه وطلبه الملك نخفي ذكره ، ثم شخص من عند الكندي

وأضمرته البلاد حتى أستجار بزياد أحد بني عجل بن لحيم ، فقام بنو ذهل بن ثعلبة

وبنو عمرو بن شيبان فقالوا لمعجل : أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم فإنه لا طاقة

(١) هذه رواية الأصل والعقد الفرید (ج ٣ ص ٦٤ طبع بلاق) ورواية القناض (ص ٦٦٦ طبع

أودبا) والأغاني (ج ١١ ص ١٤٦ طبع دار الكتب المصرية) هكذا :

بكر النعي بخير خندف * يدف كهلها وشبابها

وبخيرها نسبا إذا * عدت إلى أنسابها

(٢) أضمرت الأرض الرجل : غيبته إما بسفر أو بموت .

لنا بالشَّهْبَاءِ وَدَوَسْرٍ، وَهَمَّا كَتَبْتَانِ لِلْأَسْوَدِ بْنِ الْمَنْدَرِ، فَأَبَتْ عِجْلٌ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَى الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ ذَلِكَ كَرِهَ أَنْ تَقْعَ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمَا بِسَبَبِهِ، فَارْتَحَلَ مِنْ بَنِي عِجْلٍ إِلَى جَبَلِ طَيْيٍّ فَأَجَارُوهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

لَعَمْرِي لَقَدْ حَلَّتْ فِي الْيَوْمِ نَاقَتِي * إِلَى نَاصِرٍ مِنْ طَيْيٍّ غَيْرِ خَاذِلٍ

فَأَصْبَحْتُ جَارًا لِلْمَجْرَةِ فِيهِمْ * عَلَى بَاذِخٍ يَعْلُو يَدَ الْمُتَطَاوِلِ

إِذَا أَجَا لَقَّتْ عَلَى شِعَابِهَا * وَسَلَّمِي فَأَنْتِ مِنْ تَنَاوِلِي^(١)

فمكث عندهم حيناً. ثم إن الأسود بن المنذر لما أعجزه أمره أرسل إلى جاراتِ كُنَّ للحارث بن ظالم استاقهنَّ وأموالهنَّ، فبلغ ذلك الحارث، فخرج من الجبلين فأندس في الناس حتى عَلِمَ مَكَانَ جَارَاتِهِ وَمَرَعَى إِبِلِهِنَّ فَأَتَاهُنَّ وَأَسْتَنْقَذَهُنَّ وَأَسْتَأَقَ إِبِلَهُنَّ فَالْحَقَهُنَّ بِقَوْمِهِنَّ. وَأَنْدَسَ فِي بِلَادِ غَطَفَانَ حَتَّى أَتَى سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ الْمُزَيَّيَّ وَهُوَ أَبُو هَرَمٍ بْنُ سِنَانَ مَمْدُوحُ زُهَيْرٍ. وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمَنْدَرِ قَدْ اسْتَرَضَعَ ابْنَهُ شُرْحَيْبِلَ عِنْدَ سَلَمَى امْرَأَةِ سِنَانَ، وَهِيَ مِنْ بَنِي غَنَمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ، فَكَانَتْ لَا تَأْمَنُ عَلَى ابْنِ الْمَلِكِ أَحَدًا، فَاسْتَعَارَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ سَرَجَ سِنَانَ، وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الشَّرْبَةِ، فَأَتَى بِهِ سَلَمَى امْرَأَةَ سِنَانَ وَقَالَ لَهَا: يَقُولُ لَكَ بَعْلُكَ: ابْعَثِي ابْنَكَ مَعَ الْحَارِثِ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْتَأْمِنَ لَهُ الْمَلِكُ، وَهَذَا سَرَجُهُ لَكَ آيَةً. قَالَ: فَرِزَيْتُهُ وَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ نَاحِيَةَ مِنَ الشَّرْبَةِ فَقَتَلَهُ وَهَرَبَ مِنْ فُورِهِ، وَهَرَبَ سِنَانَ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ. فَلَمَّا بَلَغَ الْأَسْوَدُ قَتْلَ ابْنِهِ شُرْحَيْبِلَ غَزَا بَنِي دُؤْبَانَ فَقَتَلَ وَسَبَى، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ، وَأَغَارَ عَلَى بَنِي دُودَانَ رَهطَ سَلَمَى، فَقَتَلَهُمْ وَسَبَاهُمْ، ثُمَّ وَجَدَ بَعْدَ ذَلِكَ نَعْلِيَّ شُرْحَيْبِلَ فِي جَانِبِ الشَّرْبَةِ عِنْدَ بَنِي مُحَارِبِ بْنِ خَصْفَةَ، فَغَزَاهُمْ وَأَسْرَهُمْ وَأَحْمَى لِحْمَ الصَّفَا وَقَالَ: إِنِّي أَحْذِيكُمْ نِعَالًا، فَأَمْسَاهُمْ عَلَيْهَا، فَسَقَطَتْ أَقْدَامُهُمْ. ثُمَّ إِنَّ سَيَّارَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ جَابِرِ

(١) أجا وسلمي: جبلان لطيي.

(٢) عبارة الأغاني (ج ١١ ص ١٠٧ طبع دار الكتب المصرية): «فأَسَابَ فِي عَمَارِ النَّاسِ».

الفَزَارِيُّ - احتمل للأَسودِيَّةَ أبنه أَلْفَ بَعِيرٍ وَرَهْنَهُ بِهَا قَوْسَهُ ، فَوَفَاهُ بِهَا وَقَالَ فِي ذَلِكَ :
 وَنَحْنُ رَهْنَا الْقَوْسَ ثُمَّتْ فُودِيَتَ * بِأَلْفٍ عَلَى ظَهْرِ الْفَزَارِيِّ أَقْرَعَا
 بَعَشِيرٍ مِثِينَ لِلْمَلُوكِ وَفِي بِهَا ^(١) * لِيُحْمَدَ سَيَّارُ بْنُ عَمْرٍو فَاسْرَعَا
 قَالَ : ثُمَّ هَرَبَ الْحَارِثُ فَلَحِقَ بِمَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ فَأَسْتَجَارَ بِهِ فَأَجَارَهُ ، وَكَانَ مِنْ
 سَبَبِهِ وَقَعَةُ رَحْرَحَانَ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا . ثُمَّ هَرَبَ حَتَّى لَحِقَ بِمَكَّةَ وَقَرِيشَ لِأَنَّهُ يُقَالُ :
 إِنَّ مُرَّةَ بْنَ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ إِنَّمَا هُوَ مُرَّةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ لُؤَيٍّ - بْنِ غَالِبٍ ،
 فَتَوَسَّلَ إِلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْقَرَابَةِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

إِذَا فَارَقْتُ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعِيدٍ * وَإِخْوَتَهُمْ نُسِبْتُ إِلَى لُؤَيٍّ

إِلَى نَسَبِ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغَيْلٍ * وَحَيٍّ مِنْ أَكْرَامِ كُلِّ حَيٍّ

فَإِنَّ يَكُ مِنْهُمْ أَصْلَى فَمَنْهُمْ * قَوَاتِينُ الْإِلَهِ بَنُو قَصِيٍّ

فَقَالُوا لَهُ : هَذَا نَسَبُ رَحِمِ كَرَشَاءَ إِذَا اسْتَغْنَيْتُمْ عَنْهَا أَدْبَرْتُمْ . قَالَ : فَشَخَّصَ [الْحَارِثُ] ^(٢)
 عَنْهُمْ غَضْبَانَ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَلَّا لَسْتُمْ مَنَا وَلَا نَحْنُ مِنْكُمْ * بَرُّنَا إِلَيْكُمْ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ ^(٣)
 غَدُونَا عَلَى تَشِيرِ الْحِجَازِ وَأَنْتُمْ * بِمَنْشَعِبِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧)

وَتَوَجَّهَ إِلَى الشَّامِ فَلَحِقَ بِيَزِيدِ بْنِ عَمْرٍو الْغَسَّانِيَّ فَأَجَارَهُ وَأَكْرَمَهُ . وَكَانَتْ لِيَزِيدِ
 نَاقَةٌ مَحْمَاةٌ ، فِي عُنُقِهَا مَدِيَّةٌ وَزِنَادٌ وَصُرَّةٌ مِلْحٌ ، يَمْتَحِنُ بِهَا رَعِيَّتَهُ لِيَنْظُرَ مَنْ يَحْتَرِي عَلَيْهِ ،

(١) فِي الْأَغَانِي (ج ١١ ص ١١١ طبع دار الكتب المصرية) وَنَزَانَةُ الْأَدَبِ (ج ٣ ص ٣٠٤)
 « سَعَى بِهَا... لِيُوقِ » وَقَدْ صَحَّحَهَا الْمَرْحُومُ الشَّقِيقِيُّ : « سَعَى لَهَا » . (٢) الرِّشَاءُ : الْحَبْلُ .
 (٣) زِيَادَةُ مِنَ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٣ ص ٦٧ طبع بلاق) . (٤) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . وَالنَّشْرُ :
 الْمَتْنُ الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ مَا أَرْتَفَعُ عَنِ الْوَادِي إِلَى الْأَرْضِ وَلَيْسَ بِالْعَلِيظِ . (٥) انْتَشَبَ
 الطَّرِيقُ : تَفَرَّقَ . (٦) الْبَطْحَاءُ : كُلُّ مَوْضِعٍ مَتَّعٍ . (٧) الْأَخَاشِبُ : جِبَالُ مَكَّةَ .

فَوَحِيَتْ أَمْرًا لَهَا فَتَحَرَّتْ إِلَى النَّاقَةِ فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهَا فَتَحَرَّتْ وَأَتَاهَا بِسَجْمِهَا
 وَفَقَدَتْ النَّاقَةَ فَأَرْسَلَتْ إِلَى الْخَمْسِ التَّغْلِبِيِّ، وَكَانَ كَاهِنًا، فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْحَارِثَ
 صَاحِبَهَا، فَهَمَّ بِهِ الْمَلِكُ ثُمَّ تَدَمَّ مِنْ ذَلِكَ، فَأَوْجَسَ الْحَارِثُ فِي نَفْسِهِ شَرًّا فَأَتَى الْخَمْسَ
 التَّغْلِبِيَّ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ دَعَا بِهِ الْمَلِكُ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَجْرَعْتَنِي
 فَلَا تَقْدِرُنِي، قَالَ الْمَلِكُ: لَا ضَيْرَ إِنْ غَدِرْتُ بِكَ مَرَّةً فَقَدْ غَدِرْتُ بِمِرَارًا، وَأَمَرَ
 ابْنَ الْخَمْسِ بِقَتْلِهِ، وَأَخَذَ ابْنُ الْخَمْسِ سَيْفَ الْحَارِثِ، فَأَتَى بِهِ سُوقَ عَكَاظٍ فِي الْأَشْهُرِ
 الْحَرَمِ، فَأَرَاهُ قَيْسُ بْنُ زَهْرٍ الْعَبْسِيُّ فَضَرَبَهُ بِهِ قَيْسٌ فَقَتَلَهُ.

ذِكْرُ حَرْبِ دَاخِسٍ وَالْغَبْرَاءِ

وهي من حروب قيس

- ١٠ قال أبو عبيدة: حرب داحس والغبراء بين عبيس وذبيان أختي بغيض
 ابن ريث بن غطفان. وكان السبب الذي هاجها أن قيس بن زهير وحمل
 ابن بدر تراهننا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق. وكان داحس حلاً
 لقيس بن زهير. والغبراء حجر لحمل بن بدر، فتواضعا الرهان على مائة بعير، وجعلا

(١) تدمم: استنكف. (٢) اسمه «مالك» كما في الأغاني (ج ١١ ص ١١٩)
 طبع دار الكتب المصرية.

- ١٥ (٣) وردت هذه العبارة في الأغاني (ج ١١ ص ١١٩ طبع دار الكتب المصرية) هكذا: «فأتى
 به سوق عكاظ في الحرم...» وضبط لفظ «الحرم» بالقلم يفتح الحاء والراء المهملتين. وبهذا الضبط
 يتبادر إلى ذهن القارئ أنه قتل بالحرم (أي الكعبة) ويؤيد هذا تكرار هذه الكلمة بهذا الضبط في السطر
 التالي لها، وهذا خطأ، والصواب أنه قتل في الأشهر الحرم (بضم الحاء والراء المهملتين) بسوق عكاظ،
 وهي سوق بصحراء بين نخلة والطائف، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً، تجتمع قبائل
 العرب فينما كلون، أي يتفانرون ويتناشدون. (٤) الحجر: الفرس الأثني لم يدخلوا فيه الحاء لأنه اسم لا يشركها فيه المذكور. وأجاز الخليل:
 ما يتخذ منها لانسلا لا يفرد لها واحد.

مُنْتَهَى الْغَايَةِ مِائَةَ غَلْوَةٍ ، وَالْمِضْمَارُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ قَادَاهُمَا إِلَى رَأْسِ الْمَيْدَانِ بَعْدَ أَنْ صَمَّرَاهُمَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . وَكَانَ فِي طَرْفِ الْغَايَةِ شِعَابٌ كَثِيرَةٌ ، فَأَكَمَنَّ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ فِتْيَانًا عَلَى طَرِيقِ الْفَرَسَيْنِ وَأَمْرَهُمْ إِنْ جَاءَ دَاحِسٌ سَابِقًا أَنْ يَرُدُّوهُ عَنِ الْغَايَةِ ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُمَا ، فَلَمَّا أَحْيَضْرَا خَرَجَتِ الْأُنْثَى عَنِ الْفِعْلِ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ : سَبَقْتُكَ يَا قَيْسُ ، فَقَالَ قَيْسُ : رُوَيْدًا يَعْذُوَانِ الْجَدَدَ إِلَى الْوَعْتِ وَتَرْتَخُ أَعْطَافَ الْفَحْلِ ، فَلَمَّا أَوْغَلَا عَنِ الْجَدَدِ وَخَرَجَا إِلَى الْوَعْتِ بَرَزَ دَاحِسٌ عَنِ الْغَبَاءِ فَقَالَ قَيْسُ : « جَرِي الْمَدَّيْكَاتِ غَلَابٌ ^(١) » فَذَهَبَتْ مِثْلًا . فَلَمَّا شَارَفَ دَاحِسٌ الْغَايَةَ وَدَنَا مِنَ الْفِتْيَةِ وَثَبُوا فِي وَجْهِ دَاحِسٍ فَرُدُّوهُ عَنِ الْغَايَةِ ، فَتَى ذَلِكَ يَقُولُ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

وَمَا لَأَقَيْتُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ * وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ ^(٣)

هُمُومُ نَخْرُوا عَلَى بَغِيرِ نَخْرِ * وَرَدُّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي

وَنَارَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَبَسٍ وَذُبْيَانَ أَبِي بَغِيضٍ ، فَوَكَّدَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ تُنْتِجْ نَاقَةً وَلَا فَرَسًا فِيهَا لِأَشْتَغَالِهِمْ بِالْحَرْبِ . فَبَعَثَ حُدَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ ابْنَهُ مَالِكًا إِلَى قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ حَقَّ السَّبْقِ ، فَقَالَ قَيْسُ : كَلَّا لَا مِطْلَكَ بِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّحِمَ فِطْعَنَهُ فَدَقَّ صُلْبَهُ ، وَرَجَعَتْ فَرَسُهُ غَائِرَةً ، وَأَجْتَمَعَ النَّاسُ فَحَمَلُوا دِيَةَ مَالِكِ مِائَةَ نَاقَةٍ عَشْرًا ^(٤) وَزَعَمُوا أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادِ الْعَبْسِيِّ حَمَلَهَا وَحَدَّهَ فَقَبِضَهَا حُدَيْفَةُ وَسَكَّنَ النَّاسَ .

(١) المذكية من الخيل : التي قد أتى عليها بعد فروحها سنة أو سنتان .

(٢) الغلاب : المغالبة ، أى إن المذكي يغالب مجاربه فيغلبه لقوته .

(٣) ذات الإصَاد : موضع بيلاد بني فزارة .

(٤) العشراء : التي أتى هل حملها عشرة أشهر من ملقحها .

ثم إن مالك بن زهير نزل اللقطة من أرض الشربة فأخبر حذيفة بمكانه ، فعدا عليه فقتله ، ففى ذلك يقول عنترة :
 (١) (٢)

فَلله عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مالِكِ * عَقِيْرَةَ قَوْمِ أَنْ جَرَى فَرَسَانِ
 فليتهما لم يَجْرِيَا قَيْدَ غَلْوَةٍ * وليتهما لم يُرْسَلَا لِرِهَانِ

فقال بنو عبس : مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا ، فأبى حذيفة أن يرد شيئا ، وكان الربيع بن زياد مجاوراً لبني فزارة .

قال : فلما قُتِلَ مالك بن زهير جعل بنو فزارة يتساءلون ويقولون : ما فعل

جِماركم ؟ قالوا : صدناه ، فقال لهم الربيع : ما هذا الوحي ؟ قالوا : قتلنا مالك ابن زهير ، قال : بئس ما فعلتم بقومكم ! قَلِمَ الدِّيةَ وَرَضِيتُمْ بِهَا ثم غدرتم ! فقالوا :

١٠ لولا أنك جأرنا لقتلناك ، وكانت خفرة الجار ثلاثا ، فقالوا له : بعد ثلاث ليال أخرج عنا ، نخرج وآتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه ، وأتاه قيس بن زهير فعاقده . ثم نهضت بنو عبس وحلفاءهم بنو عبد الله بن غطفان إلى بني فزارة وذبيان ورئيسهم الربيع بن زياد ، ورئيس بنى فزارة حذيفة بن بدر .

يوم المَرِيْقِبِ

١٥ لبني عَبْسِ عَلَى بَنِي ذُبْيَانَ

فَأَلْتَقَوْا بَدَى الْمَرِيْقِبِ (٣) مِنْ أَرْضِ الشَّرْبَةِ فَأَقْتَلُوا ، فَكَانَتِ الشُّوكَةُ فِي بَنِي فَزَارَةَ قُتِلَ مِنْهُمْ عَوْفُ بْنُ بَدْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَبِي الْحَصِينِ ، أَحَدُ بَنِي عَدِيِّ بْنِ فَزَارَةَ وَجَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ . وَفِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ يَقُولُ عَنْتَرَةُ الْفَوَارِسُ :

وَلَقَدْ عَلِمْتَ إِذْ أَلْتَقَتْ فُرْسَانُهَا * يَوْمَ الْمَرِيْقِبِ أَنْ ظَنَنْكَ أَحْمَقُ

٢٠ (١) اللقطة : موضع قريب من الجابر من منازل بنى فزارة .

(٢) الشربة : موضع بين السليله والربذة ، وقيل : إذا جاوزت النقرة وماوان تر يد مكة وفتت في الشربة .

(٣) المريقب : تصغير مرقب : موضع من الشربة .

يوم ذى حِمْيٍ
لذبيان على عبس

ثم إن ذبيان تجمعت لِمَا أصابت بنو عبس منهم يوم المَرِيقِبِ فزارة بن ذبيان
ومرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان وأحلافهم، فنزلوا فتوافوا بذى حِمْيٍ^(١)، وهو وادي
الضفا من أرض الشَّرْبَةِ، فهزمت بنو عبس وخافت ألا تقوم بجماعة بني ذبيان
وأتبعوهم حتى لحقوهم، فقالوا: التفاني أو تقيسونا، فأشار قيس بن زهير على
الربيع بن زياد ألا يناجزهم، وأن يعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا في أمرهم،
فراضوا أن يكون رهنهم عند سُبَيْع بن عمرو أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان،
فدفعوا إليه ثمانية من الصِّبْيَانِ، فأنصرفوا وتكافأ الناس، فمكث رهنهم عند سُبَيْع
حتى حضرته الوفاة، فقال لابنه مالك بن سُبَيْع: إن عندك مكِّمة لا تبيد إن أنت^(٢)
احتفظت بهؤلاء الأعمىة، وكانى بك لويمت قد أتاك خالك حذيفة بن بدر
فمصر لك عينيه وقال: هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم، فلا
تشرّف بعدها أبدا، فإن خفت ذلك فأذهب بهم إلى قومهم. فلما هلك سُبَيْع
أطاف حذيفة بأبنة مالك وخدعه حتى دفعهم إليه، فأتى بهم اليعمرية، فجعل يبرز^(٣)
كل يوم غلاما فينصبه غرضا ويقول له: ناد أباك، فينادى أباه حتى
يقتله.

(١) ذوحسى: موضع بالعالية في أرض غطفان.

(٢) لا تبيد: لا تنقطع ولا تذهب. وفي الأصل «لا ضير».

(٣) اليعمرية: ماء بواد من بطن نخل من الشربة لبني ثعلبة.

يوم اليعمرية

لعبس على ذبيان

- قال : فلما بلغ ذلك من فعله بنى عبس أتومم باليعمرية فلقوهم بجزتها فقتلوا منهم اثني عشر رجلا ، منهم مالك بن سبيع الذي نبت بالغلمة إلى حذيفة ، وأخوه يزيد بن سبيع ، وعامر بن لوزان ، والحارث بن زيد ، وهرم بن ضمضم أخو حصين . ويقال ليوم اليعمرية : يوم ذى نفر لانهما متجاوران .

يوم الهبأة

لعبس على ذبيان

- قال : ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قائظ إلى جنب جفر الهبأة وأقتلوا من أول النهار إلى أن أنتصف ، وحجز الحر بينهم ، وكان حذيفة بن بدر يحرق نخذه الركض ، فقال قيس بن زهير : يا بنى عبس ، إن حذيفة غدا إذا أخدمت الوديقة مستنقع في جفر الهبأة فعليكم بها ، فخرجوا حتى وقعوا على أثر صارف : فرس حذيفة ، والحيفاء : فرس حمل بن بدر ، فقفوا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهبأة ، فبصر بهم حمل بن بدر فقال : هذا قيس بن زهير قد أتاكم ، فوقف قيس وأصحابه على جفر الهبأة وهو يقول : لبيكم لبيكم ! يعني إجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم إذ يقتلون ! وفي الحقر حذيفة وحمل وبدر ومالك بنو بدر ، وورقاء بن ليل

(١) الهبأة : أرض ببلاد غطفان . وجفر الهبأة : مستنقع في هذه الأرض .

(٢) الوديقة : شدة الحر .

(٣) كذا في كتاب النقائص (ص ٩٥ طبع أوربا) والأغانى (ج ١٦ ص ٣١ طبع بلاط) .

٢٠ وفي الأصول والعقد الفرید : « هلال » .

من بنى ثعلبة بن سعد . وحشش بن عمرو ، فوقف عليهم شداد بن معاوية
العيسى ، فقال بينهم وبين خيلهم ، ثم تواقف فرسان بنى عبس فقال حمل :
ناشدتك بالرحم يا قيس ، فقال : لبيكم لبيكم ! فعرف حذيفة أنه لن يدعهم فآتمهر
حملا فقال : إياك والماتور من الكلام ، فذهبت مثلا ، وقال لقيس : ان
قتلني لا تصالح غطفان بعدها أبدا ! فقال : أبعدا الله ولا أصلحها ، وجاءه
قرواش يمعبله^(٢) فقصم صلبه ، وقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر ، فقال قيس بن
زهير يرثيه :

١١٧
١٣

تعلّم أن خير الناس ميت * على جفرا الهباءة ما يريم^(٣)
ولولا ظلمه ما زلت أبكي * عليه الدهر ما بدت النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بنى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي * وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني * فمعوج وآخر مستقيم

ومثلوا بحذيفة بن بدر كما مثل بالعلمة ، فمقطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه
وجعلوا لسانه في آسته ، ففي ذلك يقول قائلهم :

إن قتيلا بالهباءة في آسته * صحيفته إن عاد للظلم ظالم
متى تقراؤها تهديكم من ضلالكم * وتعرف إذا ما فُض عنها الخواتم

(١) كذا في كتاب الفرائض والأغاني . وفي الأصول : « وهب » وفي العقد الفردي :

« حسن بن وهب » وهو تحريف .

(٢) المعبله : نصل عريض ملوويل .

(٣) ما يريم : أى ما يرح .

وقال عمرو بن الأسلع :

إِنَّ السَّمَاءَ وَإِنَّ الْأَرْضَ شَاهِدَةٌ ^(١) * وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْإِنْسَانُ وَالْبَلَدُ

أَنِّي جَزَيْتُ بَنِي بَدْرِ بِسَعْيِهِمْ * عَلَى الْهَبَاءَةِ قَتْلًا مَا لَهُ قَوْدُ

لَمَّا أَلْتَقَيْنَا عَلَى أَرْجَاءِ جَمْعِيهَا * وَالْمَشْرِفِيَّةِ فِي أَيْمَانِنَا تَقْدُ

عَلَوْتَهُ بِحَسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : * خُذْهَا حَذِيفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمْدُ

فَلَمَّا أُصِيبَ أَهْلُ الْهَبَاءَةِ وَأَسْتَعْظَمْتَ غَطْفَانُ قَتَلَ حَذِيفَةَ، تَجَمَّعُوا، وَعَرَفَتْ
بَنُو عَبْسٍ أَنَّ لَيْسَ لَهُمْ مَقَامٌ بِأَرْضِ غَطْفَانَ، فَخَرَجُوا إِلَى الْيَمَامَةِ فَتَزَلُّوا بِأَخْوَالِهِمْ مِنْ
بَنِي حَنِيفَةَ، ثُمَّ رَحَلُوا عَنْهُمْ فَتَزَلُّوا بِبَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءً .

يَوْمَ الْفَرُوقِ

لبني عبس

ثُمَّ إِنَّ بَنِي عَبْسٍ غَدَرُوا بِجَوَارِهِمْ فَأَتَوْا مَعَاوِيَةَ بْنَ الْجَوْثَمِ فَاسْتَجَاسُوا عَلَيْهِمْ
وَأَرَادُوا أَكْلَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ بَنِي عَبْسٍ فَفَرَّوْا لَيْلًا، وَقَدَّمُوا طُعْمَهُمْ، وَوَقَفَتْ فُرْسَانُهُمْ
بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْفَرُوقُ، وَأَغَارَتْ بَنُو سَعْدٍ وَمِنْ مَعَهُمْ مِنْ جُنُودِ الْمَلِكِ عَلَى مَحَلَّتِهِمْ
فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا مَوَاقِدَ النَّيْرَانِ فَاتَّبَعُوهُمْ حَتَّى أَتَوْا الْفَرُوقَ، فَإِذَا بِالْخَيْلِ وَالْفُرْسَانِ وَقَدْ
تَوَاتَرَتِ الطُّعْنُ عَنْهُمْ، فَانصَرَفُوا عَنْهُمْ، وَمَضَى بَنُو عَبْسٍ فَتَزَلُّوا بِبَنِي ضَبَّةٍ فَأَقَامُوا
فِيهِمْ . وَكَانَ بَنُو حَذِيفَةَ مِنْ بَنِي عَبْسٍ يُسَمُّونَ بَنِي رَوَاحَةَ، وَبَنُو بَدْرِ مِنْ قَزَّارَةَ
يُسَمُّونَ بَنِي سُودَةَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَصَالِحُوهُمْ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَعَى فِي الْحِمَالَةِ
حَرْمَلَةُ بْنُ الْأَشْعَرِ بْنِ صَرْمَةَ بْنِ مَرْثَةَ، فَسَعَى فِيهَا أَبْنَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ،
وَالِيهِ أَشَارَ الشَّاعِرُ :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ * يَوْمَ الْهَبَاءَةِ يَوْمَ الْيَعْمَلَةَ

تَرَى الْمَلُوكَ حَوْلَهُ مَرْعَبَلَةَ * يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَازَنْبُ لَهُ !

(١) فِي الْأَصُولِ : « الرِّيحُ » .

يوم قَطْن

فلما توافوا للصلح وقفت بنو عيس بقطن^(١) وأقبل حصين بن ضمضم فلقى تيجان
أحد بني مخزوم بن مالك فقتله بأبيه ضمضم . وكان عنزة بن شداد العيسى قتلته
بندى المريقب ، فأشارت بنو عيس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان وقالوا :
لا نصالحكم ما بل البحر صوفة وقد غدرتم بنا غير مرة ، وتناهض الناس : عيس
وذبيان ، فالتقوا بقطن ، فقتل يومئذ عمرو بن الأسلع عتبة ، ثم سفرت السفراء ،
بينهم ، وأتى خارجه بن سنان أبا تيجان بابنه فدفعه إليه وقال : في هذا وفاء من
أبnsk ! فأخذه فكان عنده أياما ، ثم حمل خارجه لأبي تيجان مائة بعير فأذاها
إليه وأصطلحوا وتعاقدوا .

يوم غدِيرِ قَلْبِي

قال أبو عبيدة : فاصطلح الحياتن إلا بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فإنهم أبوا
ذلك وقالوا : لا نرضى حتى يُودوا قتلانا أو يُهدر دم من قتلها ، فخرجوا من قطن
حتى وردوا غدِيرِ قَلْبِي ، فسبقتهم بنو عيس إلى الماء فمنعوهم حتى كادوا يموتون
عطشا ، فأصلح بينهم عوف ومعقل أبنا سبيع من بني ثعلبة وإياهما يعني زهير بقوله :
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا * تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنَشِمٍ^(٢)
فوردوا حربا وخرجوا عنه سالما . تم خبر دا حيس والغبراء .

(١) قطن : جبل لبني أسد .

(٢) منشم : اختف فيها ، فقيل : إنها امرأة عطارة من خزاعة ، فنحالف قوم فأدخلوا أيديهم
في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ، فصار هؤلاء مثل أولئك في شدة الأمر وقال أبو عمرو الشيباني :
هي امرأة من خزاعة كانت تباع عطرا ، فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم ، فتشاهموا بها ،
وكانت تسكن مكة . وقال ابن الكلبي : هي امرأة من جرهم . وقال أبو عمرو بن العلاء : منشم ، إنما
هو من التنشيم في الشر . ومنه قولهم : لما نشم الناس في عثمان . (أى طعنوا فيه ونالوا منه) راجع
شرح ديوان زهير للإمام ثعلب ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية .

يَوْمُ الرَّقْمِ

لَعَطْفَانِ عَلِيِّ بْنِ عَامِرٍ

غزرت بنو عامر فأغاروا على بلاد غطفان بالرقم^(١) - وهو ماء لبني مرة - وعلى

بني عامر : عامر بن الطفيل - ويقال يزيد بن الصميق - فركب عتبة بن حصين

في بني فزارة، ويزيد بن سنان في بني مرة - ويقال الحارث بن عوف - فانهزمت

بنو عامر ، فزعمت غطفان أنهم أصابوا من بني عامر يومئذ أربعة وثمانين رجلا ،

فدفعوهم إلى أهل بيت من أشجع ، كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم ، فقتلواهم أجمعين .

وأنهزم الحكم بن الطفيل في نفر من أصحابه ، فيهم خوات بن كعب حتى

آتوهوا إلى ماء يقال له : الموروات ، فقطع العطش أعناقهم فأتوا ، وحقن الحكم

ابن الطفيل نفسه مخافة المثلة ، فقال في ذلك عروة بن الورد :

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَحْتَقُونَ نَفْسَهُمْ * وَمَقْتَلُهُمْ تَحْتَ الْوَعْيِ كَانَ أَعْدَاً^(٢)يَوْمُ التَّاءِ^(٣)

لعبس على بن عامر

يقال : خرجت بنو عامر تريد أن تدرك بثأرها يوم الرِّقْمِ ، فهجموا على عبس

بالتَّاءِ وقد أنذروا بهم ، فالتقوا ، وكان على بن عامر : عامر بن الطفيل ، وعلى

بني عبس : الربيع بن زياد ، فأقتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت بنو عامر ، وقُتل منهم

هزار بن مرة ، قتله الأحنف بن مالك ، ونهشل بن عبدة بن جعفر ، قتله أبو زغبة

أبن حارث وعبد الله بن أنس بن خالد ، وهزمت بنو عامر هزيمة قبيحة .

(١) في معجم ما استعجم للبكري : « الرقم بفتح أوله وثانيه : موضع بالجهاز قريب من وادي

القرى » . (٢) أي كان أعدر لهم من خنقهم أنفسهم (راجع شرح ديوان عروة ص ١٣٥) ٢٠

طبع أوربا) . (٣) التاء : نخيلات لبني عطار .

(١)
يَوْمُ شَوْاحِطٍ

لبني محارب على بني عامر

غَزَتْ سَرِيَّةٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بِلَادَ غَسَّانَ ، فَأَغَارُوا عَلَى إِبْلِ
لِبَنِي مُحَارِبِ بْنِ حَصْفَةَ ، فَأَدْرَكَهُمُ الطَّلَبُ ، فَقَاتَلُوا مِنْ كِلَابِ تِسْعَةِ نَفَرٍ وَأَرْتَدُوا
إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَجَعُوا وَتَبَتْ بَنُو كِلَابِ عَلَى جَسِيرٍ - وَهُمْ مِنْ بَنِي مُحَارِبِ ، وَكَانُوا حَارِبُوا
إِخْوَتَهُمْ ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ فَخَالَفُوا بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ - فَقَالُوا : نَقَاتَلُهُمْ
بِقَتْلِ بَنِي مُحَارِبِ مَنْ قَتَلُوا مِنَّا ، فَقَامَ خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ دُونَهُمْ حَتَّى مَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ
وَقَالَ :

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي * عَقِيلًا وَأَبْلَغْ إِنْ لَقَيْتَ أَبَا بَكْرٍ
فِيَا أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْبِنَا وَأُمَّنَا * إِيكُمُ إِلَيْكُمُ لَأَسْبِيلٌ إِلَى جَسِيرِ
دَعُوا جَانِبِي إِنِّي سَاتِرُكَ جَانِبًا * لَكُمْ وَأَسْعَا بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالْقَهْرِ
أَنَا فَارِسُ الضَّحِيَاءِ عَمْرُوبُ بْنُ عَامِرٍ * أَبِي الدِّمِّ وَأَخْتَارُ الْوَفَاءِ عَلَى الْغَدْرِ

(٢)
يَوْمُ حَوْزَةِ الْأَوَّلِ

لِسُلَيْمِ عَلَى غَطَفَانَ

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ . كَانَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ وَبَيْنَ هَاشِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ
أَحَدِ بَنِي مُرَّةٍ : - مُرَّةٌ غَطَفَانٌ - كَلَامٌ بِعَكَاظٍ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ
سَمِعْتُ بِظَعَانِ يَنْدُبُوكَ ، فَقَالَ هَاشِمٌ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ بَرَيْتُ الرُّطْبَةَ - وَهِيَ بَحْمَةٌ

(١) شواخط : جبل مشهور بين مكة والمدينة . (٢) راي : غطافان . (٣) حوزة : واد بالحجاز . (٤) حوزة : واد بالحجاز . (٥)

(١) شواخط : جبل مشهور بين مكة والمدينة . (٢) راي : غطافان . (٣) حوزة : واد بالحجاز . (٤) حوزة : واد بالحجاز . (٥)

(١) شواخط : جبل مشهور بين مكة والمدينة . (٢) راي : غطافان . (٣) حوزة : واد بالحجاز . (٤) حوزة : واد بالحجاز . (٥)

(١) معاوية ، وكانت الدهر تنطف ماءً ودُهنا وإن لم تُدهن — فلما كان بعد [حين] تهباً معاوية ليغزو هاشماً ، فنهاه أخوه صخر ، فأبى وغزاهم يوم حوزة ، فرآه هاشم ابن حرملة قبل أن يراه معاوية ، وكان هاشم ناقها من مريض أصابه ، فقال لأخيه دُرَيْد بن حرملة : إن هذا إن رآني لم آمن أن يشد علي ، وأنا حديث عهد

بشكيتي ، فاستطرد له [دوني] حتى تجعله بيني وبينك ، ففعل ، فحمل عليه معاوية وأردفه هاشم ، فاختلعا طعنتين فأردى معاوية هاشماً عن فرسه السماء ، وأنفذها هاشم سنانه عن عانة معاوية ، وكرّ عليه دُرَيْد وظنه قد أردى هاشماً ، فضرب معاوية بالسيف فقتله ، وشد خفاف بن عمرو على مالك بن حمار الفزاري [فقتله] .

قال : وغارت السماء فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سليم فأخذوها وظنوا أنها فرس الفزاري الذي قتله خفاف ، ورجع الجيش ، فلما دنوا من صخر أحمى معاوية قال لهم : ما صنع معاوية ؟ قالوا قتل ! قال : فما هذه الفرس ؟ قالوا : قتلنا صاحبها ! قال : إذا قد أدركتم ثاركم ، هذه فرس هاشم بن حرملة .

قال : فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو السماء صبيحة يوم حرام ، فأبى بني مرة ، فلما رأوه قال لهم هاشم : هذا صخر خيوه وقولوا له خيرا ، وهاشم مريض من الطعنة التي طعنه معاوية ، فقال : من قتل أحمى ؟ فسكتوا ، فقال : لمن هذه الفرس التي تحتي ؟ فسكتوا ، فقال هاشم : هلم أبا حسان إلى من يحبك ! قال : من قتل أحمى ؟ فقال [هاشم] : إذا أصبتي أو دُرَيْد فقد أصبت ثارك ! فقال : هل كفتموه ؟ قال : نعم ، في بردين : أحدهما بنحو عشرين بكرة

(١) النكبة من العقد الفريد . (٢) النكبة من العقد الفريد . (٣) أردفه : تبعه . (٤) أزداه : أسقطه . (٥) النكبة من العقد الفريد . (٦) النكبة من العقد الفريد . (٧) النكبة من العقد الفريد .

وأروه قبره ، فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال : كأنكم أنكرتم ما رأيتم من جزعي ، فوالله ما بت منذ عقلت إلا واترا أو موتورا ، وطالبا أو مطلوبا حتى قُتِل معاوية ، فما ذقتُ طعامَ نوم بعده .

يوم حوزة الثاني

١١٩
١٣

قال : ثم غزاهم [صخر] فلما دنا منهم مضى على السماء ، وكانت غراءً مُحجَّلةً ، فسود غررتها وتحجَّلها ، فلما رآته بنتُ هاشم قالت لعمها دريد : أين السماء؟ قال : هي في بني سليم . قالت : ما أشبهها بهذه الفرس ! فقال : هذه بهيم ^(١) والسماءُ غراءٌ مُحجَّلةٌ ، ثم اضطجع فلم يشعر حتى طعنه صخرٌ ، قال : فثاروا وتنادروا ، وولى صخرٌ وطلبته غطفان عاقمةً يومها ، وعارض دونه أبو شجرة بن عبد العزى ، وكانت أمه خنساء أخت صخر ، وصخرٌ خاله ، فردَّ الخيل عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه ، فقال خفاف بن نذبة لما قتل معاوية : قتلني الله إن برحت من مكاني حتى أثار به ! فشدَّ على مالك سيد بني شَمخ فقتله ، وقال صخرٌ في قتله دريدا :

ولقد دفعتُ إلى دريد طعنةً * نَحْلَاءَ تَزْغُلُ مِثْلَ عَطِّ الْمِنْخَرِ ^(٢)

ولقد قتلتم ثناءً وموحداً * وتركتُ مرةً مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ

قال أبو عبيدة : وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج متجعجا فلقبته عمرو بن قيس الجشمي ، فنبعه وقال : هذا قاتل معاوية ، لا وألت نفس إن وآل ^(٣) ، فلما دنا منه أرسل عليه مِعبلةً ففلقَ قِحفه فقتله .

(١) البهيم : الأسود ، وما لاشية فيه من الخيل الذكر والأنثى .

(٢) تزغل : تخرج الدم قطعاً قطعاً . مائة في المائة . مائة في المائة . مائة في المائة . (١)

(٣) وآل : نجا . (١)

يوم ذات الأثل

قال أبو عبيدة : ثم غزا صخر بن عمرو بن الشريد بن أسد بن خزيمه فاكتسح
إبلهم ، فأتى الصريح بن أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل ، فاقتلوا
قتالا شديدا ، فطعن ربيعة الأسد صخر في جنبه وفات القوم بالغنيمة ، ومرض
صخر من الطعنة قريبا من الحول حتى مله أهله ، فسمع امرأة من جاراته تسأل
سأمتي أمراته : كيف بعلك ؟ قالت : لاسي فيرجي ، ولا ميت فينسي ، لقد لقينا
منه الأمرين ! وكانت أمه إذا سئلت عنه تقول : أرجو له العافية إن شاء الله !
فقال في ذلك :

أرى أم صخر لا تمل عيادي * وملت سليمي مضجعي ومكاني
فأى أمرى ساوى بأم حليمة * فلا عاش إلا في أذى وهوان
وما كنت أخشى أن أكون جنازة^(١) * عليك ومن يعتر بالحدان
لعمري لقد نهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

قال : فلما طال عليه البلاء — وقد نثأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع
الطعنة — قالوا له : لو قطعتما لرجونا أن تبرا ، فقال شأنكم ! فقطعوها فمات ،
فقالت أخته الخنساء ترثيه :

وقائلة والنعش قد فات خطوها * لتدركه بالهف تسمى على صخر!
ألا نيكلت أم الذين غدوا به * إلى القبر ماذا يجملون إلى القبر!

(١) إذا نقل المريض على قومه وأغتموا به فهو جنازة عليهم . هكذا ورد في لسان العرب مادة (جنز)

(١)
يوم اللّوى

لغطفان على هوازن

قال أبو عبيدة : غزا عبد الله بن الصّمة — وأسم الصّمة : معاوية الأصغر —
من بني غزيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن — وكان لعبد الله ثلاثة أسماء
وثلث كنى ، فأسمه : عبد الله ، وخالد ، ومعبد ، وكنيته أبو فرعان ، وأبو دُفافة ،
وأبو وفاء ، وهو أخو دُرَيْد بن الصّمة لأبويه — فأغار على غطفان فأصاب منهم
إبلا عظيمة فأطردوها ، فقال له أخوه دُرَيْد : النجاء فقد ظفرت ، فأبى عليه وقال :
لا أبرح حتى أنتقع نقيعتي — والنقيعة : ناقة ينحرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاما
لأصحابه ، ويقسم ما أصاب عليهم — فأقام وعصى أخاه ، فتبعته فزارة فقاتلوه
وهو بمكان يقال له اللّوى ، فقتل عبد الله ، وأرثت دُرَيْد فبقى في القتلى ، فلما كان
في بعض الليل أتاه فارسان ، فقال أحدهما لصاحبه : إني أرى عينية تبص ، فأنزل
فأنظر إلى سبته ، فنزل فكشف ثوبه فإذا هي ترمز ، فطعنه ، فخرج دم قد آحقتن .

قال دُرَيْد : فأفقت عندها ، فلما جاوزوا نهضت ، فما شعرت إلا وأنا بين
عرقوبتي بحمل امرأة من هوازن ، فقالت : من أنت؟ أعوذ بالله من شرك !
قلت : لا ، بل من أنت؟ وملك ! قالت : امرأة من هوازن سيارة . قلت : وأنا
من هوازن ، أنا دُرَيْد بن الصّمة . قال : وكانت في قوم مختارين لا يشعرون
بالوقعة ، فضمته وعالجته حتى أفاق .

(١) اللوى : واد من أودية بني سليم .

(٢) المرث : من حمل من المعركة جريحاً وبه رمق .

(٣) السبة : الآست . (٤) ترمز : تضطرب .

يوم الظعينة

بين دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ وَرَبِيعَةَ بْنِ مَكْدَمٍ

قال أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : نخرج دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فِي فِوَارِسٍ مِنْ
بَنِي جُشَمٍ حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي وَادٍ يُقَالُ لَهُ : الْأَنْحَرَمُ ، وَهُمْ يَرِيدُونَ الْغَارَةَ عَلَى بَنِي كِنَانَةَ ،
إِذْ رُفِعَ لَهُ رَجُلٌ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي وَمَعَهُ ظُعِينَةٌ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ لِفَارِسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ :
صَحِّحْ بِهِ : خَلَّ الظُّعِينَةَ وَأَتَجُّ بِنَفْسِكَ ، فَاتَّهَى إِلَيْهِ الْفَارِسُ ، فَصَاحَ بِهِ وَأَلْحَّ عَلَيْهِ ،
فَالْقَى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ وَقَالَ لِلظُّعِينَةِ :

سِيرِي عَلَى رِسْلِكَ سَيْرَ الْأَمِينِ * سَيْرَ رَدَاحِ ذَاتِ جَاشِ سَاكِنِ

إِنْ أَنْتَانِي دُونَ قِرْنِي شَائِنِي * أَيْلِي بَلَائِي وَأَخْبُرِي وَعَائِي

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه وأعطاه للظعينة، فبعث دُرَيْدٌ فَارِسًا آخَرَ لِيَنْظُرَ
مَا صَنَعَ صَاحِبُهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُ إِلَيْهِ وَرَأَاهُ صَرِيحًا صَاحَ بِهِ فَتَصَامَ عَنْهُ ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ
يَسْمَعْ ، فَغَشِيَهُ ، فَالْقَى زِمَامَ الرَّاحِلَةِ إِلَى الظُّعِينَةِ وَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ :

خَلَّ سَبِيلَ الْحَزَةِ الْمَنِيْعَةِ * إِنَّكَ لَأَقِي دُونَهَا رَبِيعَةَ

فِي كَفِّهِ حَطِيئَةٌ مُطِيعَةٌ * أَوْ لَا نَخُذْهَا طَعْنَةً سَرِيعَةَ

١٥ * وَالطَّعْنُ مِنْ فِي الْوَعْيِ شَرِيعَةٌ *

ثم حمل عليه فصرعه ، فلما أبطأ على دُرَيْدٍ بَعَثَ فَارِسًا [نَالثًا] لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَا ،
فَلَمَّا أَتَاهُ إِلَيْهِمَا رَأَاهُمَا صَرِيحَيْنِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ يَقُودُ ظُعِينَتَهُ وَيَجْرُ رُحْمَهُ ، فَقَالَ لَهُ :
خَلَّ سَبِيلَ الظُّعِينَةِ ، فَقَالَ لِلظُّعِينَةِ : اقْصِدِي قَصْدَ الْبَيْوتِ ، ثُمَّ أَقْبَلْ عَلَيْهِ فَقَالَ :

مَاذَا تُرِيدُ مِنْ شَتْمِ عَائِسِ * أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ

٢٠ * أَرْدَاهُمَا عَامِلٌ رُخٌّ بِأَيْسِ *

(١) التكلة من أمالي القالي (ج ٢ ص ٢٧١ طبع دارالكتب المصرية) .

ثم حمل عليه فصره وأنكسر رُحْمُه ، وأرتاب دُرَيْدٌ وظن أنهم قد أخذوا الظَّعِينَةَ
 وقتلوا الرجل ، فليحَقْ ربيعةَ وقد دنا من الحى ، فوجد أصحابه قد قُتِلوا ، فقال :
 أيها الفارس ، إن مثلك لا يُقْتَلُ ، ولا أرى معك رُحْمًا والحيلُ نائرةٌ بأصحابها ، فدُونَك
 هذا الرُّحْمُ فأنى منصرفٌ إلى أصحابي فمُتَّبِطُهُم عنك ، فأنصرف دُرَيْدٌ وقال لأصحابه :
 إن فارسَ الظَّعِينَةِ قد حماها وقتل فرسانكم وأترع رُحْمِي ، ولا مطمَعَ لكم فيه
 فأنصرفوا ، فأنصرفَ القوم ، فقال دُرَيْدٌ :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله * حامِي الظَّعِينَةِ فارسًا لم يُقْتَلِ

أزدَى فوارسٍ لم يَكُونُوا نُهْزَةً * ثم آسَمَرَ كأنه لم يَفْعَلِ

مُهَلَّلًا تَبْدُو أَيْسَرَةً وَجْهِي * مثلَ الحُسَامِ جَلَّتْهُ كَفَّ الصَّبِيلِ

يُزْجِي ظَلْعَيْتَهُ وَيَسْحَبُ رُحْمَهُ * مُتَوَجِّهًا يَمْنَاهُ نَحْوَ الْمَنْزِلِ

وترى الفوارس من مخافة رُحْمِهِ * مثلَ البِغَاثِ خَشِينَ وَقَعَ الْأَجْدَلِ

يا ليتَ شِعْرِي مَنْ أبوه وأمه * يا صاحٍ مَنْ يَكُ مثله لا يُجْهَلِ

وقال ربيعةُ بنُ مَكْدَمٍ :

إن كان يَنْفَعُكُ اليقينُ فسائلي * عَنِّي الظَّعِينَةَ يَوْمَ وادِي الْأَنْحَرِمِ

أذ هي لأوَّل من أتاها نُهْبَةً * لولا طِعَانُ ربيعةَ بنِ مَكْدَمِ

أذ قال لي أَدْنَى الفوارسِ مِينَةً * خَلَّ الظَّعِينَةَ طَائِعًا لا تَتَدَمِ

فصرفتُ راحلةَ الظَّعِينَةِ نَحْوَهُ * عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضُ ما لم يَعْلَمِ

وهتكتُ بالرُّحْمِ الطويلِ إهابَهُ * فهو يَصْرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ

(١) قال أبو علي القالي : البغاث (بضم الباء الموحدة وكسرهما) والضم أكثر وأشهر (راجع

الأمالي ج ٢ ص ٢٧٢ طبع دار الكتب المصرية) .

وَمَنَحَتْ آخَرَ بَعْدَهُ جَيَاشَةً * تَجَلَاءَ فَاغِرَةً كَشِيدِ الْإِصْبِيمِ

ولقد شفَعْنُهُمَا بآخر ثالث * وأبى الفِرَارَ لى الغدَاةِ تَكْرُمِي

ثم لم تلبث بنو كنانة أن أغارت على بني جشم، فقتلوا وأسروا دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ ^(١) فأخفى نفسه، فبينما هو عندهم محبوبٌ إذ جاءه نسوةٌ تهادين إليه، فصرخت

- إحداهن وقالت: هل كنتم وأهلكتم! ماذا جر علينا قومنا! هذا والله الذى أعطى ربيعة رُحمه يوم الظَّعِينة! ثم ألقَتْ عليه ثوبها وقالت: يا آل فراس، أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادى! فسألوه: من هو؟ فقال: أنا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فمن صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مكرم، قال: فما فعل؟ قالوا: قتلته بنو سليم! قال: فما فعلت الظَّعِينة؟ قالت المرأة: أنا هي، وأنا أمرأته، فحبسه القوم وأمروا أنفسهم، فقال بعضهم: لا ينبغي لدُرَيْدٍ أن تُكْفَرَ نعمته على صاحبنا! وقال آخرون: والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذى أسره، فانبعثت المرأة فى الليل، وهى رِيْطَةُ بِنْتُ جِدْلِ الطَّعَانِ، تقول:

- سَنَجِزِي دُرَيْدًا عَنْ رِبِيعَةَ نِعْمَةً * وكلُّ امرئٍ يُجْزِي بما كان قَدَمًا
فإن كان خيرا كان خيرا جزاؤه * وإن كان شرا كان شرا مدمما
سَنَجِزِيهِ نَعْمِي لَمْ تَكُنْ بِصَغِيرَةٍ * بإعطائه الرِّيحَ الطَّوِيلَ الْمُقْوَمًا
[فقد أدركت كفاه فينا جزاءه * وأهلُّ بأن يُجْزَى الذى كان أنعمًا ^(٢)]
فلا تكفروه حَقَّ نِعْمَاهُ فِيكُمْ * ولا تتركبوا تلك التى تملا الفمًا
فلو كان حيا لم يضق بشوابه * ذرأعا غنيا كان أو كان معدما

(١) بنو كنانة: رهط ربيعة بن مكرم.

(٢) بنو جشم: رهط دُرَيْدِ.

(٣) الزيادة من أمالي القالى.

[فَفُكُّوا دُرَيْدًا مِنْ إِسَارِ مُخَارِقٍ * وَلَا تَجْعَلُوا الْبُؤْسَى إِلَى الشَّرِّ سَلْمًا ^(١)]
 فلما أصبحوا أطلقوه ، فكسسته وجهزته وخلق بقومه ، فلم يزل كافاً عن غزوة
 بني فراس حتى هلك .

يوم الصلعاء

لهوازن على غطفان

قال : فلما كان في العام المقبل غزاهم دريد بن الصمة بالصلعاء ، فخرجت
 إليه غطفان فقال دريد لصاحبه : ما ترى ؟ قال : أرى خيلاً عليها رجال كأنهم
 الصبيان ، أستما عند آذان خيلها . قال : هذه فزارة ، ثم قال : أنظر ما ترى ؟
 قال : أرى قوما كأن عليهم ثياباً غمست في لجاب المعزى ، قال : هذه أشجع ،
 ثم قال : أنظر ما ترى ؟ قال : أرى قوما يجزون رماحهم سوداً ، يخذون الأرض
 بأقدامهم ، قال : هذه عبس ، أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا ، فالتقوا بالصلعاء
 فاقتتلوا ، فكان الظفر لهوزان على غطفان ، وقتل دريد ذوؤاب بن زيد بن قارب .

ذكر حرب قيس وكنانة

يوم الكديد لسليم على كنانة ^(٢)

فيه قتل ربيعة بن مكرم فارس بن كنانة ، وهو من بني فراس بن غنم بن مالك
 ابن كنانة ، وهم أنجد العرب ، كان الرجل منهم يعيدل بعشرة من غيرهم ، وكان

(١) الزيادة بن أمالي القالي . (ج ٢ ص ٢٧٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الصلعاء (بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عن مهملة مدود) : أرض لبني عبد الله بن غطفان
 ولبنى فزارة بين القفرة والحاجر تطوؤها طريق الحاج الجادة إلى مكة .

(٣) الكديد (بفتح أوله وكسر ثانيه بعده دال مهملة أيضاً) : موضع بين مكة والمدينة بين منزلي أبح

وعسفان وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير .

ربيعة بن مكرم يُعقر على قبره في الجاهلية ، ولم يُعقر على قبر أحد غيره ، وقتلته بنو سليم يوم الكديد ، ولم يحضر يوم الكديد أحد من بني الشريد .

يوم فزارة

لكنانة على سليم

- قال أبو عبيدة : لما قتلت بنو سليم ربيعة بن مكرم فارس كنانة ورجعوا ، أقاموا ماشاء الله ، ثم إن ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد - وأسم الشريد عمرو ، وكانت بنو سليم قد توجهوا مالكا وأمره عليهم - فغزا بني كنانة ، فأغار على بني فراس بيزرة^(١) ، ورئيس بني فراس عبد الله بن جدل ، فدعا عبد الله إلى البراز ، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر بن الشريد ، فقال له عبد الله : من أنت ؟ قال : أنا هند بن خالد ، قال عبد الله ؛ أخوك أسن منك ، يريد مالك ابن خالد ، فرجع فأخبر أخاه ، فبرز له ، فشده عبد الله على مالك بن خالد فقتله ، فبرز إليه أخوه كرز بن خالد بن صخر ، فشده عليه عبد الله أيضا فقتله ، فشده عليه أخوهما عمرو بن خالد بن صخر ، فتجالدا طعنتين ، بفرح كل واحد منهما صاحبه وتحاجزا .

(٢)

يوم الفيفاء

لسليم على كنانة

قال أبو عبيدة : ثم إن بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدهن أو يدركوا نأرهم من كنانة ، فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على

(١) كذا في معجم ما استعجم للبكري . ويزرة (بضم أوله وإسكان ثانيه بعده راه) : موضع في ديار

بني كنانة . وفي الأصول والعقد الفريد « برزة » بتقديم الراء على الزاي وهو بحر بفتح .

(٢) أصل الفيفاء : المغازاة لا ماء . فيها وأطلقت على موضع .

بني فراس، فقتل منهم نفرًا، منهم : عاصم بن المعلّى ، ونضلة ، والمعارك ، وعمرو
ابن مالك ، وحصن ، وشريح ، وسبي سبيا فيهم ابنة مُكدم أخت ربيعة ، فقال
عباس بن مرداس في ذلك :

أَلَا بَلَّغْنِي عَنِّي أَبْنَ جَدِّلٍ وَرَهْطَهُ * فكيف طلبناكم بكَرْزٍ وَمَالِكِ
غَدَاةَ جَعَعْنَاكُمْ بِحِصْنٍ وَبِأَبْنِهِ * وبأبنِ المعلّى عاصمَ والمعاركِ
ثَمَانِيَةَ مِنْهُمْ نَارَنَا هُمْ بِهِ * جميعا وما كانوا بواءً بِمَالِكِ
نُذِيقُكُمْ - وَالْمَوْتُ بِنْتِي سُرَادِقًا * عليكم - شَبَاحِدَ السُّيُوفِ الْبِوَاتِكِ
تَلُوحُ بِأَيْدِينَا كَمَا لَاحَ بَارِقٌ * تَلَأُلًا فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ حَالِكِ

ذكر حرب قيس وتميم

يَوْمُ السُّؤْبَانَ لِبْنِي عَامِرٍ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ^(٢)

قال أبو عبيدة : أغارت بنو عامر على بني تميم وضبة فاقتتلوا ، ورئيس ضبة
حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان بن المنذر لأقمه ، فأمره يزيد بن الصعيق ،
وأنهزمت تميم ، فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده ، فشد على ضرار بن

(١) البواء : الكف .

(٢) كذا في كتاب النقائض (ص ٣٨٦ طبع أوربا) ومعجم ما استعجم للبكري (ص ٧٥٩ طبع
أوربا) وورد فيه : « السؤبان بضم أوله وإسكان ثانيه بعده باء معجمة بواحدة على وزن فعلان : واد
في ديار بني تميم ... ويوم من أيام حروب بني عامر وبني تميم يسمى يوم السؤبان ، وفي ذلك سمى عامر
ابن مالك ملاعب الأسته ، وفيه فز طفيل ، قال أوس من حجر :

فود أبو ليسلى طفيل بن مالك * بمنعرج السؤبان لو يتقصع

بلاعب أطراف الأسته عامر * وسار له حظ الكتيب أجمع

ثم قال :

كانهم بين الشبيط وصارة * وجرثم والسؤبان خشب مصرع

عمرو الضبيّ^(١) ، وهو الرديم^(٢) ، فقال لأبنيه : إذا هم أغنيتني ، فشدّ عليه فطعته ،
 فنحوّل عن سرجه إلى جنب أبدانه ، ثم لحقه ، فقال لأحد بنيّه : أغنيتني ،
 ففعل مثل ذلك ، ثم لحقه ، فقال لأبني له آخر ، ففعل مثل ذلك ، فقال :
 ما هذا إلا ملاعب الأسنّة ! [فسُمي عامر من يومئذ ملاعب الأسنّة] فلما^(٣)
 دنا منه قال له ضرار : إني لأعلم ما تريد ، أتريد اللبّ^(٤) ؟ قال نعم ! قال : إنك
 لن تصلّ إلى ومن هؤلاء عين تطرف ، كلهم بنو عامر ، قال له عامر : فأحلي
 على غيرك ، فدلّه على حبيش بن الدلف وقال : عليك بذلك الفارس ، فشدّ عليه
 فأسره ، فلما رأى سواده وقصره ، جعل يتفكّر ، وخاف أن الدلف أن يقتله ،

= قوله : يتقصع ، أي يدخل الفاصم ، اهـ .

- ١٠ وفي معجم البلدان لياقوت : « السلان : بضم أوله وتشديد ثانيه ، وهو فعلان من السل والنون
 زائدة : موضع بين البصرة والنجاة ... قال أبو أحمد العسكري : يوم السلان السين مضمومة : يوم بين
 بني ضببة وبني عامر صعصعة طعن فيه ضرار بن عمرو الضبي وأسر جيش بن دلف فعسل ذلك بهما عامر
 مالك ، وفي هذا اليوم سمي ملاعب الأسنّة » اهـ .
- ١٥ وورد في العقد الفريد (ج ٣ ص ٧٩ طبع بلاق) : « السريان » وورد هكذا أيضا في العقد الفريد
 (ج ٦ ص ٤١ طبع مطبعة الأستقامة بالقاهرة) بتحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان وكتب بهامشه :
 « كذا بالأصل ، ولا نعرفه » وورد في نسخة | « السيويات » وفي نسخة ب هكذا « السويات »
 بإهمال بعض الحروف ، وقد تبين ما وضحناه أن كلاهما محرف ، والصواب ما ذكرناه .
- (١) كذا في كتاب النقااض (ص ١٨٨ طبع أوربا) . وفي الأصول : « القيسي » وهو خطأ .
 (٢) كذا في كتاب النقااض . وسمى « رديما » لأنه كان يحصل على بعيرين يقرن بينهما لثقله .
 وفي الأصول : « الرويم » وهو تحريف .
- ٢٠ (٣) التكلّة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٧٩ طبع بلاق) . وكتاب النقااض (ص ٣٨٦ طبع أوربا)
 ومعجم ما أستعجم للبكري (ص ٧٥٩ طبع أوربا) .
- (٤) اللب : موضع المنخر من كل شيء .

فقال : ألسنت تريد اللبب ؟ قال بلى ، قال : فأنتى لك به . وفادى حسان بن وبرة نفسه من يزيد بن الصعيق بألف بعير ، [فداء المملوك] فكثر مال يزيد ونبه .
قال أبو عبيدة : ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصعيق على عصفير النعمان بدى لبان ، وذو لبان : عن يمين العرنين .

يوم أقرن

لبنى عبس على بنى دارم

قال : غزا عمرو بن عدس من بنى دارم ، وهو فارس بن مالك بن حنظلة ، فأغار على بنى عبس ، فأخذ إبلا ونساء ثم أقبل ، حتى إذا كان أسفل من ثنية أقرن نزل فأبنتى بجارية من السبي ، ولحقه الطلب فأقتلوا ، فقتل أس الفوارس بن زياد العبسى عمراً : وأنهمز بنو مالك بن حنظلة ، وقتلت بنو عبس أيضا حنظلة بن عمرو - وقال بعضهم : قُتل في غير هذا اليوم - وأرتدوا ما كان في أيدي بنى مالك .

يوم المروت

لبنى العنبر على بنى قشير

أغار بجير بن سلمة بن قشير على بنى العنبر بن عمرو بن تميم ، فأتى الصريح بن عمرو بن تميم حتى لحقوه وقد نزل المروت ، وهو يقسم المرباع ويعطى من معه ،

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصول : « جماعة » .

(٢) التكلة من العقد الفريد .

(٣) كذا في معجم ما استعجم (ص ١١٧ طبع أوروبا) وفي الأصول « شاه » .

(٤) المروت (فتح أوله وتشديد ثانيه) : واد بالعالية بين ديار بنى قشير وديار بنى تميم .

(٥) كذا في كتاب النفاض (ص ٧٠ طبع أوروبا) ومعجم ما استعجم للبكري (ص ٥٢٤ طبع أوروبا)

وفي الأصول والعقد الفريد : « بجير » بالجم المعجمة وهو تحريف .

قتلاحق القوم وأقتلوا ، فطعن قَعْنَبُ بنُ عَتَّابِ المثلَّمُ بنَ عامرِ القُشَيْرِي فصرعه
فأسره ، وحمل الكدَّام ، وهو يزيد بن أزيهر المازني على بجير بن سامة فطعنه فأرداه
عن فرسه ، ثم أسره ، فأبصره قَعْنَبُ بنُ عَتَّابِ ، فحمل عايه بالسيف فضربه
فقتله ، وأنهمز بنو عامر .

يوم دارة مأسل

لتميم على قيس

غزا عتبة بن شتير بن خالد الكلابي بني ضبة ، فاستاق نعمهم ، وقتل
حصين بن ضرار الضبي زيد الفوارس ، بجمع أبوه ضرار قومه وخرج ثائرا بأبنه
حصين ، وزيد الفوارس يومئذ حدث لم يدرك ، فأغار على بني عمرو بن كلاب ،
وأفلت منه عتبة بن شتير وأسر أباه شتير [بن خالد] وكان شيخا كبيرا ، فأتى به قومه
فقال : يا شتير ، اختر واحدة من ثلاث ، قال : اعرضها علي ، قال : إما أن ترد
أخي حصينا ! قال : إني لا أنشر الموتى ! قال : وإما أن تدفع إلى أبنك عتبة
أقتله به ! قال : لا يرضى بذلك بنو عامر ، قال : وإما أن أقتلك . قال : أما هذه
فنعم ! فأمر ضرار أبنه أدهم أن يقتله ، فلما قدمه ليضرب عنقه نادى شتير :
يا آل عامر ، صبرا بصبي ! كأنه أنف أن يقتل بصبي ، فقال في ذلك شمعة :
١٥

وخيرنا شتيرا من ثلاث * وما كان الثلاث له خيارا

١٦ جعلت السيف بين الليت منه * وبين قصاص لميته عذارا

١٧

(١) التكملة من العقد الفريد .

(٢) اللبت (بالكسر) : صفح العتيق .

أيام تميم على بكر

(١) يوم الوقيظ

قال فراس بن خنيدف : تجمعت اللهازم لتغير على تميم وهم غارون ، فرأى ذلك ناشب بن بسامة العنبري الأعور ، وهو أسير في بني سعد بن مالك من بني ثعلبة ، فقال لهم : أعطوني رسولا أرسله إلى بني العنبر أو صيهم بصاحبكم خيرا ليولوه ما تولونني من البر . وكان حنظلة بن طفيل المرثدي أسيراً في بني العنبر ، فقالوا : على أن توصيه ونحن حضور ، قال نعم ، فاتوه بسلام ، فقال : أيتموني بأحق ، وما أراه مبلغاً عني ! قال الغلام : لا والله ما أنا بأحق ، وقُل ما شئت فإني مبلغه ، فلا الأعور كفّه من الرمل فقال : كم في كفي منه ؟ قال : شيء لا يخصي كثرة ، ثم أوما إلى الشمس فقال : ما تلك ؟ قال : هي الشمس . قال : فأذهب إلى أهلي فأبلغهم عني التحية وقُل لهم : ليحسنوا إلى أسيرهم [ويكرموه] فإني عنده قوم محسنين إلى [مكرمين لي] وقُل لهم ليُعرفوا جملي الأحمر : ويركبوا ناقتي العيساء ، ويرعوا حاجتي في بني مالك ، وأخبرهم أن العويج قد أورق ، وقد أشتك النساء ، وليعصموا همّام بن بسامة فإنه مشنوم محدود . ويطيعوا ابن الأخنس فإنه حازم ميمون .

١٢٣
١٣

(١) الوقيظ : المكان الصلب الذي يستنقع فيه الماء ، أطلق على موضع .

(٢) الغار : الغافل .

(٣) في أمالي القالي (ج ١ ص ٦ طبع دار الكتب المصرية) « بغى بعيد أسود » وبعض عباراته تختاف عما هنا فراجع .

(٤) التكلة من كتاب النقاظ (ص ٣٠٦ طبع أوروبا) والعقد الفريد (ج ٣ ص ٨١ طبع بلاط) .

(٥) العيساء : الناقة يخالط بياضها شقرة .

(٦) العويج : شوك .

(٧) المحدود : المنوع . المحدود : المنوع .

٥

١٠

١٥

٢٠

قال : فاتاهم الرسول فأبلغهم ، فقال بنو عمرو بن تميم : ما نعرف هذا الكلام ، ولقد جنّ الأعراب ، والله ما نعرف له ناقة عيساء ، ولا جملاً أحمر ! فشخص الرسول ، ثم ناداهم هذيل : يا بني العنبر ، قد بين لكم صاحبكم ، أما الرمل الذي قبض عليه فإنه يُخبركم أنه أتاكم عددًا لا يُحصى ، وأما الشمس التي أوما إليها فإنه يقول : إن ذلك أوضع من الشمس ، وأما جملة الأحمر فهو الصمان ^(١) : يأمركم أن تعرفوه ، وأما ناقته ^(٢) العيساء فهي الدهناء ^(٣) ، يأمركم أن تتحزروا فيها ، وأما أبناء مالك فإنه يأمركم أن تتسديروا بنى مالك بن زيد مائة ، وأن تمسكوا الحلف بينكم وبينهم ، وأما العوسج الذي أورك ، فيخبركم أن القوم قد لبسوا السلاح ، وأما تشكى النساء فيخبركم إنهن قد عملن جملاً يغزون به .

- ١٠ قال : فتحزرت عمرو فركبت الدهناء وأنذروا بنى مالك فقالوا : ما ندرى ما تقول بنو عمرو ، ولستنا متحولين لما قال صاحبهم . قال : فصبحت اللهازم بنى حنظلة فوجدوا عمرا قد جلّت ، وكان على الحليش أبحر بن جابر العجلي ، وشهدها ناس من بنى تيم اللات ، وشهدها الفرز بن الأسود بن شريك في بنى شيبان ، فأقتلوا ، فأسر ضرار بن القعقاع بن زُرارة ، وتنازع في أسره بشر بن العوراء من تيم اللات ، والفرز بن الأسود بغزوا ناصيته وخلوا أسره من تحت الليل ، وأسر عمرو بن قيس من بنى ربيعة بن عجل عثجل بن الماموم بن شيبان بن قلقمة من بنى زُرارة ، ثم من عليه ، وأسرت عمامة بنت الطود بن عبيد بن زُرارة ، وأشترك في أسرها الخطيم بن هلال ، وطربان بن زياد ، وقيس بن خليل ، فردّوها إلى أهلها ، وأمر

(١) الصمان : جبل أحمر في أرض بنى تميم .
 (٢) تعرفوه : يعني ترتحلوا عنه .
 (٣) الدهناء : سبعة أجيل من الرمل ، وهي ديار لعامة تميم .

حنظلة بن المأموم بن شيبان بن علقمة ، أسره طلبه بن زياد أحد بني ربيعة بن
عجل ، وأسر حوثرة بن بدر من بني عبد الله بن دارم ، فلم يزل في الوثاق حتى قال
أبياتا يمدح فيها بني عجل فأطلقوه ، وأسر نعيم بن القعقاع بن معبد بن زُرارة ،
وعمر بن ناشب ، وأسر سنان بن عمرو أحد بني سلامة من بني دارم ، وأسر
حاضر بن صخرة ، وأسر الهيثم بن صعصعة ، وهرب عوف بن القعقاع عن إخوته ،
وقُتِلَ حَكِيم النَّهْشَلِيّ ، وكان يقاتل ويرتجز :

كُلُّ أَمْرِي مُصْبِحٌ فِي أَهْلِهِ * وَالْمَوْتُ أَدَّتْنِي مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
وفيه يقول عنتره :

وَعَادَرْنَا حَكِيمًا فِي مَجَالٍ * صَرِيمًا قَدْ سَلَبْنَاهُ الْإِزَارَا

(١)
يَوْمَ النَّبَاجِ وَثَيْتَلٍ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة معمر بن المشني : غدا قيس بن عاصم في مقاعس وهو رئيس
عليها — ومقاعس هم : صريم ، وربيع ، وعبيد ، بنو الحارث بن عمرو بن كعب
ابن سعد بن زيد مناة بن تميم — ومعه سلامة بن ظرب بن نمر الحمانى
في الأجارب وهم : حمان ، وربيعه ، ومالك ، والأعرج ، بنو كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم ، فغزوا بكر بن وائل فوجدوا بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة ،
واللهازم وهم : بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن لحيم ، وعنزة بن أسد
ابن ربيعة بالنباج وثيرل ، وبينهما روحة ، فتنازع قيس بن عاصم وسلامة بن
ظرب في الإغارة ، ثم اتفقا على أن يغير قيس على أهل النباج ، ويغير سلامة على

(١) النباج : موضع قريب من ثيتل . وثيتل : ماء على عشر مراحل من البصرة .

أهل تَيْتَل . قال : فبعث قيسُ بنَ عاصمِ الأهمَّ سبقةً له — والسبقةُ : الطليعة —
فأتاه الخبرُ فلما أصبح قيس سقى خيله ، ثم أطلق أفواه الروايا وقال لقومه : قَاتِلُوا
فإنَّ الموتَ بين أيديكم ، والفلاة من ورائكم . فلما دنوا من القوم صُبحوا سماعاً ساقياً
يقول لصاحبه : يا قيسُ ، أورد ، فتفألوا به ، فأغاروا على النَّبَاجِ قبل الصبح ،
فقاتلوهم قتالاً شديداً ، ثم إنَّ بكراً أنهزمت ، فأسر الأهمُّ مِحْرَانَ بنَ بشر بن عمرو
ابن مرثد ، وأصابوا غنائم كثيرةً ، فقال قيس لأصحابه : لا مقام دون التيتل ،
فالنجاة ، فاتوا تيتل ولم يغزوا سلامةً وأصحابه بعد ، فأغار عليهم قيسُ بن عاصم ،
فقاتلوه ثم أنهزموا ، فأصاب إبلا كثيرةً ، فقال ربيعة بن طريف :

فلا يُبْعِدَنَّكَ اللهُ قَيْسَ بنَ عاصِمٍ * فأنْت لَنَا عَزَّ عَزِيزٌ وَمَوْئِلُ
وَأَنْتَ الَّذِي حَرَبْتَ بَكْرَ بنِ وائِلِ * وَقَدْ عَضَّلْتَ مِنْهَا النَّبَاجَ وَتَيْتَلُ
غَدَاةَ دَعَتْ يَا آلَ شَيْبَانَ إِذْ رَأَتْ * كَرَادِيْسَ يَزْجِيهِنَّ وَرَدَّ مَحْجَلُ
وقال قزة بن قيس بن عاصم :

أَنَا ابْنُ الَّذِي شَقَّ الْمَزَادَ وَقَدَّرَأَى * يَشْتَلُّ أَحْيَاءَ اللِّهَازِمِ حُضْرَا
فَصَبَّحَهُمْ بِالْجَيْشِ قَيْسُ بنُ عَاصِمٍ * فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْأَيْسَنَةَ مَصْدَرَا
عَلَى الْجَرْدِ يعلُكُنَّ الشُّكِيمَ عَوَائِسَا * إِذَا الْمَاءُ مِنْ أَعْطَافِهِنَّ تَحَدَّرَا
فَلَمْ يَرَهَا الرَّاوُونَ إِلَّا بُجَاءَةً * نَثْرَنَ عَجَّاجَا بِالسَّنَائِكِ أَكْدَرَا

(١) حربه : سلب ماله .

(٢) عضلت الأرض بأهلها : إذا ضافت بهم لكثرتهم .

(٣) كراديس : جمع كردوس ، وهي الخيل العظيمة ، وقيل : القطعة من الخيل العظيمة .

(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهي الرواية :

(٥) فرس أجرد : قصير الشعر ، وقيل : الأجرد : الذي رقق شعره وقصر ، وهو مدح .

(٦) الشكيم في الحمام : الحديدية المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس .

سَقَاهُمْ بِهَا الدِّيفَانَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * وَكَانَ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَ
وَحُمْرَانَ أَدْتَهُ إِلَيْنَا رِمَاحَنَا * فَتَنَازَعَ غُلًّا فِي ذِرَاعَيْهِ اسْمَرَا
وَجَنَامَةَ الذَّهَبِ قُدْنَاهُ عَنُودَ * إِلَى الْحَيِّ مَصْفُودَ الْيَدَيْنِ مُفَكَّرَا

يوم زرود الثاني^(١)

لبنى يربوع على بنى تغلب

أغار خزيمة بن طارق التغلبي على بنى يربوع وهم بزرد ، فأقتلوا قتلا شديدا ،
ثم أنهزمت بنو تغلب ، وأسرى خزيمة بن طارق ، أسره أنيف بن جبلة الضبي
— وهو فارس السليط ، وكان يومئذ قتيلا في بنى يربوع — وأسيد بن حنأة
السليط ، فتنازعا فيه ، فحكما بينهما الحارث بن قراد ، فحكم بناصية خزيمة
للأنيف ، على أن لأسيد على أنيف مائة من الإبل . قال : فقدي خزيمة نفسه
بماتى بعير وفريس ، فقال أنيف :

أَخَذْتُكَ قَسْرًا يَا خَزِيمَ بْنَ طَارِقٍ * وَلَا قَيْتَ مِنِّي الْمَوْتَ يَوْمَ زُرُودٍ
وَعَانَقْتَهُ وَالْحَيْلُ تَدْمِي مُحُورَهَا * فَأَنْزَلْتُهُ بِالْقَاجِ عَيْرَ حَمِيدٍ

يوم ذى طلوح^(٢)

لبنى يربوع على بكر

كان عميرة بن طارق بن حصينة بن أريم بن عبيد بن ثعلبة ، تزوج مربية بنت
جابر ، أخت أبحر بن جابر العجلي ، فأبنتى بها في بنى عجل ، فأتى أبحر أخته امرأة

(١) زرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة .

(٢) النقبيل : الغريب .

(٣) ذو طلوح : موضع في حزن بنى يربوع بين الكوفة وفيد .

عَمِيرَةَ يَزُورُهَا فَقَالَ لَهَا : إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ آتِيكَ بِنْتِ النَّيْفِ أَمْرًا عَمِيرَةَ الَّتِي فِي قَوْمِهَا ، فَقَالَ لَهُ عَمِيرَةُ : أَتَرْضَى أَنْ تَحَارِبَنِي وَتَسْبِيَنِي ، فَنَدِمَ أَبْجَرُ وَقَالَ لِعَمِيرَةَ : مَا كُنْتُ لِأَعْزُو قَوْمَكَ ، ثُمَّ غَزَا أَبْجَرُ وَالْحَوْفَزَانَ مِتْسَانِدِينَ ، هَذَا فَيَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَهَذَا فَيَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ اللِّهَازِمِ ، وَسَارُوا بِعَمِيرَةَ مَعَهُمْ قَدْ وَكَلَّ بِهِ أَبْجَرُ أَخَاهُ حُرْقُصَةَ بْنَ جَابِرٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمِيرَةُ : لَوْ رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَحْتَمَلْتُهُمْ ، فَقَالَ حُرْقُصَةُ : أَفْعَلْ ، فَفَكَرَّ عَمِيرَةَ عَلَى نَاقَتِهِ ، فَسَارَ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَةً حَتَّى أَتَى بَنِي يَرْبُوعَ ، فَاذْرَهُمُ الْجَيْشُ ، فَاجْتَمَعُوا حَتَّى اتَّقَوْا بِأَسْفَلِ ذِي طُلُوحٍ ، فَكَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ طَلَعَ عَلَيْهِمْ عَمِيرَةُ ، فَنَادَى : يَا أَبْجَرُ ، هَلَمْ ! فَقَالَ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَمِيرَةُ ، فَكَذَّبَهُ ، فَسَفَرَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَعَرَفَهُ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ، وَالتَّقَتْ الْخَيْلُ بِالْخَيْلِ ، فَأَسْرَ الْجَيْشُ إِلَّا أَقْلَهُمْ ، وَأَسْرَ حَنْظَلَةُ ابْنُ بَشْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُدَسَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ — وَكَانَ فِي بَنِي يَرْبُوعَ — الْحَوْفَزَانَ بْنَ شَرِيكَ ، أَخَذَهُ مَعَهُ أَبُو مُلَيْلٍ ^(١) ، وَأَخَذَ ابْنُ طَارِقٍ سُوَادَةَ بْنَ بَيْحِي ابْنَ عَمِّ أَبْجَرٍ ، وَأَخَذَ أَبُو عَنَمَةَ الضَّبِّيُّ الشَّاعِرُ مَعَ بَنِي شَيْبَانَ ، فَأَتَتْكَ مَتَمُّ بْنُ نُورَةَ ، وَأَسْرَ شَرِيكَ بْنُ الْحَوْفَزَانَ ، وَأَسْوَدُ وَقَلْحُسُ ، وَهَمَا مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ هَمَّامٍ ، فَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ يَوْمَ ذِي طُلُوحٍ :

١٥ وَلَمَّا لَقِينَا خَيْلَ أَبِي بَرْزَةَ تَدْعِي * يَدْعُو بِلَيْسِمٍ قَبْلَ مَيْلِ الْعَوَاتِقِ
صَبْرًا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَبِيحَةً * بِأَسْيَافِنَا تَحْتَ الظَّلَالِ الْخَوَافِقِ
فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَا هَوَادَةَ عِنْدَنَا * دَعَوْا بَعْدَ كَرْبٍ يَا عَمِيرَةَ بْنَ طَارِقِ

(١) كذا في صحاح النقائض . وفي الأصول والعقد الفرید : « أبو مليك » .

يَوْمُ الْحَائِرِ وَهُوَ يَوْمُ مَلْهَمٍ

لبنى يربوع على بنى بكر

وذلك أن بنى مُلَيْل عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عبيد ، وعنقمة أخاه
 أنطلقا يطلبان إبلًا لهما حتى وردا ملهَمَ من أرض اليمامة ، فخرج عليهما نفرٌ من بنى
 يشكر ، فقتلوا عنقمةً وأخذوا أبا مُلَيْل ، فكان عندهم ما شاء الله ثم خلّوا سبيلَه ،
 وأخذوا عليه عهدا وميثاقا ألا يُخَرَّ بأمر أخيه أحدا ، فأتى قومه فسألوه عنه
 فلم يخبرهم ، فقال وَبَرُّ بْنُ حَمْزَةَ : هذا قد أخذ عليه عهدٌ وميثاق ، فخرجوا يقصّون
 الأثر ويذهبون شهابُ بن عبد القيس حتى وردوا ملهَمَ ، فلما رأهم أهل ملهَمَ تحصنوا ،
 فخرقت بنو يربوع بعض زرعهم ، وعفروا بعض نخيلهم ، فلما رأى ذلك القومُ
 نزلوا إليهم فقاتلوهم ، فهزمت بنو يشكر ، وقُتِلَ عمرو بن صابر صبراً ، ضربوا عنقه ،
 وقتل عيينة بن الحارث بن شهاب بن مُثَلِّم بن عبيد بن عمرو رجلاً آخر منهم ،
 وقتل مالك بن نورية حُمران بن عبد الله وقال :

١٢٥
١٣

طلبنا بيومٍ مثل يومِكِ علقمًا * لعمري لمن يسمي بها كان أكرمًا
 قتلنا ينجب العريص عمرو بن صابر * وحمران أقصد ناهما والمثلما
 فبته عيناً من رأى مثل خيلنا * وما أدركت من خيلهم يوم ملهَمَا

يَوْمُ الْقَحْقَحِ وَهُوَ يَوْمُ مَالَةِ

لبنى يربوع على بكر

أغار بنو أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان على بنى يربوع ورئيسهم مجبة
 ابن ربيعة بن ذهل ، فأخذوا إبلًا لعاصم بن قرط أحد بنى حميد ، وأنطلقوا ، فطلبهم

(١) ملهَم : قرية باليمامة لبني يشكر وأخلاق من بكر .

بنو يربوع، فناوشوهم، فكانت الدائرة على بني ربيعة، وقتل المنهال بن عصمة
المجبة بن ربيعة، فقال في ذلك ابن حمران الرياحي :

وَإِذَا لَقِيتَ الْقَوْمَ فَأَطْعِنْ فِيهِمْ * يَوْمَ اللَّقَاءِ كَطَعْنَةِ الْمِنهَالِ
تَرَكَ الْمَجَبَّةَ لِلضَّبَاعِ مَجْدَلًا * وَالْقَوْمُ بَيْنَ سَوَافِلِ وَعَوَالِ

يوم رأس العين

لبنى يربوع على بكر

أغار طوائف من بني يربوع على بني أبي ربيعة برأس العين فأطردوا النعم،
وآتبعهم معاوية بن فراس في بني أبي ربيعة فأدركوهم، فقتل معاوية وقاتوا بالإبل،
فقال سحيم في ذلك :

١٠ أَلَيْسَ الْأَكْرَمُونَ بِنُورِ رِيَّاحٍ * تَمَوَّنِي مِنْهُمْ عَمِّي وَخَالِي
هُمْ وَقَتَلُوا الْمَجَبَّةَ وَابْنَ تَيْمٍ * تَسْوَحُ عَلَيْهِمَا سُودُ الْمَالِ
وَهُمْ قَتَلُوا عَمِيدَ بَنِي فِرَاسٍ * بِرَأْسِ الْعَيْنِ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِي
وَذَاوُوا يَوْمَ طَخْفَةَ عَنْ حِمَامٍ * ذِيَادَ غَرَابِ الْإِبِلِ النَّهَالِ

يوم العظالي^(١)

لبنى يربوع على بكر

١٥ قال أبو عبيدة : وهو يوم أعشاش ويوم الأفافة ويوم الإباد ويوم مليحة.
قال : وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس، فكانوا يجيرونهم ويجهزونهم،
فأقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلاثمائة فارس متساندين، يتوقعون آنحدر بن يربوع
في الحزن - قال : وكانوا يشتون خفافا فإذا آنقطع الشتاء آنحدروا إلى الحزن -

٢٠ (١) سمى يوم العظالي لأنه تماطل على الرياسة بسطام وهاني بن قبيصة ومفروق بن عمرو في هذا اليوم.

قال : فاحتمل بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زيد من بني سليط ، أول الحى ، حتى
أسهلوا ببطن مَلِيحَة ، فطلعت بنو زيد في الحزن حتى حلوا الحُدَيْقَة بالأفاقة ، وحلَّت
بنو عبيد وبنو عتيبة بروضة التمد . قال : وأقبل الجيش حتى نزلوا هضبة الخصى ،
ثم بعثوا رَيْسَهُمْ فصادفوا غلاما شابا من بني عبيد يقال له قرط بن أضيظ ، فعرفه
بسظام فقال له : أخبرني ما ذاك السواد الذى أرى بالحُدَيْقَة ؟ قال : هم بنو زيد .
قال : أسيّد بن حنّاء ؟ قال : نعم ، قال : كم هم ؟ قال : نحسون بيتا ، قال : فأين
بنو عتيبة وبنو أريم ؟ قال : نزلوا روضة التمد . قال : فأين سائر الناس ؟ قال
هم محتجزون بجفاف ^(١) . قال : فمن هناك من بني عاصم ؟ قال : الأَحْمِرُ وَقَعْنَبُ
ومُعْدَانُ أبناء عصمة . قال : فمن فيهم من بني الحارث بن عاصم ؟ قال : حصين
أبن عبد الله . فقال بسظام لأصحابه : أطيعوني تقبضوا على هذا الحى من زيد ،
وتصبخوا سالمين غانمين . قالوا : وما يفنى عنا بنو زيد لا يودون رحلتنا . قال :
إن السلامة إحدى الغنيمتين . فقال له مغروق : انتفخ سحرِك يا أبا الصهباء ،
قال له هانى : أجبنا . قال : ويلكم إن أسيّدًا لم يظله بيت قط شاتيا ولا قائظًا ،
إنما بيته القفر ، فإذا أحسّ بكم أحال على الشقراء ، فركض حتى يشرف مَلِيحَة ^(٢) ،
فينادى : يا آل يربوع ! فيركب فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ، ولا يبصر أحدكم
مصرع صاحبه ، وقد جئتموني وأنا تابعكم ، وقد أخبرتم ما أتم لاقون غدا .
فقالوا : نلتقط بنى زيد ، ثم نلتقط بنى عبيد وبنى عتيبة كما نلتقط الكمأة ، ونبعث
فارسين فيكونان بطريق أسيّد ، فيحولان بينه وبين بنى يربوع ، ففعلوا . فلما
أحسّ بهم أسيّد ركب الشقراء وخرج نحو بنى يربوع ، فأبتدره الفارسان فطعنه

(١) جفاف ، وتسمى جفاف الطير : أرض لأسد وحفظلة واسعة فيها أماكن يكون فيها الطير .

(٢) مَلِيحَة : موضع في بلاد بنى تميم .

أحدهما فالتقى نفسه في شق فأخطاه ، ثم كرّ راجعا حتى أشرف مليحة ، فنادى :
يا صباحاه ! يا آل يربوع ، غشيتم ، ففلاحقت الخيل حتى توافوا بالعظالي ، فأقتلوا ،
فكانت الدائرة على بكر ، قُتل منهم مغروق بن عمرو ، فدُفن بشية مغروق ، وبه
سُميت ، وغيره . وأما بسطام فألح عليه فارس من بني يربوع ، وكان دارعا على ذات
النسوع^(١) ، وكانت إذا أُجِدَّت^(٢) لم يتعلق بها شيء من خيلهم ، ففاقت الطلب حتى
أتى قومه .

يوم الغبيط

لبني يربوع على بكر

- ويقال له يومُ الثعالب . قال : غزا بسطامُ بنُ قيس ، ومغروق بن عمرو ،
والحارثُ بنُ شريك - وهو الحوفزان - بلادَ بني تميم ، وهذا اليوم قبل يوم
العظالي ، فأغاروا على بني ثعلبة بن يربوع ، وثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن عدى
أبن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فلذلك قيل له يومُ الثعالب . وكان هؤلاء
جميعا متجاوزين بصحراء فليج فأقتلوا ، فأنهزمت الثعالبُ ، فأصابوا فيهم وأستاقوا^(٤)
إبلا من نعمهم ، ولم يشهد عتيبة بن الحارث بن شهاب هذه الواقعة لأنه كان نازلا
يومئذ في بني مالك بن حنظلة . قال : ثم أسروا على بني مالك ، وهم بين صحراء فليج
وبين الغبيط ، فأكتسحوا إبلهم ، فوكبت عليهم بنو مالك ، فيهم عتيبة بن الحارث
أبن شهاب ، ومعه فارسان من فرسان بني يربوع ، وتأفف^(٥) اليهم الأحيمر بن عبد الله ،
وأسيد بن حنّاة ، وأبو مرحب ، وجزء بن سعد الرياحي - وهو رئيس

(١) ذات النسوع : فرس بسطام . (٢) أُجِدَّت : سلكت الطريق الوعر .

(٣) الثعالب : أسماء قبائل اجتمعت فيه . (٤) صحراء فليج : واد لبني العنبر بن تميم ،

يقع أول الدهناء . (٥) تأفف : يريد تذبذبهم ونحو طهم مثل تأفف الأثافي الرماد .

بني يربوع - وربيع ، والحليس ، وعمارة ، بنو عتيبة بن الحارث ، ومعدان وعصمة
 أبنا قعنب ، ومالك بن نُؤيرة ، والمنهال بن عصمة أحد بني رياح بن يربوع ، وهو
 الذي يقول فيه متمم بن نُؤيرة في شعره الذي يرثى به أخاه مالكا :
 لقد كفن المنهال تحت رداءه فتي غير مبطن العشيات أروعا
 فأدركوهم بغبيط المدرة ، فقاتلوهم حتى هزموهم ، وأدركوا ما كانوا استأقوا من
 أموالهم ، وأسير بسطام ، أسره عتيبة ، فلم يزل عنده حتى فادى نفسه . قيل : إنه
 فدى نفسه بأربعائة بعير وثلاثين فرسا ، ولم يكن غيره عكاظي - أعلى فداء منه ، على
 أن جزأ نصيبته وعاهده ألا يغزوا بني شهاب أبدا .

يوم مُحَطَّط

لبني يربوع على بكر

قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس والحَوْفَزَانُ الحارثُ متساندين يقودان
 بكر بن وائل ، حتى وردوا على بني يربوع بالفردوس ، وهو بطن لإياد ، وبينه وبين
 مُحَطَّط ليلة ، وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بالمحطط ، فآقتلوا ، فأنهزمت بكر ،
 وهرب الحَوْفَزَانُ وبسطام ففاتنا ركضا ، وقُتِلَ شيريك بن الحَوْفَزَانُ ، قتله شهابُ
 ابن الحارث أخو عتيبة ، وأسر الأَحيمر بن عبد الله بن الضريس الشَّيباني .

يوم جدود

غزا الحَوْفَزَانُ وهو الحارثُ بن شيريك فأغار على من بالقاعة من بني سعد بن
 زيد مناة ، فأخذ نساء كثيرا ونساء فيهن الزرقاء من بني ربيع بن الحارث ، فأعجب
 بها وأعجبت به ، فلم يتالك أن وقع بها ، فلما آتتهى الى جدود منعهم بنو يربوع

(١) جدود : اسم موضع في بلاد بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمت الجمامة ، فيه الماء
 الذي يقال له الكلاب .

أَبْنُ حَنْظَلَةَ أَنْ يَرِدُوا الْمَاءَ ، وَرُئِسَ لَهُمْ عَتِيبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ لِبَنِي بَكْرِهِمْ يَدٌ ، فَصَالِحُوهُمْ عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي يَرْبُوعَ بَعْضَ غَنَائِمِهِمْ حَتَّى يَرِدُوا الْمَاءَ ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُمْ وَأَجَازُوهُمْ ، فَلَمَّا أَتَى الصَّرِيحُ بَنِي سَعْدٍ ، رَكِبَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ بِالْأَشْمِيِّينَ ، فَأَلْحَقَ قَيْسُ عَلَى الْحَوْفَزَانَ ، وَقَدْ حَمَلَ الزَّرْقَاءُ خَلْفَهُ رَدِيْفًا عَلَى فَرْسِهِ الزَّيْدِ ، وَعَقَدَ شَعْرَهَا عَلَى صَدْرِهِ ، فَأَخَذَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ بِحَيْثُ يَكْتُمُ الْحَوْفَزَانَ ، فَقَالَ لَهُ قَيْسُ : يَا أَبَا حَمَّادٍ ، أَنَا خَيْرُكَ مِنَ الْفَلَاةِ وَالْعَطَشِ ، قَالَ لَهُ : مَا يَشَاءُ الزَّيْدُ . فَلَمَّا رَأَى قَيْسُ أَنَّ فَرْسَهُ لَا يَلْحَقُهُ نَادَى الزَّرْقَاءَ فَقَالَ : مِيلِي بِهِ يَا جَعَارَ ، بَغْزًا الْحَوْفِرَانَ قَرَوْتَهَا بِالسَّيْفِ وَدَفَعَهَا بِمَرْفَقِهِ وَأَلْقَاهَا عَنْ عَجْزِ فَرْسِهِ فَرَدَّهَا قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى بَنِي رَبِيعٍ .

يَوْمُ سَفَوَانَ

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : التقت بنو مازن وبنو شيبان على ماء يقال له سفوان ، فزعمت بنو شيبان أنه لهم ، وأرادوا أن يجلوا تيمنا عنه ، فأقتتلوا قتالا شديدا ، فظهرت عليهم بنو تميم وشلوهم حتى بلغوا المحدث ، وكانوا قبل ذلك يتوعدون بني مازن ، فقال في ذلك الوداك المازني :

رَوَيْدًا بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ * تَلَّاقُوا غَدَا خَيْبَلِي عَلَى سَفَوَانَ ١٥
تَلَّاقُوا حِيَادًا لَا تَحِيدُ عَنِ الْوَعْيَى * إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي الْقَنَا الْمُتَدَانِي
عَلَيْهَا الْكُفَّةُ الْغُرَّ مِنْ آلِ مَازِنٍ * لِيُوثَ طِعَانٍ كُلِّ يَوْمِ طِعَانٍ
تَلَّاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرِهِمْ * عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الْحَدَانِ

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « الغزى » بجرهم يد .

(٢) الأشميان ؛ في بلاد بني سعد بالبحرين دون هجر .

١٢٧
١٣

مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرُّوعِ خَطْوَهُمْ * بِكَلِّ رَفِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ

إِذَا اسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ * لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ لِأَيِّ مَكَانٍ

يَوْمَ نَقَا الْحَسَنَ

^(١) وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بني شيبان

فيه قتل بسطام . قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس ابن خالد - وقيس بن مسعود هو ذو الجدين ، وأخوه السليل بن قيس من بني ضبة ابن أد بن طابخة - فأغار على ألف بعير لمالك بن المنتفق فيها فخلها قد فقأ عينه ، وكان في الإبل مالك بن المنتفق ، فركب فرسا له ونجا ركضا حتى إذا دنا من قومه نادى : يا صَبَاحَاهُ ، فركبت بنو ضبة ، وتداعت بنو تميم ، ففلاحقوا بالنقا ، فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه : أيهم رئيس القوم ؟ قال : حاميتهم صاحب الفرس الأدهم - يعني بسطاماً - فعلا عاصم عليه بالرحم قطعته ، فلم تخطئ صمخ أذنه حتى خرج الرحم من الناحية الأخرى ونحر . فلما رأى ذلك بنو شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الأدبار ، فن قنيل واسير ، وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس أخوا بسطام في سبعين من بني شيبان : وقال شمعة بن الأخضر بن هبيرة :

وَيَوْمَ شَقَائِقِ الْحَسَنِينَ لَاقَتْ * بَنُو شَيْبَانَ آجَالًا قِصَارًا

شَكَكْنَا بِالرَّمَاكِ وَهَرَبَ زُورٌ * صِمَاتِي كَبَشْتِهِمْ حَتَّى اسْتَدَارَا

أيام بكر على تميم

يوم الزويرين

قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل تنجع أرض بني تميم في الجاهلية ترعى بها إذا أجدبوا ، فإذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عودة يصيبونها ولا شيئا يظفرون به

(١) الشقيقة : كل جمد (فتح الجيم المعجمة وسكون الميم) بين حبل رمل . والجدد : غلظ وصلابة .

- إلا اكتسحوه، فقال بنو تميم : امنعوا هؤلاء القوم من رعى أرضكم، فحشدت تميم ، وحشدت بكر واجتمعت ، فلم يتخلف عنهم إلا الحوقزان بن شريك في أناس من بنى ذهل بن شيبان، وكان غازياً، فقدمت بكر عليهم عمراً الأصمّ أبا مفروق — وهو عمرو بن قيس بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان — فحسد سائر ربيعة الأصمّ على الرياسة ، فأتوه فقالوا : يا أبا مفروق ، إنا قد زحفنا لتيمة وزحفوا لنا أكثر مما كنا وكانوا قط . قال : فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نجعل كلّ حى على حياله ، ونجعل عليهم رجلاً منهم ، فنعرف غناء كل قبيلة ، فإنه أشدّ لأجتهد الناس . قال : والله إنى لأبغض الخلاف عليكم ، ولكن يأتى مفروق فينظر فيما قاتم . فلما جاء مفروق شاوره أبوه ، فقال له مفروق : ليس هذا أرادوا ، وإنما أرادوا أن يخذعوك عن رأيك وحسدوك على رياستك ، والله لئن لقيت القوم فظفرت لا يزال لنا الفضل بذلك أبداً ، ولئن ظفرك لا تزال لنا رياسة نعرف بها ، فقال الأصمّ : يا قوم ، قد آستشرت مفروقاً فرأيتُه مخالفاً لكم ، ولست مخالفاً رأيه وما أشار به . فأقبلت تميم بمجلين مجلّين مقرونين مقيدّين وقالوا : لا نولّى حتى يولى هذان الجملان ، وهما الزويران ، فأخبرت بكر بقولهم الأصمّ فقال : وأنا زويركم إن خشوهما نخشوني ، وإن عقروهما فأعقروني ، قال : وآتقى القوم فأقتلوا قتالاً شديداً . فأسرت بنو تميم حرث بن مالك أخا بنى مرة بن همام ، فركض به رجلٌ منهم وقد أردفه ، فأتبعه أبسه فتادة بن حرث حتى لحق الفارس الذى أسر أباه ، فطعنه فأرداه عن فرسه ، وأستنقذ أباه ، ثم أنهزمت بنو تميم . وقال رجلٌ من بنى سدوس :
- يَاسَلُمُ إِنَّ تَسَالَى عَنَّا فَلَا كَشْفُ * عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلسْنَا بِالْمُقَارِيفِ

نَحْنُ الَّذِينَ هَزَمْنَا يَوْمَ صَبَبْنَا * جيشَ الزُّورَيْنِ فِي جَمْعِ الْأَحَالِيفِ
ظَلُّوا وَظَلْنَا نِكْرَ الْحَيْلِ وَسَطَّهُمْ * بِالشَّيْبِ مِنَّا وَبِالمُرْدِ الغَطَارِيفِ

يوم الشَّيْطَيْنِ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : لما ظهر الإسلام — قبل أن يسلم أهل نجد والعراق —
سارت بكر بن وائل إلى السواد وقالت : نُغِيرُ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ بِالشَّيْطَيْنِ (١) ، فَإِنَّ فِي دِينِ
أَبْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا قُتِلَ بِهَا ، فَنُغِيرُ هَذِهِ الْغَارَةَ ثُمَّ نُسَلِّمُ عَلَيْهَا .

فَأَرْتَحِلُوا مِنْ لَعَلَّ بِالذَّرَارِيِّ وَالْأَمْوَالِ ، فَأَتَوْا الشَّيْطَيْنِ فِي أَرْبَعٍ ، وَبَيْنَهُمَا
مَسِيرَةٌ ثَمَانِيَةٌ أَمْيَالٌ فَسَبَقُوا الْخَبَرَ فَصَبَّحُوهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، وَرِئِيسُهُمْ يَوْمَئِذٍ
بِشْرُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ ذِي الْحَدَيْنِ ، فَقَتَلُوا بَنِي تَمِيمٍ قَتْلًا ذَرِيعًا وَأَخَذُوا
أَمْوَالَهُمْ . قَالَ : قُتِلَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَوْمَ الشَّيْطَيْنِ وَلَعَلَّ سِتْمَانَةَ رَجُلٍ ، قَالَ : فَوَفِدَا
وَفَدَّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : أَدْعُ اللَّهَ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ! فَأَبَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

يوم صَعْفُوقِ

لبكر على تميم

أغارَتِ بَنُو رَبِيعَةَ عَلَى بَنِي سَلِيطِ بْنِ يَرْبُوعِ يَوْمَ صَعْفُوقِ ، فَأَصَابُوا مِنْهُمْ أَسْرَى ،
فَاتَى طَرِيفُ بْنُ تَمِيمِ الْعَنْبَرِيُّ فَرَوَّهَ بَنُ مَسْعُودٍ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ بَنِي رَبِيعَةَ ، فَفَدَى
مِنْهُمْ أَسْرَى بَنِي سَلِيطِ وَرَهَنَهُمْ آبَنَهُ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوا آبَنَهُ .

١٢٨
١٣

(١) الشيطان : واديان .

يوم مَبَايِض

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : كانت الفُرسان إذا كانت أيام عَكَاظ في الشهر الحرام ،
 وأمين بعضهم بعضا ، تقننوا كي لا يُعرفوا ، فكان طَريف بن تميم لا يتقنن ، فوافي
 عَكَاظ وقد كشفت بكر بن وائل ، وكان طَريف قد قتل شَرَا حِيل الشيباني أحد
 بنى عمرو بن ربيعة ، فقال نحيصة : أروني طَريفا ، فأروه إياه ، فتأمله ونظر
 إليه ، ففطن له طَريف فقال : مالك تنظر ؟ فقال : أتوسمك لأعرفك ، فله
 على إن لقيتك أن أقتلك أو تقتلني .

قال : فمضى لذلك ما شاء الله ، ثم إن بنى عائدة حلفاء بنى ربيعة بن ذهل ،
 خرج منهم رجلان بصيدان ، فعرض لهما رجل من بنى شيبان ، فذعر عليهما
 صيدهما ، فوثبا عليه فقتلاه ، فنارت بنو مَرة بن ذهل بن شيبان يريدون
 قتلهما ، فأبت بنو ربيعة ذلك عليهم ، فقال هانئ بن مسعود : يا بنى ربيعة ، إن
 إخوتكم قد أرادوا ظلمكم فأمازوا عنهم ، ففارقوهم ، وساروا حتى نزلوا بمبايض :
 — ماء لهم — فأبق عبدٌ لرجل من بنى ربيعة ، وسار إلى بلاد تميم ، فأخبرهم أن
 حيا جديدا ، أى متقى من قومه ، من بكر بن وائل نُزول على مَبَايِض وهم
 بنو ربيعة ، فقال طَريف العنبري : هؤلاء فأرى يا آل تميم ، وأقبل معه
 أبو الجداء أخو بنى طُهيّة ، وجاءه فدكى بن أَعْبَدَ المُنْقَرِي في جمع من بنى سعد بن
 زيد مَنّة ، فأندرت بهم بنو ربيعة ، فأخماز بهم هانئ بن مسعود ، وهو رئيسهم ،
 إلى علم مَبَايِض ، وأقام عليه وشرفوا بالأموال والسرّح ، وصبّحتهم تميم ، فقال لهم

(١) أمازوا : انفصلوا .

(٢) السرّح : المال الراعى .

طريف : أطيعوني وافرغوا من هؤلاء الأكلب يصف لكم ما وراءهم ، فقال لهم أبو الجداء - رئيس حنظلة - وفدكي - رئيس بنى سعد بن زيد مناة : أنقاتل أكلبا أحرزوا أنفسهم وترك أموالهم ؟ ما هذا برأى ! وأبوا عليه . وقال هاني لأصحابه : لا يقاتل رجل منكم ، ولحقت تميم بالنعم والبالغ فأغاروا عليها ، فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة قال هاني بن مسعود لأصحابه : احمسوا عليهم ، فهزمهم . وقيل طريف العنبري ، قتله خميسة الشيباني .

يوم فيحان

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : لما فدى نفسه بسطام بن قيس من عتيبة بن الحارث إذ أسره يوم الغبيط بأربعمائة بعير فقال : لأدركن عقرا إلى ، فأغار بفيحان ، فأخذ الربيع بن عتيبة وأستاق ماله ، فلما سار يومين شغلوا عن الربيع بالشراب ، فبال على قيده حتى لآن ، ثم خلعه وأحل منه ، ثم أجال في متن ذات النسوع - فرس بسطام - وهرب ، فركبوا في أثره ، فلما يتسوا منه ناداه بسطام : يا ربيع ، هلم طليقا ، فأبى ، وأتوه في نادى قومهم يتحدثهم ، فجعل يقول في أثناء حديثه : يا ربيع يا ربيع ! انج يا ربيع ! وأقبل ربيع حتى انتهى إلى أدنى بنى يربوع فإذا هو براع فأستسقاها وضربت الفرس برأسها فماتت ، فسُمي ذلك المكان هيب الفرس ، فقال له أبو عتيبة : أما إذ نجوت بنفسك فإني مخلف لك مالك .

يوم ذى قار الأول

لبكر على تميم

قال : نخرج عتيبة في نحو من خمسة عشر فارسا من بنى يربوع ، فكان في جنبي ذى قار حتى مررت بهم - أبلى بنى الحصين ، وهى بالعدوانة : اسم ماء لهم ،

فصاحوا بمن فيها من الحامية والرعاية ، ثم استاقوها ، فأخلف للزبيح ما ذهب له
وقال :

أَلَمْ تَرِنِي أَفَأَنْتُ عَلَى رَيْبِيعٍ * جِلَادًا فِي مَبَارِكِهَا وَخَوْرًا
وَأَنْتِي قَد تَرَكْتِ بَنِي حُصَيْنٍ * بَدِي قَارِ يَرْمُونَ الْأُمُورَا

يَوْمُ الْحَاجِزِ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : خرج وائل بن صريم اليشكري من اليمامة ، فلقبه بنو أسيد
ابن عمرو بن تميم ، فأسروه وجعلوا يغمسونه في الماء في الركبة ويقولون :
يا أيها الماسخ دلوى دونكا *

- ١٠ حتى قتلوه ، فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجز ، فأخذ ثمامة بن باعث
ابن صريم رجلا من بني أسيد وجيها فيهم فقتله ، وقتل على الظنة مائة منهم .

يَوْمُ الشَّقِيقِ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : أغار أيجر بن جابر العجلي على بني مالك بن حنظلة ، فسبي
سليمى بنت محصن ، فولدت له أيجر ، فبنى ذلك يقول أبو النجم :
ولقد كررت على طهية كرتة * حتى طرقت نساءها بمساء

١٥

ذِكْرُ حَرْبِ الْبَسُوسِ

وهي حرب بكر وتغلب أبي وائل

- قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : لم تجتمع معدة كلها إلا على ثلاثة
٢٠ من رؤساء العرب ، وهم : عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث .

وعامر هو قائد معد يوم البيداء حين تمدّحت مَدْحَج وسارت الى تهامة، وهي
أول واقعة كانت بين تهامة واليمن .

والثاني : ربيعةُ بنُ الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن
كلب وهو قائد معد يوم السَّلاَن، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن .

والثالث : كليبُ بنُ ربيعة، وهو الذي يقال فيه : أعز من كليب وائل، وقاد
معدًا كلَّها يوم نَخَاز، فنصَّ جُموعَ اليمن وهزمهم ، واجتمعت عليه معدُّ كلَّها
وجعلوا له قسَمَ الملك وتاجه وتحتيته وطاعته ، فغبر ^(١) بذلك حيناً من الدهر، ثم دخله
زهوٌ شديدٌ وبنى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يبحى مواقع السحاب فلا يُرعى
جماه ويقول: وَحَسُّ أرض كذا في جوارى فلا يُهاج، ولا تُوردُ إبلُ أحدٍ مع إبله ،
ولا تُوقد نارٌ مع ناره .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة ، وكان كليبٌ قد تزوجَ
جليلاً بنَّةَ مرة بن دُهل بن شيبان أخت جساس بن مرة، وكانت لها ناقةٌ يقال
لها : السرابُ ، وبها يضرب المثل في التشاؤم ، فيقال : « أشامُ من السراب »
و « أشامُ من البسوس » وهي معقولة بفتاء بيتها في جوار جساس بن مرة، فمزت
بها إبلُ لكليب ، فلما رأت السرابُ الإبلَ تازعت عقالها حتى قطعته، وتبعَت
الإبلَ وأختلطت بها حتى انتهت الى كليب، وهو على الحوض، ومعه قوسٌ وكانةٌ،
فلما رآها أنكراها، فأتزعها بسهمٍ نخرمَ ضرعها، فنصرت وهي ترغو، فلما رأتها
البسوس قذفت نمارها عن رأسها وصاحت : وأذلاه ! واجاراه .

(١) غبر : غلب .

(١) غبر : مكث وبقى .

ذكر مقتل كليب وائل

قال : فأجمشت جساسا ، فركب فرسا له مغرورا به ، وتبعه عمرو بن الحارث ابن ذهل بن شيبان على فرسه ، ومعه رمحه ، حتى دخلا على كليب الحمي ، فطعنه جساس فقصم صُلْبَهُ ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قَطَنَهُ ، فوقع كليب وهو يفحص برجله وقال لجساس : أغثنى بشرية من ماء ، فقال له : تجاوزت شيئا والأحص ^(١) ، ففى ذلك يقول عمرو بن الأهم ^(٢) :

وإن كليباً كان يظلم قومه * فأدركه مثل الذي تريبان
فلما حشاه الرمح كف ابن عمه * تذكر ظلم الأهل أى أوان
وقال لجساس أغثنى بشرية * وإلا خبير من رأيت مكاني
فقال تجاوزت الأحص وماءه * وبطن شيبث وهو غير زوان

وقال نابغة بن جعد :

أبلغ عقلاً أن خطبة داحس * بكفك فاستأخر لها أو تقدم
كليب لعمري كان أكثر ناصراً * وأيسر ذنباً منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر يطعنة * كحاشية البرد اليماني المسهم
وقال لجساس أغثنى بشرية * تدارك بها مناعلى وأنعيم
فقال تجاوزت الأحص وماءه * وبطن شيبث وهو ذو متوسم

قال : فلما قتل كليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهى ، وتشمر المهلهل أخو كليب - وأسمه عدي بن ربيعة ، وإنما قيل له المهلهل لأنه

(١) شيبث : ماء معروف لبني تغلب .

(٢) الأحص : واد لبني تغلب .

أول من هَلَّهَل الشعر ، أى أرقه - فأستعد المهلهل لحرب بكر ، وترك النساء والغزل ، وحرم القمار والشراب ، وجمع إليه قومه ، فأرسل رجالا منهم الى بنى شيبان يعذر اليهم فيما وقع من الأمر ، فأثروا مرة بن ذهل بن شيبان وهو فى نادى قومه ، فقالوا له : إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناب من الإبل ، فقطعتم الرِّحْم ، وآتتهكم الحرمة ، وإنَّا كرهنا العجالة عليكم دون الإعداء إليكم ، ونحن نعرض عليكم خالًا أربعا ، لكم فيها نخرج ولنا مقنع ، قال مرة : ما هى ؟ قالوا : نحى لنا كليبًا أو تدفع لنا جساسا قاتله فنقتله به ، أو هماما فإنه كفاء له ، أو تمكنا من نفسك فإن فيك وفاء من دمه ، فقال : أما إحيائي كليبيا فهذا ما لا يكون . وأما جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدرى أى البلاد آحتوت عليه . وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة ، كلهم فرسان قومهم فلن يُساموه لى فادفعه اليكم يقتل بجزيرة غيره . وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة غدا فاكون أول قتيل بينهما ، فما أتعجل من الموت ، ولكن لكم عندى خصماتان : أما إحداهما فهؤلاء بنى الباقون فعلقوا فى عنق أيهم شتم نسعة فأنطلقوا به الى رجالكم فأذبحوه ذبح الجزور وإلا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بكر بن وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبدل لنا صغار ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب .

١٣٠
١٣

ووقعت الحرب بينهم ، ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها ، وأعتزلت قبائل بكر بن وائل ، وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوانهم ، وأعظموا قتل جساس كليبيا بناب من الإبل ، فظعنن لحيم عنهم ، وكفت يشكر عن نصرتهم ، وأقبض الحارث بن عبادة فى أهل بيته ، وهو أبو مجير وفارس النعامة . وقال المهلهل يرثى كليبيا من أبيات :

بَاتَ لَيْسِي بِالْأَنْعَمِينَ طَوِيلًا ^(١) * أَرْقُبُ النَّجْمَ سَاهِرًا أَنْ يَزُولَا

كَيْفَ أَهْدَى وَلَا يَزَالُ قَتِيلٌ * مِنْ بَنِي وَائِلٍ يُنْسَى قَتِيلًا

في قصيدة طويلة .

وقال أيضا يرثيه من أخرى :

نَعَى النَّعَاةُ كَلْبِيًّا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ * مَا لَتْ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا

الْقَائِدُ الْخَيْلُ تَرْدَى فِي أَعْنَبِهَا * زَهْوًا إِذَا الْخَيْلُ لَحَّتْ فِي تَعَادِيهَا

مِنْ خَيْلٍ تَغْلِبَ مَا تُلْقَى أَسْنَتَهَا * إِلَّا وَقَدْ خَضَّبُوهَا مِنْ أَعَادِيهَا

يَهْزَهُزُونَ مِنَ الْخَطِيئِ مُدْمَجَةً * كُنَّا أَنَا بَيْنَهَا زُرْقًا عَوَالِيهَا

تُرَى الرَّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَتُورِدُهَا * بِيضًا وَأُنْصَدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

لَا أَصْلَحَ اللَّهُ يَوْمًا مِنْ يُصَالِحُكُمْ * مَا لَاحَتِ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

يَوْمُ النَّهْيِ

فَالْتَقَوْا بِمَا يُقَالُ لَهُ : النَّهْيُ ^(٢) ، كَانَتْ بَنُو شَيْبَانَ نَازِلَةً عَلَيْهِ ، وَرَيْسُ تَغْلِبِ الْمَهْلَهُلُ ،

وَ رَيْسُ شَيْبَانَ الْحَارِثُ بْنُ مُرَّةَ ، فَكَانَتْ الدَّائِرَةُ لِبَنِي تَغْلِبَ ، وَلَمْ يُقْتَلْ فِي ذَلِكَ

الْيَوْمِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ .

يَوْمُ الذَّنَابِ

فَمِ الْتَقَوْا بِالذَّنَابِ ، وَهِيَ أَعْظَمُ وَقْعَةٍ كَانَتْ لَهُمْ ، فَظَفَرَتْ بَنُو تَغْلِبَ وَقُتِلَ مِنْ

بِكْرِ مَقْتَلَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَفِيهِ قُتِلَ شَرَا حَيْلُ بْنُ مَرَّةَ بْنِ هَمَامَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ شَيْبَانَ ، وَهُوَ

جَدُّ الْحَوْفَزَانِ ، قَتَلَهُ عَنَابُ بْنُ سَعْدِ بْنِ زَهَيْرِ بْنِ جِشْمَ ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي ذُهَلِ بْنِ

(١) الأَنْعَمَانِ (بالعين المهملة تشبیه أنعم) : موضع بناحية نعمان ، وهو وادي التنعيم .

(٢) النَّهْيُ (بالكسر في لغة أهل نجد ، وغيرهم يقوله) بالفتح : الغدير ، وهو أيضا الموضع الذي له

حاجز ينهي الماء أن يفيض منه .

ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان ، وقتل من بني قيس بن ثعلبة سعد بن ضبيعة بن قيس وتيم بن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الحرقين ^(١) ، وكان شيخا كبيرا ، فحمل في هودج ، فلحقه عمرو بن مالك بن القدوكس بن جشم فقتله .

يوم واردات

ثم اتقوا يوم واردات وعليهم رؤسائهم الذين تقدم ذكرهم ، فظفرت بنو تغلب ، واستحز القتل في بني بكر ، فيومئذ قتل الشعثان : شعثم وعبد شمس أبنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسيار بن الحارث بن سيار ، وفيه قتل همام ابن مرة أخو جساس لأبويه ، فمز به مهلهل مقتولا فقال : والله ما قتل بعد كليب قتيل أعز علي فقدنا منك يوم عنيزة .

يوم عنيزة

ثم اتقوا بعنيزة ، فظفرت بنو تغلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك كانت الدائرة فيها لبني تغلب على بني بكر ، فمنها يوم الحنسو ، ويوم عويرضات ، ويوم أنين ، ويوم ضرية ، ويوم القمصيات ، كلها لتغلب على بكر ، أصيبت فيها بكر حتى ظنوا أن لن يستقبلوا أمرهم .

وقال المهلهل يصف هذه الأيام وينعاهها على بكر في قصيدة طويلة أولها :
 أَلَيْسَ بَدِي حَسَمٌ أَنْسِيرِي * إِذَا أَنْتِ أَنْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَرِي ^(٢)
 فَإِنَّ يَكُ بِالذَّنَابِ طَالَ لَيْلِي * فَقَدْ أَبَيْكَ مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ ^(٣)

(١) الحارقة : عصابة متصلة بالورك . (٢) استحز : اشتد .

(٣) ذو حسم : موضع . (٤) تحورى : ترجعى .

(٥) الذناب : عن يسار فاجة مصعدا الى مكة . ومقتل كليب بالذناب ، وبها قبره .

فَلَوْ نَبِشَ الْمُقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ * لِأَخْبَرَ بِالذَّنَابِ أَى زِيرِ
 وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بَوَارِدَاتٍ * بِجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ (٢)
 هَتَكْتُ بِهِ بِيوتَ بَنِي عَبَادٍ * وَبَعْضُ الْقَتْلِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلْبٍ * إِذَا بَرَزَتْ مَخْبَأَةُ الْخُدُورِ

وقال المهلهل أيضا وقد أسرف في الدماء :

أَكثَرْتُ قَتْلَ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ * حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدٌ
 آلَيْتُ بِاللَّهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمْ * حَتَّى أَهْرَجَ بَكَرًا أَيْمًا وَجِدُوا
 أَهْرَجُ : أَى أَدْعُهُمْ بِهَرَجًا ، لَا يُقْتَلُ بِهِمْ قَتِيلٌ ، وَلَا تُؤْخَذُ بِهِمْ دِيَةٌ .

وقال أيضا :

قَتَلُوا كَلْبِيَا ثُمَّ قَالُوا أُرِيعُوا * كَذَبُوا وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ
 حَتَّى تَيَسَّدَ قَبِيلُهُ وَقَبِيلُهُ * وَيَعْضُ كُلُّ مُتَّقِفٍ بِالْهَامِ
 وَيُقَمِّنُ رِبَاتُ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا * يَمْسَحْنَ عَرَضَ دَوَائِبِ الْإِيْتَامِ
 حَتَّى يَعْضُ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيمِهِ * مِمَّا يَرَى نَدْمًا عَلَى الْإِيهَامِ

يَوْمُ قِضَةِ

قال : ثم إن المهلهل أسرف في القتل ولم يُبَالِ بأى قبيلة من قبائل بكر وقع ، وكانت أكثر بكر قعدت عن نصره بنى شيبان لقتلهم كلبيا ، وكان الحارث بن عبادة قد أعتقل تلك الحروب ، حتى قُتِلَ أبْنُهُ بِجَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبَادٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُهُ قَالَ : نَعَمْ الْقَتِيلُ قَتِيلٌ أَصْلَحَ بَيْنَ أَبِي وَائِلٍ ، وَظَنَّ أَنَّ الْمَهْلَهْلَ قَدْ أَدْرَكَ بِهِ نَارَ

(١) واردات : موضع عن يسار طريق مكة .

(٢) العبير : الزعفران .

كُليب وجعله كفوًّا له ، فقيل له : إنما قتله بِشُوع نعل كُليب . وكان المهلهل قال
لما قتل بُجَيْر بن الحارث : بُؤ بِشُوع نعل كُليب ، فلما سمع الحارث ذلك غضب ،
وكان له فرس يقال له النعام ، فركبها وتولى قتال تغلب بنفسه ، فكانت الدائرة
فيه على تغلب ، فنفزقت قبائل تغلب وهرب المهلهل . وقال الحارث بن عباد :

قَرَبًا مَرَبَطَ النِّعَامَةَ مَنِيَّ * لَقِصَّتْ حَرْبُ وَايِلَ عَن حِيَالِي

قَرَبًا مَرَبَطَ النِّعَامَةَ مَنِيَّ * شَابَ رَأْسِي وَأَنْكَرْتَنِي رِجَالِي

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَظِيمَ الذِّ * هُوَ وَإِنِّي يَحْزَاهَا الْيَوْمَ صَالِي

في قصيدة طويلة نحو المائة بيت كثر فيها :

* قَرَبًا مَرَبَطَ النِّعَامَةَ مَنِيَّ *

١٣١
١٣

في خمسين بيتا .

وكان أول يوم شهده الحارث يوم قِصَّة ، وهو يوم تحلاق اللِّم ، وفيه

يقول طرفة :

سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا * بِقُؤَانَا يَوْمَ تَحْلَاقِ اللَّيْمِ

يَوْمَ تُبْدِي الْبَيْضُ عَنَ اسْوُقِهَا * وَتَلْفُ الْخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعْمِ

(١) أسوق : جمع لساوق ، همزت الوار فيه لتحمل الضمة ، أي يوم تكشف النساء البيض

عن سيقانها من الفزع .

(٢) تلف : تجمع .

(٣) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ٤٤ طبع دار الكتب المصرية) وأعراج : جمع عرج (بالفتح

ويكسر) وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى تسعين ، أو هو مائة وخمسون وفوقها ، أو من

نحسائة إلى ألف . وفي الأصول : « أفراخ » .

(٤) النعم (بالتحريك وقد نسكن عنه) : الإبل .

يوم تحلاق المم

ويوم تحلاق المم، إنما سُمِّيَ بذلك لأن الحارث بن عباد لما تولى الحرب قال لقومه: احمِلوا معكم نساءكم يَكُنَّ من ورائكم، فإذا وجدن جريحاً منهم قتلوه، وإذا وجدن جريحاً منا سَقَيْنَهُ وَأَطَعَمْنَهُ، فقالوا: ومن أين يَمَيِّزُ هُنَّ؟ فقال: احلقوا رؤوسكم لتميَّزوا بذلك، ففعلوا، فُسِّمِي به، فقال مجدَّر بن ضبيعة — وكان من شجعانهم —: اتركوا لِمَتِّي وأقتل لكم أول فارس يقدمهم، فتركوه، وهو الذي قتل عمرًا وعامرًا التغلبيَّان، طعن أحدهما بسنان رجمه، والآخر بزجه، ثم صرع بعد ذلك، فلما رأته نساء بكر دون حلق ظنوه من تغلب فأجهزوا عليه.

وفي هذا اليوم أسر الحارث بن عباد المهلهل عدي بن ربيعة وهو لا يعرفه فقال له: دُلَّنِي على عدي وأخِي عنك، فقال له عدي: عليك العهدُ بذلك إن دلتك عليه، قال نعم، قال فانا عدي، فجز ناصيته وتركه وقال فيه:

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَع * يَرِفُ عَدِيًّا إِذْ أَمَكَّنْتَنِي الْيَدَانِ

وكان الحارث آلى ألا يصالح تغلباً حتى تكلمه الأرض، فلما كثرت وقائعه في تغلب ورأت تغلب أنها ما تقوم له حفروا سرباً تحت الأرض وأدخلوا فيه رجلاً وقالوا له: إذا مرَّ بك الحارث فغنَّ بهذا البيت:

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَأَسْتَبِقَ بَعْضَنَا * حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضِ

فلما مرَّ الحارث أندفع الرجل وغمَّى بالبيت، فقيل للحارث قد برَّبَقَسْمَكَ فَأَبِقِ بَقِيَّةَ قَوْمِكَ، فأمسك، فأصطلحت بكر وتغلب.

(١) عالية الرخ: سنانه.

(٢) زج الرخ: حديدة في أسفله.

ثم إن المهلهل فز بنفسه فنزل بمدح^(١) في بني جنب ، فخطبوا إليه آبنته ، وقيل
أخته ، فمنعهم ، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه جلوداً من آدم ، فقال في ذلك :

أعزّز على تغلب بما لقيت * أخت بني الأكرمين من جثيم

أنكحها فقدها الأراقم^(٢) في * جنب وكان الحباء من آدم

لؤى بأباتين^(٣) جاء يخطبها * ضرج ما أنف خاطب يدم

ليسوا بكفائنا الكرام ولا * يغنون في ذلة ولا عدم

ثم اشتري المهلهل عبدين يغزوان معه ، فغزا بهما حتى طال عليهما ذلك ،
فآخارا الراحة منه ، فأجمعا على قتله بموضع فقير ، فلما شعر بما هما به ولم ير لنفسه
ملجأ قال لهما : أبلغا عني هذا المراسلة ، فقلا هات ، فقال :

من مبلغ عني بأن مهلهلاً * لله دركاً ودر أبيكماً

فلما قتلاه وأنصرفا نحو بيته فقلا : مات بأرض كذا وكذا وصيته ، فلم يدر
أحد ما أراد ، فقالت آبنته : والله ما كان أبي ردى الشعر ، ولا سفّاف الكلام ،
وإنما أراد أن يخبركم أنّ العبدین قتلاه ، وإنما معنى البيت :

من مبلغ عني بأن مهلهلاً * أضحى قتيلاً بالفلا مجدلاً

لله دركاً ودر أبيكماً * لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فقتل العبدان بعد أن أقرّوا بذلك . وقيل : إنه أصبح قتيلاً بين رجلي حمل
هاج . والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) جنب : حى من مدح ، وهم ستة رجال : منبه والحارث والعلى وسبحان وشهران وهقان
يقال لهم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صدا . (راجع معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧٧ طبع أوربا) .

(٢) الأراقم : حى من تغلب . (٣) أباتين : جبلان ، قبيل : يقال لأحدهما : أبان

الأبيض ، وللآخر : أبان الأسود .

الكلاب الأول

قال أبو عبيدة : لما تسافهت بكر بن وائل وغللبا سفهاؤها ، وتقاطعت
 أرحامها ، ارتأى رؤسائهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا ، فأكل القويُّ
 الضعيف ، فزى أن نملك علينا ملكا نعطيه الشاة والبعير ، فيأخذ للضعيف من
 القوي ، ويرد على المظلوم من الظالم ، ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه
 الآخرون ، فيفسد ذات بيننا ، ولكننا نأتي تبعا فنملكه علينا ، فأتوه [فذكروا له
 أمرهم] فملك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، فقدم فنزل بطن
 عاقل .

ثم غزا بكر بن وائل حتى آتتزع عامة ما في أيدي ملوك الحيرة الخمينيين ، وملوك
 الشام الغسانيين ، وردهم الى أقاصى أعمالهم ، ثم طعن في نيطة فسات فدفن بيطن
 عاقل . وأختلف أبناء شرحبيل وسامة في الملك ، فتواعدا الكلاب ، فأقبل شرحبيل
 في ضبة والرباب كلها ، وبني يربوع ، وبكر بن وائل . وأقبل سامة في تغلب والنمر
 وبهراء ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة ، وعليهم سفيان بن جاشع ، وعلى تغلب
 السقاح ، وإنما قيل له السقاح لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم : اندروا الى
 ماء الكلاب ، فسبقوا ونزلوا عليه ، وإنما خرجت بكر مع شرحبيل لعداوتها
 لبني تغلب ، فالتقوا على الكلاب ، وأستحروا القتل في بني يربوع ، وشد أبو حنش
 على شرحبيل فقتله ، وكان شرحبيل قد قتل أبته حنشا ، فأراد أبو حنش أن يأتي
 برأسه الى سامة ، فخافه فبعثه مع عسيف له ، فلما رآه سامة دمعت عيناه وقال له :

١٣٢
١٣

(١) التكلة من العقد الفريد . (٢) عاقل : واد بنجد .

(٣) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة . وقيل : بين جبلة وشمام على سبع ليال من الحيامة .

أنت قتله؟ قال لا، ولكن قتله أبو حنّس، إنما أَدْفَعُ الثَّوَابَ إِلَى قَاتِلِهِ، فَهَرَبَ أَبُو حَنْسٍ مِنْهُ، فَقَالَ سَلَمَةٌ فِي ذَلِكَ :

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا حَنْسٍ رَسُولًا * فَمَا لَكَ لَا تَجِيءُ إِلَى الثَّوَابِ

تَعَلَّمْ أَنْ خَيْرَ النَّاسِ طَرًّا * قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجَارِ الْكَلْبِ

يَوْمُ الصَّفْقَةِ

وهو يومُ الكُلابِ الثاني

قال أبو عبيدة : كان يومُ الكُلابِ متصلا بيومِ الصَّفْقَةِ ^(١) . وكان من حديث

الصَّفْقَةِ أَنَّ كَسْرِي كَانَ قَدْ أَوْقَعَ بِنِي تَمِيمٍ ، فَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَسَبَى الذَّرَارِيَّ بِمَدِينَةِ

هَجْرٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَغَارُوا عَلَى لَطِيمَةٍ لَهُ فِيهَا مَسْكٌ وَعَنْبَرٌ وَجَوْهَرٌ كَثِيرٌ ، فَسَمَّيْتُ ^(٢)

تلك الوقعة يومِ الصَّفْقَةِ ، ثُمَّ إِنَّ بَنِي تَمِيمٍ أَدَارُوا أَمْرَهُمْ ، وَقَالَ ذُو الْحِجِيِّ مِنْهُمْ :

إِنَّكُمْ قَدْ أَغْضَبْتُمْ الْمَلِكَ ، وَقَدْ أَوْقَعَ بِكُمْ حَتَّى وَهَنْتُمْ ، وَتَسَامَعْتَ بِمَا لَقِيتُمُ الْقِبَائِلَ ،

وَلَا تَأْمَنُونَ دَوْرَانَ الْعَرَبِ .

بَجَمْعُوا سَبْعَةً مِنْ رُؤَسَائِهِمْ وَشَاوَرُوهُمْ فِي أَمْرِهِمْ ، وَهُمْ : أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ

الْأَسَدِيُّ ، وَالْأَحْمِيزِيُّ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَرَّةِ الْمَازِنِيِّ ، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ الْمُتَقَرِّيِّ ، وَأَبِيْرُ بْنُ

عَصَمَةَ التَّمِيمِيِّ ، وَالنَّعْمَانُ بْنُ جَسَّاسِ التَّمِيمِيِّ ، وَأَبِيْنَ بْنِ عَمْرٍو السَّعْدِيُّ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ

بَدْرِ السَّعْدِيِّ فَقَالُوا لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ؟ فَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ ، وَكَانَ يَكْنَى أَبَا حَنْسٍ :

إِنَّ النَّاسَ قَدْ بَاغَهُمْ مَالِقِينَا ، وَنَخَافُ أَنْ يَطْمَعُوا فِيْنَا وَإِنِّي قَدْ نَيْفَتُ عَلَى التَّسْعِينَ ،

وَقَدْ نَحَلْتُ قَلْبِي كَمَا نَحَلْتُ جَسْمِي ، وَأَخَافُ أَلَّا يَدْرُكَ ذَهْنِي الرَّأْيَ لَكُمْ ، فَلْيَعْرَضْ عَلَيَّ

(١) سمى الصَّفْقَةَ ، لِأَنَّ كَسْرِيَّ أَنْوَشِرُوَانَ أَصْفَقَ الْبَابَ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ فِي حِصْنِ الْمُشَقَّرِ ، وَيُسَمَّى

أَيْضًا : يَوْمُ الْمُشَقَّرِ ، وَالْمُشَقَّرُ : حِصْنٌ بِالْبَحْرَيْنِ . (٢) هَجْرٌ : اسْمُ الْأَرْضِ بِالْبَحْرَيْنِ .

كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَأْيُهُ وَمَا يُحْضِرُهُ فَإِنِّي مَتَى أَسْمَعُ الْحَزْمَ أَعْرِفُهُ ، فَقَالَ كُلُّ مِنْهُمْ مَا عِنْدَهُ ،
 وَأَكْتُمْ [سَاكَتْ] لَا يَتَكَلَّمُ ، حَتَّى قَامَ النُّعْمَانُ بْنُ الْحَسَّاسِ فَقَالَ : يَا قَوْمُ ، أَنْظَرُوا مَاءً يَجْمَعُكُمْ
 وَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ بِأَيِّ مَاءٍ أَتَمُّ حَتَّى تَنْفَرَجَ الْخَلْقَةُ عَنْكُمْ ، وَقَدْ صَلَّحَتْ أَحْوَالُكُمْ ، وَأَنْجَبَ
 كَسِيرُكُمْ ، وَقَوَى ضَعِيفُكُمْ ، وَلَا أَعْلَمُ مَاءً يَجْمَعُكُمْ إِلَّا قِدَّةً ، فَقَالَ أَكْتُمْ : هَذَا [هُوَ]
 الرَّأْيُ ، فَأَرْتَحَلُوا حَتَّى نَزَلُوا الْكَلَابَ ، وَبَيْنَ أَدْنَاهُ وَأَقْصَاهُ مَسِيرَةُ يَوْمٍ ، وَأَعْلَاهُ مِمَّا
 بِلَى الْيَمِينِ ، وَأَسْفَلُهُ مِمَّا بِلَى الْعِرَاقِ . فَنَزَلَتْ سَعْدُ وَالرَّبَابُ بِأَعْلَى الْوَادِي ، وَنَزَلَتْ
 حَنْظَلَةُ بِأَسْفَلِهِ .

قال : وكانوا لا يخافون أن يغزوا في القيظ ، لبعد تلك الصحارى وشدة
 الحر بها وقلة المياه ، فأقاموا بقية القيظ لا يعلم أحد بمكانهم ، حتى إذا تهوّر
 القيظ بعث الله ذا العيينتين ، وهو من أهل مدينة هجر ، فتر بقية وصحاريها ،
 فرأى ما بها من النعم ، فأنطلق حتى أتى أهل هجر فقال : هل لكم في جارية عذراء ،
 ومهرة شوهاء ، وبكرة حمراء ، ليس دونها نكبة ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قال : تلكم
 تميم ألقاء مطروحوون بقية . فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اعتنموا من بني تميم .
 فأخرجوا معهم أربعة أملاك يقال لهم اليزيديون : يزيد بن هوبر ، ويزيد بن
 عبد المسدان ، ويزيد بن المأموم ، ويزيد بن المخرم ، وهم كلهم حارثيون ومعهم
 عبد يغوث الحارثي ، وكان كل واحد منهم على ألفين ، فمضوا حتى إذا كانوا ببلاد
 باهلة قال جرير بن جزء الباهلي لأبنته : يا بنيتي ، هل لك في أكرومة لا يصاب أبداً
 مثلها ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : هذا الحى من تميم قد لجأوا ها هنا مخافة كسرى ،
 وقد قصصت أثر الجيوش يريدونهم ، فأركب جملي الأرحي ، وسر سيرا رويدا

(١) التكلة من العقد الفريد . (٢) تهوّر القيظ : ذهب . (٣) الشوهاة . بن
 الخليل : الطويلة الرائعة . (٤) ألقاء : جمع لقي ، وهو ما طرح على الأرض .

(١) عقبة من الليل ، ثم حلّ عنه حبله وأنجه وتوسّد ذراعه ، فإذا سمعته قد أفاض
يحرّبه وبال فاستنعت ثفناته في بؤله ، فشدّ حبله ثم ضع السوط عليه ، فإنك
لا تسأل جملك شيئا من السير إلا أعطاكه حتى تصبّح القوم . ففعل ما أمره به .

قال الباهلي : فخلت بالكلاب قبل الجيش فنادت : يا صباحاه ! فإنهم
لبيّون إلى لیسالوني من أنت ؟ إذ أقبل رجل منهم من بني شقيق على مهر قد
كان في النعم فنادى : يا صباحاه ، قد أتى على النعم ، ثم كرّ راجعا نحو الجيش ،
فلقيه عبد يغوث الحارثي وهو أول الرعيل ، فطعنه في رأس معدته فسبق اللبن
الدم ، فقال عبد يغوث : أطيعوني وأمضوا بالنعم وخلّوا العجايز من تميم ساقطة
أفواها ، فقالوا : أما دون أن تُسكح بناتهم فلا .

وقال ضمّرة بن لبّيد الحماسي ثم المذحجي الكاهن : أنظروا إذا سُقّم النعم فإن
أتكم الخيل عُصبا [عُصبا] تنتظر العصابة أن تنتظم الأخرى حتى تلتحق بها فإن
أمر القوم هين ، وإن لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضهم بعضا حتى يردوا وجوه النعم
فإن أمرهم شديد .

وتقدّمت سعد والرباب في أوائل الخيل وألتقوا بالقوم فلم يلتفتوا إليهم ،
وآستقبلوا النعم ولم ينتظر بعضهم بعضا . ورئيس الرباب النعمان بن الجساس ،
ورئيس بني سعد قيس بن عاصم ، فالتقى القوم ، فكان النعمان أول صريع ، وأقتل
الفرقان حتى حجز بينهم الليل ، ثم أصبحوا على راياتهم ، فنادى قيس بن عاصم :
يا آل سعد ! يريد سعد بن زيد ، ونادى عبد يغوث : يا آل سعد ! يريد سعد
العشيرة ، فلما سمع قيس ذلك نادى : يا آل كعب ! يريد كعب بن سعد ،
ونادى عبد يغوث : يا آل كعب ! يريد كعب بن عمرو ، فلما رأى ذلك نادى :

(١) عقبة من الليل : أي ساعة .

يا آل مَقَاعِس ! فلما سمع وَاةُ ابن عبد الله الجرمي - وكان صاحب لواء أهل اليمن - نادى : يا آل مَقَاعِس ، تفاعل به فطرح له اللواء ، وكان أول من أنهزم ، فحملت عليهم سعد والرياب فهزموهم ، ونادى قيسُ بنُ عاصم : يا آل تميم ، لا تقتلوا إلا فارساً فإن الرجالَ لكم ، ثم جعل يرتجز ويقول :

٥ لما تولوا عصباً شوازيباً * أقسمتُ لا أظعنُ إلا راجياً
* إني وجدتُ الطعنَ فيهم صائباً *

وأمر قيسُ بنُ عاصم أن يتبعوا المنهزمة ، ويعرقبوا من لحوقه ، ولا يشتغلوا بالقتل عن اتباعهم ، فغزوا دوابرهم ، وفي ذلك يقول وَاةُ :

فدى لكم أهلي وأمي ووالدي * غداة كلاب إذ تحزُّ الدوايرُ
١٠ وأسر عبد يغوث ، أسره مصاد بن ربيعة بن الحارث وكتفه وأردفه خلفه ، وكان مصاد قد أصابته طعنة في مابضه ، وكان عرقه يهيم ، فترفه الدم ، قال عن فرسه مقلوباً . فلما رأى ذلك عبدُ يغوث قطع كفافه وأجهز عليه وأطلق على فرسه ، وذلك أولُ النهار ، ثم ظفر به بعد في آخره ، ونادى مناد : قتل اليزيدون ، وشد قبيصة بن ضرار الضبيّ على صمرة بن لييد الحماسي الكاهن فطعنه فخر صريعاً ، فقال له قبيصة : ألا أنباك تابك بمصرعك اليوم ، ثم أسر عبدُ يغوث ، أسره عصمة بن أبيير التيمي .

قال أبو عبيدة : انتهى عصمة بن أبيير إلى مصاد فوجده صريعاً ، وكان قبل ذلك رأى عبد يغوث أسيراً في يديه ، فعلم أنه الذي أجهز عليه فأقتص أثره فلحقه وقال : ويحك ! إني رجل أحب اللين ، وأنا خير لك من الغلاة والعطش . قال : ومن أنت ؟ قال : عصمة بن أبيير ، فأطلق به عصمة حتى جثاه عند الأهمم على

(٢) يهيم : يسيل .

(١) شوازيبا : ضوامر .

أن جعل له من فدائه جُعلاً ، فتركه الأهم عند أمراته العبشمية ، فأعجبها بحاله
وكأل خلقته ، وكان عصمة الذي أسره غلاما نحيفا ، فقالت له : من أنت ؟ قال :
أنا سيد القوم ، فضحكت وقالت : قبحك الله سيد قوم حين أسرك مثل هذا ،
ففي ذلك يقول عبد يغوث :

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشِمِيَّةٌ * كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا

فاجتمعت الرباب الى الأهم وقالت : ثأرنا عندك ، وقد قُتل مصاد والنعمان
فأخرجهم إلينا ، فأبى الأهم أن يُخرجهم إليهم ، فكاد أن يكون بين الحيين : الرباب
وسعد ، فنته حتى أقبل قيس بن عاصم المُنْقَرِيّ فقال : أيؤتى قطع حلف الرباب من
قيلنا؟ فضرب فاه بقوس فهتّمه ، فسَمَى الأهم ، فقال الأهم : إنما دفعه إلى عصمة
ابن أثير ، ولا أدفعه إلا لمن دفعه إلى ، فليجئ فيأخذه ، فأتوا عصمة فقالوا :
ياعصمة ، قُتل سيدنا النعمان وفارسنا مصاد ، وثأرنا أسيرك ، فما كان ينبغي لك
أن تستحييه ! فقال : إني مُمعل وقد أصبت الغنى ، ولا تطيب نفسي على أسيري ،
فأشتره بنو جساس بمائة بعير ، فدفعه إليهم ، فخشوا أن يهجوهم ، فشدوا على
لسانه نسعة ، فقال : إنكم قاتلي لا محالة ، فدعوني أذم أصحابي وأنوح على نفسي !
فقالوا : إنك شاعرٌ ونخاف أن تهجوننا ، فعقد لهم ألا يفعل ، فاطلقوا لسانه ،
فقال قصيدته التي أولها :

(١) قال أبو علي القالي في أماليه (ج ٣ ص ١٣٤ طبع دار الكتب المصرية) : « قال الأنخفش :
رواية أهل الكوفة : كأن لم تزن قبلي ، وهذا عندنا خطأ ، والصواب : ترى بحذف النون علامة للجزم .
وهذا مبنى على أن الفعل مستند لياء المخاطبة على معنى كأن لم تری أنت ، فيكون فيه إنفئات من الغيبة
الى الخطاب ولم يحكم أحد من النحاة ، بل الذي ذكره صاحب المعنى أن أبا علي خرج البيت على أن أصل
الفعل ترى بهجرة بعدها ألف ثم حذف الألف للجازم ، ثم أبدلت الهجزة ألفا ، وعال بما يطول فانظره
في مبحث « لم » .

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بَيَا * فَمَا لَكُمَا فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا

ومنها :

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ ^(١) * أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا لِي لِسَانِيَا ^(٢)

أَمْعَشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكَتُمْ فَأَسْبِجُوا * فَإِنْ أَسَارِي لَمْ يَكُنْ مِنْ تَوَانِيَا ^(٣)

وَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِي مُلْبِكَةٌ أَنْبِي * أَنَا اللَّيْثُ مَعْدِيَا عَلَيْهِ وَعَادِيَا

ومنها :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ * لِحَيْلِي كَرِيٌّ قَاتِلِي عَنْ رَجَالِيَا ^(٤)

وَلَمْ أَسْبِإِ الزَّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ * لِأَيْسَارِ صِدْقِي أَعْظَمُوا ضَوْءَ قَارِيَا ^(٥)

قال : فلما ضربت عنقه قالت أبنسة مصاد : بُوْ بِمَصَاد ! فقال بنو النعمان :

يا لكاع ! نحن نشتريه بأموالنا ونبو بمصاد ، فوقع بينهم في ذلك الشر ،

ثم أصطلحوا .

(١) ذكر أبو علي الفاي في أماليه (ج ٣ ص ١٣٣ طبع دارالكتب المصرية) ما نصه : « وقوله :

وقد شدوا لساني بنسعة ، قال : هذا مثل ، لأن اللسان لا يشد ، بنسعة ، وإنما أراد : افعلوا بي خيرا ينطلق

لساني بشركم ، فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحك » .

١٥

(٢) أسبجوا : أي سهلوا ويسروا في أمرى .

(٣) رواية الأماي :

* فَإِنْ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَانِيَا *

قال : البوان : السواء ، يريد إن أخاكم لم يكن نظيرا لي فأكون بوا له .

(٤) كرى : نفسى .

٢٠

(٥) السباء : اشتراء الخمر .

(٦) بُوْ بفلان ، أي اذهب به ، يقال ذلك لقتول بمن قتل .

(١)
يَوْمٌ طَخْفَةٌ

قال : كانت الرِّفَادَةُ ، وقيل الرِّدَاةُ ، ردافة الملوك لعتاب بن هَرَمِيٍّ بن رِيَّاحٍ ، ثم كانت لقيس بن عَتَّابٍ ، فسأل حاجبُ بن زُرَّارة النعمانَ أن يجعلها للحارث بن مرط بن سفيان بن مجاشع ، فسألها النعمانُ بنى يربوع وقال : أعقبوا إخوتكم في الرِّفَادَةِ ، قالوا : إنهم لا حاجة لهم فيها ، وإنما سألها حاجبٌ جسداً لنا وأبوا عليه ، فقال الحارث بن شهاب وهو عند النعمان : إن بنى يربوع لا يسلمون ردافتهم إلى غيرهم . وقال حاجب : إن بعث الملك إليهم جيشاً لم يمنعوه ولم يمتنعوا . فبعث النعمانُ إليهم قابوساً أبته ، وحسان بن المنذر ، فكان قابوس على الناس ، وحسان على المقدمة ، وبعث معهم الصنائع والوضائع — فالصنائع : مَنْ كان يأتيه من العرب ، والوضائع : المقيمون بالحيرة — فالتقوا بطخفة ، فأنهزم قابوس ومن معه ، وضرب طارق بن عميرة فرس قابوس فعقره ، وأخذه ليجز ناصيته ، فقال قابوس : إن الملوك لا تجز نواصيها ، فجهزه وأرسله إلى أبيه ، وأما حسان بن المنذر فأسره بشر ابن عمرو الرياحي ، ثم من عليه وأرسله ، ففى ذلك يقول مالك بن نويرة :

ونحنُ عقرنا مَهْرَ قابوسَ بعدَ ما * رأى القومُ منه الموتَ والخيلُ تلجِبُ (٣)

عليه دِلاصٌ ذاتُ نَسِجٍ وسيفه * جرازٌ من الهنديّ أبيضٌ مقضبُ (٤)

(١) طخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة .

(٢) الرِّدَاةُ : كانت الرِّدَاةُ بمنزلة الوزارة . وكان الرديف يجلس على يمين الملك إذا جلس ، ويرداه وراءه إذا ركب ، وإذا نزل جلس عن يمينه فتصرف إليه كأس الملك إذا شرب ، وله ريع غنيمة الملك من كل غزوة يفرز ، وله إتاوة على كل من في طاعة الملك .

(٣) تلجِبُ : تلجبت .

(٤) الدلاص من الدروع : اللبنة .

(١) قاله : (١)

(٢) قاله : (٢)

(٣) قاله : (٣)

(٤) قاله : (٤)

(١)

يومُ فيف الرياح

قال أبو عبيدة : تجمعت قبائل مَدْحِجٍ وأكثرها بنو الحارث بن كعب ، وقبائل من مراد وجُعْفِيٍّ وَزُبَيْدٍ وَخَثَمِمْ ، وعليهم أَنَسُ بن مُدْرِكٍ ، وعلى بنى الحارث الحَصِينُ ، فأغاروا على بنى عامر بن صعصعة بفيف الرياح ، وعلى بنى عامر ، عامرُ بن مالك مَلَاعِبُ الأَسِنَّةِ .

قال : فأقتل القومُ ، فكسروهم ، وأرفضت قبائل من بنى عامر ، وصبرت بنو نَمِيرٍ ، وأقبل عامرُ بنُ الطَّفِيلِ وخَلْفَهُ دَعِيُّ بنى جعفر فقال : يا معشرَ الفتيانِ ، من ضرب ضربة أو طعن طعنة فليشهدنى [فكان ^(٢)] الفارس إذا ضرب ضربة أو طعن طعنة ، قال عند [ذلك] : أباعلى ، فبينما هو كذلك إذ أتاه مُسَهْرُ بن يزيد الحارثي ^(٣) ، فقال له من ورائه : عندك يا عامر والريح عند أذنه فوهسه — أى طعنه — ، فأصاب عينه ، فوثب عامر عن فرسه ونجا على راحلته ، وأخذ مسهر رُمَحَ عامر ، ففى ذلك يقول عامرُ بنُ الطَّفِيلِ من أبيات :

لَعْمَرَى وَمَا عَمَّرَى عَلَى بَهَيْنٍ * لَقَدْ شَانَ حَرَّ الوَجْهِ طَعْنَةً مُسَهْرِ

وقال مُسَهْرُ — وقد زعم أنهم أخذوا امرأة عامر — :

وَهَضَّتْ بِجُرْصِ الرِّيحِ مُقَلَّةَ عَامِرٍ * فَأَضْحَى نَحِيفًا فِي الفَوَارِسِ أَعْوَرًا ^(٤)

وَعَادَرْنَا فِينَا رُمَحَهُ وَسِلَاحَهُ * وَأَذْبَرِيْدَعُو فِي الهَوَالِكِ جَعْفَرًا

وَكُنَّا إِذَا قَيْسِيَّةٌ ذَهَبَتْ يَنَا * بَرَى دَمْعُهَا مِنْ عَيْنِنَا فَتَحَدَّرَا ^(١)

مَخَافَةَ مَا لَاقَتْ حَلِيلَةَ عَامِرٍ * مِنَ الشَّرِّ إِذْ سَرَّهَا هَلَا قَدْ تَعَفَّرَا ^(٢)

(١) فيف الرياح : موضع بأعلى نجد . (٢) التكلفة من العقد الفريد .

(٣) فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٤٧ طبع دار الكتب المصرية) : « مسهر بن زيد » .

(٤) نرص الرياح : سنامه .

قال : وكانت هذه الوقعة وقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،
وأدرك مسهر بن يزيد الإسلام فأسلم .

يوم زُرود الأول

غزا الحَوْفَرَانُ حتى انتهى الى زُرود^(١) خلف جبل من جبالها ، فأغاروا على نعيم
كثير لبني عَبَسَ فأجازوها ، وأتى الصريح^(٢) لبني عَبَسَ فركبوا ، ولحق عمارة بن زياد
العبيسي الحَوْفَرَانُ فعرفه — وكانت أم عمارة قد أرضعت مُضَرَ بنَ شَرِيكٍ ، وهو
أخو الحَوْفَرَانِ — فقال : يا بني شَرِيكٍ ، قد علمتم ما بيننا وبينكم ، قال الحَوْفَرَانُ —
وهو الحارث بن شَرِيكٍ — : صدقت يا عمارة ، فانظر كل شيء هو لك نخذه ، فقال
عمارة : لقد علمت نساء بني بكر بن وائل أتى لن أملا أيدي أزواجهن وأبنائهن
شفقةً عليهن من الموت ، فحل عمارة ليعارض النعم ليرده ، وحال الحَوْفَرَانِ بينه وبين
النعم ، فعثرت بعمارة فرسه فطعنه الحَوْفَرَانُ ، وطعنه نعامه بن عبد الله بن شَرِيكٍ :
وأسير أبنا عمارة : سنان وشداد ، وكان في بني عَبَسَ رجلان من طيء : آبنان لأوس
ابن حارثة ، مجاورين لهم ، وكان لهما أخ أسير في بني يَشْكُرَ ، فلما فقدته بنو شيبان
نادوا : يا ثارات معدان ! فعند ذلك قتلوا آبنان وعمارة وهرب الطائيان بأسيرهما .
فلما برى عمارة من جراحه أتى طيئاً فقال : ادفعوا إلى هذا الكلب الذي قُتلنا به ،
فقال الطائي لأوس : ادفع الى بني عَبَسَ صاحبهم ، فقال لهم : تأمرني أن أعطي
بني عَبَسَ قطرةً من دمي ، وإن آبنان أسير في بني يَشْكُرَ ؟ فوالله ما أرجو فكاكه

(١) زُرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة .

(٢) الصريح : المستغيث .

إلا بهذا . فلما قفل الحوْفَزان من غزوه بعث الى بنى يشكر في ابن أوس ، فبعثوا به اليه ، فأفتدى به معدان ، وقال نعاماً بن شريك :

اسْتَنْزَلْتُ رِمَاحُنَا سِنَانًا * وَشَيْخُنَا بِطُخْفَةِ عَنَانَا
ثم أخوه قد رأى هَوَانًا * لَمَّا فَقَدْنَا بَيْنَنَا مَعْدَانَا

يَوْمُ غَوْلِ الْأَوَّلِ

وهو يومُ كَنْهَلِ

قال أبو عبيدة : أقبل أبنا هجيمة - وهما من غسان - في جيش فترلا

في بنى يربوع ، بخاوراً طارق بن عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع ، فترلا معه على

ماء يقال له : كَنْهَلِ ، فأغار عليهما أناس من ثعلبة بن يربوع ، فاستاقوا نَعْمَهُمَا

وأسروا من كان في النَّعْمِ ، فركب قيس بن هجيمة بخيله حتى أدرك بنى ثعلبة ، فكَرَّ

عليه عتيبة بن الحارث ، فقال له قيس : هل لك يا عتيبة الى البراز؟ قال : ما كنتُ

لأَسْأَلَهُ وأدعه ، فبارزه ، قال عتيبة : فما رأيتُ فارساً أملاً لعيني منه ، فطعنتني

فأصاب قربوس سرجي ، حتى وجدتُ مسَّ السَّنانِ في باطن نخذي ، ثم أرسل

الريح وهو يرى أن قد أثبتني [وأنصرف ^(١)] فأتبعته الفرس ، فلما سمع زَجَلَهَا رجع

جانحاً على قربوس سرجه ، وبدأ لي فرج الدرع فطعنته بالريح ، فقتلته وأنصرفتُ

فلحقتُ النَّعْمَ ، وأقبل الهرمأس بن هجيمة فوقف على أخيه قتيلاً ، ثم أتبعني فقال :

هل لك في البراز؟ فقلت : لعل الرجعة خير لك ، قال : أبعده قيس؟ ثم شد على

وضربني على البيضة ، فخلص السيف الى رأسي ، فضربته فقتلته ، فقال جرير :

وساق أبى هجيمة يوم غَوْلِ * الى أسيافاً قد در الحمام

(١) التكملة من العقد الفريد .

(٢) الزجل : الصوت .

(١)
يوم الجبابات

قال أبو عبيدة : خرج بنو ثعلبة بن يربوع فرؤوا بناس من طوائف بكر بن وائل بالجبابات ، خرجوا سفارا ، فنزلوا وسرحوا إبلهم ترعى ، وفيها نفر منهم يربعونها ، منهم : سواده بن يزيد بن بجير العجلي ، ورجل من بني شيبان ، وكان مجوما ، فررت بنو ثعلبة بن يربوع بالإبل فأطردوها وأخذوا الرجلين من بني شيبان ، فسألوهما : من معكما ؟ قالا : معنا شيخ من يزيد بن بجير العجلي في عصابة من بكر بن وائل خرجوا سفارا يريدون البحرين ، فقال الربيع ودعموص أبنا عتيبة بن الحارث بن شهاب : أنذهب بهذين الرجلين وهذه الإبل ولم يعلموا من أخذها ، ارجعوا بنا حتى يعلموا من أخذ إبلهم وصاحبهم لنعينهم بذلك ، فقال عميرة لها : ما وراءكما إلا شيخ ابن يزيد قد أخذتما أخاه وأطردتما إبله ، دعاه ، فأبياً ورجعا إليه وأخبراهم وتسميا لهم ، فركب شيخ ابن يزيد فأتبعهما وقد وليا ، فلحق دعموصا فأمره ، ومضى ربيع حتى أتى عميرة فأخبره أن أخاه قد قُتل ، فرجع على فرس له يقال لها الخنساء حتى لحق القوم ، فأنتك منهم دعموصا على أن يرد عليهم أخاهم وإبلهم ، فردها إليهم ، فكفر بنو عتيبة ولم يشكروا عميرة ، فقال عميرة في ذلك :

الم تر دعموصا يصد بوجهه * إذا ما رأني مقبلا لم يسلم
الم تعلم يا أبا عتيبة مقامي * على ساقط بين الأسننة مسلم
فعارضت فيه القوم حتى آتتعته * جهارا ولم أنظر له بالتلوم

يوم الشعب

غزا قيس بن شرفاء التغلبي ، فأغار على بني يربوع بالشعب ، فأقتلوا ، فأنهزمت بنو يربوع ، فأمر سحيم بن وثيل الرياحي ، فقال سحيم في ذلك :

(١) الجبابات : موضع بين ديار بكر والبحرين .

أقول لهم بالشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونِي * أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي أَبْنُ فَارِسٍ زَهْدَمٍ
فَفَدَى نَفْسَهُ، وَأَسْرَ أَيْضًا مُتَمِّمَ بِنِ نُوَيْرَةَ، فَوَفَدَ مَالِكُ بِنُ نُوَيْرَةَ عَلَى قَيْسِ بْنِ شَرْقَاءَ
فِي فِدَائِهِ فَقَالَ :

هَلْ أَنْتَ يَا قَيْسُ بِنُ شَرْقَاءَ مُنْعِمٌ * أَوْ الْجَهْدُ إِنْ أُعْطِيَتْهُ أَنْتَ قَائِلُهُ
فَلَمَّا رَأَى وَسَامَتَهُ قَالَ : بَلْ مُنْعِمٌ ، فَاطْلَقَهُ لَهُ .

يَوْمُ غَوْلِ الثَّانِي

فِيهِ قَتَلَ طَرِيفُ شَرَايِلَ وَعَمْرَوُ بِنُ مَرْثَدَ الْمُحَلَّمِيَّ
غَزَا طَرِيفُ بِنُ هَشِيمَ فِي بَنِي الْعَنْسَبِ بِنِ تَيْمٍ ، فَأَغَارَ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلَ بِغَوْلٍ ،
فَأَقْتَتَلُوا ، ثُمَّ إِنَّ بَكْرًا أَنْهَزَمَتْ ، فَفَقَتَلَ طَرِيفُ شَرَايِلَ أَحَدَ بَنِي رَبِيعَةَ ، وَقَتَلَ
أَيْضًا عَمْرَوُ بِنُ مَرْثَدَ ، وَقَتَلَ الْمُجَشَّرَ .

يَوْمُ الْخَنْدَمَةِ^(١)

كَانَ رَجُلٌ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ يُحَدِّثُ حَرْبَةَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، فَقَالَتْ لَهُ أَمْرَأَتُهُ :
مَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ ؟ قَالَ : أَعِدُّهَا لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ! [فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَرَى أَنَّهُ يَقُومُ
لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ] فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُخْدِمَكَ بَعْضَ نِسَائِهِمْ ، وَأَنْشَأُ
يَقُولُ :

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عِلَّةٌ * هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهِ

* وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ *

(١) الخندمة : اسم جبل بمكة .

(٢) التكلمة من العقد الفريد ومعجم ما استعجم للبكري في كلامه على الخندمة .

فلما لقيهم خالد [بن الوليد ^(١)] يوم الحندمة أنهزم الرجل لايلوي على شيء ،
فلامته أمرأته في ذلك ، فقال :

١٣٦
١٣

إِنَّكَ لَوَشَّهَدْتَ يَوْمَ الْحَنْدَمَةِ * إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِكْرَمَةٌ
وَلَقَيْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسَامِيَةِ * يَقْلِقُنَ كُلَّ مَاعِيدٍ وَجُمَّةٍ
ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا عَمَّغَمَةٌ * لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ
وهذه القصة نذكرها - إن شاء الله - في أثناء السيرة النبوية في يوم فتح مكة .

^(٢)
يَوْمُ اللَّهْمَاءِ

قال أبو عبيدة : كان سبب الحرب التي كانت بين [عمرو بن الحارث بن تميم
ابن سعد بن هذيل ، وبين عمرو] بن عدى بن الدئل بن بكر بن عبد مناة ، أن
قيس بن عامر بن غريب أخا بني عمرو بن عدى وأخاه سالما ، خرجا يريدان
بني عمرو بن الحارث ، على فرسين ، يقال لأحدهما : اللعاب ، والآخر : عَفْزَر ، فباتا
عند رجل من بني نُفَّانَةَ ، فقال الثَّقَافِيُّ لقيس واخيه : أطيعاني وارجعاً ، لأعرفن
رماحكما تُكسِر في قتاد نَعْمَان ، قالا : إِنَّ رِمَاحَنَا لَا تُكْسِرُ إِلَّا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ !
قال : لَا يَضُرُّكَمَا ، وَتَسْتَحْمَدَانِ أَمْرِي ، فَأَصْبِحَا غَادِيَيْنِ . فلما شارفا مَتْنِ اللَّهْمَاءِ

من نَعْمَان ، وبنو عمرو بن الحارث فَوَيقُ ذَلِكَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ أَدِيمَةٌ ، وَأَغَارَا عَلَى
غَنَمِ جَنْدَبِ بْنِ أَبِي أَعْيَسٍ ، وَفِيهَا جَنْدَبٌ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ قَيْسٌ ، فَرَمَاهُ جَنْدَبٌ عَلَى
حَلْمَةٍ ثَدِيَةٍ وَبَعَجَهُ قَيْسٌ بِالسُّيْفِ فَأَصَابَتْ ضَبَّةُ السُّيْفِ وَجْهَ جَنْدَبٍ ، وَحَرَّقَ قَيْسٌ

(١) التكة من العقد الفريد .

(٢) التكة من العقد الفريد .

(٣) كذا في معجم ما استعجم للبكري على لفظ التصغير ممدودا . وفي الأصول نورد مقصورا .

ونفرت الغنم نحو الدار فتبعها وحمل سالم على جندب بفرسه عفرزرا، فضرب جندب
 خطم الفرس بالسيف فقطعه ، وضربه سالم بالسيف فقطع إحدى يديه ، فخر
 جندب ووقف عليه سالم ، وأدرك العشي سالماً ، فخرج وترك سيفه في المعركة وثوبه
 بحقويه ، ولم ينج إلا بحفن سيفه ومثوره فقال حذيفة بن أنيس في ذلك من
 أبيات :

كَشَفَتْ غِطَاءَ الْحَرْبِ لَمَّا رَأَيْتَهَا * تَمِيلُ عَلَى صَفْوٍ مِنَ اللَّيْلِ أَعْسَرَا
 أَوْحَا الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضًّا * وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا
 وَيَمْشِي إِذَا مَا الْمَوْتُ كَانَ أَمَامَهُ * كَذَا الشَّيْبُلُ يَجِي الْأَنْفُ أَنْ يَتَأَخَّرَا
 نَجَّى سَالِمٌ وَالنَّفْسُ مِنْهُ بِشَرْقِيَّةٍ * وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفَنَ سَيْفٍ وَمِثْرَا
 وَطَابَ عَنْ اللَّعَابِ نَفْسًا وَرِمَةً * وَغَادَرَ قَيْسًا فِي الْمَكْرِّ وَعَفْرَا

يوم خزاز

قال أبو عبيدة: تنازع عامر ومسمع أبنا عبد الملك ، وخالد بن جبلة ،
 وإبراهيم بن محمد بن نوح العطاردي ، وغسان بن عبد الحميد ، وعبد الله بن
 سالم الباهلي ، ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاخرون
 ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز . فقال خالد بن جبلة : كان الأحوص
 ابن جعفر الرئيس . وقال عامر ومسمع : كان الرئيس كليب وائل . وقال
 ابن نوح : كان الرئيس زرارة بن عدس ، وهذا في مجلس أبي عمرو بن العلاء ،
 فتحاكموا إليه فقال : ما شهدها عامر بن صعصعة ، ولا دارم بن مالك ، ولا جشم بن
 بكر ، اليوم أقدم من ذلك ، غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يجي ومعه
 كاتب وطنفسة يقعد عليها ، فيأخذ من أموال نزار ما شاء ، كمال صدقاتهم اليوم ،

وكان أول يوم أمتنعت معدن^(١) عن [الملوك] : ملوك حمير، وكانت نزار لم تكثر بعد، فأوقدوا نارا على خراز ثلاث ليال، ودخنوا ثلاثة أيام، فقيل له : وما خراز؟ قال : هو جبل [قريب من امرأة على يسار الطريق] خلفه صحراء منيع^(٢)، ففي ذلك اليوم أمتنعت نزار من أهل اليمن، قال عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد في خراز * رفسدنا فوق رفسد الرافديننا

فكنا الأيمنين إذا التقينا * وكان الأيسرين بنو أيدنا

فصأوا صولة فيمن يليهم * وصلنا صولة فيمن يلينا

فأبوا بالنهاب والسبأيا * وأبنا بالملوك مصفديننا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جده كليب وأهل فائدهم ورئيسهم ما آدعي الرفادة وترك الرياسة .

يوم النصار

قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطى وغطفان ، ولحقت بهم ضبة وعدي ، فغزوا بني عامر فقتلوهم قتلا شديدا ، فغضبت بنو تميم لمقتل بني عامر ، فتجمعوا حتى لحقوا طينا وغطفان وحلفاءهم من ضبة وعدي يوم الفجار ، فقتلت تميم [طينا] أشد مما قتل عامر يوم النصار ، فقال بشر بن أبي خازم :

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النصار فأعقبوا بالصيلم

يوم ذات الشقوق

قال : خلف ضمرة بن ضمرة النهشلي وقال : الخمر على حرام حتى يكون لنا يوم يكافئه ، فأغار عليهم يوم ذات الشقوق فقتلهم وقال في ذلك :

(١) التكملة من العقد الفريد . (٢) منيع : على مقربة من حبي شرية .

الآن سَاعَ لِي الشَّرَابُ وَلَمْ أَكُنْ * آتَى الفِجَارَ وَلَا أَشَدُّ تَكَلَّمِي
 حَتَّى صَبَحْتُ عَلَى الشُّقُوقِ بَغَارِي * كَالْتَّمَرِ تُنْثَرُ فِي جَرِينِ الحَرَمِ^(١)
 وَأَفَأْتُ يَوْمًا بِالْحَفَارِ بِمِثْلِهِ * وَأَجَزْتُ نَصْفًا مِنْ حَدِيثِ المَوْسَمِ
 وَمَشَتْ نِسَاءُ كَالنِّسَاءِ عَوَاطِلًا * مِنْ بَيْنِ عَارِفَةِ النِّسَاءِ وَأَيِّمِ
 ذَهَبَ الرِّمَاحُ بِزُوجِهَا فَرَكْنَهُ * فِي صَدْرِ مُعْتَدِلِ القَنَاةِ مُقْوَمِ

يَوْمَ خَوِّ

قال أبو عبيدة : أغارت بنو أسد على بني يربوع فاكتسحوا إبلهم ، فأتى
 الصريح الحى فلم يتلاحقوا إلا مساءً بموضع يقال له خو^(٢) ، وكان ذؤاب بن ربيعة
 الأسدى على فرس أنثى ، وكان عتبة بن الحارث بن شهاب على حصان يستنشى
 ريح الأثني في سواد الليل ويتبعها ، فلم يعلم عتبة إلا وقد أقم فرسه على ذؤاب
 ابن ربيعة ، وعتبة غافل لا يبصر ما بين يديه ، فراه ذؤاب قطعنه في نحره فقتله ،
 ولحق الربيع بن عتبة فشد على ذؤاب فأمره وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، فلم يزل
 عنده أسيراً حتى فاداه أبوه ربيعة بإبل قاطعه عليها ، وتواعدا بسوق عكاظ
 في الأشهر الحرم أن يأتي هذا بالإبل وهذا بالأسير ، فأقبل أبو ذؤاب بالإبل ،
 وشغل الربيع بن عتبة فلم يحضر سوق عكاظ ، فظن ربيعة أبو ذؤاب أن ذؤابا
 قُتِلَ بعتيبة ، فقال يرثيه :

أبلغ قبائل جعفرٍ مخصوصة * ما إن أحاول جعفر بن كلاب
 إن المودة والهواة بيننا * خلق كسحق الربطة المنجاب
 ولقد علمت على التجلد والأسى * أن الرزية كان يوم ذؤاب

١. (١) الجرين : موضع التمر الذي يجفف فيه .
 ٢. (٢) خو : كتيب معروف بجند بين ديار بني أسد وديار بني يربوع .

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ هَتَكَتْ بِيُوتَهُمْ * يُعْتَبِيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ
بِأَحْبَبِهِمْ فَقَدَا عَلَى أَعْدَائِهِ * وَأَشَدَّهُمْ فَقَدَا عَلَى الْأَصْحَابِ^(١)

فلما بلغ إليهم الشعر قتلوا ذؤاب بن ربيعة .

(٢٢)
أَيَّامُ الْفِجَارِ

الْفِجَارُ الْأَوَّلُ

قال أبو عبيدة : أَيَّامُ الْفِجَارِ عِدَّةٌ ، فَأُولَاهَا بَيْنَ كَنَانَةَ وَهَوَازِنَ . وَكَانَ الَّذِي هَاجَهُ
أَبُو بَدْرِ بْنِ مَعْشَرٍ أَحَدَ بَنِي عَقَالِ بْنِ مُلَيْكِ بْنِ صَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كَنَانَةَ
جَعَلَ لَهُ مَجْلِسًا بِسُوقِ عَمَّكَاطَ ، وَكَانَ مَنِيعًا فِي نَفْسِهِ ، فَقَامَ فِي الْمَجْلِسِ وَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ
قَائِمٌ وَأَنشَأَ يَقُولُ :

تَحْنُ بَنُو مُدْرِكَةَ بْنِ خِنْدِفٍ * مَنْ يَطْعَنُوا فِي عَيْنِهِ لَا يَطْرِفُ
وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يَطْرِفُ^(٣) * كَانَتْهُمْ لِحَّةٌ بِبَحْرِ مُسَدِفٍ^(٤)

قال : ومدَّ رجله وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز مني فليضربها ،
فضربها الأحيمر بن مازن أحد بني دهمان بن نصر بن معاوية ، فأندرها من الرِّبَّةِ^(٥)

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصول : « الى » .

(٢) سميت الفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم ، وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها ، وهي
بغاران ، الفجار الأول ثلاثة أيام ، والفجار الثاني خمسة أيام في أربع سنين ، وقد حضر النبي صلى الله
عليه وسلم يوم عكاظ مع أعمامه وكان يناولهم النبل ، وانتهت سنة ٥٨٩ م .

(٣) الغطريف والغطاريف : السيد الشريف السخي الكثير الخير .

(٤) مسدف : مظلم .

(٥) أندرها : قطعها .

وقال : خذها إليك أيها المخنذف ! قال أبو عبيدة : إنما خرصها خريصية يسيرة
وقال في ذلك :

نَحْنُ بَنُو دُهْمَانَ ذُو التَّغَطْرِفِ * بِحَرِّ لِبَحْرِ زَاخِرٍ لَمْ يُسْتَرَفِ
(١)

[* تَبَنَى عَلَى الْأَحْيَاءِ بِالْمُعَرَفِ *]

- ٥ قال أبو عبيدة : فتجاوز الحيان عند ذلك حتى كاد يكون بينهم قتال ، ثم
ترجعوا ورأوا أن الخطب يسير .

الفَجَارُ الثَّانِي

- قال : كان الفجار الثاني بين قريش وهوازن ، وكان الذي هاجه أت فية من
قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر بن صعصعة وضيئة بسوق عكاظ . وقالوا :
١٠ بل أطاف بها شباب من بني كنانة وعليها برفع [فأعجبهم ما رأوا من هيبتها] ،
فسألوها أن تسفر عن وجهها ، فأبت عليهم ، فأتى أحدهم من خلفها فشد دبرِرعها
بشوكة الى ظهرها وهي لا تدري ، فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها ، فضحكوا
وقالوا : منعنا النظر الى وجهها فقد رأينا دبرها ، فنادت المرأة : يا آل عامر !
فتجاوز الناس ، وكان بينهم قتال ودماء يسيرة ، فحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم .

الفَجَارُ الثَّلَاثُ وَهُوَ بَيْنَ كِنَانَةَ وَهَوَازِنَ

- ١٥ وكان الذي هاجه أت رجلا من بني كنانة كان عليه دين لرجل من بني نضر بن
معاوية ، فأعدم الكناني ، فوافى النضري بسوق عكاظ بقرد ، فأوقفه في سوق
عكاظ فقال : من يبغني مثل هذا بما لي على فلان حتى أكثر في ذلك . وإنما
فعل ذلك تعبيرا للكناني ولقومه ، فتر به رجل من بني كنانة فضرب القرد بالسيف

١٣٨
١٣

(١) النكلة من العقد الفريد .

فقتله ، فهتف النضرى : يا آل هوازن ! وهتف الكنانى : يا آل كنانة ! فهاج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال ، ثم رأوا الخطب يسيرا فترجعوا .
قال أبو عبيدة : إنما سُميت هذه الأيام بالفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم ، وهى الشهور التى يحرمونها ، وهذه يقال لها أيام الفجار الأولى .

الفجار الآخر وهو بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن
وإنما هاجها البراض بقتله عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، فأبت أن تقتل بعروة البراض لأن عروة سيد هوازن ، والبراض خلیع من بنى كنانة ، وأرادوا أن يقتلوا به سيدا من قريش .

وهذه الحرب كانت قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كنت أنبل على أعمامى يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة " يعنى أنا ولهم النبل .

وكان سبب هذه الحرب أن النعمان بن المنذر الخنمى ملك الحيرة كان يبعث الى سوق عكاظ فى كل عام لطيمة^(١) فى جوار رجل شريف من أشرف العرب يُجيرها له ، حتى تباع هنالك ويشتري له بها من أدم الطائف ما يحتاج إليه . وكانت سوق عكاظ تقوم فى أول يوم من ذى القعدة ، فيتسوقون إلى حضور الحج ، ثم يحجون ، فتهز النعمان عير اللطيمة ثم قال : من يُجيرها ؟ فقال البراض بن قيس الضمرى : أنا أُجيرها على بنى كنانة ، فقال النعمان : ما أريد إلا رجلا يُجيرها على أهل نجد وتهامة ، فقال عروة الرحال — وهو يومئذ رجل هوازن — أكاب خلیع يجيرها لك ؟ أبيت اللعن ! أنا أُجيرها لك على أهل الشَّيح والقبصوم من أهل

(١) اللطيمة : العير التى تحمل الطيب و بزّ التجارة .

نجد وتهامة ! فقال البراض : أعلى بنى كنانة تُجبرها يا عُرْوَة ؟ قال : وعلى الناس كلهم ! فدفعها النعمان إلى عُرْوَة ، فخرج بها وتبعه البراض ، وعُرْوَة لا يخشى منه شيئا ، إلى أن نزل بأرض يقال لها أُوَارَة^(١) ، فشرّب من الخمر وغمته قينةً ، ثم نام ، فجاء البراض فدخل عليه ، فناشده عُرْوَة وقال : كانت منى زلةً ، وكانت الغفلة منى ضلّةً ، فقتله وخرج وهو يرتجز ويقول :

قَدْ كَانَتِ الْغَفْلَةُ مَنَى ضَلَّةً * هَلَّا عَلَى غَيْرِي جَعَمَتِ الزَّلَّةُ

* فسوف أعلو بالحسام القلّة *
وقال :

وَدَاهِيَةٌ يَهَالُ النَّاسُ مِنْهَا * شَدَدْتُ لَهَا بَنِي بَكْرِ ضُلُوعِي

هَتَكْتُ بِهَا بِيوتَ بَنِي كَلَابٍ * وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِي بِالضَّرُوعِ

جَمَعْتُ لَهُ يَدَيَّ بِنَضِلِ سَيْفٍ * أَفَلْ نَخَرَ كَالْحِذِّعِ الصَّرِيحِ

وَأَسْتَأَقِ اللَّطِيْمَةَ إِلَى خَيْبَرَ ، وَآتَبِعَهُ الْمَسَاوِرُ بْنُ مَالِكِ الْغَطَفَانِيَّ ، وَأَسَدُ بْنُ خَيْمِ الْغَنَوِيِّ حَتَّى دَخَلَ خَيْبَرَ ، فَكَانَ الْبَرَاضُ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمَا ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ الرَّجُلَانِ ؟ قَالَا : مَنْ غَطَفَانَ وَغَنِيَّ . قَالَ الْبَرَاضُ : مَا شَأْنُ غَطَفَانَ وَغَنِيَّ بِهَذَا الْبَلَدِ ؟ قَالَا :

وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ أَهْلُ خَيْبَرَ . قَالَا : أَلَمْ عَلِمُ بِالْبَرَاضِ ؟ قَالَ : دَخَلَ عَلَيْنَا

طَرِيدًا خَلِيْعًا فَلَمْ يُؤْوِهِ أَحَدٌ بِخَيْبَرَ وَلَا أَدْخَلَهُ بَيْتًا . قَالَا : فَأَيْنَ يَكُونُ ؟ قَالَ : وَهَلْ

لِيكَ [بِهِ] طَاقَةٌ أَنْ دَلَّتْكَ عَلَيْهِ ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنْزِلَا ، فَتَزَلَا وَعَقَلَا

رَاحِلَتَيْهِمَا . قَالَ : أَيُّكُمَا أَجْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْضَى مَقْدَمًا وَأَحَدٌ سَيْفًا ؟ قَالَ الْغَطَفَانِيُّ :

أَنَا . قَالَ : فَأَنْطَلِقْ أَدَلِّكَ عَلَيْهِ ، فَأَنْطَلَقَا حَتَّى آتَبَيَا إِلَى خَرِيْبَةٍ فِي جَانِبِ خَيْبَرَ خَارِجَةٍ

عَنِ الْبِيوتِ ، فَقَالَ الْبَرَاضُ : هُوَ فِي هَذِهِ الْخَرِيْبَةِ وَإِلَيْهَا يَاوِي ، فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ

(١) أُوَارَة (بضم أوّله وبالزاء المهملة) : ماء درين الحريب لبني تميم .

(٢) التكلة من العقد الفريد .

أثمّ هو أم لا ، فوقف له ودخل البراض ثم نرحج إليه وقال : هو قائم في البيت الأقصى خلف هذا الجدار ، فهل عند سيفك صرامة؟ قال : نعم . قال : هات سيفك أنظر إليه أصارم هو؟ فأعطاه سيفه ، فهزه البراض ثم ضربه فقتله ، ووضع السيف خلف الباب وأقبل إلى الغنوي فقال : ما وراءك؟ قال : أجبن من صاحبك ، تركته قائما في البيت الذي فيه الرجل ، والرجل قائم لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه ، قال الغنوي : يا لهفاه ! لو كان لي من ينظر راحلتينا ، قال البراض : هما على إن ذهبنا ، فأطلق الغنوي والبراض خلفه حتى إذا جاور الغنوي باب الخربة أخذ البراض السيف من خلف الباب ثم ضربه حتى قتله وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما وأطلق .

١٣٩
١٣

وبلغ قريشا خبر البراض بسوق عكاظ ، فخلصوا نجيا ، واتبعتهم قيس لما بلغهم أن البراض قتل عمروة الرجال ، وعلى قيس أبو برا عاصر بن مالك ، فأدركوهم وقد دخلوا الحرم ، فنادوهم : يا معشر قريش ، إنا نعاهد الله ألا نبطل دم عمروة أبدا ، أو نقتل به عظيما منكم ، وميعادنا معكم هذه الليلة من العمام القابل ، فقال حرب بن أمية لأبي سفيان ابنه : قل لهم : إن موعدكم قابل في هذا اليوم ، فقال خدّاش بن زهير في هذا اليوم ، وهو يوم نخلة ، من أبيات أولها :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة * على تخينة لولا الليل والحرم

وكانت العرب تسمى قريشا تخينة لأكلها السخن .

(١)
يوم شمظة وهو يوم نخلة من الفجار الانحر

قال : بجمعت كنانة قريشها وعبد منانها والأحابيش ومن لحق بهم من بني أسد بن خزيمية ، وألبس يومئذ عبد الله بن جدعان مائة كمي السلاح بأداة

(١) شمظة (بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده ظاء معجمة) : موضع قريب من عكاظ .

(٢) الكمي : الشجاع .

- كاملة ، سوى ما ألبس من قومه ، والأحبابُ بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة .
قال : وجمعت سليم وهوازن وجموعهما وأخلافهما ، غير كلاب وبنى كعب ، فإنهما
لم يشهدا يوما من أيام الفجر غير يوم نخلة ، فأجتمعوا بشمطة من عكاظ في هذه
الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول ، وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها ،
وكذلك على قبائل قيس ، غير أن أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية ، وعلى إحدى
مخبتئها عبد الله بن جدعان ، وعلى الأخرى كرز بن ربيعة ، وحرب بن أمية
في القلب ، وأمر هوازن كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي ، فزحف بعضهم إلى
بعض ، فكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن ، حتى إذا كان من آخر
النهار تداعت هوازن وصارت ، وأنكشفت كنانة فاستحز القتل فيهم ، فقتل منهم
تحت رايتهم مائة رجل ، ويقال ثمانون ، ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، فكان
هذا اليوم لهوازن على كنانة .

يوم العباء

- قال : ثم رجع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول من يوم عكاظ ،
والرؤساء عليهم الذين ذكراهم في يوم شمطة ، فكان هذا اليوم أيضا لهوازن على
كنانة . وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد والد الزبير ، قتله مرة بن معتب
الثقفي ، وقال رجل من ثقيف :

منا الذي ترك العوام مجندلا * تنسبه الطير لحما بين أحجار

يوم شرب

- ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ ،
فالتقوا بشرب ، وهو أعظم أيامهم والرؤساء عليهم وعلى المخبتئ من ذكرا ، وحمل
(١) شرب (بفتح أوله وثانيه بعده باء بواحدة ، هكذا ثبتت الرواية عن أبي الحسن الطوسي فيه ،
ورواه ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي بكسر الزا) : موضع قرب مكة .

أَبْنُ جَدْعَانَ يَوْمَئِذٍ مِائَةٌ رَجُلٍ عَلَى مِائَةٍ بَعِيرٍ مِمَّنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حِمْلَةٌ ، فَالْتَقَوْا ، وَقَدْ
 كَانَ لَهُوَازِنٌ عَلَى كِنَانَةِ يَوْمَانَ مَتَوَالِيَانِ : يَوْمَ شَمْطَةِ وَالْعَبْلَاءِ ، فَحَمَشَتْ قَرِيشٌ
 وَكِنَانَةٌ ، وَصَابَرَتْ بَنُو مَخْزُومٍ وَبَنُو بَكْرِ ، فَأَنْهَزَمَتْ هَوَازِنٌ وَقَتَلَتْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، فَقَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْعَرِيِّ يَمْدَحُ بَنِي الْمَغِيرَةِ :

أَلَا لِلَّهِ قَوْمٌ * رَلَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ

هِشَامٌ وَأَبُو عَبْدِ * مَنَافٍ مِيدِرَةَ الْخَصِيمِ

وَذُو الرُّمَيْحِ أَشْبَاكٌ * مَنِ الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ

فَهَذَانِ يَدُودَانِ * وَذَا مِنْ كَثْبٍ يَرْمِي

وَأَبُو عَبْدِ مَنْفَافٍ : هَاشِمُ بْنُ الْمَغِيرَةِ . وَذُو الرُّمَيْحِ : أَبُو رَبِيعَةَ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، قَاتَلَ يَوْمَ

شَرَبِ بَرْمَجِينَ . وَأُمُّهُمُ رَبِيعَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ جَدُّ الطَّعَانِ :

جَاءَتْ هَوَازِنُ أَرْسَالًا وَإِخْوَتُهَا * بَنُو سُلَيْمٍ فَهَابُوا الْمَوْتَ وَأَنْصَرَفُوا

فَأَسْتَقْبَلُوا بِضْرَابٍ فَضَّ جَمْعُهُمْ * مِثْلَ الْحَرِيقِ فَمَا عَاجَبُوا وَلَا عَظَفُوا

يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ

ثُمَّ جَمَعَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ وَالْتَقَوْا عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ بِالْحُرَيْرَةِ ، وَهِيَ حَرَّةٌ إِلَى جَنْبِ

عُكَاظٍ ، وَالرُّؤْسَاءِ عَلَى هَؤُلَاءِ [وَأُولَئِكَ] هُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ ، وَكَذَلِكَ عَلَى الْمُجْتَبِئِينَ

إِلَّا أَنَّ أَبَا مُسَاحِقَ بْنَ قَيْسِ الْبَيْعُمِرِيِّ قَدْ كَانَ مَاتَ ، فَكَانَ بَعْدَهُ عَلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاءَةَ

ابْنِ كِنَانَةَ أَخُوهُ جُثَامَةُ بْنُ قَيْسٍ ، فَكَانَ يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ لَهُوَازِنٌ عَلَى كِنَانَةٍ ، وَهُوَ آخِرُ

الْأَيَّامِ الْخَمْسَةِ الَّتِي تَرَاخَفُوا فِيهَا ، فُقِتِلَ يَوْمَئِذٍ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ أُمَيَّةَ أَخُو حَرْبِ بْنِ

(١) المدرة : زعيم القوم وخطيبهم والمنكلم عنهم ، وقد أطلق نحوذا الآن على المعامى .

(٢) يقال : أشباك لفلان ، كما يقال : حسبك لفلان .

(٣) الحريرة : موضع بين الأبواء ومكة قرب نخلة . (٤) التكة من العقد الفريد .

أمية، وقُتِلَ من بني كنانة ثمانية نفر، قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك من بني عامر
ابن صعصعة، وقُتِلَ جماعة آخر، فقال خدّاش بن زهير:

١٤٠
١٣

إني من النّفير المحمّر أعينهم * أهل السّوام وأهل الصّخر واللّوب
الطّاعين نحور الخيل مقبلة * بكلّ سمراء لم تغلب ومغلوب
وقد بلوتهم وأبلوكم بلاءهم * يوم الحريرة ضرباً غير تكذيب
لاقيتم منهم أساد ملحمة * ليسوا بزراعة عوج العراقيب
فالآن إن تقبلوا ناخذ نحوركم * وإن تبأهوا فإني غير مغلوب

وقال الحارث بن كلدة الثّقفي:

تركت الفارس البذاخ منهم * تمج عروقه علقا عيطا
دعست لبانه بالرّمح حتى * سمعت لمثنيه فيه أطيّطا
لقد أردت قومك يا ابن صخر * وقد جشمتم أمرا سيطا
وكم أسلمت منكم من كبي * جريحا قد سمعت له غيطا

مضت أيام الفجار الآخر، وهي خمسة أيام في أربع سنين.

قال أبو عبيدة: ثم تداعى الناس إلى السلم على أن يذروا الفضل ويتعاهدوا
ويتواقفوا.

١٥

يوم عين أباغ^(١)

قال أبو عبيدة: كان ملك العرب المنذر الأكبر بن ماء السماء، ثم مات فملك
أبوه عمرو، ثم هلك فملك بعده أخوه قابوس، ثم مات فملك أخوه المنذر بن المنذر

(١) أباغ الذي نسب إليه عين أباغ (بضم الهمزة وفتح المعجمة وبفتح الهمزة أيضا): (بطرف

٢٠

أرض العراق مما يلي الشام.

ابن ماء السماء . وذلك في مملكة كسرى بن هرمز ، ففزاه الحارث الغساني ، وكان بالشام من جهة قيصر ، فالتقوا بعين أباغ ، فقتل المنذير ، فولى كسرى النعمان بن المنذير ، ثم سعى الى كسرى في النعمان فقتله ، وقد تقدم ذكر سبب ولايته ومقتله .

وكان النعمان لما تحقق غضب كسرى عليه هرب ، ثم علم أنه لا منجى له من يد كسرى فقدم إليه فقتله . واستعمل كسرى على العرب إياس بن قبيصة الطائي . وكان النعمان لما شخّص الى كسرى أودع حلقتة ، وهي ثمانمائة درع وسلاحا كثيرا ، هانيء بن مسعود الشيباني ، وجعل عنده أبنته هنداً التي تُسمى حرقة ، فلما قتل النعمان قالت فيه الشعراء ، فقال زهير بن أبي سلمى من أبيات :

ألم تر للنعمان كان تجوياً * من الشرلو أن امرأ كان ناجياً
فلم أر مخدولاً له مثل ملكه * أقل صديقاً باذلاً أو مواسياً

يوم ذى قار

قال أبو عبيدة : يوم ذى قار هو يوم الحنو ، ويوم قرأقر ، ويوم الجبابات ، ويوم ذات العجرم ، ويوم بطحاء ذى قار ، وكلها حول ذى قار .

قال أبو عبيدة : لم يكن هانيء بن مسعود المستودع حلقة النعمان ، وإنما هو ابن أبنه ، وأسمه هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود ، لأن وقعة ذى قار كانت وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال : " اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نصروا " .

ولما قُتل النعمان كتب كسرى الى إياس بن قبيصة يأمره أن يضم ما كان للنعمان ، فأبى هانيء بن قبيصة أن يسلم ذلك إليه ، فغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل ، فقدم عليه النعمان بن زُرعة النعالي فقال : يا خير الملوك ، ألا أدلك

وسار إياس بمن معه من الجند وغيرهم ، فلما دنوا من بكر أقبل قيس بن مسعود الى قومه ليلا ، فأمرهم بالصبر ثم رجع .

فلما أتى الرحمان وتقرّب القوم ، قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي فقال : يا معشر بكر ، إن تُسأب الأعاجم يفرقكم ، فعاجلوهم الى اللقاء وابدءوهم بالشدة ، وقال هانيء بن مسعود : يا قوم ، مهلك مقسود ، خير من منجى مغرور . إن الجزع لا يرد القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية خير من الدنيا ، وأستقبال المنية خير من أستدبارها ، فالحدّ الحدّ ، فما من الموت بدّ .

ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع ورضن النساء فسقطن الى الأرض وقال : ليقال كل رجل عن حالته ، فسُمي مقطّع الوضن .

قال : وقطع يومئذ سبعائة من بني شيبان أيدي أقيمتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف فتجالد القوم ، وقتل يزيد بن حارثة اليشكري الهامرز مبارزة ، ثم قتل يزيد بعد ذلك . فضرب الله وجوه الفرس فأنهزموا ، وآتبعهم بكر حتى دخلوا السواد في طلبهم ، وأسر النعمان بن زُرعة التغلبي . ونجا إياس بن قبيصة على فرسه الحمامة ، فكان أول من أنصرف الى كسرى بالهزيمة هو . وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه . فلما أتاه إياس بن قبيصة سأله عن الجيش فقال : هزمتنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم . فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة ، ثم استأذنه إياس فقال : أخى قيس بن قبيصة مريض بعين التمر ، فأردت أن آتيه ، فأذن له .

ثم أتى كسرى رجلاً من أهل الحيرة وهو بالخوَرَنَق فسأل : هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا : إياس ، فظن أنه قد حدثه الخبر ، فدخل عليه وأخبره بهزيمة القوم

(١) الوضن : حزم الرجال .

وقتلهم، فأمر به فترعت كتفاه. وقد أكثرت الشعراء في يوم ذى قار. فمن ذلك ما قاله الأعشى بكر من قصيدة له :

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارِكًا * فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ مَا أَخْطَأَهُمُ الشَّرْفُ
لَمَّا آمَلُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيَهُمْ * مِنْهَا بَيْضٌ لَمْثَلِ الْهَامِ تَحْتَطِفُ
بَطَارِقُ وَبَنُو مَلِكِ مَرَّازِيَةٍ * مِنْ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النَّطْفُ
كَأَنَّهَا الْأَلُّ فِي حَافَاتِ جَمْعِهِمْ * وَالْبَيْضُ بَرَقَ بَدَا فِي عَارِضِ يَكْفُ
مَا فِي الْخُدُودِ صُدُودٌ عَنْ سِيوفِهِمْ * وَلَا عَنِ الطَّعْنِ فِي اللَّبَاتِ مُنْحَرِفُ
وقال الأعشى يلووم قيسا من أبيات :

أَقِيسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ * وَأَنْتَ أَمْرٌ تُرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
رَحَلْتَ وَلَمْ تَنْظُرْ وَأَنْتَ عَمِيدُهُمْ * فَلَا يَبْلُغُنِي عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
فَعُرِّيَتْ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمْعُهُ * كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُمِرُّ الْمَغَازِلُ
شَفَى النَّفْسَ قَتْلِي لَمْ تُوسِدْ خُدُودَهَا * وَسَادَا وَلَمْ تُعَضِّضْ عَلَيْهَا الْأَنَامِلُ
لَعَلَّكَ يَوْمَ الْحِنُودِ إِذْ صَبَحْتَهُمْ * كَتَّابٌ لَمْ تَعِصِكَ بِهِنَ الْعَوَازِلُ^(١)

قال : ولما بلغ كسرى خبر قيس بن مسعود بما فعل مع قومه حبسه حتى مات في حبسه، ففيه قال الأعشى :

* وَعُرِّيَتْ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمْعُهُ *

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث عشر في أحد

الأصليين الفتوغرافيين المرموز له بنسخة (١)

[انتهت أيام العرب على وجه الاختصار وحذف التكرار من كتاب « نهاية

الأرب في فنون الأدب » لمؤلفه أحمد بن عبد الوهاب القرشي المعروف بالتويري

(١) رواية العقد الفريد : * كَتَّابٌ مَاتَ لَمْ تَعِصِكَ الْعَوَازِلُ (١)

رحمة الله تعالى عليه وُغفرانه على يد كاتبه فقير رحمة ربه الشامل نور الدين بن شرف الدين العالمى ، فى اليوم السابع والعشرين من شهر رجب الفرد من شهر سنة سبع وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً الى يوم الدين ، ويليه الجزء الرابع عشر من نسخة الأصل وأوله : (القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الملة الإسلامية) .

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث عشر أيضاً
فى الأصل الثانى القموغرافى المرموز له بنسخة (ب)

[انتهت أيام العرب على وجه الاختصار ، وحذف التكرار ، بعون الله تعالى وتوفيقه ويمنه ، وبتمامها كل الجزء الثالث عشر من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الرابع عشر من الكتاب ، وهو الجزء الرابع من التاريخ : القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الملة الإسلامية . وحسبنا الله ونعم الوكيل] .

« وكتب بالهامش مانصه : بلغ مؤلفه مقابلة بأصله والمحمد لله » .



أنجزت - بعون الله وحسن توفيقه - تصحيح وتحقيق الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » من تجزئة طبعة دار الكتب المصرية فى يوم الأحد ١٧ من ذى الحجة سنة ١٣٦٨ هـ (٩ أكتوبر سنة ١٩٤٩ م) . ويليه الجزء السادس عشر وأوله : « القسم الخامس من الفن الخامس فى أخبار الملة الإسلامية » .

محمد عبد الجواد الأصمعى
المصحح بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية



كَمَّلَ طبع "الجزء الخامس عشر من (نهاية الأرب في فنون الأدب)"

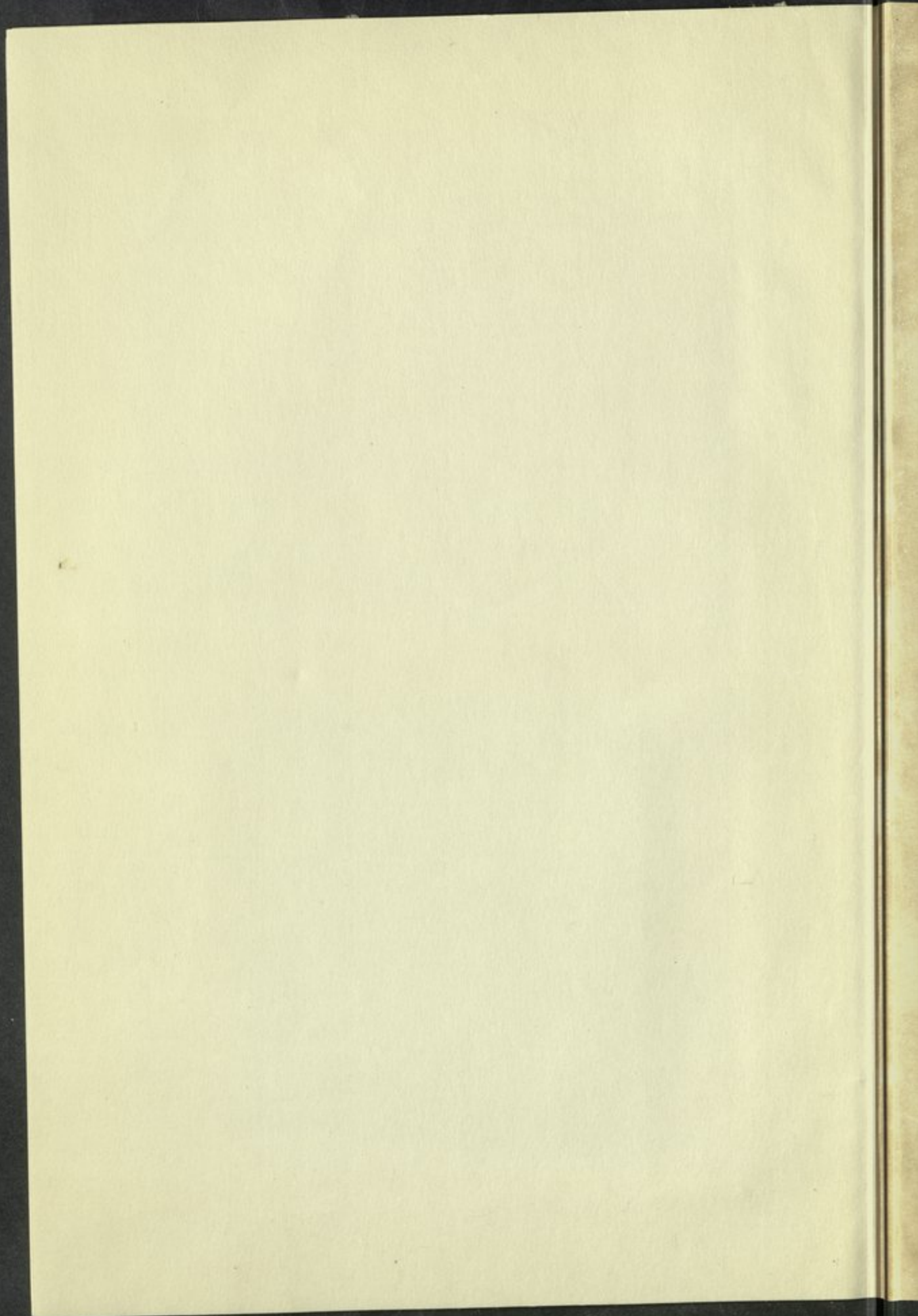
بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم الأربعاء ١١ محرم سنة ١٣٦٩

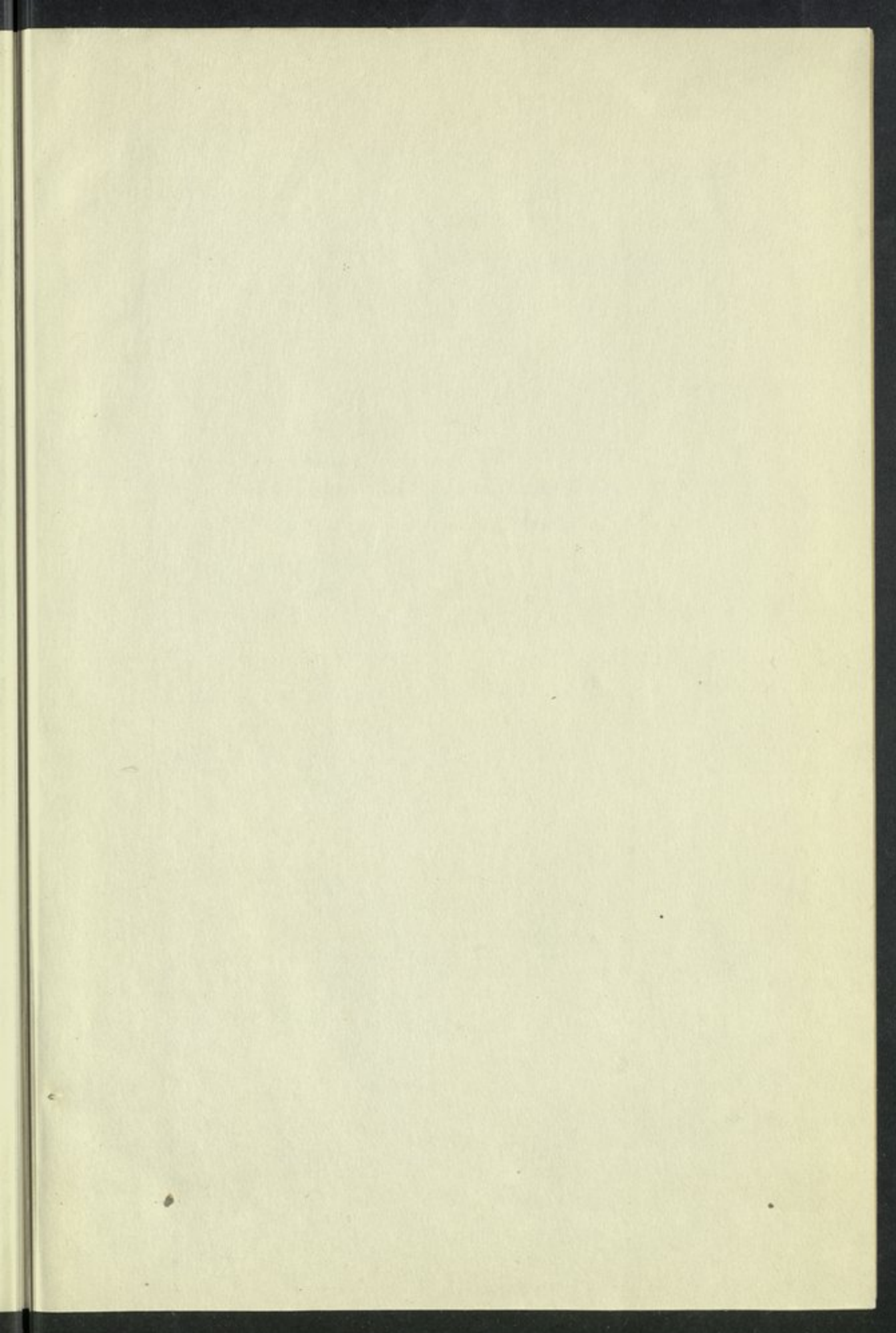
محمد نديم

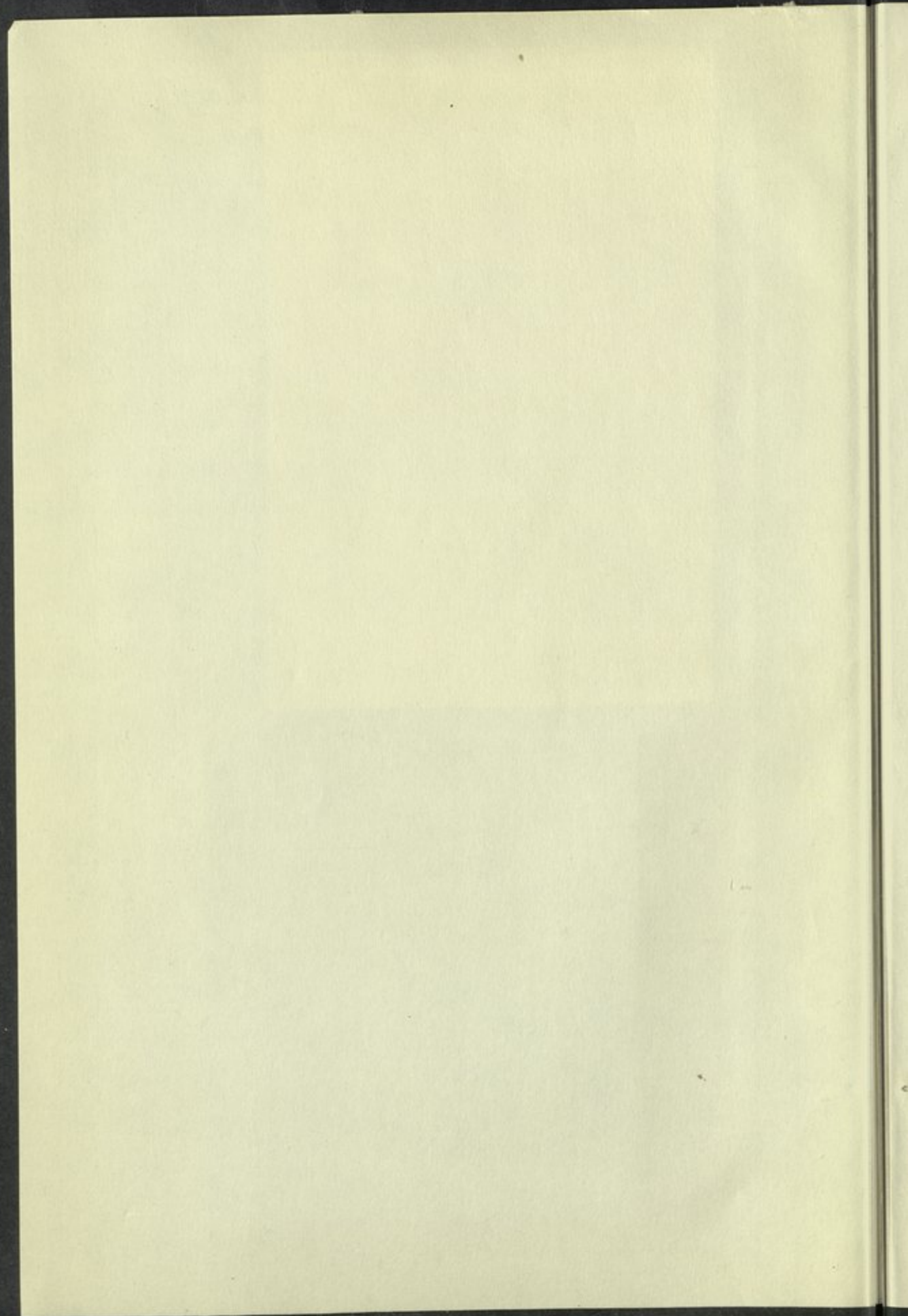
(٢ نوفمبر سنة ١٩٤٩) م

مدير المطبعة بدار الكتب

المصرية







DATE DUE

JAFET LIB

8 FEB 1983

J. Lib.

~~1987~~

اسويدي : دكتور العباس احمد بن عبد الوه

نهاية الارب في فنون الادب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01045274

